

تفسير الملا علي القاري

المستقى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أحوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الحرقي المكي الحنفي

الشهير بـ: الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤ هـ

تقديم

الدكتور ناجي السويدي

المجلد الأول

من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة

مستورات
مع علي بن يوسف
دار الكتب العلمية

DKi

بيروت - لبنان

تَقْسِيرُ

المِثْلَاءِ عَلَى الْقِيَارِ

المُسْتَعَى

أَنْوَارُ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارُ الْفُرْقَانِ

الْجَامِعُ بَيْنَ أَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ وَأَهْوَالِ الْأَوْلِيَاءِ وَذَوِي الْعِرْقَانِ

تَأْلِيفُ

نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ سُلْطَانِ الْهَرَوِيِّ الْمَكِّيِّ الْحَنْبَلِيِّ

الشَّهِيدِ: الْمَلَاءِ عَلَى الْقَارِ

الْمُتَوَفَّى ١٠١٤ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورِ نَاجِيٍّ التَّوْنِي

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ

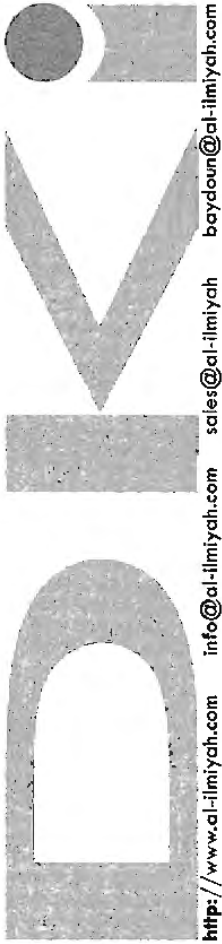


دار الكتب العلمية

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah

DKI

أُنْشِئَتْ مِنْ قِبَلِ د. نَاجِيٍّ التَّوْنِي سَنَةَ ١٩٧١ بَيْرُوت - لُبْنَانِ
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamed Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : تفسير الملاء علي القاري

**Title : TAFSIR
AL-MULLA' ALI AL-QARI**

AL-MULLA ALI AL-QARI'S
EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملاء علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (5 Volumes) 2592 عدد الصفحات (٥ مجلدات)

Size 17x24 cm قياس الصفحات

Year 2013 A.D. -1434 H. سنة الطباعة

Printed in : Lebanon بلد الطباعة : لبنان

Edition : 1st (2 Colors) الطبعة : الأولى (لونان)

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah**
Beirut-Lebanon No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any form or by any
means, or stored in a data base or retrieval system, without
the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah**
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation
préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à
des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية
بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب
كاملًا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

**Dar Al-Kotob
Al-ilmiyah**

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
١١٠٧٢٢٩٠ رياض الصلح-بيروت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

تعتبر المدرسة الصوفية جزءاً مهماً في التراث الإسلامي، ومعلماً في تطور الفكر الإسلامي، والسبب في ذلك البيئة الحاضنة والواسعة إضافة إلى الأسبقية التاريخية في نشأته، فبدايته في المائة الثانية للهجرة، مع الإشارة إلى وجود اختلاف لدى العلماء في ذلك.

وأما المحضن فهي بيئة واسعة مساحته انتشار الإسلام، وفي فترة ما رعاية لدى الحاكم، إضافة إلى بروز علماء تفاوتوا في شكل التصوف المتبع، فرمزية الفناء لدى بعض أقطابهم كالحلاج والسهوردي وابن الرومي شكلت عمقاً في هذا الفكر، وربما لم تكن استثناءً، وأيضاً وجود سلسلة ذهبية في هذا الفكر كالجنيد والشبلي والبسطامي والبقلي والقشيري وغيرهم.

لقد كان اهتمام المدرسة الصوفية في التزكية والتربية غالباً وكذلك ما يدعم هذا الجانب التطور الفكري الذي ظهرت معالمه في جوانب أخرى منها في تفسير القرآن الكريم.

لقد حفلت المدرسة الصوفية بكثرة وتنوع المؤلفات في تفسير القرآن الكريم ومنها:

- تفسير التستري (283هـ).
- تفسير البقلي «عرائس البيان في حقائق القرآن» (404هـ).

- تفسير السلمي «حقائق التفسير» (412هـ).
 - تفسير مكّي «تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية» مكّي بن أبي طالب (437هـ).
 - تفسير القشيري «لطائف الإشارات» (465هـ).
 - تفسير القرآن لابن العربي (638هـ).
 - تفسير إسماعيل حقي «روح البيان في تفسير القرآن» (1127هـ).
 - تفسير ابن عجيّة «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (1224هـ).
- وأخيراً وليس آخراً الكتاب الذي بين أيدينا «أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان» للملّا علي القاري (1014هـ).
- يعتبر تفسير الملّا علي القاري مرجعاً أساسياً ومهماً ليس في المجال الصوفي الفكري فقط، بل في جوانب عدّة. ومن مزايا هذا التفسير وأهمها:
- فقدان العاطفة والنفحة المذهبية، وخاصة العقديّة، فالتعصب المذهبي عدمت معالمه لديه. ونجد الشعب في الآراء ظاهراً وبارزاً دون التمذهب البعيد أو الجانح، ومن المعلوم أن (علي القاري) على مذهب أبي حنيفة، هذا من جهة ومن جهة الأمور العقديّة، فنهج منهجاً وسطياً ما بين الخلف والسلف إضافة إلى التعرّج لمسائل الفرق الأخرى، وما هو الموقف الصارم منها:
 - التعرّض الواسع والكثير إلى الاعتماد على النقل، فتفسيره مليء بالاستناد إلى الأحاديث الشريفة والمتنوعة في الصحة، مع الإشارة أحياناً إلى ذلك، إضافة إلى أقوال الصحابة والتابعين وآرائهم.
 - النقل عن أهل الكتاب، على وجه الخصوص التوراة وعن عيسى عليه السلام.
 - الاهتمام بالجوانب اللغوية، فلا تخلو صفحة من استدلال ببيت شعر فبهي كثيرة ومتنوعة.

- الاهتمام بعلم القراءات، فهو دائماً يذكر وجوه القراءات ويردها إلى أصحابها، فما من موضع إلا وقد أشار إليه بشكل عام.
- الاعتماد على أمهات الكتب في التفسير من السابقين أو المتأخرين، وعلى وجه الخصوص: تفسير البيضاوي وأبي السعود والكشاف والقشيري فرأي الأستاذ (القشيري) لا تخلو آية إلا ورأي الأستاذ حاضر، وكذلك تفسير السلمي والبقلي، ومن المتأخرين البحر المديد لابن عجيبة.
- ذكر الرجال المتنوع والكثير والكم الهائل وعلى وجه الخصوص رجال الصوفية (الجنيد، الشبلي، ابن عطاء، المكي، القرشي، رويم، الحريري، الواسطي، الجبري، الصفوي، حمدون، أبو حفص الكرمانى، السقطي، عياض، النصرآبادي، الدارني، الترمذي وغيرهم... وجوانب أخرى تزيده أهمية ورتبة...

سيرة المؤلف⁽¹⁾

اسمه ونسبه:

علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين المّلا الهروي المكي الحنفي القاري.

والمّلا كلمة فارسية تطلق على العلامة الكبير، والهروي بلد المولد، والمكي لإقامته في مكة، والقاري لعلمه الواسع في علم القراءات.

نشأته:

ولد المّلا علي القاري في هراة وهي مدينة مشهورة من مدن خراسان في العقد الخامس من القرن العاشر للهجرة، فلا يوجد تحديد لسنة الولادة. نشأ من هراة وأخذ العلم عن علمائها، وتمذهب على فقه الإمام أبي حنيفة، المنتشر في تلك البقاع.

(1) خلاصة الأثر (3/ 185)، والبدر الطالع (1/ 446)، ومعجم المؤلفين (7/ 100)، والأعلام (5/ 12).

ثم انتقل إلى مكة المكرمة، فنهل من علمائها، فاهتم بكافة الفنون كال تفسير والحديث، وأيضاً علم القراءات فقد اشتغل بتدريسه والتأليف فيه حتى غدا إماماً في علم القراءات ولذلك لقب بالقاري.

أخذ عن كثير من العلماء ومنهم:

- ابن حجر الهيتمي.
 - علي المتقي علاء الدين بن عبد الملك بن حسام الدين ابن قاضي خان الهندي.
 - عطية السلمي.
 - شهاب الدين أحمد العباس.
 - السيد زكريا الحسني.
 - قطب الدين المكي.
 - محمد بن أبي الحسن البكري.
 - أحمد بن بدر الدين المصري.
- وأخذ عنه جمع كثير ومنهم:
- عبد القادر الطبري.
 - أبو الوجاهة المرشدي.
 - ابن فروخ الموروي.
 - السيد معظم الحسيني البلخي.

مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة:

تجاوزت مؤلفاته 150 مؤلفاً في شتى العلوم ومنها:

- الأحاديث القدسية الأربعينية.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة.
- التبيان فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان وليلة القدر.

- الشروحات (شرح المشكاة، والشمائل الوترية، ونخبة الفكر، والشفاء، والشاطبية).
- الأثمار الجنية.
- الأدب في رجب.
- الاستدعاء في الاستسقاء.

وفاته:

توفي في شهر شوال سنة 1014هـ في مكة المكرمة، ودفن بمقبرة المعلاة.

وقالوا: لما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه في الجامع الأزهر صلاة الغائب في جمع حافل بلغ أربعة آلاف نسمة فأكثر، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته أمين.

مخطوطة الكتاب

أولاً: اعتمدت في نسخ الكتاب على مخطوطين مع الإشارة إلى وجود مخطوطات عدة، بلغت ثمانية عشر موزعة ما بين الموجودة في تركيا (13) ومصر (3) في القاهرة والإسكندرية ودمشق (1) الظاهرية، وجامعة الرياض الملك سعود (1).

ثانياً: النسخة المعتمدة.

النسخة الأولى: جامعة استنبول رقم (615) عدد الأوراق (646) تاريخ النسخ (1049هـ)، خط نسخ أقرب للفرسي، عدد الأسطر 25 من الحجم الكبير خط واضح لا تشوبه شائبة وهي غير مكتملة.

النسخة الثانية: مكونة من ثلاثة أجزاء الجزء الثالث فيه نقص تملكها محمد بن سليمان عدد الأسطر (25) من الحجم الكبير تاريخ النسخ (1139هـ)، كتبت بخط النسخ، واضحة، خالية من الأخطاء، كتب بعض الكلمات على الهامش.

ويلاحظ في النسختين :

- حذف ألف الوصل .
- كتابة الألفات غير مهموزة وكذلك الياء .
- إغفال ألف الجماعة وأحياناً العكس صحيح .

★ منهجي في التحقيق:

- نسخ الكتاب وإخراج نصه سليماً .
 - إخراج النص بترتيب مميز يسهم في سهولة قراءته .
 - ترقيم الآيات وتبيان مكانها في سور القرآن .
 - تخريج صحيحي الإمامين البخاري ومسلم بحسب الأصول المطبوعة بتحقيق وترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي .
 - تخريج الأحاديث الشريفة حسب المكتبة الشاملة .
 - توثيق النقول وخاصة أبيات الشعر .
 - شرح بعض الكلمات المبهمة .
 - التعريف ببعض الفرق .
- وأخيراً أسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد وأن ينفع به طلاب العلم
أمين والحمد لله رب العالمين .

وكتبه د. ناجي السويد

عرمون 8 صفر 1433هـ

الموافق 2 كانون الثاني 2012م

نماذج من صور المخطوط

تملكه الفقيه سبجانه وتوفي
محمد بن سليمان غفر عنه



ثم انتقل الى الملك العنبري
الشيخ السيد عيسى

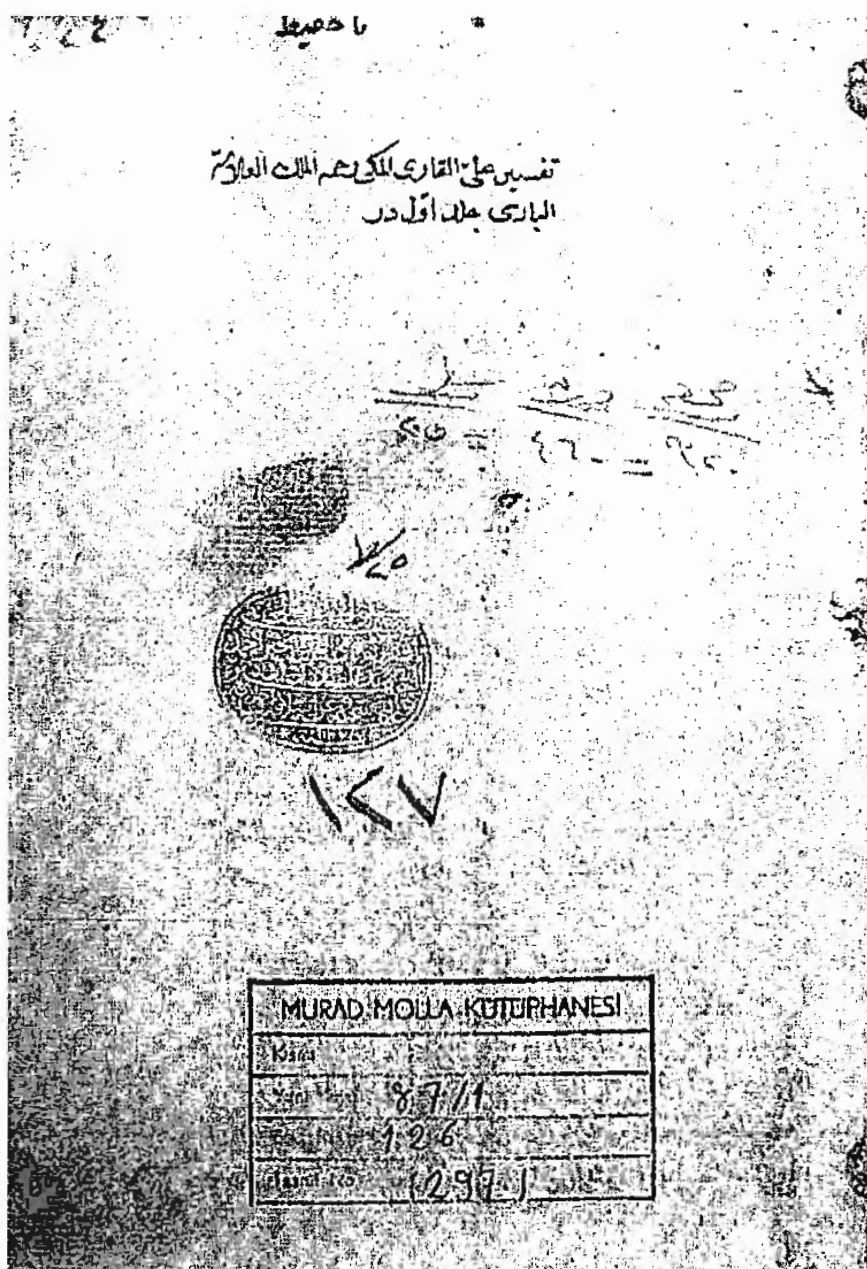
مسند
سبط
عدد ٢٩٥
اوراق



قد وصف به الفقه الحنكلى
سلطان سلاطين النجوى والحر عادى الكرمين السريين
السلطان اس السلطان ابو الفرج والعارى السلطان محمود السامانى
الارائى رماى اعداءه مضجعه الى ارض الزمان والى القبر
الى الادوية العبد رتبة من المعلى السريين
عمره



هم ايهاكم فان قولوا اعرضوا عن الايمان بك قتل حسين الله فانه
 يكفيك ويعينك لا اله الا هو كالدليل لما قبله عليه تروك انت اي
 اعزته فيما اخافه وارجوه وهو في العرش العظيم اي الملك العظيم
 او الجسيم الاعظم المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل منه الاحكام
 المعذرات واقاد الاستاد انه سبحانه قال له يا ايها النبي حسبك الله ومن
 سم امره بان يقتل حسين الله لقتله حسبك الله عين الجمع وقل حسين الله
 تروق اقول بل هو جمع الجمع اي قل ولكن بنا نقول فحق النزول يحسبك وانت
 يستهلك في عين الموضعية منك فانت بنا ومحو عن غيرنا انت
 فتعده سأكدين ونشكره قاصرين وفي مقام قصورنا عن سرام
 حضورنا صابرين وقد ختم الجزء الاول بـ (الشرع) بالحد
 المنية كما ابتدأ به وسيبدأ بهذا الجزء الثاني من تفسير
 السبع المثاني المحيي بنوار العزاف واسرار الزقن
 لظهور نور العيارة وسرور حور الانسارة
 وكان الزمان من كتابته يوم الاربع المبارك
 ثاني عشر من جمادى اول من شهر
 سنة الف ومائة تسعة وثلاثين
 بون من الهيم النبوية
 علي صاحبها افضل
 الصلاة والسلام
 وحسناته
 الله وحمده
 العبد
 كل
 محمد



صورة غلاف المخطوط - الجزء الأول (النسخة ب)

تملكه الفقير اليه سبحانه وتعالى
محمد بن سليمان غفرلها

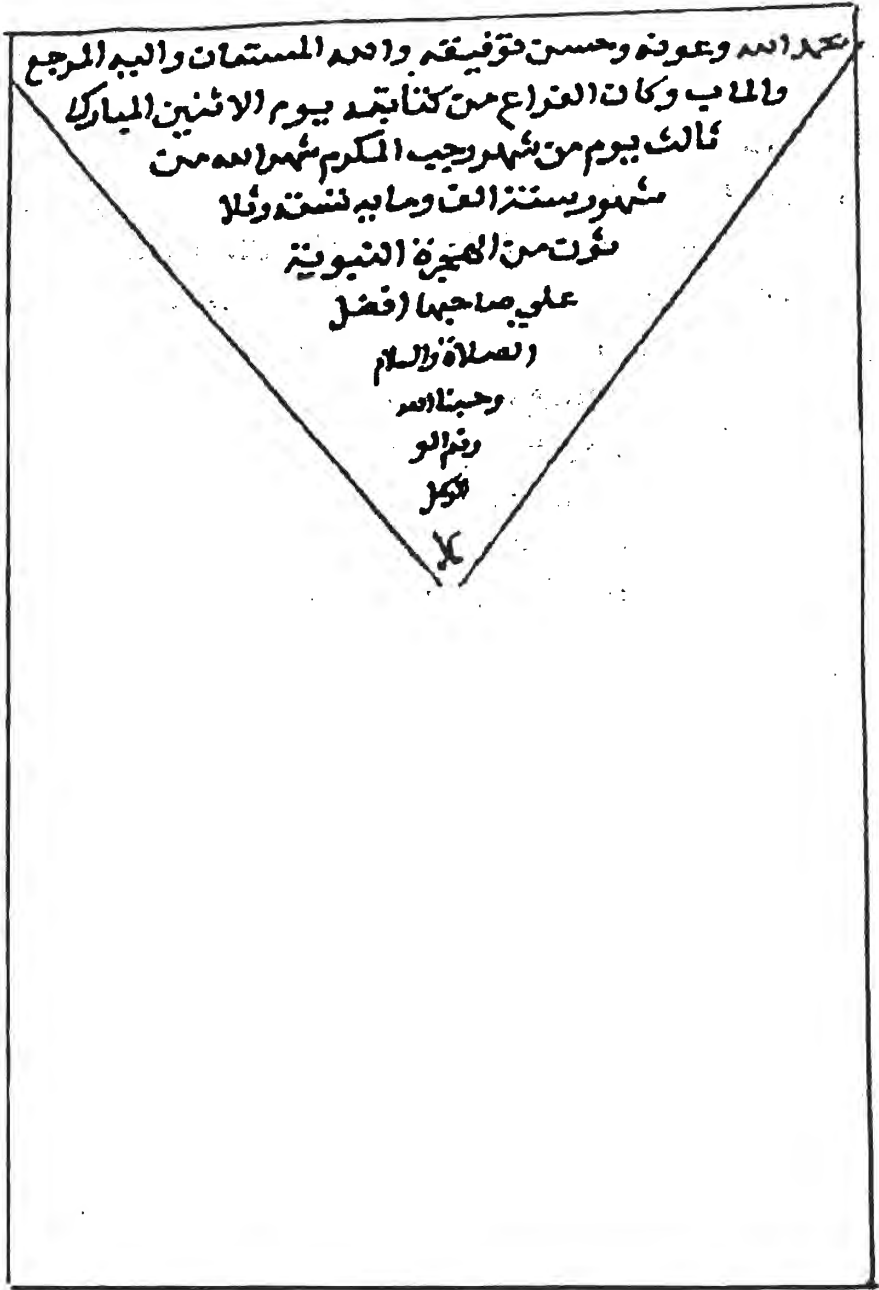


عبد
۲۶۰



هذه القطعة السريّة والعلنيّة عرّاف حسن سلطان
 والحقان المصطفى الاسلام والمسلمين ناصر حسن
 السلطان السلطان السلطان العارفي محمد علي
 الامام اوراق حسنه مرقومه الى العارفي
 وفعلا محيى سرى على بنى و
 واما العارفي الى العارفي
 والمفكر محمد علي





صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط - الجزء الثاني (النسخة أ)

سورة النجم ٦١	سورة الروم ١٣	سورة لقمان ٣٢	سورة السجدة ٣٠
سورة الواقعة ٥٤	سورة سبأ ٤٧	سورة فاطر ٥٥	سورة يس ٥٦
سورة الصافات ٧٦	سورة ص ٨٦	سورة الزمر ٩٥	سورة المؤمن ١٠٩
سورة قصص ١٢١	سورة النور ٢٤	سورة الرعد ١٤٠	سورة الفرقان ٢٥
سورة الحديد ١٥٧	سورة الجاثية ١٥٨	سورة محمد ١٦٤	سورة الفتح ١٦٧
سورة المجزأ ١٧٤	سورة ق ١٧٥	سورة الزلزال ١٨٠	سورة الطور ١٨٥
سورة النجم ١٨٧	سورة القمر ١٩٤	سورة الرحمن ١٩٢	سورة الواقعة ٢٠٤
سورة الحديد ٢٠١	سورة المجادلة ٢١٥	سورة الحشر ٢٢٠	سورة المتحة ٢٢٤
سورة الصف ٢٢٧	سورة الجمعة ٢٣٠	سورة المائدة ٢٢١	سورة النمل ٢٢٢
سورة الطوفان ٢٣٥	سورة التوبة ٢٤٨	سورة الملك ٢٤١	سورة النون ٢٤٤

تملكه الفقير اليه سبحانه وتعالى
محمد بن سليمان عفي عنهما

وہ

اوراق
محمود
۲۰۸



عظم الامر
قد وقف هذه القطعة المسقوفة حصرت سلطانها الامام
سلطان الجبل والحر والبر السلطان السلطان
العارف محمد بن الامام سلطان بن سلطان
وهذا يحيى بن سلطان بن سلطان بن سلطان
بسم الله الرحمن الرحيم



1 / بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه المستعان وعليه التكلان

الحمد لله الذي أظهر الكتاب وأوضح الخطاب، وبين الآيات البينات في كل باب تذكرة لأرباب الألباب. وتبصرة لدفع حجاب أصحاب الاحتجاب، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، الذي أنزل عليه القرآن العظيم، وأرسل بالفرقان الفخيم. وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأشياعه السالكين طريق القويم والهادين إلى السبيل المستقيم.

أما بعد فيقول خادم الكلام القويم والحديث النبوي علي بن سلطان محمد القاري الهروي عاملهما الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي: قد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد⁽¹⁾ ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد إحكام الأحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا المقام.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء وفي الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه وتعالى بتمامه لأن كلامه الأزلي من نعتة العلي وكما لا نهاية لذاته لا غاية لصفاته فإن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار ونهراً من أنهار الأنوار. وقد قال عز من قائل إيماءً إلى عجز معرفة من سواه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ

(1) أورده البغوي في تفسيره (46/1).

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا فَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ ﷻ [لقمان، الآية: 27] أي طرائف مبانيها ولطائف معانيها لكن مع قلة البضاعة وعدم الاستطاعة قصدت أن أغوص في هذا البحر العظيم بعون الله الملك الكريم رجاء أن يلمح لي بعض الأسرار السنية ويلمح لي بعض الأنوار البهية من الدرر المكنونة والجواهر المخزونة ليقوى بها ظواهر الأشباح ويروح منها بواطن الأرواح جامعاً بين عبارات العلماء وإشارات العرفاء موجزاً مجملاً لا مطولاً مملاً حامداً مصلحاً مفوضاً مسلماً فإن أصبت فله المنة في المعونة وإن أخطأت فإليه المعذرة للمغفرة فأبدأ بما بدأ الله تعالى به وعلمنا الأدب بحسن خطابه للجمع بين البسمة والحمدلة إشعاراً إلى حالتي البناء والتكملة/ حيث قال عزت ذاته وعظمت صفاته في مفتتح كتابه القديم.

2/ب



[مَكِّيَّة]

وآيها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أي بجود واجب الوجود إيجادنا وإمدادنا وبإنعامه العميم وإحسانه الكريم معاشنا ومعادنا .

وقال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري قدس الله سره الجلي : أي بالله ظهرت الحادثات وبه وجدت المخلوقات فقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء بره بأوليائه ومن السين سره مع أصفياه ومن الميم منته على أهل ولائه فيعلمون أنهم ببره عرفوا سره وبمنته عليهم حفظوا أمره وبه سبحانه عرفوا قدره وآخرون تذكروا عند الباء بهاء وعند السين سناء وعند الميم ملكه وكبرياه .

وقال العارف العاشق الشيخ روزبهان البقلي قدس الله سره العلي في تفسيره المسمى «بعرائس البيان في حقائق القرآن» : روي عن النبي ﷺ أن الباء بهاءه والسين سناؤه والميم مجده فيها فبائه بقاء أرواح العارفين وبسنائه أسرار السابقين وبمجده وردت المعرفة إلى قلوب الواصلين أو الباء كشف البقاء لأهل الفناء والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس والميم كشف الملكوت لأهل النعوت أو الباء بره للعموم والسين سره للخصوص والميم محبته لخصوص الخصوص أو الباء بدء العبودية والسين سر الربوبية والميم منته الأزلية الأبدية⁽¹⁾ وقال بعضهم أن الباء باب الخزانة الإلهية . والسين سر الرسالة المصطفوية والميم ملك الولاية المحمدية وأما الله فلا يعرفه سواه إلا

(1) هذه الرواية لم تصح ، وإنما جاءت هذه المعاني عند أهل التصوف . انظر : تفسير القشيري (1/1) .

بقدر ما هداه ولهذا قالوا هو للتعلق وسائر أسمائه للتخلق.

وقد قال سهل وجمهور العارفين أنه الاسم الأعظم لكن كما قال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني: بشرط أن تقول الله ولم يكن في قلبك سواه وقيل ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ [الفاتحة، الآية: 1] ترياق العشاق يدفع الله به عنهم سم الدنيا وألم العقبي قلت وإليه الإشارة في حديث النبي المكرم ﷺ «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ومن لطائف هذا الاسم الشريف الدال على بقاء ذاته المنيف أنه يبقى دائماً على ما يراد به من معناه ولو سقط شيء من حروف مبناه، فإنه إذا سقط الألف يكون لله وإذا سقط إحدى لاميه/ يصير له وإذا سقط الآخر يبقى الهاء وهو غاية بداية الإشارة الهوية. 1/3

وقال الإمام جعفر الصادق: اسم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الآية: 1] للمرادين لاستغراقهم في أنوار الحقائق والرحيم للمريدين لبقائهم مع أنفسهم واشتغالهم بظواهر العلائق، وكأنه رضي الله عنه نظر إلى أن زيادة المبنى يدل على مزية لمعنى ولذا خص الأول في الإطلاق به سبحانه بخلاف الثاني فإنه يطلق على غيره وقد يقال أن رحمة الرحمن شاملة للمؤمنين والكافرين بخلاف رحمة الرحيم فإنها مختصة بالمؤمنين فقد يراد الرحمة ويتعلق الجذبة بالكافر والفاجر فهو إثر رحمة الرحمن وأيضاً رحمة الرحمن في الدنيا فهي سابقة على العقبي فتناسب المراد والمجذوب من العباد ولو قيل الرحمن للمريد والرحيم للمراد: له وجه في مقام المرام فإن رحمة الرحمن غاية شاملة للعوام بخلاف رحمة الرحيم فإنها خاصة للخواص الكرام.

ولذا قال الأستاذ: الرحمة إرادة النعمة أو نفس النعمة بنا على أنها صفة ذات الكمال أو أنها من صفات الأفعال فنعمة هي للأشباح والظواهر ونعمة هي للأرواح والسرائر فالرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم والرحيم وفق المؤمنين لما به حياه سرائرهم و﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الآية: 1] بما رُوِّح و﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 1] بما لُوِّح فالترويح بالمبَارِّ والتلويح بالأنوار والرحمن بكشف تجليه والرحيم بلطف توليه والرحمن بما أولى من الإيمان والرحيم بما

أَسْدَى مِنَ الْعَرْفَانِ وَ﴿الرَّحِيمِ﴾ بما ينعم به من الغفران و﴿الرَّحِيمِ﴾ [الآية: 1] بما يمن به من الرضوان.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 2] أي حمده له يحق حمده لعجز عبده في حمده عن حده أو الحامدية والمحمودية ثابتة له بالصفة الجامعية ولذا قيل: لا حامد لله سواه فهو الحامد والمحمود والواجد والموجود وقال بعضهم عن الله تعالى: لو عرفت ذلك عبدي لما شكرت غيري ولما حمدت أحداً بعدي ولذا يجب في جميع الأشغال أن يقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 2] على كل حال.

قال الأستاذ: فطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطفه وأودع سرائرهم من مكنونات بره وقوم حمدوه عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم ولم يردوا من ملاحظة الفرد الكرم إلى تصفح أقسام النعم وتأمل خصائص القسم وفرق بين من يمدحه بعز جلاله وبين/ من يشكره على وجوده أفضاله وقد قال رجل بين يدي الجنيد: الحمد لله فقال له أتمها كما قال الله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 2] فقال له الرجل ومن العالمون حتى يذكر مع الحق فقال: قله يا أخي فإن الحديث إذا قارن بالقديم لا يبقى له أثر، قلت: وكان المريـد لم يعدل بعد إلى مقام المريـد حيث وقف في مرتبة الجمع بعد التفرقة فأراد الشيخ ترقيته إلى مقام جمع الجمع حيث لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة بل قيل الجمع بلا تفرقة يؤدي إلى تعطيل وزندقة بخلاف جمع الجمع فإنه مقام الحقيقة الجامعة بين الشريعة والطريقة والمعنى مربى موجوداته لما خلقهم له من مراتب تعيناته ومناصب تنزلاته بحسب مناسبات تجلياته.

قال الأستاذ: أي مربى الأشباح بوجود النعم ومربى الأرواح لشهود الكرم وفي «العرائس» مربى المريدين بلوامع أنواره ولوايح أسرارهم ومربى المحبين بحلاوة مناجاته ولذة مناداته ومربى المشتاقين بحسن وصاله ومربى العاشقين بكشف جماله.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 3] أي مفيض المنن الظاهرية ومفيد المنح الباطنية أولاً وآخرأ فلا يتوهم أن في الكلام مكرراً وقيل ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالنعمة

و﴿الزَّيِّجِ﴾ بالعصمة وقيل ﴿الزَّكَّى﴾ بالتجلي، و﴿الزَّيِّجِ﴾ بالتولي وقيل ﴿الزَّكَّى﴾ بكشف الأنوار و﴿الزَّيِّجِ﴾ بحفظ الأسرار وقيل ﴿الزَّكَّى﴾ بذاته و﴿الزَّيِّجِ﴾ بصفاته.

وقال أبو القاسم الجنيد: روح الله روحه الرحمن إشارة إلى لطفه والرحيم إشارة إلى عطفه.

وقال صاحب «العرائس»: ﴿الزَّكَّى﴾ [الآية: 3] محل طلوع أنوار العناية و﴿الزَّيِّجِ﴾ [الآية: 3] محل إشراق شمس الكفاية ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الآية: 4] أي سلطان زمان ظهور جزاء الأعمال ومالك رقاب أرباب الكمال وأصحاب الجلال والجمال.

قال الأستاذ: ملك قلوب العابدين فصرفها في خدمته وملك قلوب العارفين فصرفها بمعرفته وملك قلوب القانعين إحسانه فطمعوا في عطائه وملك قلوب الموحيدين سلطانه فقتنوا ببقائه.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الآية: 5] أي نخصك بالعبادة حيث لا معبود ولا مشهود ولا موجود سواك ولا مطلوب ولا مرغوب ولا محبوب إلا إياك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية: 5] لأن الاستعانة والاستغاثة من الغير المعبر عنه بالغين مع شهود الوجود المعني بالعين في عين أرباب التوحيد هو عين الإشراك ففي الجملة إشارة إلى التفرقة في الجملة الأولى/ الجزيلة الجليلة وإيماء في الثانية إلى الجمع في المرتبة الجميلة العلية ولذا قال بعض أهل المعرفة الاستعانة طلب العين والمعنى نسألك أن تجعلنا لك عابدين كأننا نعاينك بعين اليقين وهو أكمل مقامات العارفين كما أشار إليه ﷺ في معرض البيان بعد تعريف الإسلام والإيمان والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه⁽¹⁾.

وقال بعض العارفين: العبادة شغل كلك به وهو شغل القلب بمعرفته وشغل الروح بمجاهدته وشغل النفس بخدمته وشغل اللسان بمدحته وقيل العبادة انقياد الظواهر والعبودة استسلام الضمائر.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (5/9).

وقال الأستاذ: والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمثّة والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمثّة وبالعبادة وجود الشرف وبلاستعانة أمان التلف وبالعبادة نزهة القاصدين ومربع الأنس للمحبين ومرتع البهجة للعارفين بها قرّة أعينهم وفيها مسرة قلوبهم ومنها راحة أرواحهم إليه أشار ﷺ بقوله أرحنا يا بلال⁽¹⁾.

ولقد قال مخلوق في مخلوق بأحسن مقال يا قوم ثأري عند أسماء يعرفه الحاضر والنائي لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أصدق أسمائي والاستعانة إحلال رحلك بساحة كرمه وتسليم كلك إلى يد أمره وحكمه وفي «العرائس» ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالعلم ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بالمعرفة وقيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بأمرك ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بفضلك.

وقال سهل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بهدايتك ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية: 5] بكلاءتك.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية: 6] أي أرشدنا إلى الطريق القويم القوي وثبتنا على النهج المستوي وأوصلنا إلى نهاية الجادة وبلغنا غاية السجادة الجامعة بين أسرار الشريعة وأزهار الذريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة.

وقال الأستاذ: ﴿أَهْدِنَا﴾ إليك واجعل إقبالنا عليك وكن عليك دليلنا ويسر إليك سبيلنا وأقم لنا هممنا واجمع بك همومنا واقطع أسرارنا عن شهود الأغيار ولوح في قلوبنا طوابع الأنوار وأفرد قصودنا إليك عن دنس الآثار وفي «العرائس» أي مل بقلوبنا إليك وأقم بهممنا بين يديك وقيل ﴿أَهْدِنَا﴾ هدي العيان بعد هدي البيان وقيل أرشدنا في الدنيا/ إلى الطاعات وفي العقبى إلى الدرجات.

4/ب

وقال جنيد: كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فإن الرب يطلب الاستقامة والنفس تشتهي الكرامة ثم الاستقامة الظاهرة رعاية حدود الله والاستقامة الباطنة نفي خطور ما سوى الله.

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (6/ 277) رقم (6215). وانظر: مشكل الآثار للطحاوي (12/ 220)، وتخريج أحاديث الإحياء (5/ 482) رقم (2782) واللفظ (أرحنا بها يا بلال).

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 7] أي الذين أحسنت إليهم من الأنبياء والأولياء السالكين طريق الأحباء المظاهر لنعوت الجمال في مرآة الكمال على وجه برقان الصفا ولمعان الضياء في ميدان الفناء وإيوان البقاء.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 7] أي غير طريق السائرين لسبيل الأعداء المتعلقين بالأغيار المشبهة بالهباء والهوى والغبار المظاهر لصفات الجلال والكبرياء الواقفين في ظلمة البقاء.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الآية: 7] أي في أودية الأهواء من أهل الابتلاء بأنواع الأدواء الواقعين في حضيض السمعة والرياء ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: 143].

وقال الأستاذ: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 7] هم الذين صدمتهم هواجم الخذلان وأدركتهم مصائب الحرمان وكبستهم سطوة الرد وغلبتهم أيدي الطرد والصد ويقال هم الذين أنسوا بنفحات التقريب زماناً ثم أظهر الحق سبحانه في بابهم شأنًا بدلوا بالوصل بعداداً وطمعوا في القرب فلم يجدوا مراداً أولئك الذين ضل سعيهم وخاب ظنهم ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن شهود سوابق الاختيار وجريان تصارييف الأقدار وغير المغضوب عليهم في طريق الهلكى ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن طريق الهدى لاتباع الهوى وقد جاء في الصحيح تفسير ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود ولا الضالين بالنصارى⁽¹⁾.

والظاهر أنه يراد بهما المثال لانهصار المراد بهذا المقال ولعل وجه التخصيص بهما أنهم كانوا داخلين في مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ثم آل مآل أمرهم إلى نسبة الغضب والضلال إليهم وإلا ففي معناهم سائر الكفرة ويلحق بهم بقية الفجرة لا سيما الناصبة⁽²⁾ والرافضة⁽³⁾ مع الإيحاء إلى أن مدار الأمر على

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (101/13) رقم (7179)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/

61) رقم (4329)، والطبراني في المعجم الكبير (99/17) رقم (237).

(2) الذين يغضون أهل البيت ومن تبعهم من الصحابة. انظر: قصيدة ابن الأشعث (66/1).

(3) الذين رفضوا زيد بن علي عندما لم يتبرأ من الشيخين، فرفضوه فسموا رافضة، انظر: الفرق بين الفرق ص (29).

الخاتمة الحاكية عن السعادة والشقاوة السابقة.

ولذا ورد آمين خاتم رب العالمين قال الاستاذ وكأنه يستدعي بهذه المقالة التوفيق للأعمال والتحقيق للأمال.

وقال ابن عطاء: أي كذلك فافعل ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أي فإنه حيثئذ وقع في الغين المشير/ إلى الأين من البين.

أ/5

وقال الصادق: أي قاصدين نحوك وأنت أعز من أن تخيب قاصداً فكأنه رضي الله عنه قرأه بالتشديد أو حمله على التخفيف ولعل التقدير نسألك قاصدين نحوك في الثناء والدعاء ويجعل حالاً من الضمير في ﴿أَهْدِنَا﴾.

وعن جعفر الصادق أن الكتب السماوية مودعة في الفاتحة وهي بجميع معانيها مودعة في البسملة وجميع أسرارها مودعة في الباء أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون وقال غيره وجميع أنوار الباء مندوحة تحت نقطتها إذ هي مركز دائرة الوجود ومدار آثار الفيض والجود.



[مدنية]

وهي: مئتان وست وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أي باسمه بدأ نَعْمَاؤُهُ وبرسمه ظهر آلاؤُهُ.

قال الأستاذ: الاسم مشتق من السمو أو السمة فسييل من يذكر هذا الاسم أن يتسم بظاهره بأنواع المجاهدات ويسمو بهمته إلى محالّ المشاهدات فمن عدم سمة المعاملات على ظاهره وفقد سموّ الهمة إلى المواصلات بسرائره لم يجد لطائف الذّكر عند قائلته ولا كرائم القرب في صفاء حالته والمعنى باسم من تفرد بالقوة والقدرة وتوحد في ابتداء الفضل والنصرة، فسماع الإلهية يوجب الهيبة والاصطلام وسماع الرحمة يوجب القرب والإكرام.

﴿الْمَ﴾ [البقرة، الآية: 1] أي أن الله أعلم بعموم أنواع العالم وبخصوص أفراد أولاد آدم وقيل الألف ألف الواحدية واللام لام اللطف والميم ميم الملك فمعناه من وحدني على الحقيقة بإسقاط العلائق والهوى تلطفت له في إخراجه من العبودية إلى الملك الأعلى وهو الاتصال بمالك الملك دون الاشتغال بشيء من الملك. وقال بعضهم تحير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل إلى معرفة حقائق كتابه.

وقال الأستاذ: قال قوم لكل كتاب سر وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة وعند قوم أنها مفاتيح أسمائه المعظمة وقيل الألف إشارة إلى الله واللام إلى جبريل والنعم إلى محمد ﷺ أي هذا الكلام نزل من الله الملك العلّام على لسان جبريل إلى محمد عليهما السلام ويقال يطالب العبد في سره

عند مخاطبته بالألف بانفراد قلبه لربه وعند مخاطبته باللام بلين جانبه لأداء / 5 ب حقه وعند سماع الميم بموافقة أمره.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [الآية: 2] أي هذا الكتاب الجامع وهذا الباب اللامع أو ذلك الصراط هو الكتاب المحيط لكل نوع من الأبواب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 2] أي لأهل اليقين في الدين ولا عبرة بالشاكيين والمنكرين وفي «العرائس» هذا مفتاح خزائن أسرار الكتاب ومصباح كنوز لطائف الخطاب وبانجلاؤها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس بسنائها أنور الآيات.

وقال الأستاذ مفاتحة الأحباب بالخطاب والكتاب من أجل النعمى وأكرم الحسنى إذ هي سبب الوصال وابتداء تأسيس الحال وأنشد.

شعر

وَرَدَ الْكِتَابَ بِمَا أَقَرَّ الْأَعْيُنَا وَشَفَى الْقُلُوبَ فَنَلْنِ غَايَاتِ الْمُنَى
وَتَقَسَّمَ النَّاسَ الْمَسْرَّةَ بَيْنَهُمْ قَسَمًا وَكَانَ أَجَلُهُمْ حِطًّا أَنَا⁽¹⁾

وقيل ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ الذي وعدتك إنزاله عليك يوم الميثاق أيها المشتاق وقيل ذلك الكتاب الذي كتبت الرحمة على نفسي لأمتك قبل خدمتك وقيل الكتاب الذي هو سابق حكمي وقديم قضائي لمن حكمت له بالسعادة أو ختمت عليه بالشقاوة وقيل هو حكمي الذي أخبرت أن «رحمتي سبقت غضبي»⁽²⁾ وقيل إشارة إلى ما كتب في قلوب أوليائه من الإيمان والعرفان والمحبة والإحسان ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 2] لا شك فيه أنه حق ولا مرية أنه صدق أو لا تشكوا فإنه ليس من قبيل ما يشك فيه عند الموقنين بل هو ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 2] أي هو هادٍ لمن أراد الله تقواه وتعلق به إخلاصه بخلاصه عما سواه فهذا الكتاب

(1) هذا الشعر منسوب إلى أبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني. انظر: المنتحل (5/1).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (15/2751).

للأولياء شفاء ودواء وعلى الأعداء شقاء وبلاء كالنيل ماءً للمحبوبين ودماءً للمحجوبين فقله تعالى ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185] إنما هو للاستئناس ليكون حجة على من زلَّ عن المحجة.

وقال الأستاذ: المتقي من اتقى رؤية تقويه ولم يستند إلى تقويه ولم ير نجاته إلا بفضل مولاه والمعنى هذا بيان وحجة وضياء ومحجة لمن وفاه الله سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل وبصره بأنوار العقل واستخلصه بحقائق الوصل.

أ/6 ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [الآية: 3] أي يصدقون/ بما غاب عن أعين العباد مما أخبر الله به من أحوال المبدأ والمعاد.

قال الأستاذ: حقيقة الإيمان التصديق والتحقيق وموجب الأمرين التوفيق فالتصديق بالعقد والتحقيق ببذل الجهد في حفظ العهد ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 3] أي يديمون العبادة البدنية التي هي معراج الأرواح الإنسية في مدارج الأشباح القدسية.

قال الأستاذ: نفوسهم مستقبلة إلى القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة.

أراني إذا صليت يمت نحوها بوجهي وإن كان المصلى ورائي أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى أم ثمانياً⁽¹⁾

فأصحاب العموم يجتهدون عند افتتاح الصلاة ليردوا قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون ولكن عن أودية الغفلة ما يرجعون وأرباب الخصوص يردون قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون ولكن عن حقائق الوصلة ما يرجعون فشتان ما بين غائب يحضر أحكام الشرع ولكن عن أوطان الغفلة وبين غائب يرجع إلى أحكام الشرع ولكن مع حقائق الوصلة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] أي ومن جملة ما أعطيناهم من المنن المالية وأنعمنا عليهم من المنح الحالية يصرفون في

(1) هذا الشعر منسوب إلى مجنون ليلي. انظر: الزهرة (9/1)، وأمالى القالي (105/1).

مرضات الملك المتعال ليصلوا إلى حسن المنال في المال.

وقال الأستاذ ﴿يُفْقُونَ﴾ [الآية: 3] نفوسهم في آداب العبودية وقلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية والزاهدون أنفقوا في طريقة متابعة هواهم وآثروا رضى الله على مناهم والمريدون أنفقوا في سبيله ما شغلهم عن ذكر مولاهم ولم يلتفتوا إلى شيء من دنياهم وعقباهم والعارفون أنفقوا في تحصيله سوى مولاهم فقربهم الحق سبحانه وآواهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 4] أي من القرآن المنعوت بالفرقان وهو للغيب بمنزلة التبيان ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ [الآية: 4] أي علي من الكتب وصحف التبيان ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية: 4] أي على من قبلك من الأعيان والمراد الإيمان بجميع الكتب المنزلة والإيقان بجميع الأنبياء المرسله حيث كانت كلمتهم متفقة على مسألة وحدة الألوهية المكمله ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 4] أي وبالأمر الواقعة في الحالة الآخرة من مواقف القيامة وخصت بالذكر لأنها من الأمور المهمة ﴿هُمْ﴾ [الآية: 4] أي المتقون لا غيرهم ﴿يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 4] أي يعلمون علم 6/ب يقين ليس فيه حدث ولا تخمين بل كأنها نصب عين لهم في المرأى حيث أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على العقبى لإقبال وصال المولى فلا يغفلون عنها ساعة ويفعلون في كل ساعة منها طاعة وفيه إيماء إلى ما قال عامر بن عبد القيس تبين لو كشف الغطاء ازددت يقيناً فنسأل الله يقينا عن غيره يقيناً ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 5] أي المؤمنون بما ذكر والموصوفون بما سطر ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ [الآية: 5] أي مشغلون على هداية عظيمة ومستولون على عناية جسيمة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 5] أي من جميل فضله وكرمه وجزيل لطفه ونعمه في الدنيا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 5] أي الناجون الفائزون الواصلون الكاملون في العقبى.

قال الأستاذ: ولقد نال القوم البقاء في مشهد اللقاء وظفروا بقهر الأعداء هذا ولما فتح الله في الفاتحة بذكر المنعم عليهم من المؤمنين ثم عقبهم بذكر المغضوب عليهم من الكافرين وأتبعهم بذكر الضالين الشاملين للمنافقين والمرائين والفاسقين عاد في التالية إلى أوصاف المؤمنين ثم أحوال الكافرين

وأتبعهم بذكر المنافقين والمرابين إشعاراً بما ورد في الكلام القدسي والحديث الإنسي حيث قال «ربي سبقت رحمتي غضبي»⁽¹⁾ فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 6] أي تعلق علم الله بوجود كفرهم وكفرانهم وبعدم شكرهم وإيمانهم، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] أي مستو إليهم ومتساو لديهم ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ [الآية: 6] أي إنذارك إياهم وتركهم في طغواهم ﴿فَنُفِّلُهُمْ كَشَلِّ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: 176] وأما بالنسبة إلينا فلا يستوي تخويفهم وعدمه علينا لحصول أجر تبليغك لدينا سواء عليك إيمانهم وكفرانهم والحال أنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 6] فإنهم لا يوقنون لعدم تصور قلب علمه سبحانه جهلاً ولا تبديل لخلق الله أصلاً فيما أراد بهم فضلاً أو عدلاً وإنما فائدة الإنذار منفعة الأبرار ومقمة الحجة على الفجار لا يقال فإذاً يجب عدم إيمانهم بل يجب وقوع كفرانهم فيلزم أمر نحو أبي جهل بالعلم من التكليف بالمحال وفيه إشكال عظيم من كل حال لأننا نقول ليس إيمان نحوه ممتنعاً لذاته بل لتعلق علم الله بصفاته على أن بعض العارفين من المحققين الواقفين صرح بأن أمر الإيمان لأهل الكفران إنما هو للتعجيز/ وظهور البرهان^{أ/7} وتبيان الامتحان لأفراد الإنسان والحاصل أن شر القدر يعجز عنه البشر وقد قال الأستاذ فلما لم يؤمنوا لم يؤمنوا حكم سبق من الله وحثم وقوله له فصل وأن القدرة لا تعارض بالقوة ومن زاحم الحق في القضية كبسته سطوات العزة ويقال كما أن الكافر لا يرعوي عن ضلّته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط بأغلال نفسه محجوب عن شهود عيه وغيه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده ويقال إن الذي بقي في ظلمات دعاويه سواء عنده نصح المرشدين وتسويل المبطلين لأن الله سبحانه نزع عن أحواله بركات الإنصاف فلا يدرك بسمع القبول ولا يصغي إلى داع الرشاد ومن يضل الله فماله من هاد ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 7] استباق بيان وتعليل برهان والمعنى طبع الله بالقدرة القاهرة والقوة الباهرة حتماً حسيماً أو معنوياً. كما قدره حتماً مقضياً ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ لئلا يعقلوا أسرار مطلوبهم

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (15/2751).

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [الآية: 7] لثلاثا يفهموا أقدار محبوبهم فهم مع مسامعهم في محافلهم ومجامعهم لثلاثا يفهموا إنذار محبوبهم فهم محرومون عن الأدلة العقلية ومحجوبون عن الدلائل النقلية ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ [الآية: 7] أي مواضع أنظارهم ﴿غَشَوَتْ﴾ [الآية: 7] أي غطاء عظيم مانع عن عطاء جسيم فهم ممنوعون عن رواية الآيات في الدنيا وعن مشاهدة الذات في العقبى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 7] أي حجاب ظلماني وعقاب روحاني وجسماني من كمال عظيمته لا يمكن بيان كميته وكيفيته.

وقال الأستاذ: لهم عذاب عظيم بحسبانهم أنهم على شيء وسيم وغفلتهم عما متوا به من المحنة والزوال في الحال والمآل في العاجل فرقة وفي الآجل حرقة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 8] أي ومن جملة الكفار المشبهين بالناس ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ [الآية: 8] باللسان ﴿ءَاْمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ﴾ [الآية: 8] بناءً على أن الاكتفاء بذكر طرفي المؤمن به عن سائر ما يتم الإيمان بسببه ﴿وَمَا هُمْ﴾ [الآية: 8] أي والحال ليس هؤلاء القائلون ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 8] أي بالجنان أو المعنى ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 8] من يتفوه بالإيمان والإيقان بالله على حسب الظاهر ويظهر الإحسان في الأعمال المرتب على الإيمان باليوم الآخر وما هم/ بكاملين في الإيمان لعدم 7/ب إخلاصهم في الإحسان أولما ذكر الله طائفة ممن سبقت له العناية وحصلت له الهداية من البداية إلى النهاية أو وصلت إليه جذبة في آخر حاله قبل انقضاء أجله وبيّن قوماً طبعوا على كفرهم في تمام عمرهم أظهر حال جمع يكونون مؤمنين في بدئ أمرهم ثم نعوذ بالله سبحانه حكم بتغيير أحوالهم في انتهاء آجالهم ولذا بعض السلف على خلاف الخلف كانوا يخافون من مضمون هذه الآية أن قضي لأحد منهم سوء الخاتمة نسأل الله العافية.

وقال الأستاذ: لما عدموا صدق الأحوال لم ينفعهم صدق الأقوال.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 9] أي بزعمهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 9] أي بمكرهم حيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويحسنون الأعمال الصالحة على

قصد الرياء والسمعة أو إتيان الجلالة إجلالاً للمؤمنين وإعظاماً للمخلصين حيث نزل ذاته الأقدس منزلة جماعتهم الأنفس وعده واحداً منهم مشاركاً معهم في الرفع عنهم والتقدير يخادعون رسول الله فإن مخادعته بمنزلة مخادعة الإله كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح، الآية: 10] وإنما أتى بصيغة المغالبة على إرادة المبالغة أي يبالغون في خدعتهم من جهة ريائهم وسمعتهم ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ [الآية: 9] أي في الحقيقة ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 9] أي التي يلحقهم المضرة دون غيرهم من أرباب المبرة وأصحاب المسرة وفي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وما يخادعون إما للمشاكلة أو على وجه المبالغة وفيه إشعار إلى أن هذا كله بشامة أنفسهم وللعُدول عن قبول نصيحة أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 9] أي وما يدركون أن وبال خداعهم عليهم ونكال فعالهم راجع إليهم.

قال الأستاذ: والإشارة في هذه الآية أن من تناسى لطفه السابق وقال لي وبني ومني وأنا يقع في وهمه وظنه لك وبك ومنك وأنت وهذا التوهم أصعب العقوبات لأنه يرى سرا به فيظنه سرا به ولكن حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الآية: 10] أي نوع عظيم من مرض الباطن المشتمل على الأخلاق الذميمة من الشك والنفاق والرياء والسمعة باعتبار/الخلقة والفتنة 1/8 حيث لا ينفعهم كلام الطبيب الموصوف بالخليل الحبيب ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [الآية: 10] أي نوع عظيم من مرض الباطن أي بإنزال القرآن الذي فيه شفاء الصدور حيث امتنعوا عن دواء الإيمان وغابوا عن مقام الحضور ودعا عليهم بزيادة عوض المرض لديهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 10] أي حجاب جسيم وعقاب وخيم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [الآية: 10] بالتخفيف الكوفي أي بكذبهم العنادي المؤدي إلى كذبهم في إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان وادعائهم مراتب أهل العرفان والإيقان أو بتكذيبهم الحق المطابق المنجز إلى تكذيب الرسول الصادق.

قال الأستاذ: والإشارة تحصل لمن خلط قصده بحظه وشاب إرادته بهواه يتقدم في الإرادة بقدّم ويتأخر بمتابعة النفس بأخرى فهو لا يريد صادق ولا مثبت موافق ولو صدق المريد في الإرادة لوصل بقلبه إلى حقائق الوصلة ولأدركته بركات الصديق فيما رامه من الظفر بالبغية وإن من سقمت عبادته حيل بينه وبين الدرجات والنجاة، ومن سقمت إرادته حيل بينه وبين المواصلات في القرب والمناجاة وإنما الحسرة إذا رأوا أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا ورأوا أنفسهم كيف خسروا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 11] أي للمنافقين ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 11] أي أرض قلوبكم وبلاد ربكم بالكفر والمعصية والرياء والسمعة ﴿قَالُوا إِنَّمَا هُنَّ مُضِلُّونَ﴾ [الآية: 11] أي ما نحن إلا مراعون جانب أهل الدنيا وطرف أرباب العقبي ﴿أَلَا﴾ [الآية: 12] أي تنبهوا أيها المؤمنون وبكلامهم لا تغترون ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [الآية: 12] أي أحوالهم على أنفسهم بالعقائد الفاسدة وأعمالهم بنياتهم الكاسدة ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 12] أي لا يفهمون كساد فسادهم لسوء اعتقادهم وجهلهم بأن الدنيا والآخرة حرتين وفي مرتبة كفتين فلا يمكن الجمع بهما إلا بنقصان أحدهما فهم كالمتردد بين أهل الأرض والسماء لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي بطريق النصيحة خوفاً من الفضيحة ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ [الآية: 13] أي كإيمان الصحابة ظاهراً وباطناً فإنهم الناس الذين بهم الاستئناس ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 13] أي فيما بينهم أو في أنفسهم ﴿أَنزَلْنَاهُ كَمَا ءَامَنَ الشُّفَهَاءُ﴾ [الآية: 13] أي الجهال بأمور الدنيا ولم يعلموا أن البله هم أكثر أهل الحسنى في العقبي وهمزة الاستفهام مبالغة في إنكار المرام ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [الآية: 13] أي الجهال بأحكام العلوم والأعمال وما يترتب عليها/ من 8/ب المنال والمال ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 13] أنهم يجهلون فجعلهم وقع مركباً وزيد عليهم العذاب مرتباً.

وأفاد الأستاذ: بالإشارة أن أصحاب الغفلة إذا أمروا بترك الدنيا وصفوا

أهل الرشد بالكسل والعجز وقالوا إن الفقراء ليسوا على شيء لأنه لا مال لهم ولا جاه ولا راحة ولا عيش وفي الحقيقة هم الفقراء وأصحاب المحنة وقعوا في الذل مخافة الذل ومارسوا الهوان خشية الهوان شيدوا القصور ولكن سكنوا القبور وزينوا المهد ولكن أدرجوا اللحد وركضوا في ميدان الغفلة ولكن عشروا في أودية الحسرة وعن قريب سيعلمون ولكن حين لا ينفعهم علمهم ولا يغني عنهم شيئاً.

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار⁽¹⁾

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 14] أي إذا رأوا المؤمنين المخلصين ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية: 14] أي ذهب الكفر والرياء عنا لانعكاس مرياهم وانجلاء مزياهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ [الآية: 14] أي إذا مضوا واختلوا إلى إخوانهم من شياطين الإنس والجن وأخذانهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 14] أي باطناً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [الآية: 14] أي بإظهار الإيمان معهم ظاهراً وفيه تحذير عن مخالطة الظلمة وأرباب الغفلة وتنبيه على معاشرة أصحاب الطاعة قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة، الآية: 119].

قال الأستاذ: من رام أن يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل العادة لا يلتئم له ذلك فالضدان لا يجتمعان «والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم»⁽²⁾ «وإذا أقبل الليل من هاهنا أدبر النهار من هاهنا»⁽³⁾ ومن كان له في كل ناحية خليط وفي كل زاوية من قلبه ريبط كان نهياً للطوارق قال قائلهم.

(1) نسب إلى بديع الزمان الهمداني. انظر: معجم الأدباء (78/1)، ودواوين الشعر العربي على مر العصور (466/21).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (560/3) رقم (1259)، وابن أبي شيبة في المصنف (316/4) رقم (20564). وعبد الرزاق في المصنف (405/8) رقم (15717)، ومالك في الموطأ (1146/5) رقم (2918)، وأبو داود في السنن (31/4) رقم (3928).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (1954)، وابن خزيمة في الصحيح (273/3) رقم (2058).

رَأَى بَقِيَّةَ مَنْ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ⁽¹⁾

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [الآية: 15] أي يجازيهم على استهزائهم أو يعاملهم معاملة أعمالهم باستدراجهم في أحوالهم ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ [الآية: 15] أي يزيد مددهم ومددهم وعددهم وعددهم أي يكثر مالهم ولدهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ [الآية: 15] أي في حال ضلالهم وعدوانهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية: 15] أي يتحIRON ويترددون.

قال الأستاذ: لما ألقى القوم أزمته في أيدي الشهوات استهوتهم في أودية الفرقة فلم يستقر لهم قدم على مقام وتطوحوا/ في متاهات الغيبة وكما 9/أ يمد الله المنافقين في طغيانهم يعمهون يطيل مدة هؤلاء في مخايل الأمل فيكونون عند اقتراب آجالهم أطول ما يكونوا أملاً وأسوأ ما كانوا عملاً ذلك جزاء ما عملوا ووبال ما صنعوا وتحسين أعمالهم القبيحة في أعينهم من أشد العقوبات ورضاهم بما فيه من الفترة من أجل المصيبات.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى﴾ [الآية: 16] أي استبدلوا ظلمة الضلالة بنور الهداية واختاروها عليه في البداية والنهاية ﴿فَمَا رَیَحَتْ بِجَنَّتِهِمْ﴾ [الآية: 16] بل ظهرت خسارتهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 16] أي في علم الله على ما قضاء للعباد أو ما كانوا قابلين للرشاد بحسب تقدير الاستعداد وفي الحديث أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل وغوى وقد قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام، الآية: 117].

وأفاد الأستاذ أن الذي رضي بالدنيا عن العقبى لفي خسران ظاهر ومن أثر الدنيا أو العقبى على الحق تعالى لأشد خسراناً.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ [الآية: 17] أي صفة المنافقين في تحير أمرهم وتردد سرهم واختيار ضلالتهم وترك هدايتهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَاراً﴾ [الآية: 17] أي أوقد ناراً وجعلها مناراً وحسب أن لها نوراً يعقب حضوراً وسروراً ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ [الآية: 17] أي أنارت تلك النار ﴿مِمَّا حَوْلَهُ﴾ [الآية: 17] أي من سفلى الدار وظن

(1) نسب إلى أبي نواس. انظر: العقد الفريد (2/412)، وأخبار النساء (1/43).

أن لتلك النار وصف القرار ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَبُورِهِمْ﴾ [الآية: 17] أي أذهب وأزال نور نارهم ﴿وَزَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَتِهِ﴾ [الآية: 17] أي ناشئة من تلك الخيالات ودخانات الخبايات الحاصلة من الخيانات الكامنة في تلك الخانات ﴿لَا يَبْصُرُونَ﴾ [الآية: 17] أي شيئاً من أنوار الهدايات.

قال الأستاذ: هذا مثل ضربه الله تعالى سبحانه للمنافقين بمن استوقد ناراً في ابتداء ليله ثم أطفئت فبقي صاحبها في ظلم ظلمه كذلك المنافقون ظهر عليهم شيء من العوافي بظاهر ما أظهروا في الدنيا ثم امتحنوا بأليم العقوبة في العقبي أو لاح شيء من نور إقرارهم ثم بقوا في ظلمة أفكارهم والإشارة من هذه الآية لمن له بداية جميلة وعبادة جزيلة يسلك طريق الإرادة مدة ويقاسي بعد الشدة شدة ثم يرجع إلى الدنيا قبل الوصول إلى المرتبة الحقيقية ويعود إلى ما كان فيه من ظلمات البشرية وكان كما قيل:

حين تم الهوى وقلنا سررنا وحسبنا من الفراق أمثا

ب/9 /بعث البين رسله في خفاء فأبادوا من شملنا ما جمعنا⁽¹⁾

أو الإشارة إلى من له وفي بشيء من المعاني فيظهر فوق ما هو به من الدعاوي فإذا انقطع عند مادة ما له من أحواله بقي في ظلم ظلمة وغواية ضلالة.

فهم ﴿هُمْ﴾ [الآية: 18] عن سماع الحق ﴿بِكُمْ﴾ [الآية: 18] عن كلام الصدق ﴿عُنِيَ﴾ [الآية: 18] عن درك الوفق ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 18] عن ضلالتهم وجهالتهم لا بالعنف ولا بالرفق.

قال الأستاذ: إذا لم يسبق لهم الحكم بالإقلاع ولم تساعدهم القسمة بالارتداع.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ [الآية: 19] أي أو مثلهم العجيب الشأن ووصفهم القريب البيان في باب تنوع التبيان كأصحاب مطر نازل ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية: 19] أي من

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/354).

جهة العلاء ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 19] أي مندرج فيه ﴿ظَلُمْتُ﴾ [الآية: 19] أي أنواع ظلمات من الليل والسحاب وتكاثف القطرات ﴿وَرَعَدٌ﴾ [الآية: 19] وهو صوت ملك موكل بسحاب الأمطار ﴿وَرِيقٌ﴾ [الآية: 19] يظهر من لمعان سوطه حين زجره بمقمة النار ﴿يَحْمِلُونَ أَصْنَعَهُمْ﴾ [الآية: 19] أي رؤوسها أو كلها ﴿فِي عَذَابِهِمْ﴾ [الآية: 19] للمبالغة في حفظ أسماعهم ﴿مِنَ الصَّوَغِ﴾ [الآية: 19] أي من أجل شدة صوت الرعد، وحدة ضربه المتولد منه انفصال قطعة من المقمة ﴿حَدَرَ الْمَوْتُ﴾ [الآية: 19] أي للاحتراز عن الموت كيلا يموتوا من شدة الصوت أو لئلا يصيبهم الصاعقة المفيدة للغوث ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 19] أي عالم بجزيات أحوالهم وكليات أفعالهم فيجازيهم وفق أعمالهم فالمطر مثل لما في القرآن حياة القلوب والظلمات بيان لما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، وسائر العيوب، والرعد مثل لما خوفوا به من الوعيد والبرق مثل لما ذكر فيه من الوعد الأكيد وجعل الأصابع كناية عن عدم سماع الوعد والوعيد المؤدي إلى الإيمان الذي هو كالموت عند أهل العدوان.

قال الأستاذ: كذلك الإشارة لأصحاب الغفلات إذ طرق أسماعهم وعظ الواعظين أو لاح بقلوبهم بعض أنوار العارفين كنوا إلى التشاغل بآمالهم الكاسدة وأصروا على أعمالهم الفاسدة وتعللوا بأعذار واهية ولو أقلعوا عماهم عليه من الغفلة لسعدوا بأنوار وافية.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكانا

إن الكريم إذا حباك بوده ستر القبيح وأظهر الإحساناً⁽¹⁾

﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ﴾ [الآية: 20] أي يقرب أن يسلب أنظارهم الظاهرة ما في القرآن من الحجج القاهرة الباهرة ﴿كَلَّمَآ أَصَآءَ لَهُمْ مَشَآءَ فِيهِ﴾ [الآية: 20] أي كلما وافق هواهم/ وصادق مدعاهم مضوا في قبوله وسعوا في حصوله ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [الآية: 20] أي وإذا لم يوافق غرضهم ومطلوبهم ولم يطابق بغيتهم ومرغوبهم وقفوا وعن السير عكفوا وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿زَيْنَ النَّارِ﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/26) و(2/426) و(4/309).

﴿مَنْ يَعْْبُدِ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾^(١)
[الحج، الآية: 11].

قال الأستاذ: وكذا أحوال بعض المريدين من أصحاب الغفلات وأرباب الشهوات إذا حضروا مشاهد الموعظة أو جنحت قلوبهم إلى الرقة أو دخلهم شيء من الوهلة يقرب أحوالهم من التوبة ويقوي رغبتهم في الإنابة حتى إذا رجعوا إلى تدبيرهم وشاوروا قرنائهم أشار الأهل والولد عليهم بالعود إلى دنياهم وبسطوا فيهم لسان النصيح وهددوهم بالضعف والعجز فيضعف قصودهم ويسقط إرادتهم وصاروا كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى تكسبه^(١)

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الآية: 20] أي الظاهر كما ذهب بحواسهم الباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَآءٌ﴾ [الآية: 20] أي تام القوة كامل القدرة.

قال الأستاذ: كذلك أرباب الغفلة والقانون من الإسلام بظاهر الوسمة فالله تعالى قادر على سلبهم التوفيق فيما يستعملونه من ظاهر الطاعات كما سلبهم التحقيق فيما يستبطنونه من صفاء الحالات.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ [الآية: 21] أي عموماً أو خصوصاً ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [الآية: 21] أي وحدوه وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب زواجره عن وفق تربيته وطبق تسويته ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [الآية: 21] أي الذي أوجدكم من العدم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 21] أي وخلق من قبلكم إلى آدم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 21] أي على رجاء اتقائكم من الحجاب أو لكي تحترزوا من أليم العقاب.

قال الأستاذ: اعبدوا بالتجرد عن المحظورات والتجلّد عن أداء الطاعات ومقابلة الواجبات بالخضوع والاستكانة والتجافي عن التعرّيج في منازل الكسل والاستهانة.

(١) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [الآية: 22] أي كبساط مفروش لينة هينة لا غليظة حزينة ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ [الآية: 22] أي كقبة مبنية بلا عمد مرئية ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية: 22] أي ما يمتزج بتراب الأرض سواء ﴿فَأَخْرَجَ﴾ [الآية: 22] أي الله سبحانه ﴿بِهِ﴾ [الآية: 22] أي بسبب إنزاله وبواسطة إيصاله ﴿مِنْ/ أَلْثَمَرَاتٍ﴾ 10/ب [الآية: 22] أي من أنواع المأكولات والمشتريات المستلذات الطيبات ﴿يَرْزُقًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 22] أي: لتمتعكم ونفعكم بما يقويكم على طاعة ربكم فإن الإنسان خلق له كل شيء من المنفعة وهو مخلوق لصرف عمره في العبادة كما يشير إليه قوله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة، الآية: 29] وقوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وفيه تعريض للكفار حيث أنه خلقهم ورزقهم وعبدوا غيره مما لا يرجون نفعه ولا يخافون ضيره ولذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [الآية: 22] أي إذا كان الأمر كما سبق حيث الله سبحانه هو الذي خلق ورزق فلا تجعلوا له أمثالا وأشباهاً فضلاً عن أن يكون له أنداداً وأضداداً ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 22] أي ما سوى الله كلهم مخلوقون ومرزوقون فهم للعبادة لا يصلحون فإنهم لأنفسهم لا ينفعون.

قال الأستاذ: تعرف إليهم بذكر ما من به عليهم من خلق السماء لهم سقفاً مرفوعاً وأنشأ الأرض لهم فرشاً موضوعاً وإخراج النبات لهم بالمطر رزقاً مجموعاً فلا تعلقوا قلوبكم بالأغيار في طلب ما تحتاجون إليه فإن الحق سبحانه متوحد بالإبداع لا محدث سواء فإذا توهمتم شيئاً من الحادثات من نفع أو ضرر أو خير أو شر من مخلوق كان ذلك، في التحقيق شركاً أي خفياً.

ولهذا أورد في الحديث «من حلف بغير الله فقد أشرك»⁽¹⁾ وهذا بيان لإنبات الوحدة ثم شرع في برهان النبوة بقوله:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [الآية: 23] أي شك وتردد عيب ﴿مِمَّا زَلَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾

(1) أخرجه أبو داود في السنن (217/3) رقم (3253)، وأحمد في المسند (2/125) رقم (6073)، وابن حبان في الصحيح (10/199) رقم (4358)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/29) رقم (19615).

[الآية: 23] أي: من جهة صدق ما نزلنا من الكتاب ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ [الآية: 23] أي: الذي أوتي فصل الخطاب ﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾ [الآية: 23] أي: بقطعة من الكلام على وجه النظام ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ [الآية: 23] أي: فيهما بعض شبه به من حسن مبانيه في الفصاحة وزين معانية في البلاغة مع ما يتضمنه من المعجزات والأخبار عن المعيبات المتعلقة بأحوال العباد من أول المبدأ إلى آخر المعاد ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ [الآية: 23] أي اطلبوا خطباءكم واستدعوا بلقائكم ممن يحضر المحافل ويدعي الفضائل واستعينوا بالهتكم التي تدعونها وللعبادة تحضرونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 23] أي من غيره سبحانه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 23] أي: في أن محمداً من الكاذبين.

11/أ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [الآية: 24] أي: في الأزمنة/الماضية ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [الآية: 24] في الأوقات الآتية إذ الإتيان بمثله من المحالات العقلية والعادية ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء، الآية: 88] وأيضاً ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً﴾ [النساء، الآية: 82] وهو بحمد الله لم يصادف فيه أحد خلافاً يسيراً ﴿فَأَتُوا النَّارَ﴾ [الآية: 24] أي: احذروا دخولها واجتنبوا ما يوجب حصولها ﴿الَّتِي وَفُودُهَا﴾ [الآية: 24] أي ما يوقد به هو ﴿النَّاسُ﴾ [الآية: 24] أي: الكفار والفجار ﴿وَالْجِبَارَةُ﴾ [الآية: 24] أي: الأصنام التي نحتوها من الأحجار وعبدوها تبيكاً لعبادتهم في النار أو حجارة الكبريت التي هي أشد للإيقاد ولا منع من الجمع في تعذيب أهل الإبعاد ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 24] أي: هيت جزاء لهم بالأصالة وللفاسقين بالتبعية ولما كان من سنة الله سبحانه أنه إذا خوف أعداءه بشر أوليائه.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 25] أي بالعقائد الحسنة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية: 25] أي: الطاعات المستحسنة والمعنى أخبرهم خيراً يظهر به أثر البشر على بشرتهم ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [الآية: 25] أي: بأن لهم حاصل حدائق ذات أشجار ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 25] أي: من تحت أشجارها ومسكنها أو على وفق تصرف سكانها ونسبة الجري إلى الأنهار مجازية مشعرة بأن لا أنهار في

ذلك النهار ولا يبعدان اللام المعهودة للأنهار الأربعة الموجودة في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا أَتَاهُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ غَاسِقٍ وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْضَبْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد، الآية: 15].

قال الأستاذ: هذه البشارة بالجنان تتضمن تعريفاً بنعم مؤجلة لعموم المؤمنين على الوصف الذي يشرحه لسان التفسير ويشير إلى البشارة للخواص بنعم معجلة، مضافة إلى تلك النعم يتيح الله لهم على التخصيص فتلك المؤجلة جنان المثوبة وهذه المعجلة جنان القرية وتلك رياض النزهة وهذه رياض الزلفة بل تلك حدائق الإفضال وهذه حدائق الوصال وتلك رفع الدرجات وهذه روح المناجاة وتلك قضية جوده وهذه الاستقلال بوجوده وتلك راحة الإخبار وهذه نزهة الأسرار وتلك لطف العطاء للظواهر وهذه كشف الغطاء عن نزهة السرائر وتلك لطف نوال وإفضال/ وهذه كشف جمال 11/ب وجلال.

وقال صاحب «العرائس»: لأن لأهل المعرفة جناناً جنة العبودية وجنة الربوبية وجنة المعرفة وجنة المحبة وجنة القرية وجنة المشاهدة وجنة المداناة وجنة الوصلة وجنة التوحيد وجنة البقاء وجنة البسط وجنة الرجاء وجنة الانبساط وجنة الصحو وجنة الملكوت وجنة المكاشفة وجنة الحقيقة وجنة العلم ولكل جنة منها نهر يجري تحتها يطول أمر تفصيلها وبيان تعليلها ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ [الآية: 25] أي: اطعموا من تلك الجنات ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: من أي نوع واحد من الثمرات ﴿رُزِقُوا﴾ [الآية: 25] أي: مرزوقاً قدر له مخلوقاً ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 25] أي: هذا مثل النوع الذين أعطيناه من قبل هذا الوقت في الدنيا أو العقبى ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [الآية: 25] أي: جيئوا بالمرزوق مشتبهاً في اللون والصورة مختلفاً في الطعم واللذة وهذا أبلغ في مقام خرق العادة.

وأفاد الأستاذ: إن أهل الجنة كما يتجدد عليهم النعم في كل وقت فالثاني عندهم على ما يظنون كالأول وإذا ذاقوه وجدوه فوق ما تقدم فكذلك

أهل الحقائق أحوالهم في التزايد أبداً فإذا رقي أحدهم عن محله توهم أن الذي سيلقاه في هذا النفس مثل ما تقدم فإذا ذاقه وجده فوق ذلك بأضعاف كما قال قائلهم:

ما زلت أنزل في ودادك منزلاً تتحير الألباب دون نزوله⁽¹⁾

قلت: وإليه الإيمان في قول سيد الأنبياء أنه ليغان⁽²⁾ على قلبي واستغفر الله سبعين مرة⁽³⁾ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [الآية: 25] أي نساء منظفات من الأوساخ الطبيعية والأخلاق الدينية والتغيرات البشرية وهم فيها ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 25] أي مقيمون دائمون ولما ضرب الله مثل العنكبوت والذباب في حكم الكتاب وتعجب الكفار من هذا الخطاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [الآية: 26] أي لا يترك ترك المستحي أي: يبين أي: مثل كان محتاجاً إلى البيان مشتملاً على عبرة لمن اعتبر في ميدان التبيان سواء كان حقير الجانب أو عظيم الشأن ﴿بَعُوضَةً﴾ [الآية: 26] وهي صغير البق فكأنها بعضه عطف بيان لمثلاً وقوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [الآية: 26] عطف عليها أي: فما زاد عليها في الجثة والكبر أو في الحقارة 12/أ والصغر مما في خلقه من العبر/.

وقال الأستاذ: الاستحياء من الله بمعنى الترك فإذا وصف نفسه بأن يستحي من شيء فمعناه أنه لا يفعل ذلك وإذا قال لا يستحي فمعناه لا يبالي بفعل ذلك والخلق في التحقيق بالإضافة إلى وجود الحق أقل من ذرة من الهباء في الهواء لأن هذا الاستهلاك محدود في محدود فسيان في قدرته العرش والبعوضة فلا خلق العرش أشق وأعسر ولا خلق البعوضة أخف [عليه] وأيسر فإنه سبحانه من متقدس عن لحوق العسر واليسر فإذا كان الأمر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/31) و(4/239).

(2) ما يغشاه من السهو، انظر: لسان العرب (13/316).

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (2702)، وأبو داود في السنن (1/559) رقم (1517)، والنسائي في السنن الكبرى (6/116) رقم (10277)، وأحمد في المسند (4/211) رقم (17881).

بذلك الوصف فلا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلاً كما لا يستحي أن يضرب بالعرش فما دونه مثلاً وقيل إن جهة ضرب المثل بالبعوضة أنها إذا جاعت قويت فطارت وإذا شبعَت تشبقت وتلفت كذلك ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [العلق، الآيتان: 6، 7] وقيل فما فوقها الذباب وجهة الإشارة فيه أن استغنى ﴿العلق، الآيتان: 6، 7﴾ وقيل فما فوقها الذباب وجهة الإشارة فيه أن الوقاحة التي في الذباب حتى أنه إن يعود عند المبالغة في الذب إذ لو كانت في الأسد لم ينج منه أحد من الخلق ولكن لما خلق القوة في الأسد خلق فيه تنافراً من الناس ولما خلق الوقاحة التي في الذباب خلق فيه ضعفاً تنبهاً منه سبحانه على كمال حكمته ونفاذ قدرته. انتهى. ولا يبعد أن في ذكر البعوضة إيماً إلى قضية النمرود والمردود حيث عذبه الله أربعمئة سنة بإدخال البعوضة في دماغه حتى منعه من السنة وكان ضرب رأسه بالمقمعة على وجه القوة من الحسنة وقيل: هذا مثال للدنيا وأهلها فإن البعوضة تحيي إذا جاعت وتموت إذا شبعَت وكذلك أهل الدنيا إذا امتلأوا مما عليها وركنوا إليها أخذهم الله وأمات قلوبهم وأهلكهم لديها ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 26] أي: المثل الذي مثل به هو الثابت من عند الله المربي به من سواه ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾ [الآية: 26] أي: من جهلهم بالمثل والممثل به والممثل الذي ليس له مثل ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [الآية: 26] أي: أي شيء أراده بهذا المذكور من جهة المثل المسطور.

قال الأستاذ: لأنهم سكرت أبصارهم بحكم الغفلة فلا يزيدهم ضرب الأمثال إلا زيادة الجهل والإشكال وأما من فتحت أبصار سرائرهم فلا ينظر إلى الأغيار والآثار إلا بنظر الاعتبار فلا يزداد الإنفاذ/الاستبصار ﴿يُضِلُّ 12/ب يَهُدِي﴾ [الآية: 26] أي بإيراد المثل ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية: 26] أي: ممن ينكرونه ويكذبونه ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [الآية: 26] ممن يصدقون به ويعرفونه قال تعالى: ﴿وَنُرِزُّ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء، الآية: 82] فهو كالنيل ماءً للمحبوبين ودماءً للمحجوبين وقد سئل الشيخ أبو إسحاق الكارزوفي قدس سره عن السرف أن أهل البدعة يستدلون بالقرآن كما أن أهل السنة يستنبطون الأحكام من هذا الفرقان فقرأ الشيخ هذه الآية تنبيهاً للعلامة بين

الرواية والدراية.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الكتاب لقوم شفاء ورحمة ولآخرين شقاء وفتنة فمن تعرف إليه يوم الميثاق بأنوار العناية حين سمعوا قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف، الآية: 172] تذكروا عند الوسطة صلوات الله وسلامه عليه قديم عهده وسابق وده فازدادوا بصيرة على بصيرة ومن وسمه بذل القطيعة وأنطقه ذلك اليوم عن الحساب والرهبة ما ازدادوا عند حصول الدعوة النبوية إلا جحداً على جحد وما خفي اليوم عليهم صادق الدلالة إلا لما تقدم لهم من سابق الضلالة ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 26] أي: الخارجين عن حدود المؤمنين وهم الكافرون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 67].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 27] أي: يهدمونه وينكثونه ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الآية: 27] أي: بعد استحكام عهده وما يترتب عليه من وعيده ووعدته والمراد ما وثق الله به عهده من الكتب المنزلة أو ما وثقوه به التزام العهد وقبول النصيحة وقيل عهود الله ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقرؤا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأنهم إذا أدركوا محمداً آمنوا به وقاموا بنصرته وعهد على العلماء بأن يبنوا للعامة ما يجب عليهم من معرفته.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه إلى حال من سلك طريق الإرادة ثم رجع إلى ما هو إليه أهل العادة وقال بترك نفسه ثم لم يصدق حين عزم الأمر ونزل عن إشارات الحقيقة إلى رخص الشريعة وكما أن من سلك الطريق بنفسه فما دام درهم يبقى في كيسه فغير محمود رجوعه فكذلك من قصد بقلبه فما دام يبقى 13/أ نفس من روحه فغير مرضي رجوعه/.

إن الألى ماتوا على دين الهوى وجدوا المنية منهلاً معسولا

﴿وَيَنْقُطُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الآية: 27] أي: بوصله كإيصال الرحم بالرحمة وموالاته الأمة المرحومة والاجتماع في الجمعة والجماعة وكل ما هو بين الله وعيده من الوصلة.

قال الأستاذ: وصل أسباب الحق بقطع أسباب الخلق ولا يتم وصل ماله

إلا بقطع مالك وإذا كان الأمر بالعكس كان الحال بالضد في ذلك ﴿وَيُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 27] أي: في أرض قلوبهم بما يثمر ظهور عيوبهم أو في أرض ربهم وبلادهم بمخالفة أمره في حق عباده.

أفاد الأستاذ: أن فساد هذه الطائفة من إهمالهم حواشي أحوالهم فيتشاغلون عن إرشاد مرید بكلامهم وإيجاد قاصد بهمهم ومن فسادك في أرض ساعة تجري عليك ولم تره فيها ناظراً إليك ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية: 27] أي: بفوت التوبة والقربة والمصير إلى القطيعة والعقوبة.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 28] كيف هذه كلمة تعجيب متضمن لإنكار وتأديب أي: لا يصلح للعبد بعد ظهور آيات ربه أن يميل إلى الكفر بقلبه وحاصل المعنى أخبروني على أي حال تكفرون وبأي طريق تنكرون ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 28] أي: نطفاً في أصلاب آبائكم وترائب أمهاتكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ [الآية: 28] بتسوية أشباحكم بعد خلق أرواحكم ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ [الآية: 28] أي: عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] أي: للسؤال في القبور أو بالنشور يوم ينفخ في الصور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] أي: إلى حكمه في مآلكم فيجاء زيكم بأعمالكم فما أعجب كفركم مع علمكم بأحوالكم هذا إذا كان الخطاب للكفار وأما على تقدير توجهه إلى الأبرار فالمعنى كيف يتصور منكم الكفر ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 28] أي: جهالاً ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ [الآية: 28] بما أفادكم من العلم ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ [الآية: 28] الإماتة الرسمية ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] الحياة الحقيقية ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 28] فيثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت من النعم الأخروية.

قال الأستاذ: تعرف الحق إلى الخلق بلوائح دلالاته ولوامع آياته فقال ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 28] أي: نطفاً أجزاؤها متساوية فأحياكم بشراً اختص بعض أجزائها النطف بكونه عظاماً أو بعضها بكونه لحماً وبعضها بكونه جلداً وبعضها بكونه شعراً إلى غير ذلك ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ [الآية: 28] / بأن يجعلكم عظاماً 13/ ب ورفاتاً ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] بأن يحشركم بعدما صرتم أمواتاً ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ

رُجْعُوتُ ﴿[الآية: 28] أي: إلى ما سبق به حكمة من السعادة والشقاوة ويقال كنتم أمواتاً بجهلكم عنا ثم أحياكم بمعرفتكم بنا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] عن شهودكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] به ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ رُجْعُوتُ﴾ [الآية: 28] أي: بحفظ أحكام الشرع بإجراء الحق ويقال ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 28] ببقاء نفوسكم فأحياكم بفناء حظوظكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية: 28] عن شهود ذلك لثلا تلاحظوه فيفسد عليكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 28] بأن يأخذكم عنكم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ رُجْعُوتُ﴾ [الآية: 28] بتقليبكم في قبضته سبحانه ويقال: جئس عليهم من الأحوال فلا حياة بالدوام ولا فناء بالكلية كما قالوا هذه حياة فيتليهم كذلك إذا دال عليهم فأفناهم فإذا صاروا إلى الفناء أثبتهم وأبقاهم فهم أبدأ بين بقاء وفناء وبين صحو ومحو كذلك جرت سُنَّتُهُ سبحانه معهم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ [الآية: 29] أي: لأجل انتفاعكم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 29] أي: لتأخذوا منها معاشكم وزادكم مما يبلغ معادكم.

قال ابن عطاء ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 29] ليكون الكون كله لك وتكون لله فلا تشتغل بمالك عما أنت له ﴿ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الآية: 29] أي: بإرادته أقبل عليها وبقدرته قصد إليها ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ [الآية: 29] أي: فعدل الجهات العليا ﴿سَمَوَاتٍ﴾ [الآية: 29] أي: متطابقات من غير عمد مرثيات لتستدلوا بها على قدرته وتنتفعوا بأنواره وأنواع زينته وبصعود أرواحكم وأعمالكم ونزول ملائكته ووصول بركاته ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 29] من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات والكلليات والجزئيات ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 29] أي: بالغ في العلم والإدراك على نهاية الإحاطة لما هناك.

قال الأستاذ: سخر لهم جميع المخلوقات على معنى محصول انتفاعهم بكل شيء منها فعلى الأرض يستقرون وتحت السماء يسكنون ﴿وَيَا تَجْمُ هُمْ يَسْتَوُونَ﴾ [النحل: 16] وبكل وجه آخر ينتفعون بل من عين نظر وأثر فكر بكمال قدرته وجمال ربوبيته ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ [الآية: 30] أي: أذكر حين قال ﴿رَبِّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية: 30] أي: مصير فيها آدم وذريته من بعده خلفاً

بخلف من قبلهم من الملائكة الذين كانوا سكان الأرض/ بعد الجن فدمروهم 14/أ
 وفرقوهم في الجزائر والجبال ﴿قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [الآية: 30] أي:
 بأنواع الكفر ﴿وَيَسِفُكُ أَلْدِمَاءَ﴾ [الآية: 30] أي: ويفعل سائر المعاصي وهذا من
 باب قياس أحد الثقلين على الآخر أو بالتلقي من اللوح أو بما في ظنهم أن
 العصمة من خواصهم أو بإعلام الله إياهم بما يكون في أكثر ذرية آدم والله أعلم
 وعلى كل تقدير هو تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يتوقع
 منه خرابها وفسادها واستكشاف عن وجوه الحكمة وإبدائها ﴿وَنَحْنُ سُبْحٌ بِحَمْدِكَ
 وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [الآية: 30] أي: والحال أنا ننزهك مقروناً بحمدك ونظهر أعمالنا
 وأحوالنا لأجلك بتوفيقك وفضلك ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 30]
 وسأظهر لكم ما لا تعرفون.

قال الأستاذ: هذا ابتداء إظهار سره وحكمته في آدم وذريته أمر حتى سلَّ
 من كل بقعة تراب طينته ثم أمر بأن يخمر طينته أربعين صباحاً وكل واحد من
 الملائكة يفضي العجب ما حكم هذه الطينة وما حكمة هذه العجينة فلما ركب
 صورته الحسنة لم يكونوا رأوا مثلها في بدائع الصنعة وعجائب الحكمة فحين
 [قال] ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية: 30] تجنست الأقاويل وكان كما قيل:
 وكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري⁽¹⁾

ويقال استخرج الحق سبحانه منهم ما استكن في قلوبهم من استعظام
 طاعتهم والملاحظة إلى حالاتهم بهذا الخطاب وأفصحوا عن خفايا أسرارهم
 بقولهم ﴿وَنَحْنُ سُبْحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 30]
 أي: من غفراني لهم والمعنى أنتم تعرفون عصيانهم وأنا أعلم فيهم غفرانهم
 ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من انكسار قلوبهم وإن ارتكبوا قبيح أفعالهم
 وعيوبهم وأنشد:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيح⁽²⁾

(1) نسب إلى محمد بن وهب. انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 147).

(2) نسب إلى ابن نباتة المصري. انظر: دواوين الشعر العربي (83/ 22) وقد ورد في تفسير
 القشيري (1/ 36)، ونفع الطيب (6/ 25).

ويقال أيّ خطر لتسبيحكم لولا فضلي وأي ضرر من ذنوبهم إذا كان عفوي ويقال إن أسعدتكم عصمتي فقد أدركتهم رحمتي، ويقال إن كان 14/ب محسنكم/عتيق العصمة فإن مسيئتهم عريق الرحمة، انتهى. ولا يبعد أن يقال والله أعلم بالحال أنه سبحانه لما خلق الملائكة معصومين عن المخالفة وجعلهم مظاهر الجمال وخلق الشياطين عاصين في الموافقة وصيرهم مظاهر الجلال بقي ظهور من يصلح أن يكون مظهراً للكمال وهو المعنى الجامع بين صفتي اللطف والقهر المقتضي لأن يظهر منه الخير والشر والنفع والضرر القابل من وجه أن يكون في النار التي هي من جملة مظاهر نعوت الجمال من نحو المضل والمنتقم والقهار والصالح من جهة أن يكون في الجنة التي هي من مظاهر نعوت الجمال من نحو الهادي والمنعم والغفار فخلق هذا المعجون المركب على الوجه المربك كما يشير إليه في الحديث القدسي والكلام الإنسي أنه خمر طينة آدم بيديه أي بإظهار صفتيه من القبض والبسط وما ينشأ منهما من المحنة والمنحة والمحور الصحو والفناء والبقاء وأمثال ذلك على صنيع بديع هنالك بحيث أنه لو مال في علو الهمة وعلو الطاعة إلى مراتب الملائكة يسبقهم ويكون في أعلى عليين ولو أخلد إلى دناءة المرتبة وزيادة المعصية إلى مناصب الشياطين لغلبهم ويصير في أسفل سافلين ويؤيد ما قررناه ويقوي ما حررناه حديث «لو لم تذنبوا لَجاء الله بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم»⁽¹⁾ هذا وروي أنه لما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 30] قالوا: فيما بينهم أو في أنفسهم لن يخلق ربنا خلقاً أعلم منا ففضل الله تعالى آدم عليهم بالعلم وعلمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة تكميلاً للمعرفة وهذا معنى قوله:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: 31] أي: أسماء المسميات على أن اللام عوض عن المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيين وبعض البصريين وكثير من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/156) رقم (3992)، والمعجم الأوسط (3/31) رقم (2376)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/489) رقم (798)، وأحمد في المسند (1/289) رقم (2623).

المتأخرين أو الأسماء للمسميات بحذف الجار والمجرور لدلالة الأسماء عليه كما هو مقتضى رأي الباين وقيل فيه الاستخدام يكون المراد بالأسماء الألفاظ والضمير في عرضهم راجعاً إلى الأسماء رأوا بها المسميات كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً 15/أ

وهذا مع كونه من المحسنات البديعية أيسر وأسهل في طرق العربية والمعنى خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء ومعرفة بخواص الأشياء ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ [الآية: 31] أي: أظهر مسميات الأسماء من الجمادات والعقلاء ﴿عَلَى الْمَلَكِ فَقَالَ﴾ [الآية: 31] أي: على طريق التعجيز كما في الوجيز ﴿أَنْبِئُونِي﴾ [الآية: 31] أي: أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 31] أي: المسميات المفروضة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 31] إني لا أخلق خلقاً أعلم منكم على قول ابن عباس وجمع من السلف⁽¹⁾ أو أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم على ما قاله الحسن وقتادة وسعيد بن جبير ومن تبعهم من السلف ثم الخلف ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ [الآية: 32] أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بك في حلمك وأمرك وقضائك وقدرك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [الآية: 32] اعتراف بالعجز والقصور عن علم ما لا يعلمونه وعن حكم ما لا يحكمونه وهذا لازم أحوال أرباب الكمال لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء: 85] ولقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه، الآية: 110] مع ما في الآية من الإشارة إلى أنهم إنما حصل لهم الهيبة في الحضرة حيث قال أنبئوني بخلاف قوله أنبئهم لآدم والله أعلم وأخذ من هذا أن لا أدري نصف العلم.

وقال أبو عثمان المغربي: ما بلاء الخلق إلا بالدعاوي ألا ترى أن الملائكة لما قالوا نحن نسبح بحمدك كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [الآية: 32] ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 32] أي: لا يخفى عليه خافية ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 32] الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة وافية فلما ظهر عجز الملائكة الكرام وأراد إظهار فضل آدم عليه السلام.

(1) تفسير ابن كثير (1/ 224).

﴿قَالَ يَكَادُمُ أَنْيُتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [الآية: 33] أي: أعلمهم بها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 33] أي: ما غاب فيها عن الخلق ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ [الآية: 33] أي تظهرونه ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ﴾ [الآية: 33] أي: تسرونه وقيل: ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتُمون استبطنهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لن يخلق خلقاً أفضل منهم ففي الجملة للكلام دلالة على مرتبة العلم والمعرفة على مرتبة العمل والعبادة وإيماء إلى أنه شرط في الخلافة الكاملة.

وقال الأستاذ: فلا يقال خصوصية الملائكة بالتسبيح والتقديس وهو 15/ ب طاعات/ تليق بالمخلوقين فإن الطاعة سمة العبيد ولا يتعداهم والعلم في الجملة صفة مدح يجب في نعت الحق سبحانه واجباً لا يصح لغيره فالذي يكرمه بما يتصف هو سبحانه وإن كان لا مساواة أتم من إكرامه بما يكون موقوفاً على جنس المخلوقات ويقال أكرمه في السر بما علمه ثم بين تخصيصه بالجهر وقدمه. قال وعموم قوله ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ يقتضي الاستغراق واقتران قوله ﴿كُلُّهَا﴾ يوجب شمول الأفراد بالاستحقاق فكما علمه أسماء المخلوقات كلها على ما نطق به تفسير ابن عباس وغيره علمه أسماء الحق سبحانه ولكن قال إنما أظهر له محل التخصيص في علم أسماء المخلوقات وبذلك المقدار بأن رجحانه عليهم.

وأما انفراده بمعرفة أسمائه سبحانه فذلك سر لم يطلع عليه ملك مقرب ومن ليس له مرتبة مساواة آدم في معرفة أسماء الخلق فأى طمع له في مداناته في أسماء الحق ووقوعه على أسرار الغيب وإذا كان التخصيص بمعرفة أسماء المخلوقات يقتضي أن يصبح مسجود الملائكة فما الظن بالتخصيص بمعرفة أسماء الحق سبحانه ما الذي يوجب لمن أكرم به انتهى.

ويمكن أن يقال أن المعروضات تشمل مظاهر الصفات فالأسماء والمسميات على إطلاقها وإفادة استغراقها.

ثم أفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه لما أراد أن ينجي آدم عصمه وعلمه

وأظهر عليه آثار الرعاية حتى أخبر بما أخبر وحين أراد إمضاء حكمه فيه أدخل عليه النسيان حتى نسي في الحضرة عهده وجاوز حده فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه، الآية: 115] فالوقت الذي ساعدته العناية تقدم على الجهلة بالعلم والإحسان والوقت الذي أمضى عليه الحكم رده إلى حال النسيان والعصيان كذا حكم الحق سبحانه فيما يجري ويمضي دل لحكمه العبيد وهو فعال لما يريد وفي «العرائس» قال بعضهم لما شاهدوا أفعالهم وافتخروا بها رد الله تعالى وجوههم عنه إلى آدم وأمرهم بالسجود له إعلاماً بأن العبادة لا تزن عنده شيئاً.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله/ ولما توهموا حصول تفضيلهم بتسييحهم 16/أ وتقديسهم عرفهم أن بساط العز مقدس عن التجليل بطاعة مطيع مريد أو التدنس بزلة جاحد عنيد، فردهم إلى سجود آدم إظهاراً لغناه عن كل وفاق وخلاف وهذا قوله جلّ ذكره.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الآية: 34] والسجود لآدم لم يكن عبادة لعينه ولكن لموافقة حكمه فكان سجودهم لآدم عبادة لله حيث كان بأمره وتعظيماً لآدم لأنه أمرهم به تشريفاً لشأنه وكان ذلك نوع خضوع له ولكن لا يسمى ذلك عبادة لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح لغيره سبحانه وتعالى ويقال بين أن تقدسه سبحانه بجلاله لا بأفعالهم وأن التجليل بتقديسهم وتسييحهم عائد إليهم وهو الذي يجلب من أجله بإجلاله لا بأفعالهم ويعز من أعز قدره سبحانه بإعزازهم لا بأعمالهم جل عن إجلال الخلق قدره وعز عن إعزاز الخلق ذكره وقيل كان لله السجدة وآدم إنما هو كالكعبة موضوع للقبلة لكن يأبى عن هذا المعنى وجود اللام دون إلى وأما ما قيل في أن المراد بالسجود الانحناء فخلاف الظاهر مع بعده عن مقام الابتلاء ﴿فَسَجَدُوا﴾ [الآية: 34] أي: الملائكة كلهم أجمعون ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الآية: 34] أي: الداخل فيهم بالتليس ﴿أَبَى﴾ [الآية: 34] أي: امتنع بقلبه ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ [الآية: 34] عن السجود بقلبه ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 34] في سابق علم الله وحكمه أو وصار من الكافرين لامتناع قبول أمره على وقف قضائه وقدره وإنما منشأ آباءه العجب بطاعته والغرور بكثرة عبادته إذ

لم يترك بقعة قدر شبر في السماء والأرض مع سعتهما من الطول والعرض إلا وقد كان سجد لله فيها سجدة وأطاع فيها قومة وقعدة إلى أن صار واعظاً للملائكة لوضع له منبر لسماع الموعظة وكان يذكر أن الله تعالى سيخلق آدم وينور به العالم ويأمر الملائكة بالسجود له وأن واحداً يمتنع عن الانقياد لحكمه وأمره فيصير ملعوناً مطروداً عن بابه ومحجوباً عن جنابه ويشقى شقاوة أبدية على وفق كتابه فإذا نزل عن منبره تعلق به كل من حضر بمجلسه وسمع هذا الكلام في محفله قائلاً ادع الله أن لا يجعلني ذلك الشقي فيدعوا لكل منهم أن يجعله الله التقي ولم يستعذ بالله لنفسه من أن يتلى بدنسه والله غالب على أمره فيما دبر من قضائه وقدره.

16/ب /ولذا قيل: العجب أكبر من كل ذنب فإن صاحبه يحرم من التوبة ويمنع من الإنابة بخلاف المذنب فإنه قد يكون في عين معصيته متصفاً بملامته وندامته وبهذا تبين الفرق بينه وبين آدم عليه السلام فيما وقع لهما من مخالفة بعض الأحكام وقد قال بعض العارفين معصية أورث ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أوجبت عجباً واستكباراً ونعوذ بالله من الحور بعد الكور.

قال الأستاذ: ولقد كان إبليس مدة في دلال طاعته يختال في صدار موافقته سلموا له رتبة التقدم واعتقدوا فيه استحقاق التخصيص بالكرم فصار أمره كما قيل:

وكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من البين فانطفئ
كان يحسب لنفسه استيجاب الخيرية ويظن بها استحقاق الخصوصية.

فبات بخير [والدنى] مطمئنة وأصبح يوماً والزمان تقلباً⁽¹⁾
فلا سالف طاعة نفعه، ولا آنف رجعة رفعه، ولا شفاعة شفيح أدركته،
ولا سابقة عناية أمسكت، ومن غلبه القضاء لا ينفعه العناء ولقد حصل من آدم
هفوة بشرية فقد أدركته رحمة أحذية وأما إبليس فقد أدركته شقوة أزلية وغلبته
قسمة أبدية فخاب رجاءه وضل عناؤه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/41) و(2/466) و(3/62) و(7/31).

وقال صاحب «المعرائيس»: ألبس الله سبحانه الملائكة لباس العبودية فأعجبوا بعبادتهم وألبس آدم لباس الربوبية ورقم عليه طرار صفاته وعرضه على الملائكة فأروه ملتبساً بلباس الحق فخرجوا عن تعجبهم بعبادتهم فأمرهم الله سبحانه بسجود آدم تعبيراً لهم وتعليماً أنّ عبادتهم لا تزيد بالربوبية ولا تنقص عن الألوهية وأيضاً لما خلقه بخلقه وصوره بصورته وألبسه من نوره ونفخ فيه من روحه وأسكنه جنته وأجلسه على سرير مملكته فأسجد له ملائكته حتى أكمل له في العبودية صفات الربوبية فسجد الملائكة لكونهم في مقام الشهود وأبى إبليس عن السجود لما قدر الله عليه أنه من أهل الجحود فالملائكة رأوا فيه سر الله وعليه لباس الله مصبوغاً بصبغ الله ولم ير إبليس ما كشف لهم.

﴿وَقُلْنَا يٰٓآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [الآية: 35] أي: أكلًا واسعاً ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الآية: 35] أي: ما شئتما إذا / شئتما من غير أن تصادفا 17/أ مانعاً ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الآية: 35] أي: من حولها فضلاً عن أكلها وهي السنبلة أو الكرام أو شجرة العلم على ما سيأتي بيانه ويظهر برهانه ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 35] أي: فتصيرا من العصاة الواضعين الأشياء في غير مواضعها ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: 21] غير ملتفتين إلى موانعها فوقها في ظلمة نفسيهما وخرجا عن مجلس أنسهما ومحفل قدسهما.

قال ابن عطاء: نهى عن جنس الشجرة فظن آدم أن النهي عن المشار إليه بالخصوصية فتناول على حد النسيان وترك المحافظة لا عن التعمد في المخالفة قال تعالى: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115] انتهى وتوضيحه أنه نهى عن الجنس فنسى هذا المعنى وحمل النهي على الخصوص في المبنى.

وقال صاحب «المعرائيس»: أخفى الله تعالى لآدم في الشجرة من أسرار الربوبية ومنعهما عن قربها لئلا يتشوش عليهما عيش الإنسانية ولكن هيّجهما بمنعهما عن قرب الشجرة إلى طلب تناولها فلما قربا الشجرة كسى الشجرة أنوار القدس وأزهار الأنس وتجلّى الحق سبحانه لهما من الشجرة كما تجلّى

من شجرة موسى لموسى فعشقا الشجرة ووقعا فيها ونسيا ذكر النهي عن قربها انتهى.

وتوضيحه أنهما فهما أن المراد بالنهي عن قربها إنما هو عن أكلها والتمتع بها وأن التعبير بالقرب للمبالغة في نهيهما والإنسان مجبول على الميل إلى ما نهى عنه طلباً لما فيه من الحكمة المقتضية للمنع منه وأنه لولا أنه من الأمر المعظم لما خص بهذا المقام المفخم فما حسبنا أن مجرد القرب يكون سبباً للبعد عن السعد وغفلاً عن أن الراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه⁽¹⁾ إن لم يلزم الاحتماء فلما قربا بعدا عن مقامهما اللائق بهما فظهر سر الأسرار ولمع نور الأنوار فوقفا في لجة الأقدار ونسيا ما كان واجباً عليهما من الإدكار.

قال الأستاذ: أسكنه الجنة ولكن أثبت مع دخوله شجرة المحنة ولولا سابق التقدير وإلا لكان يبدل تلك الشجرة بالنضارة ذبولاً وبالخضرة يبساً وبالوجود فقداً فكان لا يصل يد آدم إليها كما وقع له حين طلب لنفسه الأوراق ليخصفها فلو تناولت تلك الشجرة حتى كان لا يصل يده إليها حين مدها لم يقع في شأنه كل ذلك التشويش ولكن بدا من التقدير ما سبق به 17/ ب الحكم فلا مكان أفضل من الجنة ولا بشراً أكيس من/ آدم ولا ناصحاً يقابل قوله إشارة الحق عليه ولا عزيمة قبل ارتكابه ما ارتكب أشد قوة من عزيمة آدم ولكن القدرة لا تكابر والحكمة لا تعارض ثم ما دام آدم وحده كان بكل خير وعافية فلما جاء الشكل ظهر أنياب الفتنة وافتتح أبواب المحنة وحين ساكن حواء وترك السكون إلى الحق وقام باستجلاب الحظ أطاعها فيما أشارت عليه بالأكل فوقع فيما وقع من الذل ولقد قيل:

داء قديم في بني آدم صبوة إنسان بإنسان⁽²⁾

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح (52)، ومسلم في الصحيح (1599/107).

(2) نسب إلى المأموني. انظر: البصائر والذخائر (1/36).

ويقال أصبح آدم عليه السلام محمول الملائكة مسجود الكافة على رأسه تاج الوصلة وعلى وسطه نطاق القرية وفي جيده زمام الزلفة لا أحد فوقه في الرتبة ولا شخص مثله في الرفعة يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا آدم ويا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استثناسه والملائكة يدفعونه بعنف أن اخرج بغير مكث ولا وقف.

فأمنتته فأتاح لي من مأمني مكرراً كذا من يأمن الأحباباً⁽¹⁾

وكان كما قيل:

لله درهم من فتية بكروا. مثل الملوك وراحوا كالمساكين⁽²⁾

هذا ونهاه عن قرب الشجرة بأمره وألقاه فيما نهاه بقهره ولبس عليه من أخفاه من سره وأما ما قيل من أن المراد بالشجرة شجرة العلم فلعل وجهه أن قربها وبعدها سبب للعلم بحال المبتلى بها أو لكون أكلها علامة يعلم ببسها الخروج من الجنة إلى دار المحنة ويعلم حينئذ قدر النعمة أو تعلق علم الله سبحانه بها أن آدم يأكل منها وبعدها يأكل منها ما يترتب على أكلها وأما الحكمة في أن أكلها يورث البعد من دار القرب وجار الرب إلى محل الكيد والتعب وقيل لأن إبليس قال لهما من أكل منها علم الشر والخير بها.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [الآية: 36] أي: أوقعهما في الزلة الموروثة بالذل بسبب اختيار الشهوة المانعة عن الجنة وفي قراءة حمزة فأزالهما أي: نحاهما منها وأبعدهما عنها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [الآية: 36] أي: من العزة والعظمة ومرتبة القرية ومزية المحبة ومزية المحنة وحسن العيشة.

قال الأستاذ: وحملهما على الزلة وفي التحقيق/ ما صرفهما إلا القدرة 18/أ وما كان تقلبهما إلا في القضية فأخرجهما مما كانا فيه من الرتبة والدرجة جهراً ولكن ما ازدادوا في حكم الحق سبحانه في شأنهما إلا رفعة وقدراً أي: مآلاً ومناًلاً.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (42/1) و(300/1) و(37/5).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (42/1) و(355/2).

﴿وَقُلْنَا﴾ [الآية: 36] أي: لآدم وحواء وإبليس والجنة ﴿أَهْبِطُوا﴾ [الآية: 36] انزلوا عن مرتبتكم العلية إلى حضيض الأرض السفلية ودار الدنيا الدنية فإنها محل التكاليف الشرعية وموضع الابتلاء بالمحن الكونية ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية: 36] وقع العداوة بينهما وبين الشيطان لكن آدم من حزب الرحمن وفي حماية السلطان.

قال الأستاذ: ولو كان لإبليس سلطان على غواية غيره لكان له إمكان في هداية نفسه لأمره ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية: 36] أي: قرار في الأمكنة وتمتع في المعيشة إلى الموت أو القيامة.

قال الأستاذ: مشهد الأشباح ومآلفها أقطار الأرض والفرش ومعهده الأرواح ومرتعها وراء العرش انتهى فالأولياء فرشيون بأشباههم عرشيون بأرواحهم غربيون عن الخلق قريون إلى الحق كائنون مع الأغيار في الظواهر بائون عنهم تحت الأستار في السرائر ولعل هذا حكمة خلق آدم في الجنة وإظهار مرتبة المحنة المورثة للمحنة فإن الولاء قرين البلاء ليكون في دار الغربة مشتاقاً إلى مقام القربة وما قيل من أن حب الوطن من الإيمان إشارة إليه ودلالة عليه.

﴿فَلَقَىٰ﴾ [الآية: 37] أي: أخذ وتلقن ﴿ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [الآية: 37] برفع آدم ونصب كلمات وفي قراءة المكي بالعكس في المقالة لما بينهما من الملازمة فإن التلقي بمعنى الاستقبال والمتابعة أي: فجاءته من ربه ﴿كَلِمَاتٍ﴾ [الآية: 37] دالات على حالة التوبة ومقام الإنابة وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف، الآية: 23] الآية.

قال الأستاذ: وعلى طريق الإشارة دون التفسير للعبارة أن يقال أنه قال إذا خرجت من عندي فلا تنس عهدي وأن تقاصر عنك خبري فإياك أن تؤثر عليّ غيري أو إن فاتني وصولك فلا يتأخرن عني رسولك ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 18/ب 37] أي: فرجع عليه بالمغفرة/ بعد اعترافه بالمعذرة أو فقبل توبته حين أظهر إنابته أو وفقه بالتوبة بعد تلقين الأوبة من الحوبة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَّابِ﴾ [الآية: 37] للعاصين

﴿الزَّيْمُ﴾ [الآية: 37] للمطيعين أو التواب عليهم من المعصية الرحيم عليهم بالعصمة.

﴿قُلْنَا أَهْطُوا مِنْهَا بَعِيماً﴾ [الآية: 38] التكرير لاختلاف المقصود المتفرع على الأمر الموجود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية وحصول العداوة في كل قضية إلى مدة معينة والثاني على أن نزولهم للترقي بالتكاليف الشرعية فمن اهتدى رجع إلى المنازل العلية ومن ضل فقد هلك في تيه البلية كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا هُدًى﴾ [الآية: 38] زيدت ما في أن الشرطية لتأكيد القضية العلية والمعنى فإن يأتكم من جانبي رسول وشريعة وبيان ودعوة يكون ذريعة ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [الآية: 38] أي: ما يهديه إليّ ويدله عليّ على طريق التصديق والمتابعة على وفق التوفيق ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 38] أي: بوقوع عقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 38] أي: بفوت ثواب في دار القرار.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 39] أي: برسلنا كفر جهل وجحود ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 39] بكتبنا وأدلتنا كفر مكابر وعنود ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية: 39] أي: ملازموها في دار البوار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 39] أي: ماكنون دائمون.

قال الأستاذ: أي الذين قابلون النعم بغير شكر المنعم وغفلوا عن التصديق والتحقيق فلهم حجاب معجل وعذاب مؤجل.

﴿يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 40] أي: يا أولاد يعقوب والمراد بهم اليهود والنصارى وخصوا بالخطاب لأنهم أهل الكتاب ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْصَرْتُكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: بالتفكر فيها والقيام بشكرها ومن جملته الإيمان بمنعها أو المراد بها من أنعم الله على آبائهم من فلق البحر وعدم الغرق وإلا نجا من فرعون وتظليل الغمام ونحوها فإن نعمة الآباء منحة الأبناء.

قال صاحب «المعرائس»: أذكروا معاونتي في طاعتكم وهدايتي قبل مجاهدتكم وما كشفت لكم من أسرار معرفتي حتى لا تغتروا بمعاملتكم.

وقال الأستاذ: حقيقة النعم لذة خالصة عن الشوائب عند العلماء وعند أهل التحقيق والعرفان هي ما ذكرك النعم أو أشهدك المنعم أو أوصلك/ إليه 19/أ

أو لم يحجبك عنه وتنقسم إلى نعمة أشباح وظواهر ونعمة أرواح وسرائر فالأولى وجوه الراحة والثانية صنوف المكاشفات والمشاهدات ويقال أمر بني إسرائيل بذكر النعم وأمر أمة النبي الكريم بذكر المنعم حيث قال لهم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة، الآية: 152] وفي تفسير السلمي قال بعضهم ربط بني إسرائيل بذكر النعمة وأسقطها عن هذه الأمة ليكون نظر الأمم من النعمة إلى المنعم ونظر هذه الأمة من المنعم إلى النعمة انتهى وفيه إشعار بأن هذه الأمة مجذوبون سالكون مرادون وأن غيرهم سالكون مجذوبون مريدون وفيه أيضاً نكتة خفية حيث قال ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ ولم يقل اذكروا منعمكم ليكون المحبة للذات بلا ملاحظة المنعم من حيث الإنعام وسائر الصفات ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] أي: بالإيمان والطاعة ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: بحسن المجازات والإثابة وفي حقائق السلمي نقلاً عن الثوري ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] على بساط حرمتي بوفاء خدمتي ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [الآية: 40] في دار نعمتي على بساط قربتي بسرور رؤيتي.

وقال الأستاذ: عهده سبحانه حفظ المعرفة وعهدنا إيصال المغفرة عهده حفظ محابه وعهدنا لطف ثوابه عهده حضور الباب وعهدنا جزيل المآب ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [الآية: 40] بحفظ السرّ أوفِ بعهدكم بجميل البر ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي قبلتم يوم الميثاق ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي ضمنتم لكم يوم التلاق ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في أن لا تؤثروا عليّ غيري ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بدوام المشاهدة في أن لا أمنع عنكم لظفي وخيري ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في القيام بحسن المجاهدة أو المعاملة ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بدوام المشاهدة والمواصلة ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بالتبري عن الحول والمنّة ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالطول والمنّة ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بحفظ الوفاء ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بإدامة الصفاء ﴿وَإِنِّي فَازِهَبُونَ﴾ [الآية: 40] أي: فخافوني لا غيري فيما تأتون وتذرون خصوصاً في وفاء الوعد ونقض العهد.

قال الأستاذ: أفردوني بالخشية لانفرادي بالقدرة.

﴿وَأَمْسُوا يَمَّا أَنْزَلْتُ﴾ [الآية: 41] على النبي الصادق. المصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا

19/ ب مَعَكُمْ﴾ [الآية: 41] فإنكم تجدونه موافقاً ومطلقاً لما في التوراة/ والإنجيل من أمر

التوحيد والنبوة عندهم.

قال الأستاذ: الإشارة فيه أن تقرر إيمانه من حيث البيان بإيمانه من حيث البرهان فعموم المؤمنين لهم بإيمان البرهان بشرط الاستدلال وخواص المؤمنين لهم إيماناً من حيث البيان بحق الإقبال وآخر أحوالهم الإيمان من حيث العيان وذلك لخالص الخاص انتهى فكأنه أشار إلى مقامات العارفين من علم اليقين وعين التعيين وحق التقين ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [الآية: 41] أي: أول من يكفر به لأن الواجب عليكم أن تكونوا أول فوج مؤمن به.

قال الأستاذ: لا تسنوا الكفر سنة فإن وزر المقتدى فيما يسن أعظم من وزر المقتدى فيما يتابع ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 41] أي: لا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا من مالها وجاها فإنها وإن كانت جليلة معتبرة عندهم فهي قليلة مستزلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة ﴿وَإِنِّي فَأَقْفُونَ﴾ [الآية: 41] بالإعراض عن الدنيا والتوجه إلى الأخرى والإقبال على المولى فإن له الآخرة والأولى.

قال الأستاذ: كثير من يتقي عقوبته وعزيز من يهاب اطلاعه ورؤيته.

وقال عبد الرحمن السلمي: التقوى النظر إلى الكون بعين النقص وقال بعضهم: التقوى على أربعة أوجه للعامة تقوى الشرك وللخاص ترك المعاصي وللعارفين تقوى التوسل ولأهل الصفوة تقواهم منه إليه انتهى ولعارفيه الإشارة إلى قوله ﷺ «أعوذ بك منك»⁽¹⁾ وإيماء إلى قوله سبحانه ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [آل عمران: 28] والحاصل أن نهاية التقوى الإلتقاء عن خطور السوء كما دل عليه كلام العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي

وفي الحديث ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 449) رقم (1150)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 452) رقم (1444)، والطبراني في المعجم الأوسط (7/ 141) رقم (7106) والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 385) رقم (3838).

يذكروا الله فيها⁽¹⁾ فإن كل نفس مشتمل على نعمتي الإيجاد والإمداد لأن نزوله ممد الحياة وطلوعه معرج الذات فيجب ذكرها وذكرها شكرها وشكرها فكرها صفات منعها .

﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية: 42] أي: لا تخلطوا الحق بالمنزل الذي تسمعون وتتحقونه بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه ﴿وَتَكْنُهِوُ الْحَقَّ﴾ [الآية: 42] 20 أ أي: ولا تخفوه إذ الواجب/عليكم أن تظهروه ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 42] أي: قبح ذلك أو عقوبة ما هنالك والحال أنكم علماء وما أقبح العالم أن يعمل عمل السفهاء إذ الجهل قد يعذر في الابتداء ولذا ورد «ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات»⁽²⁾ .

قال سهل: لا تخلطوا أمر الدين بالأخرى فكأنه أشار إلى منع السمعة والرياء وإلى خلط الهدى بالهوى أو فكر السوى بذكر المولى ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

وقال الأستاذ: لا تتوهموا أن يلتئم لكم جمع الضدين والكون في حالة واحدة في محلين فإما مبسوط بحق وإما مربوط بحظ ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ﴾ تدليس ولا تكتموا الحق تلبيس ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن حق الحق تقديس أي: ومن لم يتبع الحق فهو إبليس .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 43] أي: صلاة المسلمين وزكاة المؤمنين فإن غيرها لا عبرة لهما ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾ [الآية: 43] أي: صلوا مع المصلين في جماعتهم وجمعتهم والتعبير بالركوع لإفادة الخشوع وزيادة الخضوع وللاحتراز عن صلاة اليهود في عبادة المعبود .

وقال الأستاذ: أي احفظوا آداب الحضرة فحفظ الأدب أتم في الخدمة من الخدمة والإشارة في إيتاء الزكاة زكاة أحوالهم كما يؤدي زكاة النعم من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (93/20) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (392/1) رقم (512) .

(2) كشف الخفاء (346/2) رقم (2974) قال رواه الديلمي عن أنس .

أموالهم قال قائلهم:

كل شيء له زكاة تؤدي وزكاة الجمال رحمة مثلى

فيفيض من زوائد همته ولطائف نظره على المتقين والمريدين بما ينتعشون به وتنجر أحوالهم معه ويقتدى بآثار السلف في الحال وتجنب سنن الانفراد في الاستقبال فإن الكون في غمار الجمعية أسلم من الامتياز من الكافة لما يخاف فيه من البلية.

﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ﴾ [الآية: 44] أي: غيركم ﴿يَالْبَرِّ﴾ [الآية: 44] أي: بطاعة الحق مع الصدق وحسن الخلق مع الخلق ﴿وَتَسْؤُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 44] أي: وتتركون حظها منه والجملة الأخيرة محل الإنكار وبالإستفهام وإلا فالأمر بالبر من جملة المرام وقد نزل في أخبار اليهود حيث كانوا ينصحون الناس باتباع النبي ﷺ ولا يتبعون وقيل: كانوا يأمرهم بالصدقة ولا يتصدقون وفي معناهم العلماء الذين يعظون وهم بوعظهم ما يعملون قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3] ﴿وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ الْكِبْرَ﴾ [الآية: 44] أي: تقرأون الخطاب الذي فيه بيان الثواب والعقاب ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 44] / قبح ما تصنعون. 20/ب

وفي "تفسير السلمي": تطالبون الناس بحقائق المعاني وأنتم خالية قلوبكم عن ظاهر رسوم الباني.

وقال الأستاذ: أتعذرون الخلق إلينا وتقعدون عنا أفسحون الوفود وتقصرون في الورود أتحرضون على البدار وترضون بالتخلف والفرار.

﴿وَأَسْعَيْنُوا﴾ [الآية: 45] على تحصيل رفع الدرجات وإنجاح الحاجات ﴿يَالْصَّبْرِ﴾ [الآية: 45] أي: الصوم الذي هو احتباس عن المفطرات أو بحبس النفس عن المنهيات والشهوات ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ [الآية: 45] أي: بالقيام بأمر العبادات والطاعات فإنها جامعة لأنواع الخيرات وموانعة عن أصناف السيئات.

وقال الأستاذ: الصبر فطم النفس عن المألوفات والصلاة التعرض لحصول المواصلات فالصبر يشير إلى هجران السوى والصلاة تومي إلى الوقوف بحضرة المولى ﴿وَاتَّهَا﴾ [الآية: 45] أي: الاستعانة بهما ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ [الآية:

[45] أي لثقليلة شديدة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [الآية: 45] أي: المختبتين الخاضعين الساكنين إلى طاعة المولى المعرضين عن موافقة الهوى وملاحظة السوى.

وقال الأستاذ: إلا على من تجلى الحق لسره فإن في الخبر المنقول «إن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له» وإذا تجلى الحق لسره خف وسهل ما تولى لأمره فإن التولي للمجاهدة بموجب التكليف يوجب مقاساة الكلفة والتخلي بالمشاهدة بحكم التخفيف يوجب تمام الوصلة ودوام الزلفة وأقسام الصبر كلها محمودة الصبر في الله والله وبالله ومع الله إلا صبراً واحداً وهو الصبر عن الله.

والصبر يحسن في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجُوعُونَ﴾ [الآية: 46] أي: يتيقنون أنهم إليه يحشرون وعلى أعمالهم يحاسبون وفي قراءة ابن مسعود يعلمون بدل يظنون.

قال الأستاذ: الظن يذكر والمراد به اليقين وهو الأظهر هاهنا ويذكر ويراد به الحساب فمن ظن ظن يقين فصاحب وصلة ومن ظن ظن تخمين فصاحب فرقة و﴿مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 46] صيغة تصلح للاستقبال والحال فهم ﴿مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 46] في المستقبل ولكن القوم لتحقيقهم بما سيكون من أحكام الغيب صاروا كأن الوعد لهم نقداً الغيب حضور في مثل هذا المقام قال 21/أ حارثة أصبحت مؤمناً بالله حقاً وكأني بأهل الجنة/ يتزاوون وكأني بأهل النار يتعادون وكأني بعرش ربي بارزاً.

﴿يَبْنَئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 47] أي: حيث أرسلنا رسولنا الأكمل إليكم ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 47] أي: دخلتم في ملته وصرتم من أمته أو أعطيتكم الزيادة على عالمي زمانكم بتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى والإنجاء وسائر إحسانكم أو حيث جعلت فيكم أنبياء وخلقت من جنسكم أولياء وملوكاً أصفياء وهذا بناء على تفضيل الآباء شرف الأبناء.

— ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ [الآية: 48] أي: ما فيه من الحساب والعذاب والحجائب أو احذروا واخشوا عقاب يوم ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الآية: 48] أي: لا

تقضى فيه ولا تغني نفس عن أخرى شيئاً من الغنى أو لا تدفع شيئاً من العناء بل كل نفس تجادل عن نفسها وتقر عن أبناء جنسها.

وقال الأستاذ: خوف العوام بأفعاله فاتقوا يوماً ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة: 48] ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [آل عمران: 131] وأمثالهما أو خوف الخواص بصفاته فقال ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَىٰ لِلَّهِ عَمَلُكُمْ﴾ [التوبة: 105] ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً ونحوهما وخوف خاص الخاص بذاته فقال ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسُ﴾ [آل عمران: 28] ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾ [الآية: 48] بالتذكر لغة أبي عمرو وابن كثير أي: من أجل النفس الثانية العاصية ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [الآية: 48] من أرباب النفوس العالية ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الآية: 48] أي: من أجل خلاصها ﴿عَذْلٌ﴾ [الآية: 48] أي: فداء وبدل ﴿وَلَا هُمْ﴾ [الآية: 48] أي: عصاتهم ﴿يُنصَرُونَ﴾ [الآية: 48] أي: يمنعون عن العذاب ويدفعون عنهم الحجاب لا باللطف ولا بالعنف فهم مخلدون في العذاب.

﴿وَإِذْ يَجْنَيْكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 49] أي: من ظلمهم وتعذيبهم لديكم تفضيل لما أجمله سبحانه من قوله ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 40] ﴿يَسُوءُكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 49] أقطع أنواعه وأشنع أصنافه كما بينه بقوله: ﴿يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: يقتلونهم ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: يستبقون بناتكم لخدمتهم أو لبقاء نسلهم في محتهم فإنهم كانوا يتركون الأولاد عاماً كسنة ولد فيها هارون ويقتلون عاماً كسنة ظهر فيها موسى عليه السلام وسببه أن بني إسرائيل كانوا أولاد الأنبياء وأصحاب الشريعة الغراء وفرعون كان يدعي الألوهية وإله كانوا يظنون فيه الربوبية فكانوا يضعفونهم بأنواع المحنة وأصناف المهنة.

وأفاد الأستاذ: أن من صبر في الله على/ بلاء أعدائه عوضه الله صحبة 21/ ب وأتاح له جميل عطائه ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 49] أي: محنة أن أشير إلى تعذيبهم ومنحة أن أشير إلى تخليصهم وأصل البلاء هو الاختبار ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: 152] لكن لما كان اختبار سببانه تارة بالنعمة وتارة بالنقمة أطلق عليهما ومنه قوله تعالى ﴿وَنَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

[الأنبياء: 35] ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف: 168] والمعنى وفي ذلكم الذين كانوا يفعلون بكم اختبار وامتحان لأحوالكم من القيام بالصبر في محله والشكر في موضعه لأن الخير والشر جميعاً من عنده.

قال الأستاذ: وقيل نعمة عظيمة وقيل: محنة جسيمة وفي الحقيقة ما كان في الله في الظاهر محنة فهو في الحقيقة لمن عرفه نعمة ومنحة ومنة.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ [الآية: 50] أي: شققناه وفلقناه بسببكم وجعلناه يابساً طريقاً لمروركم ﴿فَأَنبِئْكُمْ﴾ [الآية: 50] أي: ببركة موسى ﴿وَأَعْرِضْنَا عَنْ قَرْعُونَ﴾ [الآية: 50] أي: معه تبعاً له ﴿وَأَنتَرُ نَظْرُونَ﴾ [الآية: 50] أي: إلى إنجائكم وإهلاك أعدائكم.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ [الآية: 50] أي: قراءة البصري ووعدنا ﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية: 51] أي: انقضائها للتكلم معه بعد انتهائها وهي ذو القعدة وعشر ذي الحجة ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ﴾ [الآية: 51] إلهاً ومعبوداً على سبيل العجلة لكونكم مثل البقر في البلاهة ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية: 51] أي: بعد خروج موسى عنكم في الميقات لإتيان الإتيان بينات في التوراة ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [الآية: 51] أي: واضعون العبادة في غير موضعها.

قال السلمي: عجل كل أحد نفسه فمن أسقطه وخالف مراده فقد برىء من ظلمه.

وقال الأستاذ: شتان بين أمة وأمة فأمة موسى عليه السلام غاب عنهم أربعين ليلة مما بينهم فاتخذوا العجل معبودهم وأمة محمد ﷺ مع مضيهم زماناً كثيراً على عهد نبيهم لو سمعوا واحداً يذكر تشبيهاً في وصف إلههم لما أبقوا على مهجته ولو كان فيهم ذهاب أرواحهم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [الآية: 52] ثم محونا ذنوبكم حين تركتم عيوبكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 52] أي: الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 52] أي: لكي تشكروا عفوهم وتتركوا كفرهم.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [الآية: 53] أي: يعني التوراة الجامع بين

كونه كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل باباً باباً ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 53] أي: لكي تهتدوا بتدبر التوراة وتكفر الآيات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: 54] أي: الذين عبدوا/العجل.

أ/22

﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: فاعزموا على الرجوع إلى خالقكم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الآية: 54] بقتل البريء لمجرمكم ﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: عزمكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 54] أي: فيه خير كثير حاصل لكم ﴿عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ [الآية: 54] من حيث أنه طهرة من العقيدة الدنية ووصلة إلى الحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 54] أي ففعلتم ما أمرتم به من التوبة فقبل منكم الرجعة ورجع عليكم بالمغفرة والرحمة أو وفقكم بالإجابة ورجع عليكم بالإجابة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 54] والوهاب الكريم.

قال الأستاذ: المعنى ما ضررتم إلا بأنفسكم فيما ارتكبتم من ذنوبكم ومن وافق هواه فعجله ما علق به همه وأفرد له قصده والإشارة في قوله ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ [الآية: 54] إلى أن حقيقة التوبة هي الخروج إلى الله بالكلية ولقد توهم بعض الناس أن توبة بني إسرائيل كانت أشق وليس كما توهموا فإن ذلك مقاساة القتل مرة واحدة وأما لأهل الخصوص من هذه الأمة فالقتل حاصل في كل لحظة ولذا قيل:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء⁽¹⁾

وقتل النفس في الحقيقة التبري عن حولها وقوتها أو شهود شيء منها ورد دعائها إليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الأمور إلى الحق بجملتها وانسلاخها من اختيارها وإرادتها وامتحاء أثر البشرية عنها فأما بقاء الرسوم والهيكل فلا خطر لها ولا عبرة بها.

(1) نسب إلى عدي بن الرعلاء الغساني. انظر: خزنة الأدب (3/446)، والأصمعيات (1/2)، ومضاهاة أمثال كليله ودمته (1/14).

ونسب إلى جرير بن حازم. انظر: الأغاني (10/308) ونسب إلى غيرهم.

وفي «تفسير السلمي» قال الواسطي: كانت توبة بني إسرائيل إفناء نفوسهم ولهذه الأمة أشد فهو إفناء نفوسهم عن مرادهم مع بقاء رسوم الهياكل انتهى وتظهيره تفضيل أكابر الإنس على الملائكة حيث أنهم يطيعون ولا يعصون مع ما فيهم من مقتضيات المخالفة وموجبات ترك الموافقة من الهواجس النفسانية والوساويس الشيطانية ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ [الآية: 55] أي: لأجل قولك ﴿حَقَّ زَرَى اللَّهِ جَهْرَةً﴾ [الآية: 55] أي: عياناً لا يستره شيء عنا وذلك حين اختيار موسى قومه سبعين رجلاً ليعتذروا إلى الله من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله وفرغ موسى من مناجاة الإله قالوا ذلك وعذرهم أقدر من وزرهم ﴿فَأَخَذْتُمْ الصُّعْقَةَ﴾ [الآية: 55] وهي نار جاءت من السماء مقرونة بالرجفة فأحرقتهم في لحظة ﴿وَأَنْتُمْ تُنْظَرُونَ﴾ [الآية: 55] أي: إليها متوجهة إليكم حتى نزلت عليكم.

22/ ب / قال الأستاذ: والتعرض لمطالعة الذات على غير نعت الهيبة إفصاح بترك الحرمة وذلك من إمارات البعد والشقوة وإسبال نعت التولي بمكاشفات العزة مقروناً بملاطفات القرية من علامات الوصلة ودلالات السعادة فلا جرم لما أطلقوا لسان الجهل بتقوية ترك الحشمة أخذتهم الرجفة والصعقة.

وقال صاحب «العرائس»: أي طلبتم رؤيتي ومطالعتي بتقليد موسى وليس لكم مقام المشاهدة فلما برز لكم ذرة من أنوار ذاتي فنسيتم فيها واحترقتم لأنكم في البداية موسى في النهاية وأيضاً أفنيتكم في سطوات جلالتي وأبقيتكم بأنوار جمالي لقوله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ [الآية: 56] أي: عدناكم أحياء ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [الآية: 56] إفناءكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 56] أي: نعمة حياتكم بعد مماتكم.

قال الأستاذ: وأعادهم إلى حال الإحساس بعدما استوفتهم سطوة العذاب إملاءً لهم بمقتضى الحكم وإجراء لسنته في الصفح عن الجرم ومن قضايا الكرم إسبال الستر على هنات الخدم.

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [الآية: 57] أي: بتسخير السحاب الرقيق لهم حين

كانوا في شمس التيه ليظللهم ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ [الآية: 57] أي: الترنجيبين⁽¹⁾ كان يقع على الأشجار وقت الأسحار ﴿وَالسَّلَوَى﴾ [الآية: 57] وهي طير السمانى وقيل: لكم بلسان القفال أو بيان الحال ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الآية: 57] أي: حلالاته ومستلذاته.

وأفاد الأستاذ: أنه لما طرحهم في متاهات الغربة لم يرض إلا بأن ظللهم ولبسة الكفايات جللهم وعن تكلف التكسب أغناهم وبجميل صنعه فيما احتاجوا إليه تولاهم فلا شعورهم كانت تطول ولا أظفارهم، كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تتسخ ولا شعاع الشمس عليهم كان ينسبط وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما يختاره له خيراً مما يختاره لنفسه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [الآية: 57] لتنزهنا عن أن يلحق نقص وعجز بنا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 57] حيث أبوا على موسى دخول القرية فصاروا سبياً لحبسهم في التيه للتأديب والتهذيب والتنبيه كما بينه سبحانه وأظهر برهانه بقوله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [الآية: 58] أي: بعد خلاصهم من تيه الحيرة وسؤال الرؤية بالجمرة ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الآية: 58] أي: بيت المقدس ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾ [الآية: 58] / أي: أكلاً واسعاً ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ [الآية: 58] أي: باب 23/أ القرية ﴿سَجَّداً﴾ [الآية: 58] أي: منحنين متواضعي غير متكبرين كالجبارين أو ساجدين لمولاكم شكراً على ما أولاكم وأخرجكم من التيه وآواكم ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [الآية: 58] أي: مسألتنا أن تحط عنا سيئاتنا ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [الآية: 58] أي: سجدكم ودعوتكم وقرأ نافع يغفر بالتذكر والشامي بالتأنيث على صيغة المفعول لهما ﴿وَسَارِيذُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 58] ثواباً على إحسانهم كما نقبل توبة المسيئين بإيمانهم.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 59] أي: غيروا ما أمروا به من السجدة والتوبة فدخلوا على هيئة الزحفة وقالوا حنطة بدل ﴿حِطَّةٌ﴾ [الآية: 58] ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية: 59] فيه إشعار بأن كلهم لم يبدلوا

(1) قرية من العسل. انظر: تاج العروس (1/7320).

﴿رَجَزًا﴾ [الآية: 59] أي: عذاباً مقدراً ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 59] أي: بسبب خروجهم عن طاعة ربهم وظلمهم على أنفسهم والمراد بالرجز الطاعون إذ هلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً.

وقال الأستاذ: لم يمكنهم أن يردوا باب السماء باحتيالهم أو يسدوا من دونهم أسباب البلاء بما ركنوا إليه من أحوالهم. ففرغوا من الندم لما عضهم ناب الألم.

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: 60] أي: لما عطشوا في التيه من يومه ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [الآية: 60] أي: حجراً من الأحجار فاللام للجنس وهو أظهر في باب المعجزة للإنس وقيل: اللام للعهد وهو حجر خفيف مربع مثل رأس الرجال أشار جبريل إلى موسى بحمله معه لإظهار هذا الحال ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ [الآية: 60] أي: فضرب فانشقت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الآية: 60] أي: على عدد الأسباط ﴿فَدَدَ عَلَيْهِ كُلُّ نَاسٍ﴾ [الآية: 60] أي: سبط ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾ [الآية: 60] أي: عينهم التي يشربون منها ونهرهم التي يجري عنها ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ [الآية: 60] أي: مما رزقكم من المن والسلوى وماء العيون والمجرى ﴿وَلَا تَعْتَوُوا﴾ [الآية: 60] أي: لا تفسدوا ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 60] أي: حال كونكم قاصدين الفساد احترازاً مما ينفقن فيه صلاحاً للعباد.

ثم مما أفاد الأستاذ: أن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قاصداً على إرواءهم بغير الماء أو على إرسال ماء من السماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه وإيصال محل الاستغاثة إليه وليكون على موسى عليه السلام أيضاً في نقل الحجر مع نفسه شغل من الموافقة ولتكليفه أن يضرب بالعصا/ مقاسات نوع من المعالجة لما أفضى من حكمه عند استسقاؤه لقومه ثم أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جاريّاً على سننه ملازماً لحده غير مزاحم لصاحبه فأفرد لكل سبط علامة يعرفون بها مشربهم فيصدقون مذهبهم فهؤلاء لا يردون مشرباً لآخرين والآخرين لا يزدون مشرباً الأولين — وحين كفاهم ما طلبوه أمرهم بالشكر وحفظ الأمر وترك الوزر فقال: ﴿وَلَا

تَعْتَرُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» [الآية: 60] والمناهل مختلفة والمشارب متفاوتة وكل يرد مشربه ويتبع مذهبه فمشرب عذب فرات ومشرب ملح أجاج ومشرب صاف زلال ومشرب رنق أو سال وسائق كل قوم يقودهم ورائد كل قوم يسوقهم فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب ترد مشارب التقوى والطاعات والأرواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات والأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف عن الكون والمرسومات ثم عن الإحساس والصفات ثم بالاستهلاك في حقيقة الوجود والذات.

وفي «تفسير السلمي» مشرب كل أحد حيث أنزله رائده فمن كان رائده نفسه فمشربه الدنيا ومن كان رائده قلبه فمشربه العقبى ومن كان رائده روحه فمشربه السلسيل المعين لأهل القربى ومن كان رائده ربه فمشربه في الحضرة مشاهدة المولى حيث قال الله ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان، الآية: 21] أي: طهره الله به عن كل ما سواه.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْشُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الآية: 61] أي: الممن الذي كانوا يأكلون بالسلوى لأنهما نوع واحد والمداومة توجب الملل والسآمة مع ما في فطرة الطبيعة المعروفة من الميل إلى الأطعمة المألوفة ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا﴾ [الآية: 61] أي سله لنا بدعائك ﴿يُخْرِجْ﴾ [الآية: 61] أي: يظهر لنا ﴿لَنَا مِمَّا تَنْتِجُ الْأَرْضُ﴾ أي: من جملة ما تنتجه بأقدار الله إياها ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ [الآية: 61] وهو كل نبات ليس له ساق ﴿وَفَقَائِهَا وَفُومِهَا﴾ [الآية: 61] أي: حنطتها أو ثومها على قلب الثاء فاء ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [الآية: 61] .

قال الواسطي: تولاهم الله بالممن والسلوى من غير كلفة لهم فتبعوا شهوات أنفسهم وما يليق بطباع أهوائهم وقيل: الناس فيه رجلان رجل أزيل عنه تدبيره فهو مستريح في ميدان الرضا راضٍ بما جرى له مما تدبر وشاء بحكم/القضاء فهو في مقام المزيد أبداً وآخر رد إلى تدبيره فلا يزال يتخبط ^{أ/24} في اختياره إلى أن يهلك في حال اضطرابه ﴿قَالَ﴾ [الآية: 61] أي: الله أو موسى ﴿أَسْبَلْتُكَ أَلَّذِي هُوَ أَذْفَ﴾ [الآية: 61] أي قرب منزلة وأدنى مرتبة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُوَ خَيْرٌ﴾ [الآية: 61] أي: في اللذة والمنفعة، وعدم الحاجة إلىكد المشقة مع ما فيه الرضا بالقناعة بما اختاره الله من وجه المعيشة.

قال الأستاذ: كان بنو إسرائيل متفرقي الهموم متشتتي القصود لم يرضوا لأنفسهم في تعيشهم بطعام واحد ولم يكتفوا في تدينهم بمعبود واحد ماجد حتى قالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وهكذا صفة أرباب التفرقة عندهم الصبر على الواحد شديد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَكِبُوا فِي الْفُرْجَانِ وَحَدِّمُوا وَلَهُمْ عَلَىٰ أَذْنَبِهِمْ تَوَارٌ﴾ [الإسراء: 46] ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: 45] ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45] وقد قال بعض العارفين أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام ﴿أَهْطُوا بِمَصْرًا﴾ [الآية: 61] أي: انزلوا من مقامكم العالي إلى أرض مصر السفلى ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [الآية: 61] أي: من المشتبهات الطبيعية والمستلذات الدنية ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ﴾ [الآية: 61] أي: ألزمت عليهم الجزية وهيئة اليهودية والشح والحرص على الأمور الدنيوية إلزاماً لا يبرح كضرب السكة على الدراهم النقدية ﴿وَالْمَسْكَنَةَ﴾ [الآية: 61] أي أثر الفاقة وعلامة الحاجة ﴿وَبَاءُوا﴾ [الآية: 61] أي: رجموا ﴿يَقْصِبُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: مصحوبين به ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 61] أي: ما ذكر من الضرب التأثسي من الغضب ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَاجِلَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: بالكتب المنزلة أو بأنواع المعجزة ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ﴾ [الآية: 61] أي: كزكريا ويحيى عليهما السلام ﴿يَغْيِرُ الْخَلْقَ﴾ [الآية: 61] أي: عندهم وفي زعمهم وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا وأتباع الهوى كما قال الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 61] أي: جرهم العصيان والاعتداء إلى الكفر وقتل الأنبياء فإن صغائر العيوب تجر إلى كبائر الذنوب كما أن قضاء صغار الطاعات تؤدي إلى أداء كبار العبادات قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُرَىٰ﴾ [الليل: 5 - 7] الآية.

قال الأستاذ: لم يرضوا بحسن اختياره لهم ولم يصبروا على قيامه بتولي

24/ ب ما كان يهمهم من كفاية مأكلهم وملبوسهم فنزلوا/ في التحير إلى ما مرت عليه عاداتهم من أكل الخسيس من الطعام والرضا بالدون من الحال والمقام

فردهم الله إلى مقاساة الهوان وربطهم بإدامة الخذلان حتى سفكوا دماء الأنبياء وهتكوا حرمة الأمر بقله الاستحياء وترك الإرعواء فعاقبهم على قبيح فعالهم وردهم إلى ما اختاروه لأنفسهم من خسائس أحوالهم وحين لم ينجع فيهم النصيحة أدركتهم النعمة والفضيحة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 62] أي: المؤمنين المخلصين أو المنافقين فإنهم ذكروا في سلك الكافرين ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [الآية: 62] هم تهودوا ودخلوا في اليهودية ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [الآية: 62] أي: الطائفة النصرانية ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [الآية: 62] أي: الخارجين من دين إلى دين من أديان الكفرة وقيل هم عبدة الملائكة وهو قول الحسن وقتادة وقيل: عبدة النجوم السبعة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ [الآية: 62] أي: من دخل في ميدان الأمان وثبت في إيوان الإيقان ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 62] أي وسائر ما يجب به العرفان ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية: 62] أي: من أنواع الإحسان ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 62] أي: مع المزيد في المثوبة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 62] أي: يوم القيامة.

وأفاد الأستاذ: أن اختلاف الطرق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول من صدق الحق سبحانه في آياته وأمن بما أخبر به من حقه وصفاته فتباين الشرع واختلاف وقوع اسم غير قادح في استحقاق الرضوان فإذا اتفقوا في العرفان فالكل لهم حسن المآب وجزيل الثواب فالمؤمن من كان في أمان الحق سبحانه ومن كان في أمانه تعالى فالحري أن لا خوف عليه ولا حزن يدور حواليه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: أردنا أخذ عهدكم باتباع نيتكم وقبول العمل بما في كتابكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ [الآية: 63] أي: الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة وطنوا أنه واقع بهم روي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيه من التكاليف الشاقة كبر عليهم حصولها وإلى قلوبهم قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم وجعل النار قدامهم والبحر وراءهم وقيل لهم ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: 63] من الكتاب أي: اعملوا بما أمرتم به

من الخطاب ﴿يُقَوِّمُ﴾ [الآية: 63] أي بجد عزيمة وقصد مواظبة في جميع الأبواب ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [الآية: 63] أي: في الكتاب من الثواب والعقاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 63] أي: لكي تتجنبوا مخالفة رب الأرباب ولا تقعوا في عقوبة الحجاب.

25/ وقال الأستاذ أخذ سبحانه ميثاق جميع المكلفين ولكن قوم/ أجابوه طوعاً لأنه تعرف إليهم فوجدوه فوحدوه وقوم أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فوجدوه.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمُ﴾ [الآية: 64] أي: أعرضتم عن الوفاء بالوعد ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 64] أي: بعد أخذ العهد ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [الآية: 64] أي: بتوفيقكم للتوبة ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية: 64] أي: المغبونين في التجارة.

وقال الأستاذ: أي رجعتم إلى العصيان بعد ما شاهدتم تلك الآيات بالعيان ولولا حكمه بامهاله وحلمه بإفضاله لعاجلكم بالعقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة ولخسرت صفقتكم بالكلية ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ [الآية: 65] أي: عرفتم ﴿الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ﴾ [الآية: 65] أي: جاوزوا ما حد لكم من ترك الصيد ﴿فِي السَّبْتِ﴾ [الآية: 65] أي: في زمن القيد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾ [الآية: 65] أي: بتكويننا إياكم ﴿قِرَدَةً خَاسِرِينَ﴾ [الآية: 65] مطرودين مبعودين.

وأفاد الأستاذ: أن مسخ هذه الأمة حصل على القلوب فكأنهما لما تركوا الأمر واستهانوا بما: ألزموا من الشرع عجلت عقوبتهم بالخسف المسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النص فهذه الأمة من نقض العهد ورفض الحد عوقبت بمسخ القلوب وتبديل الأحوال قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام، الآية: 110] كما لم يؤمنوا به أول مرة وعقوبات القلوب أنكأ من عقوبات النفوس.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ [الآية: 66] أي: المسخة ﴿تَكَلَّأً﴾ [الآية: 66] أي: عقوبة ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [الآية: 66] أي: لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها من عيوبهم أو عبرة لمن أدرك زمانهم ورأى شأنهم ولمن سمع أخبارهم وشاهد آثارهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ [الآية: 66] أي: زجراً ونصيحة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 66]

أي: منهم ومن هذه الأمة.

قال الأستاذ: وهكذا من مني أي: ابتلي بالهجران ووسم بالخذلان صارت أحواله عبرة وتعرج من لاحظ حاله حسرة وصار المسكين بعد عزة لكل خسيس سخرة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [الآية: 67] وسبب ذلك أنه وجد قتيل في بني إسرائيل ولم يدروا قاتله فسألوا موسى عليه السلام أن يدع الله ليبين لهم فاعله فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح بقرة ﴿قَالُوا أَنْتَ نَذَرْنَا هَذَا﴾ [الآية: 67] أي: مكان هزة وأهله أو مهزوءاً بنا والمعنى أتستهزئ بنا فلما نسألك عن قاتل القتل في القرية وأنت تأمرنا بقتل البقرة فهل/ تعالج القتل بالقتل 25/ب وتستدل بالمثل على المثل ولعل وجه تعللهم حب جنس العجل ﴿قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 67] أي: امتنع به ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الآية: 67] أي: من المستهزئين بالمؤمنين لأن الاستهزاء في مقام الإرشاد والاسترشاد جهل وسفه وكلام غير سداد بل يوهم أن يكون في هذا المقام كفوراً لأنه إخبار عن رب العباد فلما علموا أن ذلك عزم من الجانب الإلهي.

﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ [الآية: 68] أي: ما سنها ووصفها ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ﴾ [الآية: 68] أي: مسنة كبيرة ﴿وَلَا يَكُورُ﴾ [الآية: 68] أي: فتية صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ [الآية: 68] أي: نصف ووسط عيان ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 68] أي: بين ما ذكر من السن ﴿فَأَفْكَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [الآية: 68] وفي الحديث لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

وأفاد الأستاذ: أنه كان الواجب عليهم استقبال الأمر بالامتثال ولكنهم تعللوا ببقاء الأشكال توهماً بأن تكون لهم تفصّل بالإخلاص إلى الاعتلال عن عهدة الالتزام بالأفعال فتضاعف عليهم المشقة وحل بهم ما حذروه من الفضيحة ثم في القضية من الإشارة الخفية أن الذي يصلح لسلوك الطريقة من لا يستهويه نزق الشباب وسكره ولم يعطله عجز المشيب وضعفه بل هو صاح

استفاق من سكره وبقي له بعض نضارة من عمره.

﴿قَالُوا أَذُعْ لَنَا رَيْكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [الآية: 69] أي: شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ [الآية: 69] أي؛ تعجبهم بلطافة لونها وظرافة كونها.

وقال الأستاذ: من كان من أهل القصة وقابل الفصة تستغرق مشاهدته القلوب لما ألبس من رداء الجبروت وأقيم به من شاهد الغيوب حتى أن من لاحظته تناسى أحوال البشرية واستولى عليه شواهد الربوبية كما في الخبر «أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله»⁽¹⁾.

﴿قَالُوا أَذُعْ لَنَا رَيْكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ [الآية: 70] أي: ما حالها أسائمة أم عاملة أناقصة أم كاملة ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ [الآية: 70] أي: الموصوف بما ذكر المنعوت بما سطر ﴿تَشَبَّهَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 70] أي: أشكل إلينا ﴿وَلِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [الآية: 70] إلى وصفها المراد بذبحها وفي الحديث الثابت السند لو لم يستثنوا 26/أ لما بينت لهم آخر/ الآية قال:

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ﴾ [الآية: 71] أي: غير مذللة ﴿ثِيْرُ الْأَرْضِ﴾ [الآية: 71] أي: تقلبها للزراعة ﴿وَلَا تَسْقَى الْخَرْثَ﴾ [الآية: 71] أي: الأرض المهيئة للزراع بالسقاية ولا مزيدة مؤكدة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ [الآية: 71] أي: من العيوب وآثار المحنة مكملة بأوصاف النعمة ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ [الآية: 71] لا لون فيها يخالف لون جلدها.

قال السلمي: معناه لا يصلح لكرامتي وظهور ولايتي من ذلك نفسه بالسكون إلى شيء من الأكوان ويسعى في طلب الحوادث ساعة من الأزمان مسلمة من فنون عوارض المخالفة لا أثر عليه إلا بوجه الموافقة فهو العالم بي والعامل لي أظهرت عليه آيات قدرتي وجعلته من شواهد عزتي فمن شاهده

(1) لم يرد بهذا اللفظ وإنما بلفظ مختلف «ألا أخبركم بخياركم؟ فقالوا بلى فقال: الذين إذا رؤوا ذكر الله...». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/494) رقم (11108)، وإسحاق بن راهويه في المسند (5/180) رقم (2306).

استغرق في مشاهدته لأنه قد ألبس رداء العز في مراقبته.

وقال الأستاذ: كما أن تلك البقرة في العمل لم تذلل وفي المكاسب لم تبذل كذا أهل ولايته للأغيار لم يتذللوا وفي تحصيل الأسباب لم يتعللوا ولم يركنوا بقلوبهم إلى الأشكال والأمثال ولم يتكلوا على الاختيار والاحتيايل وليسوا نهياً لمطالبات المني ولا صيداً في مقلب الدنيا لا حكم للشهوات يغلبهم ولا سلطان للبشرية يملكهم لم يسعوا قط في تحصيل مرادهم ولم يشقوا أبداً لدرك مقصودهم ليس عليهم رقم الأغيار ولا سمة الأكدار فهم قائمون بالله فانون عن ما سواه واقفون مع الله الله مصرفهم الله والغالب على قلوبهم الله وكما أن معبودهم الله فكذلك مقصودهم الله ومشهودهم الله وموجودهم الله بل هم محوا بالله والخلف عنهم الله ﴿فَقَالُوا أَلَمَن يَبْلُغُ﴾ [الآية: 71] أي: بحقيقة وصف البقرة الذي يتميز به من أجناسها فطلبوها فوجدوها ﴿فَدَبَّحُوا وَكَاذِبُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 71] أي: لكثرة مراجعتهم في وصفها أو لخوف فضيحة قاتلها أو لغلاء ثمنها وقد صح عن عكرمة أن شيخنا صالحاً منهم كان له عجلة فأتى بها غيضة⁽¹⁾ فقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر فشرب وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير.

قال الأستاذ: طلبوا الحيل ما أمكنهم من العلات فلما ضاقت بهم الحيل والمعالجات/ استسلموا للحكم في النهايات فتخلصوا من شديد المطالبات لو 26/ب أنهم فعلوا ما أمروا به في البدايات لما تضاعفت عليهم المشقات.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [الآية: 72] نسب القتل إليهم لوجود العمل فيهم ﴿فَأَدْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 72] أصله تدارأتم أي: تدافعتم وتخاصمتم في شأن قاتلها وبيان فاعلها ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 72] أي: مظهر ما يخفون ومن هذا القبيل أمر ثم قيل هذا أول القضية ولكنه مؤخر في القصة والأظهر أن الله أمرهم أولاً بذبح البقرة حيث لم يعلموا سره ثم وقع القتل منهم خفية فأظهر

(1) هي معنى الأيكة. والغیضة التي تنبت الشجر، والمراد بها غیضة بقرب مدين.

سبحانه ما أخفاه من الحكمة.

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ﴾ [الآية: 73] أي القتل ﴿بِقَضَائِهِ﴾ [الآية: 73] أي: ببعض البقرة أي: بعض كان من أعضائها وقيل: بلسانها والإبهام أعظم في تفخيم شأنها فضربوه به فحيي بإذن ربه وأخبر بأمر قاتله ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 73] أي: كما أحيى هذا الفرد من القتل ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَرُبُّكُمْ﴾ [الآية: 73] أي: دلالة على قدرته وسائر صفاته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 73] أي: لكي تتصوروا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس المتعددة كقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان، الآية: 28].

قال الأستاذ: ومن أراد حياة قلبه بأنواع المشاهدات لم يصل إليه إلا بذبح نفسه بالمجاهدات.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية: 74] أي: اشتدت وصلبت ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 74] أي: من بعد ما ذكر من الآيات البينات والمعجزات الواضحات الواجبة للين قلوب أرباب الحياة ﴿فَهِىَ﴾ [الآية: 74] أي: قلوبكم ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ [الآية: 74] أي: في القسوة وقلة المنفعة ﴿أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ [الآية: 74] أي: بل كأشد قساوة منها وصلابة فهي كالحديد الشديد لما ذكره سبحانه من البيان الشديد بقوله ﴿وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارِ لَمَا يَنْفَجِّرُ﴾ [الآية: 74] أي: ينفتح ويجري ﴿مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 74] أي: في الليل والنهار كدموع عيون الأبرار ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ﴾ [الآية: 74] أي: يتشق عيوناً ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ [الآية: 74] عياناً لكن أحياناً ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ [الآية: 74] أي: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: من أجل خوف مخالفته فيما أراده وقضاه وهو تعليل للأفعال الثلاثة على طريق المنازعة وأما ما قيل في أن الخشية مجاز عن الانقياد فقول مخالف للحقيقة بل لظواهر الشريعة والطريقة وقع فيه المتابعة لحكماء الفلاسفة فقد قال الإمام العالم محيي السنة في معالم مذهب أهل السنة أن الله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات فلها صلاة وتسييح وخشية فيجب على المرء الإيمان به وأن يكل علمه إلى الله سبحانه في حقيقة أمره.

وقال الأستاذ: بين أنهم وإن شاهدوا عظيم الآيات وطالعوا واضح
البيانات فحين لم يساعدهم بالعناية ولم يخلق لهم الهداية لم يزددهم كثرة 27/أ
الآيات إلا قسوة على قسوة ولم يبرز لهم من مكامن التقدير إلا شقوة على
شقوة وشبه قلوبهم بالحجارة لأنها لا تنبت ولا تنمى فكذلك قلوبهم لا تنهم
ولا تعي ثم بين أنها دون الحجارة فإن منها ما يظهر منه أسرار العناية ومنها
ما يتبين منه آثار الخشية وأما قلوبهم فخالية من أنوار الهداية وكيف لا وقد
تسببت بإعراض الحق عنها وخصت بانتزاع الخيرات منها ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 74] بالخطاب وقرأ المكي بالغيبة أي: لا عن أعمالكم ولا عن
أعمالهم سواء فيه السر والعلانية.

﴿أَفَنظَمُونَ﴾ [الآية: 75] أي: أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [الآية: 75] يعني
اليهود والمعنى أترجون أي يصدقوكم في قصتكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم ﴿وَقَدْ
كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 75] أي: والحال أن طائفة من أسلافهم وكبرائهم
وعلمائهم كانوا ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الآية: 75] يعني التورية ثم ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهَا﴾
[الآية: 75] أي يغيرونه عن وجهه من جهة المبنى أو من طريق المعنى ومنه نعت
المصطفى وآية الرجم في الزنا ﴿مِنْ بَدِّ مَا عَقَلُوهُ﴾ [الآية: 75] أي: فهموه وفيه
إشعار بأنهم فعلوا ذلك عن تعمد وعدوان لا عن خطأ ونسيان ﴿وَهُمْ يَقْمُقُونَ﴾
[الآية: 75] أن ذلك مكسب للأوزار الموجبة للقرار في دار البوار وقيل هؤلاء من
السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى على وجه الظهور حين كلم الله سبحانه
موسى عليه السلام بالطور فقالوا: سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا
هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم لا تفعلوا انتهى وفيه على تقدير صحته إشارة إلى
عدم استطاعتهم لفعل هذه الأشياء وهي قابليتهم لفهم هذا الإنباء فإنه مقام الأنبياء
والأصفياء وتنبه نبيه على أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا
تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30] ولما أطبق عليه السلف وعلى الخلف إن
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكان هذا القليل مختار الأستاذ حيث أفاد في
مقام الإشارة إلى الإرشاد بقوله: آيسهم عن إيمانهم وذكر أنهم بعد سماع الخطاب
من الله سبحانه إذا حرفوا وبدلوا فكيف يؤمنون لكم وإنما يستمعون بواسطة

الرسالة ومن لم يبق على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم ومن لم يحتشم من الله فكيف يحتشم منكم.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ [الآية: 76] أي منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 76] في مقام 27/ ب الشهود ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية: 76] أي صدقنا بمحمد ﷺ وهو نبي صادق/ وحكمه لكتابنا موافق ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ [الآية: 76] أي رجع ﴿بَعْضُهُمْ﴾ [الآية: 76] وهم المنافقون ﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 76] وهم شياطينهم ورؤسائهم الذين على الكفر مصرون ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 76] أي: مليمين للمنافقين ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ [الآية: 76] أي أتخبرون المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 76] أي: بما بين لكم من نعت محمد في كتابكم ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾ [الآية: 76] أي: ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم إليكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 76] أي: في حكمه كقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: 13] ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 76] أي: أفلا تستعملون عقولكم ولا تتصورون حصولكم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ﴾ [الآية: 77] من التلبيس والتكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية: 77] من التصديق والتهديب.

قال الأستاذ: وتواصوا فيما بينهم بإنكار الحق وإخفاء الحال على المؤمنين الأبرار ولم يعلموا أن الله يطلع ورسوله ﷺ على الأسرار وأن نوراً أظهره الغيب لا ينطفئ بمزاولة الأغيار وأن موافقة اللسان مع موافقة العقيدة لا تزيد إلا زيادة الفرق.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: هذا حال علمائهم وقصة كبرائهم ومنهم ﴿أُمِّيُونَ﴾ [الآية: 78] جهلة سفهاء ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 78] أي: لا يعرفون التوراة ﴿إِلَّا ءَامَانٍ﴾ [الآية: 78] أي: أمنية وهي ما يقدر في النفس من التمنية والاستثناء منقطع والمعنى لكن يعتقدون مواعيد فارغة سمعوا من علماءهم تقليداً أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً وأن النار لم تمسهم إلا أياماً معدودة وقيل الاستثناء متصل والأمنية بمعنى القراءة أي: لا قراءة عارية عن قاعدة المبنى وفائدة المعنى ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الآية: 78] أي: وما هم إلا قوم يظنون ولا يتيقنون.

﴿فَوَيْلٌ﴾ [الآية: 79] أي: فشدّة عذاب عظيم وغلظة حجاب جسيم ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُنُوبَ﴾ [الآية: 79] أي: المحرف ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 79] أي: من قبل أنفسهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 79] أي: كي يحصلوا به عرضاً حقيراً وعوضاً يسيراً من أعراض الدنيا ويفوتوا كثيراً مما أعد للمؤمنين من نعيم الغنى ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَنَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 79] أي: من المفترى ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 79] أي: من الرشى.

قال الأستاذ: أي خسروا في الحال والمآل أي: لتعلقهم بالجاه والمال.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ [الآية: 80] أي: لن يصيبنا إصابة هينة ﴿إِلَّا أَلْفَاكًا مَعْدُودَةً﴾ [الآية: 80] أي: قليلة محصورة/ يعنون قدر زمان عبادة العجل وهو 28/أ أربعون يوماً ﴿قُلْ أَخَذْتُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ [الآية: 80] أي: خبراً ووعداً ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ [الآية: 80] إذ من المحال الخلف في خبره ﴿أَمْ نَقُولُونَ﴾ [الآية: 80] أي: بل أتقولون ﴿عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 80] والاستفهام للتقرير والتفريع.

﴿بَلَى﴾ [الآية: 81] إثبات لما نفوه من مساس النار لهم مؤبداً والمعنى بلى أعذبهم عذاباً سرمداً إذ دخلوا تحت حكمنا الذي لم يتغير أبداً ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [الآية: 81] أي: قبيحة في الغاية وهي الشرك والكفر ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [الآية: 81] بالتوحيد عن غير نافع أي واستولت عليه خطيئته الناشئة من كفره بحيث ما خرج من حيلة خطيئته وما ظهر له توبة عن معصيته وانسدت عليه طريقة نجاته ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية: 81] أي: ملازموا عذابها في العقبى كملازمتهم لأسبابها في الدنيا ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 81] أي: دائمون لا يفنون فيها ولا يخرجون عنها.

وفي «تفسير السلمي»: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [الآية: 81] برؤية أفعاله ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [الآية: 81] بظن أنه ينجى بأحواله فهم المبعدون عني وعن ما يقربهم عندي.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية: 82] أي: الأعمال المقبولة الصالحة

أن يكون المعروضة المنقولة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 82].

قال الأستاذ: في الحال جنان الوصل وفي المال جنان الفضل لا يمسهم في الآخرة نصب لإيصال المعاد ولا يلحقهم اليوم بقلوبهم تعب لشهود تصارييف الأقدار ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية: 83]، بالخطاب لغير المكي وحمزة والكسائي وهو نفي في معنى النهي بل هو أبلغ لما فيه من الإيماء إلى أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه بالامتنال في الابتداء ﴿وَالْأُولَئِينَ إِحْسَانًا﴾ [الآية: 83] أي: وتحسنون أي: احسنوا بهما إحساناً كثيراً.

قال الأستاذ: إنما رذك إلي مراعاة حق مثلك أو إظهار أن من لا يصلح لصحة شخص مثله كيف يكون بحق معبود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وإذا كانت التربية المضمنة بحفظ الوالدين لوجب عظيم هذا الحق فما تظن بحق تربية 28/ ب سيدك لك كيف تؤدي شكره في نعمك ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [الآية: 83] أي: وكذا أحسنوا بهؤلاء وأمثالهم من الفقراء والضعفاء كالأسرى.

وأفاد الأستاذ: أنه نعم رحمته في التعلق بكل أحد ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية: 83] بضم وسكون أي: قول ذا حسن وفي قراءة حمزة والكسائي بفتحيتين أي: قولاً مستحسناً والمراد به النصيحة والموعظة وبحسن العشرة في الخلطة وسائر ما يتعلق بحقوق الخليفة.

قال الأستاذ: يعني من يكون من شهود الحق في راحة قلبه يكون الخلق في راحة من لسانه وحقيقة العبودية الصديق مع الحق والرفق مع الخلق ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 83] يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم.

وقال الأستاذ: العبادة وهي التعبد بهذه الخصال حاصل أيضاً لنا في شرعنا فأولها التوحيد وهو أفراد الحق بالعبادة ومن لاحظ خلقاً أو استحلّى من الأغيار ثناء أو استجلب بطاعته إلى نفسه نصيباً أو داخله بوجه من الوجوه

مزج أو شوب فهو ساقط عن رتبة الإخلاص في العبادة وكذا من رأى نجاته بفعله فساقط عن در المعرفة ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية: 83] الخطاب مع الموجودين والسابقين منهم على طريق التغليب أي: أعرضتم عن عهدكم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 83] أي: بالإقبال على الإسلام ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 83] أي: قوم عادتكم الإعراض وتعلقكم بالأعراض ومن أعرض عنا أعرضنا عنه وأوقفناه في العناء.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: في التوراة ﴿لَا سَفَكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: لا يقتل بعضكم بعضاً من غير ثأركم ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾ [الآية: 84] أي: لا يخرج أحد منكم صاحبه من دياره ويستقر في منزله ومزاره أولاً تتركبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من أوطانكم أو لا تفعلوا ما يصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه قتل النفس في الحقيقة ولا تكتسبوا ما تدفعون به عن الجنة التي هي داركم فإن الجلاء الحقيقي عند أرباب الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أن من سعى في استجلاب حظه ففي الدنيا سعى في استكباب دمه وفي العقبي إلى استيجاب عظيم ألمه قال بعضهم:

إلى حتفي مشئى قدمي أرى قدمي أراق دمي⁽¹⁾

/ وإن المجرمين اقتصوا بأيديهم حتفهم في مالهم وآثروا باختيارهم ما فيه 29/أ
غاية هلاكهم واستئصالهم قال بعضهم:

بعين نفسي أصبت نفسي فالله بيني وبين عيني

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ [الآية: 84] بعهدہ واعترفتم بلزوم وعده ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 84] بذلك على أنفسكم أو على أسلافكم.

قال الأستاذ: يعني بسوء فعلكم أقررتم وعلى ما علمتم أن فيه هلاككم أصررتم فلا بما أبصرتم اعترفتم ولا بما اعترفتم انصرفتم ولا بما تعاطيتم

(1) نسب إلى أبي الفتح البستي. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 151).

باليتم ولا خربتكم إلا بيوئكم ولا أضرتكم إلا أنفسكم.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 85] أي: أيها الناقضون للعهد الناقضون في الوعد ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الآية: 85] أي: من غير أن يكون فساد في آثارهم.

قال الأستاذ: وكذلك بالتعاون على الإعراض عن الله والتساعد في المقام في أوطان الغفلة هلك بعضكم بعضاً فأفادت أحوالكم غير لازمة وقاصرة عليكم بل هي متعدية عنكم إلى أضرابكم وقرنائكم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 85] بالتخفيف للكوفيين أي تتفاوتون على أهل ملئتكم وأضراب جلدتكم ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [الآية: 85] أي: بالمعصية والتعدي في المظلمة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن نصرتكم لإخوانكم على ما فيه بلاؤهم نصرة عليهم بما فيه شقاؤهم الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا اتقياءهم ﴿وَإِن يَأْتُواكُمُ اسْتَرَى﴾ [الآية: 85] أي حال كونهم مأسورين محصورين وللفداء طالبين مضرورين وفي قراءة حمزة أسرى ﴿تُقَدُّوهُمْ﴾ [الآية: 85] أي: تعطوهم الفداء وتخلصوهم من البلاء وفي قراءة نافع وعاصم والكسائي تفادوهم بصيغة المفاعلة للمبالغة في المعالجة أو أريد بالمفاعلة هنا المبادلة ﴿وَهُوَ﴾ [الآية: 85] أي: الشأن ﴿مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [الآية: 85] متعلق بتخرجون وما بينها اعتراض ﴿أَفْتَوْمُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 85] وهو أمر الفداء بالتناصر ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 85] وهو النهي عن القتل والإخراج والتظاهر وذلك أن بني قريظة من اليهود كانوا حلفاء الأوس من الأنصار وبنو النضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها ب/29 من الأوطان وإذا أسر أحد من الفريقين/ جمعوا كلهم له المال حتى يفدوه ويخلصوه من الوبال وقيل: معناه أن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والموعظة مع تضييعكم أنفسكم وإهلاكها بالغفلة.

وقال أبو عثمان: ﴿وَإِن يَأْتُواكُمُ﴾ غرقى في العيوب تدلوهم على طريق التوبة من الذنوب.

قال الواسطي: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾ غرقى في رؤية أفعالهم تنفذوهم من ذلك برؤية المنن في أحوالهم.

وقال الأستاذ: أي كما تراعون بالفداء عنهم حقوقهم فكذلك يفرض عليكم كف أيديكم عنهم وترك إزعاجهم عن أوطانهم فإذا قمتم ببعض ما كتب عليكم فما الذي يقعدكم عن الباقي حتى تقوموا به كما أمرتم أما علمتم أن من فرق بين ما أمر به فأمن ببعض وكفر ببعض فقد حبط بما ضيعه أجر ما عمله، ثم الأسراء أصناف فمن أسير غرق في بحر الهوى فإنقاذه بأن تدله على طريق الهدى ومن أسير بقي في أيدي وساوس الشياطين ففداؤه أن ترشده إلى اليقين بلوائح البراهين لتنقذه من الشك والتخمين ومن أسير تجده في أسر هو حبسه استأسرته غاية نفسه ففك أسره بأن تدله على شهود المنة بتبرئه عن حسابان كل حول وقوة ومن أسير تجده ربيط زلاته بأنواعه ففك أسره إرشاده إلى إقلاعه وإنجاده إلى ارتداعه ومن أسير تجده في قبضة الحق فتخبره أنه ليس لأسراؤه فداءً ولا لقتلاه قود ولا لربيطه خلاص ولا عنه يد ولا إليه سبيل ولا من دونه حيلة ولا مع سواه راحة ولا لحكمه رد ولا لأمره حد ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ [الآية: 85] أي: فضيحة ومذلة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 85] أي: إلى أصعب أنواع العقوبة.

قال الأستاذ: أي ظنوا في الدنيا أن ما فعلوه نفعهم فانكشف بهم في العقبي أن جميع ما فعلوه مما مزجوه بالآفات وجردوه عن الصدق والإخلاص غير مقبول منهم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 85] بالغيبة لنافع والمكي وشعبة أي: لا عن أعمالكم ولا عن أعمالهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 86] أي: اختاروا المنزلة الفانية على المرتبة الباقية ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْكَذَابُ﴾ [الآية: 86] أي: ولا يرفع/ 30 أ عنهم الحجاب ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ [الآية: 86] أي: ولا يمنعون عن العقاب فإنه بذلك سبق الكتاب.

وأفاد الأستاذ: أن الذي آثروا عليه شيئاً خسروا في الدنيا والأخرى كما قالوا:

أناس أعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى
فإذا كانوا قد استغنوا فإننا عنهم أغنى⁽¹⁾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الآية: 87] أي: من بعدما أهلكنا القرون الأولى
﴿وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [الآية: 87] أي أرسلنا على إثره وقفاه الأنبياء كداود
وسليمان وزكريا ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 87] الإنجيل المشتمل
على الآيات والمعجزات الواضحات كأحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص
والأخبار بالمغيبات ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ [الآية: 87] أي فوقيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [الآية: 87]
بضميتين لغير المكي أي بالروح المقدسة وهو جبريل المسمى بالروح الأمين فإنه
كان قرينه يسير معه حيث سار كما ورد في صحيح الأخبار.

وقال الأستاذ: أي وصلنا لهم الخطاب وفصلنا لهم الكتاب وأردفنا
رسولاً بعد رسول لرفع العقاب والجميع دعوا إلى واحد وهو الإقبال على
المولى ولكنهم أصغوا إلى دعاء الداعين بسمع الهوى فما استلذته النفوس
قبلوه وما استثقلته أهواؤهم هجروه فالويل لهم في الدنيا ثم الويل لهم في
العقبى وهذا معنى قوله تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ [الآية: 87] أي: أكفرتم بالنعمة
فكلما جاءكم ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا يَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ [الآية: 87] أي: بما لا تحبه ولا تعجبه
من الكلفة ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الآية: 87] أي: تعظمتن عن الخدمة واخترتم الغيبة عن
الحضرة بل زدتن في الجرأة وعظمتن الحرمة ﴿فَفَرِّقَا﴾ [الآية: 87] أي: من
الأنبياء كموسى وعيسى ﴿كَذَّبْتُمْ وَفَرِّقَا نَقْتُلُوكَ﴾ [الآية: 87] كزكريا ويحيى
واختيار صيغة المضارعة لحكاية الحال الماضية.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [الآية: 88] أي: جمع أغلف وهو ما في غلاف أي:
مغشاة بأكنة خلقية وأغطية فطرية لا يصل إليها ما جئت به من النقول ولا تعي ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/85) و(3/28).

ونسب إلى كشاجم. انظر: دواوين الشعر العربي على مر العصور (68/91).

تذكر وتقول ﴿بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 88] رد لما قالوا وتكذيب لما ادعوا والمعنى أنها خلقت قابلة لقبول الحق وصالحة لسماع الصدق ولكن أبعدهم الله من رحمته وطردهم عن حضرته ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 88] ما مزيدة كفيده للمبالغة في القلة فإيماناً قليلاً يؤمنون وهو إيمانهم ببعض القضية أو المراد بالقلة عدم بالكلية/ أي: لا يؤمنون أصلاً لا كثيراً ولا قليلاً وقيل: معنى الآية نحن 30/ب مستغنون بما في قلوبنا من العلم فإنها أوعية وأعية للحكم.

وكان الأستاذ اعتمد عليه وأشار إليه بقوله لو سلم شيء بمجرد الدعاوي لهان وجود المعاني لكن عند مطالبات التحقيق بالمعرفة تفتت أنياب الملبسين عن أسنان فاغرة بل متناثرة.

إذ اشتبكت دموع في حدود تبين من بكى ممن تباكى⁽¹⁾

انتهى ومن هذا المعنى ما أيسر الدعوة وما أعسر المعنى.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية: 89] يعني القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 89] أي: موافق لما في كتبهم ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 89] أي: قبل نزوله ﴿يَسْتَنْصِحُونَ﴾ [الآية: 89] أي: يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 89] أي: على المشركين بقولهم اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ [الآية: 89] أي الذي عرفوه من الحق ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ [الآية: 89] حسداً على النعمة وخوفاً على الرياسة وجواب لما الثانية دل على جواب لما الأولى ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفْرِ﴾ [الآية: 89] أي: منهم ومن غيرهم.

قال الأستاذ: الإشارة فيه لمن عزم على الصفاء ووعد من نفسه تحقيق الوفاء ونشر أعلام النشاط عند البروز إلى القتال وإذا تنادوا بالنزال وصدق القتال انهزم عند التفاف الصفوف وانخزل عن الجملة خشية هجوم المحذور قال تعالى: ﴿إِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: 21].

﴿يَسْكَمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 90] أي: ما باعوا به حظ أنفسهم

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 362)، وخزانة الأدب وغاية الأرب (207/1).

من الإيمان ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 90] أي: كفرهم بالقرآن ﴿بَغْيًا﴾ [الآية: 90] حسداً ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 90] والتخفيف لابن كثير وأبي عمرو أي: على إنزاله الوحي ﴿مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾ [الآية: 90] أي رجعوا ﴿بِعُضْبٍ﴾ [الآية: 90] أي: لكفرهم بالحق ﴿عَلَى عَصَبٍ﴾ [الآية: 90] لحسداهم على أفضل الخلق ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ [الآية: 90] أي: يراد به إهانتهم لكفرانهم بخلاف عذاب الفاجرين فإنه طهرة لعصيانهم.

وقال الأستاذ: أنزلهم التحاسد عن مقر العز إلى حضيض الخزي وسامهم ذل الصغار حين لم يرضوا بمقتضى الحكم فأضافوا استيجاب مقت أنف إلى استحقاق مقت سالف.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 91] أي: بجميع ما أنزله من القرآن وغيره/ ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 91] أي: بما خص إنزاله إلينا ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [الآية: 91] أي: بما عداه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 91] أي: وما وراءه أيضاً الثابت الصدق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 91] حال مؤكدة أي: مطابقاً لما معهم من الحق على وفق الصدق وفيه تنبيه على بطلان مقالهم وكفران حالهم فإنهم لما كفروا بما وافق كتابهم كفروا بما طابق خطابهم مع أن دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم مردود إليهم بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنِّيَأْتِيَنَّكَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 91] أي: بما أنزل عليكم أي: فإنه لم يسوغ قتل الأنبياء لديكم ثم إنما نسب قبائح الآباء إلى الأبناء فإنهم راضون به عازمون على مثله ولقد أعدل عن الماضي إلى الاستقبال والله أعلم بالحال.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة إلى أنه إذا قيل لهم حققوا ما أظهرتم من حكم الوفاق بتحقيق الحال وإقامة البرهان سمحت نفوسهم ببعض ما التمس منهم مما يوافق أهواءهم ثم يكفرون بما وراء حظوظهم إما أنهم بعداء عن زمرة الخواص غير معدودين في جملة الاختصاص.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 92] يعني اليد والعصا وسائر المعجزات الواضحات ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ [الآية: 92] أي معبوداً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾

[الآية: 92] أي: بعد مجيء موسى أو ذهابه إلى ميقات المولى ﴿وَأَنْتُمْ قَالِمُونَ﴾ [الآية: 92] أي: قوم عادتكم وضع الشيء في غير موضعه وفيه تنبيه على الإخلاف على طريق الأسلاف.

قال الأستاذ: أي دعاكم إلى التوحيد وإفراد المعبود عن كل محدود على نعت التفريد ولكنكم لم تجنحوا إلا إلى عبادة ما يليق بكم من عجل اتخذتموه وصنم تمنيتموه فرفع ذلك من بين أيديهم لكن بقي آثاره في قلوبهم وقلوب أعقابهم ولذا يقول أكثر اليهود بال تشبيه .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [الآية: 93] أي: قائلين ﴿حُدُوا مَا بَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 93] أي: بجد وعزيمة ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ [الآية: 93] أي: سماع قبول وطاعة ﴿فَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ [الآية: 93] أي: قولك لكن بلسانهم ﴿وَعَصَيْنَا﴾ [الآية: 93] أي: أمرك لكن بجانهم أو قيل صدر هذا القول منهم بعد رفع الطور عنهم وقيل: لما سمعوه وتلقوه بالمعصية نسب إليهم القول على التوسعة ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [الآية: 93] أي: سقوا حبه حتى خلص ذلك من قلوبهم إلى قلوبهم وخلط من ظواهرهم إلى بواطنهم وعبر عن حب العجل بالشرب لأن الماء/ أكثر نفوذاً ووصولاً إلى القلب وقد روي عن علي 31/ب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام عمد إلى الفحل فوضع المبارد فبرده بها وهو على شاطئ نهر فما شرب أحد من الماء من عابد العجل إلا اصفر وجهه كالذهب ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 93] أي: بسبب كفرهم وجهلهم بمعرفة ربهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو مشبهة أو حلولية أو اتحادية فأعجبهم جسم العجل وحسنه المصنوع من ذهبهم فذهب بعقولهم وتمكن حبه في قلوبهم ﴿قُلْ يَسْكَا يَا مَرْكُكُمْ بِهِ إِمَانُكُمْ﴾ [الآية: 93] أي: بالتورية على زعمكم والمخصوص بالذم مقدر أي: هذا الأمر المقرر عندكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 93] أي: مدعين للإيمان والتصديق أو تقديره إن كنتم مؤمنين بها ما أمركم إيمانكم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها وحاصله أنه لو كنتم مؤمنين بالله لما عبدتم شيئاً مما سواه وهذا بالنسبة إلى أسلافهم وأما بالإضافة إلى أخلاقهم فالمعنى لو كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ما كذبتكم بمحمد فيما أرسل إليكم.

قال الأستاذ: كرر الإخبار عن غلوهم في حب العجل وتبؤهم عن قبول الحق والجاته إياهم بما أظلم عليهم من الجبل وتعريفهم معاجلتهم بالعقوبة على ما يسيئون من العمل فلا النصح نجع فيهم ولا العقوبة أقلتهم عن معاصيهم ولا بالذم لهم اقتلعوا ولا بموجب الأمر عملوا.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 94] أي نعمها الفاخرة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 94] أي: في علمه ووفق حكمه ﴿عَالِصَةً﴾ [الآية: 94] أي خاصة بكم لقولكم لمن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ﴿مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾ [الآية: 94] أي: من غير سائر المسلمين ﴿فَتَمَنَّوْاْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 94] في دعوكم باختصاص اليقين فإن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص من دار الكدورة بالوصول إليها لا سيما إذا علم أنها سالمة لا يشاركه فيها غيره ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [الآية: 95] أي: لعلمهم بكذبهم ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 95] أي: من أعمالهم الموجبة للنار في دار البوار والإضافة إلى اليد لأنها آلة لعامة الصنائع وأكثر المنافع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 95] فيه تهديد ووعد أكيد وهذه الجملة من أفراد المعجزة وقد ثبت عنه ﷺ لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات⁽¹⁾ من مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [الآية: 96] أي: ولتعلمهم بسوء عاقبتهم ﴿أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [الآية: 96] أي: ولو قليلة من هذه الحياة الفانية لتعلقهم بالشهوات 32 أ النفسانية أو على/ حياة طويلة لعلمهم بما لهم إلى العقوبة الباقية ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الآية: 96] ، عطف على الناس بحسب المعنى والتقدير أحرص من الناس الباقين ومن المشركين الحريصين على الحياة العاجلة لعدم إيمانهم بالحياة الآجلة ففيه من التوبيخ والتقريع غاية المبالغة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية: 96] استئناف بيان وضمير أحدهم راجع إلى أحدهما وقيل التقدير ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الآية: 96] جمع ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية: 96] حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت في عبادتهم وإلا ظهر ما ذهب إليه بعضهم من

(1) تخريج الأحاديث والآثار (1/ 75) رقم (54) قال فيه غريب بهذا اللفظ. وقد ورد بلفظ مختلف.

أن لو هذه مصدرية بمعنى أن إلا أنها لا تنصب ﴿وَمَا هُوَ﴾ [الآية: 96] أي: ما أحدهم ﴿يُزَكَّرُ بِهِ﴾ [الآية: 96] أي: بمبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 96] أي: عذاب ربه وحجاب قلبه ﴿أَنْ يُصَرَّ﴾ [الآية: 96] أي: تعميره وعن العقوبة تأخيره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 96] أي: عليم بأعمالهم فيجازيهم على وفق أحوالهم وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7] أيكم أكثر للموت ذكراً وللقيامة فكراً.

وقال الواسطي: جعل الموت نقطة للعالم فمن هابه حجه عن الميت ومتى يكون في قلبك هية المميت أحببت طوارق الموت.

وأفاد الأستاذ: أن حب الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن المولى فأشدهم منه غفلة أحبهم للبقاء في الدنيا وحال المؤمن من هذا على الضد وأما أهل الغفلة وأصحاب التهلكة فإنما حرصهم على حياتهم لعلمهم بما قصروا فيه من طاعاتهم والعبد الأبق لا يريد رجوعه إلى سيده والانقلاب إلى من هو خير مرجو خير للمؤمنين من البقاء مع من شره غير مأمون ثم إن امتداد العمر مع يقين الموت كان قد فاجأه الأمر وانقطع العمر وكل ما هو آتٍ فقريب وإذا انقضت المدة فلا مرد لهجوم الأجل على أكتاف الأمل.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [الآية: 97] بكسر الجيم وفتحها مع كسر الراء وفتحها مع همزة بعده ياء وحذفها أربع قراءات متواترات وسبب نزول الآية أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن من ينزل عليه فقال هو جبريل قالوا ذاك عدونا عادنا مراراً وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرجه بخت نصر فبعثنا/ من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا 32/ ب يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونوه وجواب الشرط محذوف والتقدير فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُ﴾ [الآية: 97] أي جبريل ﴿رَزَّلَهُ﴾ [الآية: 97] أي: القرآن ولفخامة شأنه لا يحتاج إلى سبق بيانه ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الآية: 97] فاته المحل القابل للوحي أولاً ومحل الفهم والحفظ ثانياً ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 97] أي: بأمره وتيسيره حال من فاعل نزله ﴿مُصَدِّقًا﴾ [الآية: 97] أي: موافقاً ﴿لِمَا بَيَّنَّا يَدُودَ﴾ [الآية: 97] أي:

لما قبله من الكتب والشرائع أو لما بعده من الوقائع ﴿وَهَدَىٰ وَيُذَرِّىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 97] أحوال من مفعول نزله وفيه أي إلى رد ما روي عنهم من أن جبريل صاحب الحرب والشدة وأن ميكائيل صاحب الخصب والسلامة فلو أن ميكائيل أتاك لآمنا بك واتبعناك فكأنه قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلْنَاهُ﴾ [النمل: الآية: 102] بهما على الكافرين وبالهداية والبشارة للمؤمنين.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 98] أي: بمخالفته عناداً ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 98] أي: وأنبيائه المرسلين وقدم الملائكة عليهم لأنهم وسائط فيما بين الله وبينهم ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [الآية: 98] خصاً لما ذكر وهو بهمز مكسور فياء ساكنة وحذفها وبإسقاطهما ثلاث قراءات معتبرات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 98] والمعنى أن من كان عدواً لهم فإن الله عدو له ووضع الظاهر موضع المضمرة للإعلام بأن عداوتهم كفر وجمع لإفادة العموم الشامل لهم ولغيرهم من أنواع الكفرة وتعريض لهم بقبول التوبة وفيه إيحاء إلى أن من عادى أحدهم كمن عادى جميعهم وقيل: الواو بمعنى أو وأريد بها تنوعهم وفيه إشعار بأنه تعالى تولى بذلك عداوة من عاداهم وكفى رسله وملائكته أمر من ناوهم.

وقال الأستاذ: زعمت اليهود أن جبريل لا يأتي بالخير وأنهم لا يحبونه ولو كان ميكائيل مكانه لآمنوا به وعظموا شأنه فأكذبهم الحق سبحانه بقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [الآية: 97] لأنه لا يأتي بالخير فأى خير أعظم من نزوله بالقرآن ثم قال: إن من عادى جبريل وميكائيل إشارة إلى أن رسول الحبيب إلى الحبيب لعزیز المورد كريم المنزلة عظيم المرتبة وما ضر جبريل عداوة غيره أ/33 والحق سبحانه وليه/ ومن عادى جبريل فالحق عدوه وما أعز هذا الشرف وما أجله وما أكبر علوه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية: 99] دلالات واضحات وإعلامات لائحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية: 99] أي: الكاملون في الفسق وهو الخروج عن الطاعات.

قال الأستاذ: لم يكفر بواضح آياته إلا من سدت عن الإدراك بصيرته

وسبق بالشقاوة من الله قسمته ولا عقل لمن يجحد أن النهار نهار وكذلك لا وصل لمن لم يساعده من الحق أنوار واستبصار.

﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 100] أي طرحه ونقضه وهو محل الإذكار فيهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 100] فهم على نقض عهودهم مستمرين وفي قبضة تصرف الحق أسيرين وفي قضية أمرهم متحيرين فكأنهم يريدون مترددون.

قال الأستاذ: كان سابق التقدير لهم يشوش وينقض عليهم لا حق التدبير منهم والله غالب على أمرهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية: 101] أي: مرشد لهم ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية: 101] أي: من تفضله عليهم ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 101] أي: من الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء المرسلة ﴿بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 101] أي: مع علمهم بأن في كل باب من الكتاب فصل الخطاب من تميز الخطأ والصواب ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ [الآية: 101] أي: التوراة والقرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [الآية: 101] لشدة إعراضهم وقلة التفاتهم إلا إلى أعراضهم ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 101] أنه الحق من ربهم.

قال الأستاذ: جحدوا رسل الحق إلى قلوبهم من حيث الخواطر وكذبوا رسولهم الذي أتاهم في الظاهر فيا جهلاً ما فيه شظية من العرفان ويا حرماناً قاربه الخذلان.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا﴾ [الآية: 102] أي: ما كانت تحدث أو تتبع ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ [الآية: 102] أي شياطين الإنس والجن ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ [الآية: 102] أي: عهده من الزمان وعدي بعلى لتضمين معنى الافتراء والبهتان فإن الجن كتبوا السحر ودفنوه تحت سريره حين نزع ملكه وحكمه وتقريره ولما مات عليه السلام استخرجوه وقالوا إنما تسلط بهذا فتعلموه ونفوا نبوته وقالوا ما هذا إلا ساحر لدولته فبرأه الله من ذلك البهتان بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ [الآية: 102] وعبر بالكفر عن السحر ليدل على أن السحر من الكفر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ [الآية: 102]

وبالتخفيف لابن عامر وحزمة والكسائي ﴿كَفَرُوا﴾ [الآية: 102] حيث جحدوا نبوة سليمان وأنكروا ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّعْرَ﴾ [الآية: 102] أي: إغواء وإضلالاً والجملة وقعت حالاً ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ [الآية: 102] قرية قريبة من الكوفة ﴿هَارُوتَ وَمَرْوُتَ﴾ [الآية: 102] بدل من الملكين والمعنى ويعلمونهم ما إليهما وقذف في قلوبهما من علم التفرقة ابتلاء لهما وللخليفة ومجمل القضية على ما في «مسند أحمد» و«صحيح ابن حبان» مرفوعاً وعن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم موقوفاً أن بعض الملائكة طعنوا في أهل الأرض من جهة فسادهم وقلة صلاحهم ورشادهم فقال تعالى: لو كنتم على طبعهم لكنتم مثلهم⁽¹⁾ فقالوا: نحن لا نعصي إلهنا نحوهم فاختر الله سبحانه من بينهم ملكين من أعبدتهم وركب فيها الشهوة وأرسلا من المنازل العلية إلى أرض البلية فعصيا باتباع الهوى وتركوا سبيل الهدى ونسيا ما ادعيا من ملازمة التقوى فخيروا بين عذاب الدنيا وعقاب العقبي فاخترنا الأولى فإن عذاب الآخرة أشق وأبقى فهما الآن إلى يوم القيامة معذبان والله يمتحن بهما عباده ويجري على أهل بلاده مراده ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ أَحَدٍ﴾ [الآية: 102] أي أحداً أبداً ﴿حَتَّى يَقُولَا﴾ [الآية: 102] أي: على طريق النصيحة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 102] أي: بلية ومحنة ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ [الآية: 102] أي: باعتقاد جوازه والعمل به فإن أطعنا نجوت وإن عصيتنا هلكت ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [الآية: 102] أي: بين المحب ومحبوبة وبين الطالب ومطلوبه ﴿وَمَا هُمْ بِصَّابِرِينَ بِهِ﴾ [الآية: 102] أي: بسحرهم ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ [الآية: 102] أي: أحداً من أعدائهم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 102] أي إرادته وقضائه فيهم.

قال الأستاذ: ومن فرقته الأهواء وقع في كل مطرح من مطارح الغفلة فيستقبله كل جنس من قضايا الجهالة ثم أن من طالت به الغيبة صار للناس عبرة ولمن سلك طريقة فتنة فمن اقتدى به في غيه انخرط في سلكه والتحق بجنسه هكذا صفة هاروت وماروت فيما استقبلهما صاراً للخلق فتنة بل عبرة فمن أصغى إلي قائلهما ولم يعتبر بحالهما تعلق به بلاؤهما وأصابه في الآخرة

(1) جاءت روايات مختلفة في هذا القول في كتب التفسير.

عناؤهما/ والإشارة من قصتهما إلى أن من مال في هذه الطريقة إلى تمويه 34/أ وتلبس وإظهار ودعوى بتدليس فهو يستهوي ومن اتبعه ويلقيه في جهنم بباطله ويصده بشرر ظلماته عن طريق رشدته ومن اعتبر عبر السلامة قناطره ومن تهتك بالجنوح إلى أباطيله تهتكت أستاره وظهر لذوي البصائر عواره وإن هاروت وماروت لما اغترا بحاصل ما اعتاداه من العصمة بسط لسان الملامة في عصاة بني آدم فلما ركب فيهما نوازع الشهوات ودواعي الفتن والآفات اقتحما في المعصية وظهر منهما ما انتشر ذكره على السنة أهل القصة فهما منكسان إلى يوم القيامة ولولا الفرق بهما لم يتناهى في القيمة عذابهما ولكن لطف الله مع الكافة كثير والله على كل شيء قدير ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَصْرِفُهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: ما يوجب كفرهم ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: نفعاً يوازي ضرهم وفي معناه تعلم العلم الذي لا يضر ولا ينفع وكذا اكتساب عمل ممن لا يخشع حيث لا ينجع ولا يدفع.

قال الأستاذ: وعلم أهل التحصيل أن العلم لكل معلوم وإن كان صفة مدح ففيها ما هو مرغوب عنه بل هو مستفاد منه فقد قال الشافعي المشفع «أعوذ بك من علم لا ينفع»⁽¹⁾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ [الآية: 102] أي: اختار ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [الآية: 102] أي: ليس له نصيب من حظوظ أهل الوفاق ﴿وَلَيْشَرَّ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: باعوا به حظ ذواتهم وحصة لذاتهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 102] أي: يتفكرون فيما يعلمون من الكتاب عملوا ما يتبعه من العذاب.

وقال الأستاذ: لو أقروا الإقبال على الله على الاشتغال عن الله لحصلوا ذخرك الدارين ووصلوا إلى عز الكونيين لكن كبستهم سطوات القهر فأثبتهم في مواطن الهجر.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (73/2722)، والحاكم في المستدرک (185/1) رقم (356)، وابن ماجه في السنن (92/1) رقم (250)، والنسائي في السنن الكبرى (4/445) رقم (7870)، وأحمد في المسند (250/21) رقم (13674).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 103] أي: بالكتاب ﴿وَأَتَّقُوا﴾ [الآية: 103] عن مخالفة الخطاب والجواب ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [الآية: 103] أي: لثواب عظيم حاصل من فضله فيه خير كثير بالنسبة إلى عقاب أليم وأصل من عدله وفاضل الكلام لأثبوا ماثوبة من الله خيراً من العقوبة الناشئة من المعصية فحذف الهيئة الفعلية وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات الماثوبة الخيرية ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 103] أن ثواب/ الله خير لما ارتكبوا ما يكون في عاقبته ضرر ومالوا إلى من يطلق عليه أنه غير.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا﴾ [الآية: 104] أي: سمعك بدل اسمع منا أو المعنى راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهم ما تلقي إلينا فسمع اليهود وأرباب الجحود أن المؤمنين يخاطبونه بهذا المعنى بناءً على غفلتهم عن لغة غيرهم مما فيه من فساد المعنى فافتروضوه وخاطبوه بطريق المكيدة على إرادة نسبته إلى الرعونة والحموقة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بتبديلها لقوله سبحانه ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [الآية: 104] أي: انظر إلينا حتى نفهم ما يحكم علينا أو انتظرنا وترفق بنا ويؤيده أنه قرئ انظرنا من الإنظار أي أمهلنا لنحفظ ما أمليت لنا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ [الآية: 104] أي: أمرنا ولا تتركوا حكمنا ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 104] أي: من جملتهم المهين لسيد المؤمنين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 104] وحجاب وخيم وقال الأستاذ قصود الأعداء خبيثة في جميع أحوالهم من أعمالهم وأقوالهم فهم على منهاجهم يبنون فيما يأتون ويذرون فسيل الأولياء التحرس عن مشابعتهم والتحرز عن موافقتهم.

﴿مَّا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 105] أي: اليهود والنصارى من بيانية ﴿وَلَا الشُّرَكِيِّ﴾ [الآية: 105] عطف على أهل الكتاب ولا مزيدة لتأكيد المنفعة والمعنى ليس يشتهي النوعان من جنس أهل الكفر والعدوان ﴿أَن يُرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 105] أي خيراً من عنده فمن الأولى مزيدة استغراقية والثانية ابتدائية وفيه تنبيه على كثرة حسدهم وقلة ودهم للمؤمنين لئلا يغتروا بنفاقهم ويحترسوا عن شقاقهم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ [الآية: 105] برحمته أي نبوته وولايته ﴿مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 105] أي: من خليقته

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية: 105] أي: يتفضل على من أراد على وفق إرادته والاختصاص متعدد ولازم فالزم الفرق في المبني والمعنى ولازم وأفاد الأستاذ كراهية الأعداء لانتظام صلاح الأولياء متصلة مستدامة ولكن الحسود لا يسود ولا يحصل له مقصود وخصائص الرحمة للأولياء كائنة وأن رغم من الأعداء آتاف وانهدم من أوطان فرحهم أكتاف وأطراف.

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ [الآية: 106] قال الكفار يأمر محمداً أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه فما هذا إلا كلامه فنزلت وما شرطية منصوبة على المفعولية ومن/بيانية والمعنى ما نرفع حكمها من القرآن وما نزل أمرها من الفرقان ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [الآية: 106] أي: نذهبها عن القلوب بحيث لا نتذكرها لما قيل من أن سورة الأحزاب كانت قدر سورة البقرة في طولها⁽¹⁾ ﴿ثَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ [الآية: 106] أي: بأنفع للعباد في المبدأ والمعاد ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ [الآية: 106] في المنفعة والمثوبة وفي قراءة الشامي من الإنساخ أي نأمر بنسخها وفي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ننسا بفتح النون الأولى والسين بعدها همز أي نثبت رسمها ونؤخر حكمها كقوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] فعلى هذا النسخ عكسه أي تثبت حكمها وتؤخر رسمها نحو الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم⁽²⁾ وكذا قوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغي ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب⁽³⁾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 106] أي: في النسخ والتبديل وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 106] تام القدرة كامل المشيئة المتضمنة للحكمة في كل قضية وحاصل الجملة أن النسخ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 450) رقم (3554)، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 332) رقم (4352)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 271) رقم (7150)، وابن حبان في الصحيح (10/ 273) رقم (4428)، وأحمد في المسند (5/ 132) رقم (21245).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6/ 2622) رقم (4970)، والدارمي في السنن (2/ 234) رقم (2323)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 270) رقم (7145)، وابن حبان في الصحيح (10/ 273) رقم (4428)، ومالك في الموطأ (5/ 1203) رقم (3044).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 184) رقم (5032)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 569) رقم (2337).

هو انتهاء التعبد بالقراءة أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً والحكمة في ذلك أن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد فيما يتعلق بالمعاش والمعاد وتكميل نفوسهم في كل مرتبة فضلاً من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كالغذاء والدواء في مخالفة الخواص فإن النافع في عصر قد يضر في دهر وهذا هو عين الرحمة وعلى وفق الحكمة وفيه تنبيه للسالك النبيه أن يفوض أمره في جميع أحواله إلى مولاه من تنزل وترقى وتجمل وتحمل وبسط وقبض ورفع وخفض ولطف وقهر وغنى وفقير ومنحة ومنفعة ومنقصة وشهرة وعزلة وكثرة وقلة ووفاء وجفاء وبقاء وفناء وسائر مقتضيات الصفات الجمالية وموجبات النعوت الجلالية حتى القرب والبعد كما بعض أرباب الحال.

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد⁽¹⁾

وهذا معنى بعض قول الوفاء والرضا بالقضا باب الله الأعظم والله أعلم.

وقال السلمي: ما نقلبك من حالة إلا أوصلناك إلى حالة أعلى إلى أن ب/35 ينتهي بك/ الأحوال إلى محل التداني لقوله ﴿دَنَا فَلَذَلِكَ﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ والخطاب من غير واسطة بقوله ﴿فَأَوَّحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ انتهى ولا يخفى أن ما وقع له من نزوله بعد أوج معراجة وكمال وصوله ما أوجب نقصاً في مقامه ولا اقتضى تنزلاً في حاله وممرامه فإنه ما كان حلوله كطلوعه أو أعلى من ابتداء شروعه بل هو ظاهر في علو مرتبته وعظمة رتبته لأنه مراد أو مرید في مقام المزيد ولا عبرة بظواهر التنزلات الصورية لأن المدار على مراتب التجليات المعنوية الإلهية التي يستوي عندها الأراضي السفلية والسماوات العلوية كما يشير إليه قوله ﷺ لا تفضلوني على يونس [بن] متى مومياً إلى أن معراجة كان في بطن الحوت وعالم الظلمات كما أن معراج نبينا ﷺ فوق السماوات والله أعلم بتحقيق الحالات وتوفيق المقامات.

(1) نسب إلى ابن المنجم الواعظ المعري. انظر: قوات الوفيات (2/ 301)، والوفاي بالوفيات (6/ 105).

وقال الأستاذ: ما تنقلك من حال إلى ما هي فوقها وأعلى منها فغصن وصلك أبدأ ناضر ونجم عزك أبدأ زاهر فلا ننسخ من آثار العبادة شيئاً إلا وبدلنا من أنوار العبودية ولا نسخنا من آثار العبودية شيئاً إلا أقمنا مكانها أشياء من آثار العبودية فأبدأ سرك في الترقى وقدرك في الزيادة بحسن التولي وقيل ما نرقيك في محلّ العبودية إلا أحللناك بساحات الحرية وما رفعنا عليك شيئاً من صفات البشرية إلا أقمناك بشواهد من شواهد الألوهية انتهى وأراد بشواهد الألوهية الصفات السبحانية من التخلق بالأخلاق الربانية وفي الحقيقة هذا التراقي ليس مختصاً بأرباب التجلي وأصحاب التخلي والتحلي بل كل فرد من أفراد السائرين أو الطائرين من المؤمنين والكافرين ليس بحسب مقامهم وحالهم ترق في حالهم ومنالهم فالتوقف ليس في طور الإنسان فمن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ولذا يكون منحة أهل الجنة دائماً في زيادة اللذة كما أن منحة أهل النار سرمداً يكون في التضاعف كمية وكيفية كما يشير إليه قوله سبحانه ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [سورة النبا: 30] أي بأن نكشف لكم حجاباً يوجب حجاباً ويعقب عقاباً على وفق حال الجنة من الحسنى ثواباً والزيادة مآباً وهذا كله لأن التجليات الإلهية من النعوت الجمالية والجلالية ليس لها مرتبة الانتهاية نسأل الله العناية والهداية من البداية إلى النهاية.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ [الآية: 107] الخطاب له ﷺ أصالة ولغيره تبعية ولأنه أعلمهم 36/أ ومبدأ علمهم ﴿أَنْتَ اللَّهُ لَمُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 107] أي يفعل فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد من القضاء من نحو إثبات ناسخ ومحو منسوخ بمقتضى علمه وحكمته في أهل مملكته ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 107] أي: مما سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الآية: 107] أي: وإل يلي أمركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 107] ينصركم ويدفع ضرركم.

وأفاد الأستاذ: أن سُنَّة سبحانه أن يجذب أوليائه عن شهود ملكه إلى رؤية ملكه، ثم يأخذهم من مطالعة ملكه إلى مشاهدة حقه فيأخذهم من رؤية الآيات إلى رؤية الصفات إلى شهود الذات.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ [الآية: 108] انتقال والتفات بل أتريدون أيها اليهود والمشركون ﴿أَنْ تَسْأَلُوا﴾ [الآية: 108] وهو محمد ﷺ فإنه أرسل إلى الخلق كافة على التقدير الاجتماعي ولذا قال لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي⁽¹⁾ ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 108] حيث قيل له أرنا الله جهرة ونحو ذلك من أسباب نزول الخطاب إن أهل الكتاب سألوا نبينا ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء وأن المشركين طلبوا أن يجعل الصفا ذهباً ويوسع لهم أرض مكة فقال نعم وهو كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا ورجعوا أي عن مقترحهم محبة لكفرهم وخوفاً من التهديد الواقع في قضية المائدة على أنفسهم في قوله سبحانه ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنْ أُعْذِبُ عَذَابًا لَّا أُعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 115] ﴿وَمَنْ يَقْبَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 108] أي: وسطه وهو الجادة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: 153] الآية أو المعنى أخطأ السبيل المستوية المعتدلة وهي الهداية الموصلة وفيه إشعار بأن الاقتراح وسؤال الآيات بعد ظهور البراهين ووضوح المعجزات كفر موجهه التعنت والمكابرة والعناد في المقاولات.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 109] أي: أحب أحبارهم وتمنى أخيارهم ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ [الآية: 109] أي: أن يردوكم ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [الآية: 109] أي: مرتدين حالاً من ضمير المخاطبين ﴿حَسَكًا﴾ [الآية: 109] أي: للحسد الكامن الكائن ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 109] تشرسهم لا من قبل ب/36 تدينهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية: 109] أي: ظهر أمر الصدق/ ﴿فَاعْفُوا﴾ [الآية: 109] أي: عن مجازاتهم ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ [الآية: 109] أي: أعرضوا عن مقالاتهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ﴾ [الآية: 109] أي: لإيمان من تعلق علمه بإيمانه ولقتال من صمم على جهله وكفرانه أو أخذ الجزية جزاءً على عدوانه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 109] أي: من الإنعام والانتقام ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية: 109]

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (199/1) رقم (176)، وأبو يعلى في المسند (4/102) رقم (2135)، وأحمد في المسند (338/3) رقم (14672)، وابن أبي شيبة في المصنف (312/5) رقم (26421).

وبأعمالهم وأحوالهم بصير وخير.

قال الأستاذ: من لحقه خسران من أهل الغفلة ودان لا يطلع لأحد بالسلامة نجم ولا زهر ومن اعتراه الحسد أراد أن لا تنبسط على عدوه شمس ولا قمر فكذلك كان صفات الكفار وأحوالهم فأرغم الله أنفسهم وكبهم بوجوههم والإشارة من هذا إلى حال أصحاب الإرادة إذا رغبوا إلى السلوك في البداية فإن من لم يساعده التوفيق وعاشوا مترسمين بظواهر التنميق يمنعون هؤلاء من سلوك أهل التحقيق ولا يزالون يخاطبونهم بلسان النصيح والتخويف بالعجز والهجر والتهديد بالفاقة والفقر حتى يعقلوهم أي: يجروهم إلى سبيل الغفلة ويقطعوا عليهم طريق الإرادة أولئك أعداء الله حقاً وصدقاً أدركتهم مقت الوقت وعقوبتهم حرمانهم من نور ظهور الحق وأن لا يشتموا شيئاً من روائع الصدق فسبيل المريد أن يحفظ عن الأغيار سره وصدقه ويستعمل مع كل أحد خلقه ويذل في الطلب رفقه فعن قريب يفتح الله عليه طريقه.

﴿وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 110] أي: أجمعوا بين القيام بالعبادات البدنية والطاعات المالية وعبر عنهما بأمهاتهما فشمّل الصوم والحج ونحوها ولأن الصلاة صلة ووصلة بين العبد ومولاه ومعراج حصول وصول بالذهول عما سواه والزكاة تزكية النفس عن ميلها إلى المال والجاه المانعين عن التقرب إلى الله فالزكاة تجليه والصلاة تحليه والواو لمطلق الجمعية على أن التحلي مقدم على التخلي في سير المرادين من المجذوبين السالكين وعكسه طريق المريدين من السالكين المجذوبين ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 110] أي: من قرب النوافل بعد قرب الكوامل ﴿تَجِدُوهُ﴾ [الآية: 110] أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 110] أي: عالم بالنكير والقطمير ومطلع على الظاهر/والضمير.

أ/37

وأفاد الأستاذ: أن الواجب على المريد إقامة المواصلات وإدامة التوسل بفنون القربات واثقاً بأن ما يقدمه من صدق المجاهدات تزكو ثمرته في أواخر الحالات.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 111] أي: اليهود والنصارى ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [الآية: 111] لف بين قولي الفريقين وأو لتنوع الكلامين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: 135] ثقة بفهم السامع العارف بحالهم من أن كلا منهما على إبطال غيرها وهو جمع عائد كعود جمع عائد وإفراد الاسم المضممر وجمع الخبر نظراً للفظ من ومعناه ليفيد شمول الحكم مفردهم وجمعهم مع الإشارة إلى البلاغة من تفنن العبارة والوجازة وتوضيح المرام من الكلام فقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [الآية: 111] أي: أمثال تلك الأمانة الباطلة سائر أمانيتهم وهي أفعولة من التمني كالأعجوبة من التعجب ﴿قُلْ﴾ [الآية: 111] لكل فريق منهما أو لمجموعها ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الآية: 111] أي: قربوا حجتكم واحضروا بينتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 111] في دعوى اختصاصكم بدخول الجنة وحصول الأمانة وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53] .

قال الأستاذ: وكل حزب يمهد الأمل لنفسه ويظن النجاة بحاله ويدعي الوصل من سهمه ولكن مجرد الحسابان دون تحقق البرهان لا يأتي بحاصل ولا يعود بطائل .

﴿بَلَى﴾ [الآية: 112] إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة على وجه يفيد الحكم العام في القضية الشرطية فالمعنى بل يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ [الآية: 112] أي: أخلص وجه توجهه في مقصده ومعتقدده ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية: 112] دون قصد ما سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية: 112] أي: في دينه وعمله واتباع نبيه ولا يبعد أن يكون الأول عبارة عن القيام بأمر الله والثاني إشارة إلى الشفقة على خلق الله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الآية: 112] وفي العندية إيماء إلى عظمة المثوبة المترتبة على العبادة العبدية وكفاية عن مرتبة القربة في الحضرة الربوبية أو المعنى من عند ربه فضلاً حيث لا يجب على الله شيء أصلاً لأن له أن يعذب المطيع ويثيب العاصي لا ظلاً بل عدلاً ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 112] لتجاتهم من العقوبة

37/ ب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 112] / لدخولهم الجنة.

وأفاد الأستاذ: أن من أخلص الله قصده وأفرد الله وجهه وطهر عن الشوائب مقصده ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ عالم بحقيقة ما يفعله وحقية ما يستعمله أو هو محسن في المآل كما أنه محسن في الحال ويقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه⁽¹⁾ فيكون مستسلاً بظاهره مشاهداً بسرائره في الظاهر جهد وسجود وفي الباطن كشف ووجود ويقال ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ بالتزام الطاعة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قائم بأداب الخدمة يحسن آداب حضور الحضرة فهؤلاء ليس عليهم خوف الهجر ولا يلحقهم خفي المكر فلا الدنيا تشغلهم عن مشاهدته ولا الآخرة تمنعهم غداً عن رؤيته.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [الآية: 113] أي: أمر معتد به لأن دينهم باطل من أصله ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ﴾ [الآية: 113] أي: والحال أنهم ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 113] أي يقرؤون الكتاب ويدعون متابعة الخطاب مع أن في كل كتاب تعظيم سائر كتبه وتوقير جميع أنبيائه ورسله فإبطال كل فريق دين الآخر دال على بطلان قولهما فيصدق عليهما أن كلا منهما صدقوا في أخبارهما لأن كلا الدينين ليس بشيء بعد نسخهما ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 113] أي مثل ذلك الذي سمعته منهما ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 113] أي: من مشركي العرب وعبداء الصنم وغيرهما ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [الآية: 113] مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به أو بالعكس أو الثاني تأكيد للأول ومبين لإبهامه المجمل فتأمل والحاصل أن سبيل هؤلاء الذين يدعون أنهم من العلماء كدأب الجهال والسفهاء في المكابرة والمبالغة في المعاندة ونظيرهم إنكار بعض الفقهاء الشافعية على الحنفية كعكس القضية وكذا المالكية والحنبلية المبتلون بهذه البلية مع اعترافهم بأن الكل مأخذهم الكتاب والسنة بخلاف أهل البدعة وكذا إبطال طوائف الصوفية بعضهم بعضاً في الطريقة الحقيقية من النقشبندية والكبروية والخلوتية والجهرية وأمثالهما مع أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس المخلوقات ومقصد الكل واحد بالذات كما قال قائلهم:

عباراتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال مشير

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (5/9).

38/أ /ومثاله أن مقصد الحاج كله الكعبة المشرفة والقوافل مختلفة متفرقة من كل جهة متوجهة ولكل وجهة وأينما تولوا فثم وجه الله ففيه إيماء إلى مشاهدة الله ورفع ما سواه ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 113] بأن يقسم لكل فريق ما يليق به من الجزاء على وفق ما كانوا يعملون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية على العكس من حكم الظاهر فإن الأعداء يتبرأ بعضهم من بعض اليوم والأولياء من وجه كذلك لقولهم لا زالت الصوفية بخير ما تنافروا ولا يقبل بعضهم بعضاً لأنه لو قبل بعضهم بعضاً بقي بعضهم مع بعض ولكن الأعداء كلهم على الباطل عند تبرئ بعضهم من بعض والأولياء كلهم على الحق عند تبرئ بعضهم من بعض انتهى والفرق أن الأولين صدر معارضتهم لحفظ أنفسهم والآخرين ظهر مناقضتهم بحق ربهم والأعمال بالنيات والله أعلم بالخفيات لكن علامة حق الحق بقاء الضياء والصفاء وإمارة حظ النفس الأمانة حدوث كدورة الظلمة والجفاء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ [الآية: 114] أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [الآية: 114] بأن يصلي أو يتلى أو يدرس فيها ونحوه ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [الآية: 114] أي بهدم بنائها وتعطيل وقفها وتفريق أهلها ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 114] أي: المانعون والساعون ﴿مَا كَانُوا لَهَا أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [الآية: 114] أي: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا: بخشية وخضوع وأدب وخشوع بمباشرة سجود وركوع ولعل هذا مأخذ تحية المسجد وجمع يشمل المساجد كلها فإن جميعها يقال لها بيوت ربها.

وقال الأستاذ: الظالم من خرب أوطان العبادة بالشهوات وهي نفوس العابدين، وخرب أوطان المعرفة بالمنى والعلاقات وهي قلوب العارفين وخرب أوطان المحبة بالحظوظ والمساكنات وهي أرواح الواجدين وخرب أوطان المشاهدة بالالتفات إلى القربات وهي أسرار الموحدين ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [الآية: 114] أي: للمانعين عن العبادة في العاجلة مذلة مديدة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 114] أي: وفي العاجلة عقوبة شديدة.

وأفاد الأستاذ: أن لأهل الإشارة خزي في الدنيا ذل الحجاب عن الذات والصفات وعذاب الآخرة الاقتناع بالدرجات.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [الآية: 115] أي: ملكاً ومُلكاً والمراد بهما ناحيتي الأرض بجميع جوانبها/ أي: له الأرض كلها لا تختص به مكان دون مكان منها 38/ب
فإن منعتم أن تصلوا في المساجد حسداً فصلوا حيث ما تيسر لكم من الأرض فإنها جعلت لكم طهوراً ومسجداً ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ﴾ [الآية: 115] أي: ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة وجهة الكعبة ﴿فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [الآية: 115] أي: فهناك جهة التي أمر بها والقبلة التي قبلها لأن إمكان التولية لا تختص بمسجد ومكان ومحلة وبقعة أو فثم ذاته الذي ينبغي التوجه إليه في كل مكان وزمان مع تنزهه عن مرور الزمان عليه وعن نسبة الحلول في الخير إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 115] بإحاطة علمه بالأشياء في بلاده أو برحمته يريد التوسعة في العبادة على عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 115] بمصالحهم وأعمالهم وأحوالهم في جميع الأمكنة وسائر الأزمنة وقد نزلت الآية في شأن من خفيت عليه القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة أو في تحويل القبلة.

وفي «تفسير السلمي» قال منصور وجهه حيث ما توجهت وقصده أين قصدت وقال أيضاً هذا مثل إبداء الحق للخلق كمثل الهلال يرى في جميع الأقطار ينظر الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منها إلى مشارق القلوب ومغاربها وللقلوب شوارق وطوارق فطوارقها هواجس النفوس تطرق في ظلمات المنى والشهوات وشوارق القلوب نجوم العلوم وأقمار الحضور وشموس المعارف فما دامت الشوارق طالعة فقبلة القلوب واضحة ظاهرة فإذا استولت الحقائق خفي سلطان الشوارق كالنجوم تستتر عند طلوع الشمس كذلك عند ظهور الحق يحصل اصطلام وقهر فلا شهود رسم ووسم ولا بقاء حس وفهم ولا سلطان عقل وعلم ولا ضياء عرفان ووجدان هذه الجملة صفات لا ثقة ببقاء البشرية وإذا صار الموصوف خوفاً في بقاء الصفة وما دام يبقى من الإحساس

والتمييز ولو شظية فالقابلة مقصودة فإن لم تكن معلومة تكون مطلوبة.

وقال صاحب «العرائس»: فأينما تولوا بعيون الأشرار فثم مكاشفة الأنوار وأيضاً أشار بهذه الآية إلى مشاهدة الشهود في الشواهد كما كشف لخليله 39/أ حيث قال هذا ربي إذ نظر في دائرة الكون وفهم هذه الآية أن من نظر/بعين العقل فقبلته الآيات ومن نظر بعين القلب فقبلته الصفات ومن نظر بعين الروح فقبلته الذات ومن نظر بعين السر فقبلته المحو عن الكائنات.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الآية: 116] عطف على قالت اليهود والواو استئنافية ويؤيده حذفها في قراءة الشامي وقد نزلت حين قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ [الآية: 116] أي أنزه نفسي عن ذلك أو نزها أيها المؤمنون شأنه عن ما هنالك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء مع أنه تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وليس محل الحوادث والزوال ولا يتصور في حقه الاتصال والانفصال وفي التعبير بالاتخاذ إشارة إلى مجمل كلامهم فإنهم لم يقصدوا بذلك حقيقة مرادهم لأنهما من المحالات العقلية عند خواصهم وعوامهم مع الإيماء بأن اتخاذ إذا كان منفياً فكيف يجوز حقيقة التوالد هنالك ومجمل الجواب أنه ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] ملكاً وخلقاً وملكاً فلا مناسبة لشيء مع الله فلا ولدية مع أن الملائكة تنافي الإبنية في القواعد الشرعية ﴿كُلُّ﴾ [الآية: 116] أي: كل شيء مما في العلويات والسفليات ﴿لَّهُ قِنْدُونَ﴾ [الآية: 116] أي: لحكمه منقادون وعن مشيئته وتكوينه لا يمتنعون واختير ما أولاً تحقيراً لشأن جميعهم ثم أتى بجمع ذوي العقول على جهة التغليب تعظيماً لجانبهم وإيماءً إلى ظهور قنوتهم واستواء ملكيتهم وفيه إشعار إلى نهاية صبره وغاية حلمه عن عباده مع كمال قدرته واقتضاء عظمته.

وقال الأستاذ: مكر بهم حين لم يغنهم في الحال بل جعل موجب اغترارهم طول الإمهال فنطقوا بعظيم الفرية على الله واستبطنوا عجب المرية في وصف الله وصفوه بالولد وأنى بالولد وهو أحدي الذات لا حيز لذاته ولا

يجوز الشهوة في صفاته بل ليس في الكون شيء من الآثار المفتقرة والأعيان المستقلة إلا وينادي عليه آثار الحلقة ويفصح منه شواهد الفطرة وكل صامت منها ناطق وعلى وحدانيته سبحانه دليل مطابق وشاهد صادق.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 117] أي: هو مبدعهما وخالقهما من غير مثال سبق قبلهما ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [الآية: 117] أي قدر موجوداً وأراد شيئاً مشهوداً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ﴾ [الآية: 117] أي: للأمر المقدر ﴿كُنْ﴾ [الآية: 117] أي: أحدث ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 117] أي: فيحدث وفي قراءة الشامي بالنصب جواباً لظاهر الأمر ثم الظاهر أن هناك حقيقة/ قول من كافٍ ونون أو غيرها من الدر 39/ ب المكنون والشاهد ابتداء خلق المسيح بأمر كن من غير والد على ما أشار إليه بقوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59] فيكون وكذا الملائكة فالكون كله تحت ذل كن والعزة لله جميعاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] تعني التقدير والتقريب أو المعنى فإنما يكونه فيكون من غير كاف ونون وفي التلويح إن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن هذا الكلام مجاز عن سرعة الإلحاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته تمثيلاً للغائب أعني تأثير قدرته في المراد بالشاهد أعني أمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار إلى مزاد له عمل واستعمال آلة وليس هنا قول ولا كلام وإنما وجود الاستثناء بالخلق والتكوين مقروناً بالعلم والإرادة والقدرة وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة وأن الله تعالى قد أجري سُنَّتَهُ في تكوين الأشياء أن يكونها بهذه الكلمة وإن لم يمتنع تكوينها غيرها والمعنى يقول أحدث فيحدث عقيب القول لكن المراد الكلام الأزلي القائم بذات الله لا الكلام اللفظي المركب من الأصوات والحروف لأنه حادث فيحتاج إلى خطاب آخر تسلسل لأنه يستحيل قيام الصوت والحرف بذات الله سبحانه ولما لم يتوقف خطاب التكوين على الفهم واشتمل على أعظم الفوائد وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم بل خطاب التكليف أيضاً أزلي ولا بد أن يتعلق بالمعدوم على أن الشخص الذي سيوجد أو بذلك وبعضهم على أن الكلام في الأول لا يسمى خطاباً حتى يحتاج إلى مخاطب.

وقال الأستاذ: البديع عند العلماء موجد العين لا على مثال وعند أهل الإشارة الذي ليس له مثل فهذا الاسم يشير إلى نفي المثل عن ذاته ونفي المثل عن أفعاله وصفاته فهو الأحد الذي لا عدد يجمعه والصمد الذي لا أمد بقطعه والحق الذي لا وهم يصوره والموجود الذي لا فهم يقدره وإذا قضى أمراً فلا يعتاض عليه مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور.

40/أ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 118] من جهته/المشركين أو من أهل الكتاب المتجاهلين ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [الآية: 118] أي: هلا يكلمنا عياناً أو كما يكلم الملائكة بياناً أو يوحي إلينا بأنك رسوله لنا ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾ [الآية: 118] أي: علامة على صدقك من الآيات المقترحات حيث قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَقٌّ نَقْجُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء، الآية: 90] الآيات ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية: 118] أي: من كفار الأمم الماضية ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [الآية: 118] قالوا: ﴿إِنَّا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] و﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: 112] والمثلية لا تدل على التماثل في الجمل المقولية فمثل قولهم يدل على تماثل القولين في المؤدى وأن تبايناً في المبنى والمعنى وقوله كذلك يدل على توافقهما في الصفات والغايات وما يترتب عليهما من ذم الحالات والواقعات والتحقيق أن كذلك اطرء في تأكيد الأمر وتحقيقه فيه كأنه سلب عنه معنى التشبيه فلا تكرر لهذا التنبيه، ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 118] أي: قلوب هؤلاء وقلوب من قبلهم في العناء والعناد والتعنت وقصد الفساد ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 118] أي: أظهرنا الآيات القرآنية والمعجزات الفرقانية والدلالات الآفاقية والأنفسية لقوم يطلبون اليقين لا لمن عاند أو تعلق بوهم وتخمين في أمر الدين قال الواسطي ما أظهر الله شيئاً من الأكوان إلا وخطبهم به والجهلة يقولون لولا يكلمنا الله وقال أيضاً قد كلمتهم حيث أنزلت عليهم كتابي وبينت لهم خطابي لكن لم يفهموا لكونهم أعرضوا عن جنابي وأي آية أشرف من محمد ﷺ وقد أظهرت ذلك لهم انتهى.

وقد أشار صاحب البردة إلى هذه الرتبة بقوله كفاك بالعلم في الأمي

معجزة وقوله ومن هو الآية الكبرى لمعتبر.

وأفاد الأستاذ: أن كلام الله سبحانه يتعلق بجميع المخلوقات بأعيانها وآثارها أمر التكوين ويتناول المكلفين أمر التكليف لكن من عدم سمع الفهم تصامم عن استماع الحق فإنه سبحانه خاطب قوماً من أهل الكتاب وأسمعهم خطابه فلم يطيقون سماعه وبعدما رأوا من عظيم الآيات حرفوا وبدلوا في الآيات التي أظهرها ما يزيح العلة من الأغيار ويشفي الغلة من الأحباب أي: الحقد وما تغني الدلائل وإن وضحت عمن حقت له/ الشقاوة وسبقت. 40/ب

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 119] أي: بالقرآن المتضمن للصدق فهو مفعول به ومؤيداً بالحق ملتبساً بالصدق فحال عن مفعوله ﴿بَشِيرًا﴾ [الآية: 119] أي: مبشراً بالجنة للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية: 119] أي: مخوفاً بالنار للعاصين فما عليك إلا البلاغ المبين ولا يضرك إن لم يطعك أحد من العالمين ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية: 119] أي: لست بمسؤول عن حالهم الذميم وفي قراءة نافع بصيغة النهي للمخاطب المعلوم على أنه نهى له ﷺ عن السؤال عن حال أبويه لما ورد من أنه عليه السلام قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبوي⁽¹⁾ فنزلت والأظهر أنه تعظيم لعقوبة الكفار وشدتها كأنها لفظاعتها وصعوبتها لا يقدر سامع أن يصبر على استماع حكايتها.

وقال الأستاذ: أفردناك بخصائص لم نظهرها على غيرك فالجمهور والكافة تحت لوائك والمقبول من وافقك والمردود من خالفك وليس عليك من أخبار الأغيار سؤال ولا عنك لأحد محيد في الحال ولا في الاستقبال.

﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [الآية: 120] أي: دينهم وقبلتهم نزلت الآية عند الأمر بالتحويل إلى قبلتهم حيث كانوا يرجون أن يرجع النبي عليه السلام إلى ملّتهم فلما حرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم وفيه أيضاً مبالغة إقناطه عليه السلام عن إسلامهم فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملّتهم فكيف يتبعون ملّته ويقبلون

(1) معجم ابن الأعرابي (2/ 237) رقم (736)، تفسير الطبري (2/ 558) رقم (1876)، تفسير ابن كثير (1/ 401)، تفسير القرطبي (2/ 92).

مقالته ﴿قُلْ﴾ [الآية: 120] أي: في جوابهم ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: الذي بعثني المولى ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ [الآية: 120] إلى طريق الحق على وفق الصدق لا ما تدعون إليه من متابعة الهوى ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ﴾ [الآية: 120] أي: فرضاً وتقديراً ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية: 120] أي أراءهم الزائفة الباطلة فإن الهوى رأي يتبع الشهوة بخلاف الهدى فإنها الدلالة الموصلة وبخلاف الملة فإنها ما شرعه الله لأوليائه على لسان أنبيائه من أملت إذا ملئت ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الآية: 120] أي الدين المعلوم الصحة من الكتاب والسنة مالك من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 120] يمنع ويدفع عنك العقوبة وهو تهديد شديد للأمة.

قال الأستاذ: ولا يقال برضا الأعداء بعدما حصل لك رضانا فإنهم لا يرضون عنك إلا بمتابعة أديانهم ودونه خُطِرَ القتاد⁽¹⁾ فأعلن التبري منهم وأظهر التولي عنهم/ وانصب العداوة لهم واعلم أن مساكنتهم إلى ما يرتعون سبب الشقاوة المؤبدة فاحرس عن أخطاء ذلك بقلبك وبالك وكن ببابنا متبرياً عن ما سوانا واثقاً بنصرتنا وإقبالنا فإنك بنا ولنا.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ الْكِتَابُ﴾ [الآية: 121] أي: على حقيقته ﴿يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [الآية: 121] أي: يقرؤونه حق قراءته من جهة المبنى ويتبعونه حق متابعتهم من طريقة المعنى فهم جامعون بين التدبر في معناه والعمل بمقتضاه ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية: 121] أي: حق إيمانه لاتقانه وإحسانه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ [الآية: 121] أي: بترك الإيمان وإنكار القرآن ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية: 121] أي: الكاملون في الخسارة حيث خسروا الدنيا والآخرة.

وأفاد الأستاذ: أن الذين فتحنا أبصار قلوبهم بشهود حق كتابنا ووكلنا أسماع قلوبهم بسماع خطابنا وخصصناهم بإسبال أنوار العناية عليهم وأيدناهم بتحقيق التعريف في أسرارهم بإنزاله إليهم يقومون بحق التلاوة ويتصفون بخصائص الإيمان والمعرفة فهم أهل التخصيص والقبول ومن سواهم أرباب

(1) الخطر: السلك والقتاد: هو الشوك وهو أن تغمض على الشوك ثم تمر يدك من أعلاها إلى أسفلها.

الرد والنزول ﴿يَبَيِّنْ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْفَعْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآيات: 122 - 123] ختم القضية بما بدأ به القصة إيماءً بأنه كالفدلكة.

وأفاد الأستاذ: أن سُنَّتَه سبحانه في الخطاب مع قوم موسى عليه السلام أن يناديهم بنداء العلامة فيقول يا بني إسرائيل ومع هذه الأمة أن يخاطبهم بندايات الكرامة فيقول يا أيها الذين آمنوا انتهى وفيه الإيماء إلى أن شرف النسب دون فضل الحساب.

ثم قال: أما الأعداء فلا يقبل منهم شيئاً وأما الأولياء فقال ﷺ «اتقوا النار ولو بشق تمرة»⁽¹⁾ وكذلك الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين وهكذا حكم كل أمة مع نبيها وأما المؤمنون فعلى التخصيص تنفعهم شفاعة نبيهم فكل أحد يقول نفسي نفسي ونبينا ﷺ يقول أمتي أمتي.

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 124] وفي قراءة الشامي أبراهام أي عامله معاملة الممتحن ﴿رَبُّهُ﴾ [الآية: 124] أي: لتربية قلبه الممتحن عند ظهور المنن والمحن ﴿يَكُونَنَّ﴾ [الآية: 124] أي: بتكيف مأمورات ومنهيات منها توحيد المولى ومنها عدم الالتفات إلى السوى حتى قال لجبريل أما إليك فلا⁽²⁾ فتحقق أن البلاء تحقيق/ الولاء فأصدقهم ولأء أشدهم بلاء كما ورد أشد الناس بلاء الأنبياء ثم 41/ب الأمثل فالأمثل⁽³⁾ أي: من الأولياء والأصفياء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [الآية: 124] أي: أداهن كاملات غير ناقصات كقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: 37] تفسير السلمي قال بعضهم أشد ما ابتلى به إبراهيم أن حملة ربه أثقال خلقه الخلقة ثم طالبه بتصحيح شرائطها التي هي التخلي عن السوى ظاهراً وباطناً ﴿قَالَ﴾ [الآية:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (67/1016)، ومسلم في الصحيح (6539).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (28/2) رقم (1077)، وانظر: كشف الخفا (1/357) رقم (1136).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک (99/1) رقم (119)، والطبراني في المعجم الكبير (24/244) رقم (626)، والنسائي في السنن الكبرى (4/352) رقم (7482)، وابن حبان في الصحيح (160/7) رقم (2900).

[124] أي: الله له بعد قيامه بالأمر إتماماً ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [الآية: 124] أي: سفيراً بشيراً ونذيراً بيني وبين الخليفة لتهديبهم لاصطلاح الحضرة فإن هذا هو الإمامة المعتبرة.

وأفاد الأستاذ: أن رتبة الإمامة أن يفهم عن الحق ثم يفهم الخلق فيكون واسطة بين الحق والخلق يكون بظاهره مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة وبباطنه مشاهد للحق لا يتغير له صفاء الحالة ويقول للخلق ما يقول له الحق ﴿قَالَ﴾ [الآية: 124] أي: إبراهيم من غاية الشفقة ونهاية الرحمة ﴿وَوَيْدُيَّ﴾ [الآية: 124] أي: واجعل أيضاً من أولادي أئمة لتستمر هذه النعمة بين الأمة إلى يوم القيامة كقوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74] ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 124] فيه إجابة إلى البغية وإشارة إلى أن بعض الذرية في ظلمة الظلمة ليس لهم قابلية الإمامة لعدم نور المعرفة والمراد بالعهد النبوة والولاية.

قال السلمي: قطع بهذا أن يكون أحد يصل إليه بسبب أو نسب إلا برضائه وسبق قضائه.

وزاد عليه الأستاذ حيث أفاد إنما هي أقسام مضى بها أحكام وليس هذا كنعيم الدنيا وسعة الأرزاق فيها إذ لا ادّخار لها عن أحد وإن كان كافراً ولذا لما دعاه إبراهيم بقوله ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَكَ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ يعني ليس للدنيا من الحظر ما يمنعها من كفر لكن عهدي لا ينال إلا من اخترته من خواص عبادي وخلص عبادي.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 125] أي: بيت الله المسمى بالكعبة على وجه الغلبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: 125] أي: مرجعاً لهم حيث يأتون ويرجعون ثم يعودون ويأتون إما بسفر/الظواهر وأما بسير السرائر أو موضع ثواب لأنهم بحجهم وعمرتهم وتوجههم إليه في عبادتهم يشابون ﴿وَأَمَّا﴾ [الآية: 125] أي: موضع أمن من العذاب للمؤمنين الذين يحجون ويطوفون أو من التعرض للملتجئين الذين يضطرون في تفسير السلمي ﴿مَثَابَةً﴾ [الآية: 125] أي: مفرعاً

للمذنبين ﴿وَأَمَّا﴾ [الآية: 125] أي: للداخلين من المؤمنين.

وقال الصادق: البيت هنا محمد ﷺ فمن آمن به بتصديق الرسالة دخل في ميادين الأمن والأمانة انتهى ولعل توجيه الإشارة على وجه تطبيق العبارة أن يقال التقدير بيت محمد فإن الله منزّه عن المكان وإحاطة الأركان ووجه تخصيصه ﷺ بالإضافة أن حين نزول الآية لم يكن أحد قابلاً لهذه النسبة إلا صاحب ختم الرسالة مع ما فيه من الإيماء إلى نكتة خفيفة وهي أن النسبة الإضافية تامة في الحضرة الاصطفائية كما يستفاد من قوله تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80] و﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] و﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [آل عمران: 31] وأمثال ذلك فبيته بيته كما أن دعوته دعوته ومحبته محبته وإطاعته إطاعته ومعصيته معصيته مع زيادة الإفادة مع أنه لولاه لما وجد البيت الذي هو قيام للناس ولا حصل لمخلوق نوع من الاستئناس فكان البيت بيته ونائب عنه حجبه ولذلك حصول الدخول لا يفيد بالوصول إلا إلى الرسول ومن النكت الإيمائية أن الحضرة الاحتيائية هي العلة الغائية للهيئة البنائية الملكية والإبراهيمية الدالة على النسبة الخاتمية من الهندسة الأزلية القديمة والله أعلم بحقائق المعارف ودقائق العوارف الصادرة من الإمام الصادق السلالة للصديق الموافق اللاحق بالإمامة والخلافة الصورية والمعنوية.

وقال الأستاذ هو بيت خلقته من الحجر ولكن إضافته إلى الأزل في حكم القضاء والقدر فمن نظر إلى البيت بعين الخلقة انفصل ومن نظر إليه بعين الإضافة وصل واتصل وكل من التجأ إلى الكعبة الفاخرة آمن من عقوبة الآخرة إذا كان التجأؤه إليه على جهة الإعظام والاحترام/ والتوبة عن الآثام 42/ ب ويقال بني البيت من الحجر لكنه حجر يجذب القلوب إلى علام الغيوب كحجر المغناطيس يجذب الحديد إلى ما فيه من التأنيس بيت من وقع عليه ظله أتاح بغفوة الأمن وساحة الأمان بيت من وقع عليه طرفه بشر بتحقيق الغفران بيت من طاف حوله طاف اللطائف بقلبه من لطف ربه فطوفة بطوفة وشوطة بشوطة ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60] بيت من شاهده نسي بيت نفسه وعدم إلا بلزوم حقائق إنسه بيت من زاره نسي مزاره وهجر دياره

بيت ما خسر من أنفق على الوصول إليه ماله بيت ما ربح من ضن بشيء لم ينفقه حتى يسكن ظلاله بيت لا يستبعد إليه المسافة بيت لا يترك زيارته لحصول مخافة أو هجوم آفة بيت ليس له بمهجة الفقراء رافة بيت من قعد عن زيارته فلعدم فتوته أو لقلّة محبته بيت من صبر عنه بلا ضرورة فقلبه أقسى من الحجارة بيت من وقع عليه شعاع أنواره تسلى عن شموسه وأقماره بيت ليس العجب ممن بقي عنه كيف يصبر إنما العجب ممن حضره كيف يرجع أو يدبر ﴿وَأَعِزُّوْا مِنْ مَّقَابِرِ بُرْهَعَمَ مُصَلًّى﴾ [الآية: 125] أمر بحسب مبناه أو خبر في معناه كما قرأ نافع والشامي والأمر للاستحباب لا سيما للطائفتين حول الباب والمراد بالمقام الحجر الذي أثر فيه قدمه عليه السلام حين قام عليه ودعا الخلق بأمر ربه إليه ومن التبعيضية تفيد حصول الفضيلة بالقرب من المقام في كل جهة إلا أن الخلق أفضل لبيان النبي الأكمل عليه السلام.

قال الأستاذ: عبد رفع لله سبحانه قدماً فالى القيامة جعل أثر قدمه قبله لجميع المسلمين إكراماً لا مدى له أي: لا غاية ولا عناية ولا يخفى أن قوله ﴿قِبْلَةً﴾ [البقرة: 144] محمول على أن موضع إقبال أو محل قبله وإجلال لا أنه يصلح أن يكون قبله كالكعبة للتوجه إليه في حالة الصلاة كما يتوهم بعض العامة ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [الآية: 125] أي: أمرناهما وأوحينا إليهما ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [الآية: 125] أي: نظفاه من الأوثان والأدران ومن غبار/ أغيار وطيباه 43/ أ بالروائح الطيبة الآثار لأنه محل نزول الرحمات الإلهية والتجليات الرحمانية السبحانية ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ [الآية: 125] أي: حوله ﴿وَالْمَكِينِينَ﴾ [الآية: 125] أي: المعتكفين والمقيمين عنده ﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ [الآية: 125] أي: المصلين داخله وخارجه بالتوجه إلى عينه لمن بالمسجد الحرام والبلد المحترم إلى جهته بالنسبة إلى سائر أفراد بني آدم في أطراف جميع العالم والإشارة من هذه الآية إلى تطهير القلب الذي هو في الحقيقة بيت الرب كما روي «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي»⁽¹⁾.

(1) كشف الخفا (2/ 100) رقم (1885) وقال عنه موضوع.

وقال الأستاذ: تطهير البيت بصونه عن الأدناس والأوضار وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار وطواف الحجيح حول البيت معلوم بلسان الشرع وبيان الصدق وطوفان المعاني مفهوم لأهل الحق فقلوب العارفين فيها المعاني طائفة وقلوب الموحدين فيها الحقائق عاكفة فهؤلاء أصحاب التلوين وهؤلاء أرباب التمكين وقلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة وقلوب الموحدين على بساط الوصل أبداً راکعة وقلوب الواجدین على بساط القرآن أبداً ساجدة.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا ﴿الآية: 126﴾ أَيْ: البلد أو المكان ﴿بَدَاءً﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ: مسكناً ﴿ءَامِنًا﴾ أَيْ أَهله أو ذا أمن ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ: سكانه ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ ليكونوا في رفاهية وفراغة للشغل بالعبادات وسكون بال عن الانتقال للرزق إلى سائر الجهات ﴿مِّنْ ءَمَنٍ مِّنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿الآية: 126﴾ بدل من قوله أهله إيماء إلى أن غيرهم ليس أهله ﴿قَالَ وَمِنْ كَثْرٍ﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ من سكان المكان ﴿فَأُتِمَّتْ﴾ ﴿الآية: 126﴾ بالتخفيف للشامي ﴿قَلِيلًا﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ: تمتيعاً قليلاً في الدنيا إلى منتهى أجله ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّتْ﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ: في العقبي ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ: لسوء عمله ﴿وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿الآية: 126﴾ أَيْ: مآله وسواء حاله قاس إبراهيم عليه السلام الرزق على الإمامة فنسبه سبحانه على أن الرزق نعمة صورية دنيوية تعم أهل الوفاق والشقاق بخلاف الإمامة والتقدم في الديانة فإنها من النعم الدينية المعنوية تختص بأرباب المقامات الأخروية.

وأفاد الأستاذ: أن السؤال إذا لم يكن مشوباً بحظ العبد كان مستجاباً ولم يكن سؤال إبراهيم عليه السلام هذا لحظ/ نفسه وإنما كان لحق ربه ولما 43/ ب حفظ أشرط الأدب حيث طلب الرزق لمن آمن منهم على الخصوص أجيب فيهم وفي الذين آمنوا أيضاً على العموم ولما قال في حديث الإمامة ﴿وَمِنْ دُرِّيٍّ﴾ ﴿الآية: 124﴾ من غير إذن منع فليل ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الآية: 124﴾ انتهى ولا يخفى أن قوله منع محمول على أنه منع على وجه العموم مع تضمنه الإجابة للخواص بطريق المفهوم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [الآية: 127] أي: أذكر حين كان يرفع أصول الأساس منه ﴿وَاسْمِعِلْ﴾ [الآية: 127] عطف عليه لأنه كان يناوله الحجارة فيتناول عنه ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية: 127] وقرئ يقولان ﴿رَبَّنَا﴾ ﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [الآية: 127] أي: تقربنا إليك بهذا البناء ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ [الآية: 127] لدعواتنا وأقوالنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 127] بنياتنا وأحوالنا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [الآية: 128] أي: مستسلمين لحكمك في الأعمال مخلصين على وجه الكمال حتى لا يتحرك منا عرق بغير رضاك في جميع الأحوال قال فارس أرحنا عن أسباب الطلب بالحيل والفرص وعن مطالعة الجزاء في العوض ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ [الآية: 128] أي: واجعل بعض أولادنا وأحفادنا ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾ [الآية: 128] أي: جماعة منقادة ﴿لَكَ﴾ [الآية: 128] أي: لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك وشتان بين من يطلب وارثاً لماله وبين من يطلب نائباً بعده ليقوم بطاعة ربه في ماله ﴿وَأَرْبَا مَنَاسِكَ﴾ [الآية: 128] أي: عرفنا متعبداتنا في حجبنا وسائر عباداتنا ﴿وَبُئِىَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 128] أي: وفقنا للتوبة وأقبلها منا وثبتنا عليها ولا تؤاخذنا في تقصيراتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ﴾ [الآية: 128] لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 128] لمن أب فارحنا في جميع حالاتنا من حياتنا ومماتنا.

وقال الأستاذ: أَرْنَا مناسكنا إذ لا سبيل إلى معرفة الموافقات إلا بطريق التوفيق والإعلام والإلهامات وتب علينا بعد قيامنا بما أمرتنا حتى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا ونرجع إليك عن شهود أفعالنا وأحوالنا لئلا نكون بخطر الشرك الخفي في توهم منا بنا.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ [الآية: 129] أي: في الأمة المسلمة ﴿رَسُولًا﴾ [الآية: 129] عظيماً ﴿مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 129] أي: من جملتهم وجلدتهم وهو نبينا محمد ﷺ كما قال أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾ [الآية: 129] أي: يقرأ عليهم كتابك ويبين لهم خطابك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 129] أي: أحكام مباحة ومعينة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 129] أي: ما يتعلق به من الحكم الإلهية أ/44 أو ما يوحى إليه ﷺ من السنن النبوية ﴿وَيُرَكِّبُهُمْ﴾ [الآية: 129] أي: يطهرهم عن

الأخلاق الدنية ويزينهم بالشمائل البهية ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْمَزِيدُ﴾ [الآية: 129] أي: الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 129] أي: الحاكم في بلاده على عباده.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 130] أي: لا يميل عنها ولا ينصرف منها ﴿إِلَّا مِنْ سَفِهَةٍ نَفْسَةٍ﴾ [الآية: 130] أي: جعلها بأن يعلم أنها مخلوقة لعبادة خالقها أو إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها.

قال الأستاذ: أخبر أنه أثر الخليل عليه السلام على البرية فجعل الدين دينه والتوحيد شعاره والمعرفة صفته فمن رغب عن دينه أو حاد عن سننه فالباطل مطرحة والكفر مهواه إذ ليست الأنوار بجمالها إلا مقتبسة من نوره ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ [الآية: 130] أي: اخترناه للرسالة ﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَكِنُ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 130] للزلفى والجملة برهان لما سبق من البيان.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾ [الآية: 131] أي: سلم نفسك إلى الله بالقطع عن التوجه إلى ما سواه أو أخلص دينك بالتوحيد وقلبك بالتفريد ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [الآية: 131] أي بلساني وجناني وسائر أركانني ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 131] أي: العالم بأفعالي المطلع على أحوالي.

وقال السلمي: أسلم أي: أخلص شرك فإنه موضع الاطلاع منك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [الآية: 131] أي: أسلمت إليك سري وأخلصت لك أمري فإنك أولى بي مني.

قال الروذ بادى: سلامة النفس في التسليم وبلاؤها في التدبير.

وأفاد الأستاذ: أن الإسلام هو الإخلاص والاستسلام وحقيقته الخروج عن أحوال البشري بالكلية من المنازعات بالاختيارية والمعارضات النفسية ومعنى أسلمت قابلت الأمر بالسمع والطاعة واعتنقت بالحكم بحسب الاستطاعة فلم يدخر شيئاً من ماله وبدنه وولده وحين أمر بذبح الولد قصد الذبح وحين قال خله عن الأسر فعل ما أمر فلم يكن له في الحالتين اختيار وتدبير.

﴿وَوَصَّى﴾ [الآية: 132] وفي قراءة نافع والشامي وأوصى ﴿يَهَا﴾ [الآية: 132] أي: بالملّة أو بكلمة الإخلاص المستفادة من الجملة ﴿إِذْ هَبْتُمْ بَيْنَهُ﴾ [الآية: 132] أي: أولاده إسماعيل وإسحاق وغيرهما عليهم السلام ﴿وَيَقُوبُ﴾ [الآية: 132] 44/ ب أي: ووصي هو أيضاً نبيه يوسف وأخواته الكرام ﴿يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ [الآية: 132] أي: دين الإسلام الذي هو صفوة أديان الأنبياء عليهم السلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ [الآية: 132] أي: في حال من الأحوال ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 132] أي: منقادون لله في تلك الحال فإنها حالة أهل الكمال في المال والمعنى الزموا الإسلام والتزموا الاستسلام حتى إذا أدرككم الممات صادفكم على ما أنتم عليه من الحياة.

قال الأستاذ: فيه بشارة بما يقوى به دواعيهم على الرغبة فيما كلفهم به من الإسلام لأنهم إذا تحققوا أن الله سبحانه اصطفى لهم ذلك علموا أنه لا محالة يعينهم فسهل عليهم القيام بحق الإسلام.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ [الآية: 133] أي بل أكنتم حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ [الآية: 133] بدل مما قبله ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية: 133] أي: أي شيء تعبدونه ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ [الآية: 133] أي: بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ [الآية: 133] أي: أسلافك ﴿إِذْ هَبْتُمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [الآية: 133] بدل من إله آبائك لتأكيد التوحيد وقع توهم التعديد الناشئ من التكرير لتعذر العطف على الضمير أو نصب على الاختصاص أي: يعني بإلهك وإله آبائك إلهاً واحداً ﴿وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 133] حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 134] أي إبراهيم وإبناه وحفيده ﴿أُمَّةٌ﴾ [الآية: 134] أي: جماعة ﴿فَدَخَلَتْ﴾ [الآية: 134] أي: مضت وسبقت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: 134] أي لكل أحد مثوبة عمله وتنجية أمله ﴿وَلَا تُشْكُلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 134] أي: لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وفيه إيماء إلى أن النسب لا ينفع بدون الحساب.

وقال الأستاذ: أنزل الحق سبحانه كلاً بمحله وأفرد لكل واحد قدراً بموجب حكمه فلا لهؤلاء عن أشكالهم خير ولا مما يخص به كل طائفة للآخرين أثر فكل في إقليمه ملك ولكل يدور بالسعادة فلك.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 135] أي: اليهود والنصارى ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [الآية: 135] أو للتنويع والمعنى قالت اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُوا﴾ [الآية: 135] جواب الأمر ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 135] أي: تتبع دين إبراهيم دون غيره ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 135] أي مائلاً عن الباطل إلى الحق حال من المضاف أو المضاف إليه وهو الملائم لقوله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 135] بل كان رئيس الموحدين وفيه/ تعريض للمخاطبين فأنهم مع أنهم من 45/ أ المشركين يدعون متابعتة وكونهم هم المهتدون.

وقال الأستاذ: معناه إذا تجاذبك الفرق بين فرق الخلق واختلف عليك المطالبة بالموافقة على وفق الحق فاحكم بتقابل دعاويهم لدينا وانفرد بتوجهك إلينا جاريّاً على منهاج صاحب الخلّة في اعتزال الجملة سواء كان إياه أوكان من كان ممن لم يوافق مولاه حيث قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله والحنيف المائل المستقيم على طريقة الحق المتبري عن جميع الخلق الواقف مع الحق للحق بالحق.

﴿قُولُوا﴾ [الآية: 136] أي أيها المؤمنون ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [الآية: 136] أي: القرآن وتقديم ذكره لأنه سبب الإيمان بغيره فهو أول بالإضافة إلينا أو التقدير وما أنزل إلى رسولنا وقدم لتقدمه رتبة وتقدم كتابه مرتبة والتحقيق أنه عليه السلام دخل تحت الخطاب وإنزال الكتاب إليه أصالة وإلينا تبعية محصل تغليب في الجملة ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن دُونِهِ﴾ [الآية: 136] أي: من الصحف ﴿وَأَنبِئْهُمْ أَنَّ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَآلَهُمُ الْكَوْكَبُ﴾ [الآية: 136] أي: أحفاد إبراهيم وهم أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء والصحف وإن نزلت على إبراهيم لكنهم لما جاؤوا بترويجها والحكم بما فيها من أمره ونهيه عن كونهم متعبدين بتفضيلها داخلين تحت أحكامها فكانها منزلة إليهم كما أن القرآن منزل إلينا ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ [الآية: 136] أي وبما

أعطي ﴿مُوسَى وَعِيسَى﴾ [الآية: 136] من التوراة والإنجيل ومعجزاتهما وخصا بالذكر لكثرة أتباعهما ووقوع المنازعة في شأن أشياعها ﴿وَمَا أَوْقَى النَّيُّوتَ﴾ [الآية: 136] أي: جملة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 136] أي: منزلاً إليهم من فضل ربهم عليهم ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 136] في أصل النبوة وإن كان بينهم فضل في الرتبة وفيه تعريض لمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَكُمْ﴾ [الآية: 136] أي: لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 136] مذكرون مخلصون.

وأفاد الأستاذ: أنه لما آمن نبينا ﷺ بجميع ما أنزل من قبله أكرم بجميع ما أكرم به من قبله ولما أظهر موافقة الجميع أمر الكل بالكون تحت لوائه فقال آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولما آمنت أمته بجميع ما أنزل على الرسل ولم يفرقوا بين أحد منهم ضربوا في تكريمه بالسهم الأعلى فتقدموا على كافة الأمم.

45/ ب ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 137] أي: أهل الكتاب وغيرهم/ ﴿يَبْتَغِلْ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ [الآية: 137] أي: المثل صلة للتأكيد ومقحمة للتأكيد كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ ويؤيده أنه قرئ بما آمنت به وبالذي آمنت به أو المعنى فإن آمنوا بالإخلاص بمثل ما آمنت به في مقام الاختصاص ﴿فَقَدْ أَهْتَدَوْا﴾ [الآية: 137] إلى طريق الحق وسبيل الصدق ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 137] أعرضوا عن الوفاق ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [الآية: 137] أي: في عداوة وخلاف فإن كل أحد من المتقادين والمخالفين في شق غير شق الآخر.

وقال الأستاذ: إن سلكوا طريقكم وأخذوا سبيلكم أكرموا بما أكرمتهم ووصلوا إلى ما وصلتم وإن أبوا الامتياز أبينا لهم إلا هواناً فإن نظرنا لمن خدمك يا محمد بالوصلة وإعراضنا عمن باينك وخالفك بالواجب من الخدمة من خالفك فهو في شق الأعداء ومن وافقك فهو في شق الأحياء ﴿فَسَيَكُونُكُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 137] أي: شر الكافرين وفيه تسكين للمؤمنين ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 137] وعداً للمقبلين والمعنى يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم وأحوالكم فيجازيكم بها ووعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون

فنعاقبهم عليها.

وقال الأستاذ: كفاية الله لكم متحققة وعناية الله بكم متعلقة فمن نابذكم قصمته أيادي النصره ومن خالفكم قهرته قضايا القسمة وهو السميع لمناجاة أسراركم معنا على الدوام العليم باستحقاقكم منا خصائص اللطف والإكرام.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [الآية: 138] نصب على الإغراء أي: الزموا دين الله كذا فسرهُ أكثر السلف فيكون نظير قوله فطرة الله وسمي صبغة فاتة حلية المتدين كما أن الصبغة حلية المصبوغ ولأنه يظهر عليه أثره ظهور الصبغ على مصبوغه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [الآية: 138] أي: فطرة والمعنى لا صبغة أحسن من صبغته وفيه تعريض للنصارى حيث كانوا يغمسون أولادهم في ماءٍ اصفر يسمونه بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم وتحقيق للنصرانية بدل الختان في دين الحنيفية ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ﴾ [الآية: 138] أي: لغيره ﴿عَبِيدُونَ﴾ [الآية: 138] تعريض لهم بأنهم مشركون وأفاد الأستاذ أن العبرة بموضوع الحق لا بمجموع العبد فما يتكلفه الخلق فالإي الزوال مآله وما أثبت الحق عليه الفطرة فبإثباته العبرة فللقلوب صبغة وللأرواح صبغة وللسرائر صبغة وللظواهر صبغة/ فصبغة الأشباح والظواهر بآثار 46/ أ التوفيق وصبغة الأرواح والسرائر بأنوار التحقيق.

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا﴾ [الآية: 139] أتخاصموننا وتجادلوننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ [الآية: 139] أي: في دينه أو في شأن نبيه حيث اصطفاه من العرب وذلك إن أهل الكتاب قالوا: إن ديننا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق المقدم وكان الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبياً لم تكن من غيرنا ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الآية: 139] أي: لاختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من خليقته ﴿وَلَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [الآية: 139] أي: كل يجازي بحسن عمله وسوء فعله ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُخْلِصُونَ﴾ [الآية: 139] أي: والحال أن لنا هذه المزية دونكم حيث نخلصه بالإيمان والطاعة خلافتكم.

قال الأستاذ: كيف يصح محاجة الأجانب وهم تحت غطاء الغيبة وظلال الحجة والأولياء في صفات المكاشفة وضياء المشاهدة ومتى يستوي حال من

هو بنعت الإفلاس لغيبته مع حال من هو في حكم الاختصاص والإخلاص لانفراقه في قربته هيهات لا سواء.

﴿أَمْ نَقُولُونَ﴾ [الآية: 140] بالغيبة الضمير لأهل الكتاب وقرأ ابن عامر والكوفي غير شعبة بالخطاب على الالتفات أي: بل تقولون ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 140] وقد نفي الأمرين عن إبراهيم بقوله ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: 67] واحتج عليه بقوله ﴿وَمَا أَزَلَّتْ أَلْسِنَتُكَ الْتَوَزُّنَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِيَّةٍ﴾ [آل عمران: 56] والمذكورون معه تابعون له في الدين اتفاقاً فلا يكونون هوداً أو نصارى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 140] يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة له عن اليهودية والنصرانية والمعنى: لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة الحقيقية وفيه تعريض بكتمانهم الشهادة على الرسالة المصطفوية ومن الثانية ابتدائية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 140] وقرئ بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من نظر من نفسه إلى الخلق تخيل كلاً برقمه وحسب الجميع بنعت مثله فكما كانوا يحكم الأجنبية في مقالهم حكموا للأنبياء عليهم السلام بمثل حالهم فرد الحق سبحانه عليهم ظنهم وقيل فيهم رأيهم وهل يكون المجذوب عن مشاهدة كالمحجوب في مشاهدة وهل يستوي المختطف عن كله كالمردود إلى مثله ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص، الآية: 27] ﴿فَتَمَسَّا لَهُمْ﴾ [محمد، الآية: 8].

46/ ب ﴿ذَلِكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُشْكِلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 141] أي تكرير للتأكيد في التحذير عما استحکم في طباع السفهاء من الافتخار بالآباء والانتكال على الأجداد من الأنبياء والأولياء أو الخطاب فيما سبق لأهل الكتاب وفي هذه الآية لنا تبعيد عن الاقتداء بهم في هذا الباب.

وقال الأستاذ: حال بينكم وبينهم حواجز من القسمة فهم أسسوا بنيانهم

على الفرقة والغفلة وأنتم ضربتم خيامكم على الزلقة والوصلة وعتيق فضلنا لا شبيه طريد قهرنا .

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ [الآية: 142] أي الجهال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 142] يعني المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وهذا إخبار عن الغيب قبل وقوعه وفائدة تقديمه توطين النفس وإعداد الجواب لسائله ﴿مَا وَلَّهُمْ﴾ [الآية: 142] أي أي شيء صرف النبي والمؤمنين ﴿عَنْ قِبَلِهِمُ إِلَهٌ كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 142] أي: الصخرة بيت المقدس ويؤيده أنه قال تعالى بعده ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144] وفي صحيح البخاري أنه عليه السلام صلى نحو بيت المقدس في المدينة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر ولكن يحب أن يتوجه إلى الكعبة⁽¹⁾ فنزل ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلُوبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 144] الآية فقال السفهاء من الناس وهم اليهود وما يليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فقال الله ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [الآية: 142] أي: ملكاً، وملكاً فلا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه في القبلية وإنما العبرة بارتسام أمره المتعلق بالأحكام الشرعية والقبلة في الأصل الحال التي عليها الإنسان من الاستقبال فصارت عرفاً للمكان المتوجه إليه نحوه للصلاة ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 142] أي هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 142] موجب استقامته ومنها ما يرتضيه الحكم وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى الصخرة تارة وأخرى إلى الكعبة.

وقال الأستاذ: سقمت بصائر الكافرين فلم يلح لهم وجه الصواب في جميع أفعال المؤمنين فطالعوها بعين الاستقباح فيهم وانطلقت ألسنتهم بالاعتراض في كل مكان يكون منهم فلم يروا شيئاً جديداً إلا أتوا عليه باعتراض جديد زماناً مديداً فمن ذلك تغيير القبلة فإنها لما حولت إلى الكعبة قالوا: إن كان قبلتهم/ حقاً فما الذي ولاهم عنها فقال عز وجل ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يتعبد العباد بالتوجه إلى أي قطر ونحو أراد وكذلك أصحاب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7252)، وابن حبان في الصحيح (617/4) رقم (1716)، والترمذي في الجامع الصحيح (169/2) رقم (340).

الخطأ في النظر والحكم والرد والقبول ثم بناء أمرهم مستند إلى الرسول ﷺ فكل ما لا يكون اقتداءً بالرسول عليه السلام فهو عندهم رد وصاحبه على لا شيء ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾ [الآية: 143] هي المفعول الأول ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ [الآية: 143] أي المفعول الثاني أي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإنه عليه السلام كان يصلي إليها بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود ومن أهل المدينة ثم أمر باستقبال الكعبة والمعنى ما رددناك إلى ما كنت عليها ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [الآية: 143] أي علماً تنجيزياً يوجب جزاءً عملياً أو لتمييز ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ [الآية: 143] أي: بالشبات على إيمانه ﴿وَمَنْ يَتَّقِلْ عَلَى عَقِبَتِهِ﴾ [الآية: 143] لقلقه وضعف إيقانه ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي: مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى قد كانت الجعلة أو التولية لثقلية ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الآية: 143] أي: هداهم الله إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإسلام ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [الآية: 143] أي: تصديقكم بالقبلة الأولى وصلاتكم على وفق حكم المولى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَزُؤٌوفٌ رَجِيمٌ﴾ [الآية: 143] وبالمؤمنين في الدرجة الأعلى.

قال الأستاذ: بين الله سبحانه أن الحكم في تقدير أمر القبلة إلى وقت التحويل وتحويلها من وقت التبديل كان اختباراً لهم لتمييز الصادق من المارق ومن نظر إلى الأمر بعين التفرة كبر عليه أمر التحويل من كل باب ومن نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجوه الصواب ثم قال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [الآية: 143] أي من كان مع الله في جميع الأحوال على قلب واحد فالمختلفات من الأحوال واحدة فسواء قرر أو غير أو أثبت أو بدل أو حقق أو حول فهم بدله في جميع الأحوال قال قائلهم:

كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا

فإن قابلوا شرقاً أو واجهوا غرباً واستقبلوا حجراً أو قاربوا مدرأ، فمقصود قلوبهم واحد وما كان للواحد فجميع الحكم فيه واحد.

﴿قَدْ رَأَى﴾ [الآية: 144] أي: ربما نري أو قد نعلم ﴿تَقَلَّبَ وَجْهَكَ﴾ [الآية:

144] تردد نظرك ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية: 144] أي: في جهتها تطلعاً لوحينا أو لنزول رسولنا بإتيان أمرنا وذلك لما كان يقع في/ روعه ويتوقع من ربه أي: يحوله إلى الكعبة لأنها قبله إبراهيم عليه السلام وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان وأقرب إلى مخالفة اليهود وأهل العدوان ومع هذا يراعي أدبه حيث انتظر ولم يسأل ربه ﴿فَلَوْلَيْتَكَ﴾ [الآية: 144] أي: فلنصيرنك مستقبلاً ﴿قِيلَ تَرَىٰ نَهَا﴾ [الآية: 144] أي: تحبها وتهواها لمقاصد دينية وافقت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن كل العبيد يجتهدون في طلب رضاي وأنا أطلب رضاك انتهى وفيه الإشارة إلى أنه هو المراد من العباد في جميع البلاد وغيره إنما هو المريد الطالب للمزيد ﴿قَوْلِي وَجْهَكَ﴾ [الآية: 144] أي: أقبل بوجهك ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 144] أي نحوه وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه عليه السلام كان في المدينة والآفاقي يكفيه مراعاة الجهة فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف المكي القريب إليها.

قال الأستاذ: لكن لا تعلق قلبك بأحجار ولا آثار لأنه ليس في الدار غيره ديار ولكن القبلة مقصود نفسك والحق سبحانه مشهود قلبك.

وفي «تفسير السلمي» قيل أعلم أولاً أنه بمرأى من الحق ليكون منادياً يا رب الصدق ومن حسن أدبه أنه نظر إلى جو السماء ولم يسأل بالدعاء فأجيب عن نظره إلى مراده بقوله ﴿قَوْلِي وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 144] أي: ترسم معهم برسم الظاهر في استقبال الكعبة بيدك ولا تقطع عن مشاهدتنا بقلبك فإننا جعلنا الكعبة قبله قلبك ونحن قبله قلبك ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ [الآية: 144] أيها المؤمنون من بر وبحر ﴿قُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [الآية: 144] أي حال الصلاة إيجاباً وفي غيرها استحباباً.

ولكن كما قال الأستاذ: أخلصوا قلوبكم لي وأفردوا شهودكم بي ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 144] أي: من اليهود والنصارى ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [الآية: 144] أي التحويل أو التوجه الحق أي: هو الأمر الثابت ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 144].

قال الأستاذ: ولكن علماً يكون عليهم حجة ولا يكون لهم فيه راحة ومنه زيادة ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 144] تهويل على الأعداء وتأميل للأولياء وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي بالخطاب وهو على التغليب في كل منهما.

﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ [الآية: 145] أي: برهان وحجة على أن القبلة كعبة ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [الآية: 145] ولا قبلوا/ حجتك لأنهم 48/ ب جاحدون ملّتك ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ [الآية: 145] أي في أيام دولتك وفيه تسلية وتسكين لقلبه ﷺ في أمر القبلة أنها لا تكون إلا الكعبة وقطع لطمع اليهود في رجوعه ﷺ إلى قبلتهم حيث كانوا يطمعون ذلك من غفلتهم.

قال الأستاذ: سبق لكم من قديم الحكم القرب بطريق الحق ووقع أعدائكم في شق البعد فبينكما برزخ لا يبغيان فما هم بتابع قبلك وإن أريتهم من الآثار ما هو أزهر من الشمس والأقمار ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ [الآية: 145] إن أتوا بكل احتيال حكماً من الله سبحانه في أزل الأزال ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [الآية: 145] فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس والمعنى أنهم وإن اتفقوا في التظاهر على النبي بحسب الظواهر لكنهم مختلفون فيما بينهم من السرائر ﴿وَلَيْنَ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية: 145] أي بأن صليت إلى قبلتهم فرضاً وتقديراً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الآية: 145] أي: بعد ما بان لك الحق وظهر لك الصدق بكونك سراجاً منيراً وأن القبلة المنقولة هي الكعبة المقبولة ﴿إِنَّكَ إِذَا﴾ [الآية: 145] حينئذ ﴿لَمِنَ الْفَالِغِينَ﴾ [الآية: 145] أي: من الواقعين في ظلمة الغفلة وقيل إنك إذا مثلهم فالخطاب للنبي في المبنى ولأتمته في المعنى.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 146] يعني علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ [الآية: 146] أي محمداً بوصفه ونعته أو القرآن وحقيقته أو للتحويل وحقيقته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [الآية: 146] أي: كمعرفتهم آبائهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام بعد الإسلام عن النبي عليه السلام فقال:

أنا أعلم به مني بابني قال: ولم قال لأنني لست أشك في أمر محمد ﷺ أنه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت بي ﴿وَإِنَّ قَرِيْبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 146] تخصيص لما عاند فيهم واستثناء لمن آمن منهم.

قال الأستاذ: حملهم مستكنات الحسد على مكابرة ما علموه بالاضرار وكذلك المغلوب في ظلمات نفسه يلقي جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يردعه عن انهماكه كلام.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية: 147] أي الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي يميل أهل الكتاب إليه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ [الآية: 147] أي: من الشاكين في أنه من ربك والمراد تحقيق الأمر الباهر بحيث لا يشك فيه الناظر أو أمر للأمة باكتساب المعرفة المريحة لظلمة الشك الموجبة للغمه بطريق المبالغة.

وأفاد الأستاذ: أنه بعدما طلع لك شمس اليقين فلا تركز إلى مجوزات 49/ أ التخمين/ الخطاب له والمراد به الأمة ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] أي: لكل قوم قبلة ﴿هُوَ مُوْبِحٌ﴾ [الآية: 148] أي: وجهه والمعنى مستقبلها أو الله موليا إياه وفي قراءة الشامي بصيغة المفعول أي: هو مولى تلك الجهة قد وليها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [الآية: 148] أي: من أمر القبلة وغيره مما ينال به السعادات والمعنى إذا كان لكل قوم جهة فاستبقوا إلى أحسن الجهات وسارعوا إلى أيمن الحالات.

قال صاحب «العرائس»: أي لكل روح منهاج وقبلة ومعراج في وجود الذات وحقيقة الصفات فعين العيان قبلة الأرواح القدسية وصرف الصفات قبلة الأرواح الجلالية وعين القدم قبلة الأرواح الغيرية وعين الأبد قبلة الأرواح البقائية وأنوار المشاهدة هي قبلة الأرواح السابقة وحسن الصفات هو قبلة الأرواح المؤنسة ونفحات بساتين الغيب هي قبلة الأرواح الروحانية هو موليا أي تلك الروح الرحمانية هي قاصدها قاصدة إياها بجناح الشوق مجذوبة بخيال العشق إلى معدن الألوهية والصمدية ولكل واحدة منها مطلع ومنبع فبعضها والهاة وبعضها شائقات وبعضها عاشقات وبعضها مؤنسات

وبعضها فانيات وبعضها باقيات وبعضها صاحيات وبعضها ساكرات من هول المقامات وكشف المشاهدات وبروز المعانيات وإدراك المغيبات ﴿فَأَسْتَفْهَمُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [الآية: 148] خاطب بها أهل الاستقامة أي: سارعوا إلى صرف الأنانية فإنه أعلى الدرجات لأن أرواح الوسائط في محل الإرادات وأنتم أهل النهايات.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن كل قوم اشتغلوا عنا بشيء حال بينهم وبيننا فكونوا أنتم أيها المؤمنون لنا وبنا وأنشد بعضهم:

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك منتهى شغلي⁽¹⁾

﴿إِن مَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [الآية: 148] أي: في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف ولو مفترق الأجزاء ويجمعكم الله إلى المحشر للجزاء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 148] فيقدر على الإماتة والإحياء.

وفي «العرائس»: أن أرواح خواص المعرفة وأرواح السائرة في الميادين الأرضية يأتي بهن الله جميعاً بعد محو الإرادات واضمحلال/الرسومات في 49/ب سرادق البقاء ويسقي كل روح من الأرواح بكأس الصفاء شراب الوصال ويكشف لها جمال الجمال حتى تكونوا هنالك جميعاً في عيم العطاء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر على أن يشق أرواح السابقين والمعتقدين روائح عنبر الأنانية ونسيم فرد الوحداية في مقام الاستقامة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [الآية: 149] أي ومن أي مكان خرجت للسفر إفعل ما أمرت به في الحضر ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 149] لأن هذه الأمة المكرمة مختصة بهذه القبلة المعظمة من بين الأمم المتأخرة ﴿وَأَنْتُمْ﴾ [الآية: 149] أي هذا الأمر ﴿لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [الآية: 149] وفي قراءة البصري بالغيبة.

وقال الأستاذ: كما تستقبلون أينما كنتم القبلة قربتم منها أم بعدتم فكذلك أقبلوا علينا بقلوبكم كيف ما كنتم حظيتم بنا أو منيتم.

(1) نسب إلى مسلم بن يسار. انظر: المدهش (1/455)، والتبصرة لابن الجوزي (1/377).

﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 150] إعادة هذه الجملة الشريفة لحكمة خفية لطيفة وهو أنه ذكر لتغيير القبلة ثلاث علل مفهومة من قوله ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 53] الأولى إكرامه تعالى نبيه عليه السلام إذ ولاه قبلة أبيه إبراهيم وابتغاؤه مرضاته وهو قوله ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية: 144] الآية الثانية إخباره أن لكل صاحب دعوة قبلة وهو قوله ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ﴾ [الآية: 148] الثالثة قطع حجج معانديه وهو قوله ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [الآية: 150] فقرن بذكر كل علة معلولها الذي هو الغرض والمرام وذلك قوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 150] ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [الآية: 150] علة قوله ﴿فَوَلُّوا﴾ [الآية: 150] والمعنى أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة احتجاج اليهود من الجهلة بأن المنعوت في التوراة قبلة الكعبة وأن محمداً ﷺ يجحد ملتنا ويتبع قبلتنا واختصاص المشركين بأن من العجب أن محمداً يدعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته وقبلة ابنه إسماعيل أبي العرب ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 150] استثناء من الناس أي لثلاث يكون لأحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده ولو كان على الحق للزم قبله الأنبياء من قبله/ والمراد بالحجة التمسك حقاً 50/ أ كان أو باطلاً في الخصومة أو الحجة بمعنى الاحتجاج في القضية أو الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة بالكلية كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم للعلم بأن الظالم لا حجة له على العالم.

وقال الأستاذ: إذا أردت أن لا يكون لأحد عليك سبيل ولما يقع عليك لمخلوق ظل ولا يصل إليك بالسوء يد فحيث ما كنت وأين ما كنت وكن ما كنت كن لنا وبنا فإن من انقطع إلينا لم يتطرق إليه حدثان بمنعه عنا ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ [الآية: 150] فإن مطاعنهم لا تضر إلا أنفسهم ﴿وَكَشَوْنِي﴾ [الآية: 150] فلا تخالفوا أمري.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا كانوا محوا عن كونهم رسوماً يجري عليهم

أحكامنا فإنني بالحيثية عنهم ﴿وَلَا تُتَمَّ يَمَقِّ﴾ [الآية: 150] عطف على ﴿يَتَلَّا يَكُونُ﴾ [الآية: 150] أو التقدير وأمرتكم لأكمل نعمة هدايتي إليكم بتكميل شريعتي ﴿عَلَيْكُمْ وَلَقَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 150] أي ولكي تهتدوا إلى الاستقامة في طاعتي والاستدامة على عبادتي.

وأفاد الأستاذ: أن إتمام النعمة إضافة الكشف إلى اللطف فإن من كفاه بمقتضى جوده دون من أغناه بحق وجوده وفي معناه أنشد:

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غيب ونحن حضور⁽¹⁾

انتهى وفي الحديث تمام النعمة دخول⁽²⁾ الجنة وعن علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الإسلام⁽³⁾ وفيه أن الموت على الإسلام هو ابتداء النعمة في الحقيقة وانتهاءها دخول الجنة وحصول الرؤية.

ولعل نظر المرتضى إلى تمام النعم الدنيوية والنسبة السببية ونظر المصطفى إلى تمام المنح الأخروية والنتيجة الأبدية ﴿وَلِكُلِّ وَجْهٌ﴾ [الآية: 148] يتجه وجهه فالمثال متعدد والمآل متحد:

عبارتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال يشير
فدخول الجنة بمنزلة المدينة العلمية والموت على الإسلام في مرتبة بابها الذي هو من جملة أسبابها العملية.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾ [الآية: 151] الدالة على وجود ذاتنا وجود صفاتنا وشهود أفعالنا ومصنوعاتنا ﴿وَرَزَّيْكُمْ﴾ [الآية: 151] أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء في علمكم وحلمكم ﴿وَقِيلَ لَكُمْ﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 145) و(4/ 200) و(7/ 423).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 56) رقم (98)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 541) رقم (3527)، وابن أبي شيبه في المصنف (6/ 46) رقم (29356)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (17/ 151) رقم (5381).

(3) تفسير البغوي (1/ 166)، تفسير الرازي (2/ 437).

50/ بَ الْكِتَابِ ﴿[الآية: 151] أَي مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 151] أَي السُّنَّةَ/ والموعظة واتقان المعرفة وأحكام العبادة ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 151] أَي: بالفكر والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي والخبر وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر والتشبيه يتعلق بما بعده أَي: كما ذكرتكم بإرسال نبي الرحمة وشفيع الأمة وكاشف الغمة.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [الآية: 152] بالطاعة والعبادة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بالمشوبة والرحمة ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ [الآية: 152] لأزيدكم النعمة ﴿وَلَا تَكْفُرُون﴾ [الآية: 152] بالمعصية والغفلة.

قال الواسطي: حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور وشأنه وقيل لك نسبة مع الحق يتحمل بها الوارد وهو ذكره إياك ولولا ذكره إياك ما ذكرته وقيل أتم الذكر أن تشهد المذكور لك بدوام ذكرك له وقيل حقيقة الذكر أن ينسى الذاكر كل شيء سواء مذكوره لاستغراقه فيه فيكون أوقاته كلها ذكراً وقيل ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [الآية: 152] بالمحبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بالرحمة وقيل: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [الآية: 152] في أفراحكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] في همومكم.

وفي «العرائس» ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [الآية: 152] بلسان الأسرار ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بكشف الأنوار ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ [الآية: 152] بمحض العبودية ﴿وَلَا تَكْفُرُون﴾ [الآية: 152] بعد إدراك المعرفة وأيضاً ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [الآية: 152] بالأعراض عن الكون بتباعد الأشباح ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية: 152] بارتفاع البور بتقريب الأرواح.

وأفاد الأستاذ: أن إرسال الرسول مفاتحه لأبواب الوصول وكان في سابق علمه سبحانه أن قلوب أوليائه متعطشة إلى لقائه ولا سبيل لأحد إليه إلا بواسطة دلالة الرسل عليه فأقوام ألزمهم بإرسال الرسل إليهم للكلف وآخرون أكرمهم بإرسال الرسول بفنون القرب والزلف فشتان بين قوم وبين قوم والذكر استغراق الذاكر في شهود المذكور ثم استهلاكه في وجود المذكور حتى لا

يبقى منك إلا أثر يذكر فيقال وقد كان مرة فلان ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أي كونوا مستهلكين بذكركم في وجودنا بعد فنائكم عنا قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: 16] كانوا وقتاً ولكنهم بانوا دائماً الناس حديث حسن حسناً لمن وعى وطريقة أهل العبادة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالموافقات ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالكرامات/ 51/ أ وطريقه أهل الإشارة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بترك كل حظ منكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بأن أقيمكم بحقي بعد فنائكم عنكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ مكتفياً بي عن عطائي وإفضالي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ راضياً بكم دون أفعالكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بذكري لكم ما تذكرون ولولا سابق ذكري لما كان لاحق ذكركم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقطع العلائق ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بنعت الحقائق ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ على عظيم المنّة عليكم فإن قلت لكم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ويقال الشكر من قبيل الذكر وقوله ﴿وَلَا تَكْفُرُون﴾ النهي عن الكفران أمر بالشكر والشكر ذكر فكرر عليك الأمر بالذكر والثلاث أول حدّ الكثرة والأمر بالذكر الكثير أمر بالمحبة لأن في الخبر من أحب شيئاً أحب ذكره⁽¹⁾ فهذا في الحقيقة أمر بالمحبة ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أحبوني أحبكم ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتذلل ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتفضيل ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالانكسار اذكركم بالمبار ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ باللسان ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجنان ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقلوبكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق مطلوبكم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ على الباب من حيث الخدمة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإيجاب على بساط القربة بإكمال النعمة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بتصفية السر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتوفية البر ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالجهد والعدّ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجود والعطاء ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في حال سرورككم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ وأنتم في قبوركم ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ وأنتم بوصف السلامة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ يوم القيامة يوم لا ينفع الندامة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالرهبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالرغبة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ [الآية: 153] أي: حال الأمور الدنيوية والدينية ﴿بِالصَّبْرِ﴾ [الآية: 153] عن المعاصي والمناهي وحفظ النفس والملاهي ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ [الآية: 153] أي: هي أم العبادات وأساس الصلّات ومعراج المؤمنين ومدارج الموقنين ومناجاة رب العالمين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 153] أي:

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 388) رقم (501)، وانظر: المقاصد الحسنة (1/ 619) رقم (1050)، وكشف الخفا (2/ 222) رقم (2352).

الذين هم أعم من المصلين بالنصرة والمعونة وإجابة الدعوة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءُ﴾ [الآية: 154] أي: هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 154] ما هم فيه من الكرامة ونعيم الجنة ففي الحديث أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى فناديل تحت العرش معلقة⁽¹⁾ قيل لأنهم مقتولين في حقه ومن كان مقتولاً فيه كان حياً به.

51/ ب وفي «العرائس» أي لا تقولوا ولا/ تظنوا ﴿لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ﴾ [الآية: 154] العشق بسيف الشوق ﴿أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءُ﴾ [الآية: 154] بعد فنائهم عن حياة الإنسانية بحياة الربانية ولكن لا تشعرون لأنهم محبوسون بين الوجود والعدم وهم مخلصون في بقاء القدم ومن ذبح نفسه من أربعة مواضع في أربعة مواضع بأن قطع رأس حرصها من الدنيا في مذبح التفريد وقطع رأس ألمها من إرادة حياتها ووجودها في مصرع التجريد وقطع رأس رياستها من الخلق في منحر التوحيد وقطع رأس ميلها إلى الآخرة في مقتل التحقيق ألبس الله تعالى روحه أربع لباس في أربع مقام ألبسها لباس سناء المعرفة في مقام المكاشفة وألبسها لباس صفاء المحنة في مقام المشاهدة وألبسها لباس ضياء الوصلة في مقام القرية وألبسها لباس الأنوار الأنانية بنعت البسط والسلطنة في مقام المخاطبة وإذا كان بهذه الصفة فقد فاز من سكرات الممات وصار حياً ببقاء الصفات.

وقال الأستاذ: فاتهم الحياة في الدنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبدية في العقبى فهم في الحقيقة أحياء يجدون من الله فنون الكرامات ويقال هم أحياء لأن الخلف عنهم الله ومن كان الخلف عنه الله لا يكون ميتاً قال قائلهم في مخلوق:

فإن يك غياب مضى لسبيله فهل مات من يبقى له مثل خالد
ويقال هم أحياء بذكر الله لهم فالذي هو مذكور الحق بالجميل بذكره
السرمدي فلي بميت ويقال أن أشباحهم متفرقة ولكن أرواحهم بالحق سبحانه

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 183) رقم (8905).

متخففة ولئن فנית بالله أشباحهم فلقد بقيت بالله أرواحهم ومن كان فناؤه لله كان بقاؤه بالله .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [الآية: 155] أي: ولنعاملنكم معاملة المبتلى معكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [الآية: 155] أي: بقليل من ذلك النوع وإنما قللهم بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ليخفف عنهم وليريهم أن رحمته لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما يصيب معانديهم في الآخرة وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم والخوف خوف العدو والجوع والقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ [الآية: 155] أي خسران ونقصان في المال والحلال ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ [الآية: 155] بالموت والقتل والمرض والكبر والثقل والكسل ﴿وَالشَّمْرِ﴾ / [الآية: 52/أ] 155] أي: بالآفات وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من المال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد.

وقال الأستاذ: ابتلاهم بالنعمة ليظهر شكرهم وابتلاهم بالمحنة ليظهر صبرهم فلما أدخل المعلوم من حالهم في الوجود ورسمهم بالرقم الذي قسمه وأثبتهم على الوصف الذي علمه ففي الخوف تصفية لصدورهم وبالجوع تنقية لأبدانهم وبنقص من المال يزكو نعمهم وبمصائب النفوس يعظم عند الله أجرهم وبآفة الثمرات يتضاعف من الله خلفهم ﴿وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية: 155] يعني الذين لا اعتراض لهم على تقدير الله فيما أمضاه ويقال طالبهم بالخوف عن عقوبته ثم بمقاساة الجوع ابتغاء قربته وكرامته ونقص من الأموال بتصدق الأموال والخروج عنها طلباً للخير عنه بحصول معرفته والأنفس تسليماً لها إلى عبادته والثمرات القول بترك ما يأمولونه من الزوائد في نعمته ﴿وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية: 155] على استحسان قضيته وهم أهل تسليم وانقياد لجريان قدرته ومطالبات الغيب إما أن يكون بالمال أو بالنفس أو بالقلب أو بالأقارب فمن صرف في سبيله المال فله النجاة ومن بذل لحكمه النفس فله الدرجات ومن صبر عن مصائب الأقارب فله الخلف والقربات ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلات.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا﴾ [الآية: 156] أي: أي مصيبة تصيبهم من الأمور المكروهة للنفوس الإنسانية ففي الحديث كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة⁽¹⁾ ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 156] أي: بلسان القول أو ببيان الحال أو بالجمع بينها كما هو شأن أهل الكمال ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 156] أي: كلنا عبده ومالنا ملكه ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ﴾ [الآية: 156] أي إلى حكمه في مآلنا ومنالنا ﴿رَجِعُونَ﴾ [الآية: 156] وعلى أحوالنا مجزيون والمبشر به محذوف أي: إلى أنه ليس من جنس موصوف بل من قبيل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أو اكتفاء بقوله.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ [الآية: 157] أي أنواع من الصلاة وهي الشناء 52/ ب والمغفرة والرضا ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 157] أي: خاصة/بمزيد اللطف والعناية ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية: 157] إلى المراتب العلية والمناقب الجلية.

في «تفسير السلمي» هذا إشارة تدعو إلى الرضا بالقسمة والصبر على المحنة فإن تحت كل محنة نعمة ومنحة.

وقال الأستاذ: قابلوا الأمر بالصبر لا بل بالشكر لا بل بالفرح والفخر ومن طالع الأشياء ملكاً للحق رأى نفسه أجنبياً بينه وبين حكمه ومنشئ الخلق أولى بالخلق من الخلق ويقال من شاهد المصائب شهد نفسه لله وإلى الله ومن شاهد البلى وعلم أن ما يكون من الله فهو عبد بالله وشتان بين من كان بالله وبين من كان لله الذي كان الله فصابر واقف والذي هو بالله فساقط الاختيار والحكم فإن أثبتته ثبت وإن محاه انمحي وإن حركه تحرك وإن سكنه سكن فهو عن اختياراته فإن وفى القبضه مصرف وقوله ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 157] بصلاته عليهم ابتدؤوا ووصلوا إلى صبرهم ووقوفهم عند مطالبات التقدير لا يبصرهم ووقوفهم وصلوا إلى صلاته فلولا رحمته الأزلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية فعنايته سابقة أوجبت لهم هداية خالصة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية: 157] لما رحمهم في البداية اهتدوا في النهاية.

(1) تخريج الأحاديث والآثار (96/1) رقم (79).

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الآية: 158] أي من أعلام مناسكه ومواقف ناسكه جمع شعيرة وهي العلامة وفيه إشعار بالتزام الشعور في المشاعر واكتساب الحضور في مقام الأكابر فمن صعد الصفا ولم يتصف سره بالوفا لم يتبين عليه شيء من شعائر الضياء ومن صعد المروة ولم يتصف بالمروة ولم يتجلى في قلبه مرآة الحضرة ولم يبعد عن مرتبة الغفلة لم يظهر عليه الزمن أثر من شعائر الزيادة ولم يترق من حضيض البشرية وإلى علو الهمة العلية الصوفية الصفية وقيل أن الصفا موقف التصفية من الكدورات الدنية والسعي إلى المروة هرب إلى الله والانقطاع إليه بالكلية فإذا تم سعيك بالهرب إلى الله فلا تبطله بالنظر إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن تلك المشاهد والرسوم وتلك الأطلال والرقوم تعظم وتزار وتشد إليها/ الرحال لا أنها أطلال الأحباب وهنالك تلوح الأسرار. 53/أ
أهوى هواها لمن قد كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر⁽¹⁾
وإن لتراب طريقهم بل لغبار وآثار فريقهم عند الأحباب أقدار عظيمة بل غبرة تقع على حافات طريقهم لأعز من المسك الأذفر⁽²⁾.
وما ذاك إلا أن مشت بجنابه أميمة في سرب وجرت به برداً

﴿فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ﴾ [الآية: 158] أي قصده على جهة التعظيم ﴿أَوْ اعْتَمَرَ﴾ [الآية: 158] أي زاره على طريقة تكميل التكريم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 158] أي: لا حرج لديه ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ [الآية: 158] بأن يسعى بينهما ويسرع في محلها سبعا ليصل بركات سعيه الباهرة وإلى سبعة أربابه الظاهرة وسبعة أطواره الباطنة إلى سبعة أقاليم العالم الفاخرة على ما أفاده الشيخ نجم الدين المعروف بـ(داية) في تفسيره «بحر الحقائق».

وقال الأستاذ: حظي الصفا والمروة بجوار البيت فشرع لهما السعي بينهما كما شرع للبيت الطواف وكما أن الطواف ركن في النسك فالسعي أيضاً

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/306)، والنيسابوري في تفسيره (1/381).

(2) زكي جيد. انظر: كتاب العين (8/181).

ركن والجار يكرم لأجل الجار انتهى وهو مبني على مذهب الشافعي ومن تبعه وأما على مذهب أبي حنيفة ومن وافقه أنه واجب وفيه إشعار بأن مرتبته دون مرتبة البيت ونسبته بناء على أصالته وتبعيته فإن الجار يكرم لأجل الجار ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [الآية: 158] وقرأ حمزة يطوع بتشديدين مع التحتية أي من فعل يطوع رغبته عملاً من نوافل طاعته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ [الآية: 158] أي مثير على عبادته ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 158] بحاله ونيته.

وفي «بحر الحقائق» شاكر له بأخذ الواحد من الأعمال الفانية ويعطي العشر إلى سبعمائة ضعف إلى ما لا نهاية له من الحسنات الباقية بل يأخذ الوجود المجازي ويعطي الوجود الحقيقي عليم بنيات العباد في تقريبهم إليه فيتقرب إليهم بقدر صفائهم في الطاعات ومروتهم في الخيرات كقوله في الحديث الرباني من تقرب إلي شبراً تقربت إليه باعاً⁽¹⁾ الحديث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 159] كأخبار اليهود ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 159] كآليات الشاهدة على صدق محمد ﷺ ﴿وَأَلْهَكُنَّ﴾ [الآية: 159] أي: وما 53/ ب يدل/ على فريضة اتباعه وفضيلة اتباعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا يَبَيِّنُكَ﴾ [الآية: 159] أي أظهرناه وفصلناه ﴿لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 159] أي: لبني إسرائيل ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ [الآية: 159] أي: التوراة ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 159] أي: يبعدهم عن رحمته ويطردهم عن حضرته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [الآية: 159] أي: الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين والدواب حتى أنفسهم لما ورد في الحديث رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه⁽²⁾ لأن الظالم إذا قال ألا لعنة الله على الظالمين فكان القرآن لعنه بل كأنه بنفسه لعن نفسه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [الآية: 160] عن الكتمان وسائر العصيان ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ [الآية: 160] ما أفسدوا بتدارك الشأن ﴿وَيَبَيَّنُوا﴾ [الآية: 160] أي: ما أمرهم الله

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7405)، ومسلم في الصحيح (2/2675).

(2) تفسير النيسابوري (15/1)، وفي إحياء علوم الدين نسب إلى قول مالك بن أنس (2/2).

بالبیان ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 160] أي: أوفقهم للتوبة وأرجع إليهم بالقبول والمغفرة ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 160] المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة.

وفي «بحر الحقائق» يعني الذين تابوا وأصلحوا ما كان توبتهم من تلقاء أنفسهم إنما أنا أتوب عليهم لأنني أنا التواب ولي التوبة ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: 18] ولولا تهديد هذه الآية لكان أكثر أهل الحق ما خالطوا الخلق وما اشتغلوا بمناصحتهم وما قاموا بتربيتهم.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ: من أن الإشارة في هذه الآية لمن كاشفه الحق سبحانه بعلم من آداب السلوك ثم ضنّ بإظهاره للمريدين على وجه النصيحة والإرشاد استوجب المقت في الوقت ويخشى عليه نزع البركة حتى تؤخر فيه كما يؤخر تعليم المستحق إلا الذين تداركوا ما سلف من تقصيرهم بحسن الرجعة والقيام للمريدين بحق النصيحة وبينوا لهم بجميل البيان وإقامة البرهان على ما يقولون بحسن قيامهم بمعاملاتهم فإن أظهر الحجج لبيان أفعالك وأصدق الشهادة لتصحيح ما تدعو به الخلق إلى الله أن لا تخالف بمعاملتك ما تشير إليه بمعاملتك قال تعالى حكاية منه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنَهَلَكُمْ عَنْهُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ﴾ [الآية: 161] أي: المؤمنين أو يعمهم والكافرين ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 161] أي: استقر عليهم لعنة الإله ومن يعتد/بلعنه من خلق الله أو يعمهم اللعنة حتى من 54/أ جنسهم وأنفسهم وقيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتاً.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 162] أي: في اللعنة الموجبة للعقوبة المقتضية للطردة عن الحضرة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ [الآية: 162] بل يثقل عليهم الحجاب ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [الآية: 162] لا ينظر إليهم نظر الرحمة أو لا يمهلون للرجعة أو لا ينتظرون للمعذرة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه أن الذين بدا لهم بعدما سلكوا طريق الإرادة

ثم رجعوا إلى أحوال أهل العادة في تلك الوحشة قبضوا على تلك الحالة من الدنيا خرجوا، أولئك أصحاب الفرقة فلا على أرواحهم إقبال ولا لمصيبتهم جبران ولا لأحد عليهم ترحم خسروا في الدنيا والآخرة فالبقي في الهواء والنقع على الماء يلعنهم ﴿خَالِدِينَ﴾ [الآية: 162] مقيمين أبداً في هوانهم وصغرهم لا تخفيف ولا إسعاف ولا رفق ولا إطفاء.

﴿وَاللَّهُمَّ﴾ [الآية: 163] خطاب عام أي المستحق منكم العبادة على نعت الألوهية ﴿إِلَهٌ وَحْدٌ﴾ [الآية: 163] لا شريك له أن يسمى إلهاً معبوداً ولا نظير له أن يجعل مشهوداً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 163] تقرير للوحدانية واستحقاق العبودية ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 163] أي مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إما نعمة أو منعم عليه فلم يستحق العبادة غيره لأن مرجع الكل إليه.

قال الأستاذ: شرفهم غاية التشريف بقوله وإلهكم وإن شيوخ هذه الطائفة قالوا علامة من يعده من خواص الخواص أن يقول له عبدي وهذا أتم من ذلك بكثير فإن قوله: وإلهكم إضافته حقه إليك وأنه أتم من إضافته إياك إلى نفسه لأن إلهيته لك بلا علة وكونك له عبداً يعرض كل نقص وآفة ومتى قال لكم ﴿وَاللَّهُمَّ﴾ [الآية: 163] حين ما كانت طاعاتك وحركاتك وسكناتك أو ذاتك وصفاتك لا بل قبل ذلك أزل الأزال حين لا حين ولا أوان ولا رسم ولا حدثان فالواحد من لا مثل له يدانيه ولا سالك يلاقيه ولا قسيم يجانسه ولا نديم يؤانسه ولا معين يساعده ولا منازع يعانده أحدي الحق صمدي العين ديمومي البقاء أبدي العز أزلي الذات واحد من عز سنائه فرد في جلال بهائه وتر في جبروت ب/54 كبريائه قديم في سلطان عزه مجيد/ في جمال ملكوته وكل من أطنب في وصفه أصبح منسوباً إلى العي في نطقه ولولا أنه الرحمن الرحيم لتلاشى العبد إذا تعرض لعرفانه عند أول ساطع من باديات عز شأنه.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 164] أي: في إيجادهما وخلقتهما وعظمتها وكثرة أجزائها وإبداع المخلوقات فيهما وقدم السموات لاعتلائها مبنى ومعنى وجمعت لأنها طبقات في جنسها مختلفات ﴿وَأَنزَلْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾

[الآية: 164] أي في تعاقبهما سيراً وتعارضهما طولاً وقصراً وظلمة ونوراً وبرداً وحرّاً وسترّاً وظهوراً ﴿وَالْفُلْكَ﴾ [الآية: 164] أي: وفي السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [الآية: 164] أي ينفعهم في أمور الدنيا والآخرة أو بالذي ينفعهم من التجارة غيرها للسيارة والنظارة ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 164] أي وفي إنزاله ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية: 164] أي من جهتها والمراد بها الفلك أو السحاب أو جهة العلو وهواها قيدها فمن ابتدائية وفي قوله ﴿مِنَ مَّاءٍ﴾ [الآية: 164] بيانية ولو تبعية ومحلها النصب على المفعولية ﴿فَلَيَكُنَّ يَدُ﴾ [الآية: 164] أي بسبب الماء النازل من السماء ﴿وَالْأَرْضُ﴾ [الآية: 164] بإنبات نباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية: 164] أي: ينبتا وجذورتها ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ [الآية: 164] أي: وفيها نشر في الأرض ﴿مِنَ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [الآية: 164] أي: مما تدب على الأرض من هامة ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي تصريفها وتغييرها في مهابها جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبوراً وفي أحوالها عقيماً ولواقح وباردة وحارة ولينة وعاصفة وفي قراءة حمزة والكسائي بالإفراد على أن الجنس هو المراد ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 164] أي: وفي السحاب المذلل بينهما لتفريق المطر على وفق القدر ﴿لَا يَنْتَ﴾ [الآية: 164] أي دلالات على وحدة ذاته وعلامات على قدرته وبقية صفاته ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 164] أي: ينظرون إليها ويتفكرون فيها وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي: لم يتأمل في معناها واكتفى بمبناها.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى تعرف إلى قلوب الطالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب العقول والأحوال بدلالات قدرته وإمارات وجوده وسمات ربوبيته التي هي أقسام أفعاله ونبهم على وجوه الحكمة/ ودلالات الوجدانية 55/أ بما أثبت فيها من براهين تُلطف عن العبارة ووجوه من الدلالة تدق عن الإشارة فما من عين من العدم محصورة من شخص أو طلل أو رسم أو أثر أو سماء أو فضاء أو هواء وماء أو شمس أو قمر أو قطر أو مطر أو رمل أو حجر أو نجم أو بحر إلا وهو على الوجدانية دليل ولن يقصد وجوده سبيل.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [الآية: 165] أي: أصناماً

وأضداداً تشغلهم عن مولاہ ﴿يُحِبُّهُمْ كُحِبِّ اللَّهِ﴾ [الآية: 165] يعظمونهم ويطيعونهم كما يحب المؤمنون ربهم ويعظمون أمر عبادته ويميلون إلى طاعته ومحبة العبد لربه إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مرضاته ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه وإقامته في عبادته وصونه عن مخالفته والمعنى أن الكفار يستوون بين الله وبين بعض مخلوقاته في المحبة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 165] لأن محبتهم ذاتية لا تنقطع بالأمور العارضية بخلاف محبة الأنداد فإنها لعلل موهومة فاسدة وأغراض مفروضة كاسدة تزول بأدنى سبب ومحنة، ولذا كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله تعالى عند شدة حالتهم ويعبدون الصنم زماناً ثم يرفضونه إلى غيره عياناً.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام لم يجعلهم الحق سبحانه أهلاً لمحبتهم فشغلهم بمحبة الأغيار عن حضرته حتى رضوا لأنفسهم أن يحبوا كل ما هويته أنفسهم فرضوا بمعمول لهم أن يعبدوه ومنحوت من دونه أن يحبوه وليس المقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام وسائر الآثار ولكن المراد منه مدح محبة المؤمنين على محبتهم ولا يحتاج إلى كثير محبة حتى يزيد على محبة الكفار للأصنام ولكن من أحب حبيباً استكثر ذكره بل استحسّن كل شيء من أمره ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين على محبتهم للأصنام أن تلك محبة الجنس للجنس وقد يميل الجنس إلى الجنس ومحبتهم للحق سبحانه وتعالى محبة من ليس بجنس لهم فذلك أعز وأحق ويقال أنهم أحبوا 55/ب ما شاهدوه وليس بعجيب محبة ما هو لك مشهود/ وأما المؤمنون فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين شهودهم رداء الكبرياء على وجهه ويقال ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165] لأنهم لا يتبرؤون من الله سبحانه وإن عذبهم والكفار تبرؤوا من الصنم وكذا الصنم من الكافر.

قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: 166] أو يقال محبة المؤمنين حاصلة عن محبة الله لهم فهي أتم قال الله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54] ومحبتهم للأصنام من قضايا هواهم ويقال محبة المؤمنين أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر والشرع ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع ويقال

أنهم إذا صلحت أحوالهم واتسعت ذات يدهم وكثرت أموالهم اتخذوا أصناماً أحسن من الذي كانوا يعبدونه قبل ذلك في حال فقرهم فكانوا يتخذون من الفضة عند غناهم أصناماً ويهجرون ما كان من الحديد وعلى هذا القياس وأما المؤمنون فأشدّ حباً لله لأنهم عبدوا إلهاً واحداً في السراء والضراء ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية: 165] أي: لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا على أنفسهم باتخاذ الأنداد وسائر المعاصي والفساد ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ [الآية: 165] حين يشاهدونه يوم الحساب ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [الآية: 165] سد مسد مفعولي يرى والمعنى لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً ولا قدرة لغيره سبحانه أصلاً إذا عاينوا الألم لندموا أشد الندم وفي قراءة نافع والشامي ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالخطاب العام أي ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً فـ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مفعوله من رؤية البصر و﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ بدل من الذين ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ بدل اشتمال من العذاب وفي قراءة الشامي يرون بصيغة المفعول من الأداة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [الآية: 166] أي المتبوعون ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [الآية: 166] وهم التابعون ﴿وَرَأَوْا﴾ [الآية: 166] أي شاهد الفريقان العذاب ﴿الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ﴾ [الآية: 166] أي بسبب كفرهم أو فيما بينهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ [الآية: 166] أي أسباب المحبة ووصل الوصل والمودة بل انقلبت محبتهم عداوة.

وقال الأستاذ: إذا بدا لهم أوائل العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم الصواب وأما المؤمنون فيسلبهم أرواحهم وأملاكهم وأزواجهم وأولادهم ويسكنهم سنين في القبور ثم/ يبليهم يوم القيامة عند 56/ النشور بطول الأهوال وسوء الأعمال ثم يلقيهم في النار ويأتي عليهم طول الأيام والأعمار فلا يزدادون له إلا محبة على محبة فكذلك قال ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 165] .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنتَ لَنَا كَرَّةٌ﴾ [الآية: 167] أي: ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَّبِعَ مَنْهُمْ﴾ [الآية: 167] أي: من المتبوعين حينئذٍ ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ [الآية: 167] في العقبي ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 167] أي: مثل الإراءة القطيعة لهم ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية: 167] سيئاتهم التي صنعوها أو حسناتهم التي ضيعوها ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 167] أي: نداماتٍ لديهم وويلاتٍ إليهم ﴿وَمَا هُمْ

يُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ» [الآية: 167] بل هم مستقرون في دار البوار.

وقال الأستاذ: عند ذلك يعرفون مرارة طعم صحبة المخلوقات ولكن لا يحصلون إلا على الحسرات.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 168] أي: محلالاً أو أكلاً حلالاً طيباً أي: طاهراً من الشبهة أو مستطياً ليس فيه نوع من المضرة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية: 168] أي طرق تزيينه وسبل تحسينه والمعنى لا تعتدوا به في اتباع الهوى من تحريم رفيع الأطعمة وتحليل الأشياء المحرمة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الآية: 168] أي: ظاهر العداوة عند أهل اليقين وإن أظهر الموالاة للمريدين.

وأفاد الأستاذ: أن الحرام وأن استلذ به في الحال فهو وبئ في المآل والحلال وإن استكره في الحال فهو مريء في المآل والحلال الصافي ما لم ينس مكتسبه الحق في اكتسابه ويقال الحلال ما حصله الجامع له والمكتسب على شهود الحق في حاله وكل ما يحملك على نسيان الحق أو عصيان الرحمن فهو من خطوات الشيطان وقد قرأ قنبل وشامي وحفص والكسائي بضم الطاء وهما لغتان.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾ [الآية: 169] أي: بما يسوءكم في العاقبة ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ [الآية: 169] أي: القبائح الفاحشة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 169] مما تحرمون وتحللون وسائر مما تعملون.

وقال الأستاذ: والسوء الركون إلى الدنيا والفحشاء متابعة الهوى وإن الشيطان أبداً يدعوكم إليهما ويحثك عليهما ولا جترأه على الله يدعوكم إلى افترائك على الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 170] أي: لأتباع الشيطان وهواه ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ﴾ 56/ ب [الآية: 170] ابتغاء لرضاه/ ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [الآية: 170] أي: الذي وجدنا عليه كبراءنا- ﴿أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَ يَقُولُونَ سُبْحَانَ﴾ [الآية: 170]- من الأدلة العقلية ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 170] إلى الدلائل النقلية والمعنى أيتبعون

من لا يتفكرون في أمر الدين ولا يقتدون بأهل اليقين.

وقال الأستاذ: وما ارتفع أبصارهم عن أشكالهم وأصنافهم من أضرابهم وأسلافهم ولو علموا أن أسلافهم لا عقل يردعهم ولا رشد يجمعهم لنابذوهم مناصبين وعاندوهم مخالفين ولكن سلبوا أنوار البصيرة وحرّموا دلائل اليقين ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 171] أي: فيما هم فيه من الجهالة والضلالة ﴿كَمَثَلِ الْإِذَى يَبْعَثُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [الآية: 171] أي: كمثل الدواب السارحة التي لا تفقه ما يقول لهم الراعية الداعية بالجملة الندائية ومثل داعي أرباب الضلالات كمثل راعي الحيوانات الذي يصيح بهن وينصح لهن بما لا تسمعن إلا مجرد صوت لعدم فهمهن وإدراكهن.

قال الأستاذ: عدموا سهم الفهم والقبول فلم ينفعهم سمع الظاهر ونزلوا منزلة البهائم في الخلق عن التحصيل ومن ضارح البهيمة ليس له كبير قيمة ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [الآية: 171] أي: هم مثلهم في عدم نفعهم بمشاعرهم وحواسهم ووضعها في غير المواضع المطلوبة منهم ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 171] أي: بقلوبهم ما يراد بهم من خلقهم بخلاف أضدادهم من العلماء الأولياء حيث لا يسمعون الباطل ولا يتكلمون بما ليس تحته طائل ولا ينظرون إلى شيء نظر الغافل بل لا يسمعون إلا من الحق ولا ينطقون إلا بالحق ولا يرون إلا الحق فإنهم جامعون بين الطريقة والشرعة والحقيقة فهم لا يعقلون شيئاً من أمور الدنيا لأنهم والهون في محبة المولى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الآية: 172] أي حلالاته ومباحاته ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] في القيام بطاعته وعبادته ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية: 172] وعن غير منعمكم معرضون وفيه تنبيه نبّه على أن الحسنات من الأعمال نتيجة أكل الحلال.

وقال السلمي: طيبات الرزق هي التناول في أوقات الاضطرار مقدار استبقاء المهجة لأداء الفرائض وهو أفضل حلال إذ لا تبعة على أكله بحال.

وأفاد الأستاذ أن الحلال ما ليس/ عليه تبعة والطيب الذي ليس لمخلوق 57/أ فيه منة فإذا وجد العبد ما استجمع فيه الوصفان فهو الحلال الطيب عند أهل

العرفان وحقيقة الشكر عليه أن لا تتنفس في غير رضا الملك العلام ما دام يبقى فيه القوة لذلك الطعام.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [الآية: 173] أي أكلها ﴿وَالْدَّمَ﴾ [الآية: 173] أي السائل لقوله تعالى ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام، الآية: 145] وفي الحديث أحلت لنا ميتتان السمك والجراد ودمان الطحال والكبد⁽¹⁾ ﴿وَلَحْمَ الْخُزْزِيرِ وَمَا أَهْلُ بِهِ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ﴾ [الآية: 173] أي وما ذبح لغير اسمه من صنم ونحوه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حرم على الظواهر هذه المعدودات وهو ما أهل لغير الله وحرم على السرائر صحبة غير الله بل شهود غير الله انتهى. وفيه الإشارة أن ما عدا الحي الذي لا يموت في صدد آية يزول ويفوت قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ [الآية: 173] أي: أحوَجَ وألجئ في حال الضرورة إلى أكل الأشياء المذكورة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ [الآية: 173] أي: حال كونه غير طالب بالاستئثار على صاحب الاضطرار ﴿وَلَا عَاوٍ﴾ [الآية: 173] وغير متجاوز سد الرmq وحد الجوعة ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 173] أي في أكل ما اضطر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 173] أي للمعصية فلا يؤاخذ فيما جعل فيه الرخصة ﴿رَجِيمٌ﴾ [الآية: 173] أي: بعباده أي: حيث رخص لهم في بعض أحوالهم وإن أوجب عليهم العزيمة في بعض أفعالهم وفي الحديث أن الله يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن يؤتى عزائمه ولذا قال الفقهاء من لم يأكل الميتة حال الضرورة حتى مات مع وجود القدرة مات في المعصية.

وأفاد الأستاذ: وأن من لم يجد إلى الاستهلاك في حقائق الحق وصولاً فلا يسلكن غير سبيل الشرع سبيلاً فإما أن يكون محوياً في الله أو يكون قائماً بالله أو عاملاً لله والرابع همج لا خطر له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 174] أي: مما يدل على طريق الحق وسبيل الصواب ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ بِهِ تُمْنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 174] أي عوضاً

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1073) رقم (3218)، والبيهقي في السنن الكبرى (1/ 254) رقم (1128)، وأحمد في المسند (2/ 97) رقم (5723).

حقيراً وعرضاً يسيراً ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الآية: 174] أي: في ملتها ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ [الآية: 174] أي: في الحال لتلبسهم بأسبابها وفي المآل لوقوعهم في عذابها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 174] أي: كلام الرحمة والكرامة لغضبه عليهم وفي آية أخرى ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: 77] أي: نظر رعاية 57/ب وعناية ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية: 174] أي: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يهذبهم من وسخ عيوبهم فهم على أحسن أخلاقهم بخلاف عصاة المؤمنين حيث يكون دخولهم النار تصفية لهم وينزع الحقد والغش والحسد وأمثالها من صدورهم ﴿وَلَهُمْ﴾ [الآية: 174] أي: للكفار والفجار ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 174] وحجاب عظيم (1).

وأفاد الأستاذ: أن العلماء مطالبون بنشر دلائل العلم والأولياء مأمورون بحفظ السرائر والحكم فإن كتم هؤلاء براهين العلوم أُلجموا بلجام من النار وإن أظهر هؤلاء شظية من السر عوجلوا ببعاد الأسرار وسلب ما أوتوا من الأنوار ولكل حدّ وقدر وعلى كل حكم وأمر.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [الآية: 175] أي: استبدلوا الجهالة بالهداية في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ﴾ [الآية: 175] أي: عذاب الكتمان للأعراض الدنية والمطامع الدنيوية في العقبى ﴿بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية: 175] الحاصلة على بيان الحق واطهار المعرفة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [الآية: 175] تعجب من تقلب حالاتهم وقلة مبالاتهم في الالتباس بموجبات النار المحققة في دار القرار.

وقال الأستاذ: إن الذين آثروا العين على الغيب والخلق على الحق والنفس على الأنس ما أقسى قلوبهم وما أقبح محبوبهم ومطلوبهم وما أخس قدرهم وما أفضح لذوي البصائر أمرهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 176] أي: بالصدق والصواب

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 323) رقم (11880)، وابن حبان في الصحيح (2/ 69) رقم (354)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 140) رقم (5199)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 317) رقم (26471).

وهم رفضوه بالتكذيب وكتمان الباب.

وقال الأستاذ: أمضى القضاء والحكم فيه بالصدق وأوصلهم إلى ما له أهلهم وأثبتهم على الوجه الذي جبلهم ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ [الآية: 176] أي: تخلفوا عن المنهج الصواب بتصحيح مبانيه وتحريف معانيه ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية: 176] أي: خلاف بعيد عن وفاق.

﴿لَيْسَ أَلَرَّ﴾ [الآية: 177] بالنصب حفص وحمزة على أنه الخبر فالاسم قوله: ﴿أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِلَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الآية: 177] والمعنى ليس الطاعة المرضية مجرد توليتكم وجوهكم جهة المشرق والمغرب من قبلي النصراني واليهود بحسب أفق مكة المشرفة ﴿وَلَكِنَّ أَلَرَّ﴾ [الآية: 177] بالتخفيف والرفع لنافع والشامي أي: ولكن صاحب البر فإنه قرئ ولكن البار ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 177] أي: وسائر/ ما يجب الإيمان به على وجه اليقين وقدم يوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمنتهى ثم روعي الوجود الخارجي في ترتيب المبنى فإن الملك نزل بالكتاب على النبي المجتبي ﴿وَعَاقَى أَلْمَالِ عَلَى حَيْهٍ﴾ [الآية: 177] أي: أعطاه وهو يهواه لقوله عليه السلام فضل الصدقة أن تؤتيها وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر أو على حب الله من غير غرض فيما سواه أو على حب الإيتاء حيث يفرح بالإعطاء ﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾ [الآية: 177] وقدمهم لأن إيتاءهم على ما ورد اثنان صدقة وصلة ﴿وَالْيَتَامَى﴾ [الآية: 177] أي: المحتاجين ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ [الآية: 177] وفي معانهم الفقراء ﴿وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ [الآية: 177] أي: منقطع الحاج أو الغزاة أو المسافر الذي انقطع عنه ما يكفيه في سفره ولو كان له مال في مقره أو الضيف النازل به ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ [الآية: 177] ولو كانوا في صورة الغنيين ﴿وَفِي أَرْقَابِ﴾ [الآية: 177] أي تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك المأسورين ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 177] أي: المكتوبة ﴿وَعَاقَى الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 177] أي المفروضة وقد ورده في المال حق سوى الزكاة⁽¹⁾ فيصرف إليه قوله ﴿وَعَاقَى أَلْمَالِ﴾ [الآية: 177] المراد به نوافل

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 570) رقم (1789)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 84) رقم (7034).

الصدقات ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [الآية: 177] أي الحق أو الخلق قال بعضهم الوفاء بالعهود لزوم الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ [الآية: 177] أي: في حال مرارة الحاجة ﴿وَالْفَرَءَ﴾ [الآية: 177] في حدة ضرورة العلة ﴿وَجِينَ الْبَأْسِ﴾ [الآية: 177] وقت رياضة المجاهدة قال بعض المجاهدين الأحسن في الصفات الكثيرة مع قطع النظر عن التفنن في بابها لمن يخالف في إعرابها فإن الموضع موضع الإطناب فإنه إذا خولف بالأعراف وأتى بفتون العبارة في الإعراب كان البيان أفصح والبيان أوضح ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ [الآية: 177] مرفوع.

بالمدح أي هم الموفون ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 177] نصب على المدح أي: أخصهم من بينهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [الآية: 177] في اتباع رضا المولى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية: 177] أي المعرضون عن السوى وقد ورد عن رئيس أهل الإيقان من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن الأبخار والظواهر ليس بها كثير اعتبار وإنما الخبر عن الله عزيز وكثرة الأوراد وإن جلت فحرفة/العجائز وإخلاص الطاعات وإن عزت فصفا العوام وصلة الليل بالنهار في لطائف كثيرة ومجاهدات عزيزة عظيم الخطر في استحقاق الثواب. ولكن معرفة الحق عزيزة وما ذكر في هذه الآية من فنون الإحسان ووجوه قضايا الإيمان وإيتاء المال وتصفية الأعمال وصلة الرحم والتمسك بفتون الذمم والعصم والوفاء بالعهود ومراعاة الحدود لعظيم الأثر كثير الخطر محبوب الحق شرعاً ومطلوبه أمراً لكن قيام الحق عنك عند فنائك منك وامتحائك من شاهذك واستهلاكك في وجود القديم وتعطيل رسومك عن ساكنات إحساسك أتم وأعلى في المعنى فالتوحيد لا يبقى رسماً ولا أثراً ولا يغادر غيراً أي تغييراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ [الآية: 178] أي: فرض ﴿عَلَيْكُمْ الْقَصَاصُ﴾ [الآية: 178] أي: الاقتصاص ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ [الآية: 178] أي: في حق المقتولين ﴿أَلَمْ تَرَ بِالْحَرْبِ﴾ [الآية: 178] أي: في القتال ﴿وَالْأَنْتَى بِالْأَنْتَى﴾ [الآية: 178] على خلاف أهل الجاهلية حيث كان ذو

الطول منهم يقول للعرب من غيرهم لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى وأمرهم أن يتساوا فلا عبرة بالمفهوم الدال على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى فقد روي عن بعض السلف أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: 45] فالقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى مطرداً ومنعكساً ﴿فَمَنْ عَفَى﴾ [الآية: 178] أي: ترك ﴿لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [الآية: 178] أي: دم أخيه المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ [الآية: 178] أي: من العفو بأن يعفو بعض الأولياء فإنه يسقط القود وفي ذكر أخيه استعطاف موجب للعفو وقيل المعنى من عفى له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم ﴿فَالْبَاقِ﴾ [الآية: 178] أي على العافي بأن يطالب الدية بلا شدة وغلظة ﴿وَأَذَاكَ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [الآية: 178] أي: وعلى المعفو عنه أن يؤديها بلا مظل ونقصان ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 178] أي: ما ذكر من تخير القود أو العفو والدية ﴿تَخَفِيفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 178] لأن القتل كان محتملاً على اليهود والعفو على النصارى ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ [الآية: 178] أي: تعدى عن الحد بأن قتل القاتل ﴿بِمَدِّ ذَلِكَ﴾ [الآية: 178] أي: بعد العفو وأخذ الدية ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 178] أي: في العقبي وقيل في الدنيا بأن يقتل ولا يأخذ منه الدية.

أ/59 وأفاد الأستاذ: أن حق القصاص مشروع والعفو خير موضوع فمن جنح/ إلى استيفاء حقه فسلم من نزل عن اقتضاء حقه فمحسن فالأول صاحب عبادة بل عبودية والثاني صاحب فتوة بل حرية ودم يراق جرى فيه القصاص على لسان أهل العلم وأما على لسان الإشارة لأهل القصة فدماءهم مطلولة وأرواحهم هدره قال قائل:

وإن فؤاداً رُغِّتَه لك حامد وإن دماً أجريته بك فاخر⁽¹⁾

وسفك دماء أرباب الحب في بساط القرب خلوف أهل الوصال قال النبي ﷺ اللون لون الدم والريح ريح المسك⁽²⁾.

(1) نسب إلى المتنبي، انظر: المتنخل (1/70)، شرح ديوان المتنبي (1/233).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/37) رقم (2396)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/11) رقم (6593)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/184) رقم (1656)، وأحمد في المسند (2/317) رقم (8190).

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾ [الآية: 179] أي: في حكمه ﴿حَيَوةٌ﴾ [الآية: 179] أي: عزيمة وعيشة مستقيمة مانعة من الفتنة ودافعة للمحنة أو حياة أخروية للقاتل لأنه إذا اقتصر منه في الدنيا لم يؤاخذ به في العقبي وقرأ في القصص أي: فيما قص عليكم من حكم القتل والدية أو في القرآن حياة للقلوب الميتة ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 179] أي: ذوي العقول الكاملة ﴿لَكُمْ تَنْقُوتٌ﴾ [الآية: 179] عن المخالفة أو العقوبة.

وقال الأستاذ: لما قيل القتل أنفى للقتل⁽¹⁾ في استيفاء القصاص حياة لأنه إذا علم أنه إذا قُتِلَ قُتِلَ أَمْسَكَ عن القتل فكان فيه حياة القاتل والمقتول وإذا ترك القصاص على لسان الإشارة ففي ترك القصاص أعظم الحياة لأنه إذا تلف فيه فهو الخلف عنه وحياته عنه أتم من بقائه بنفسه وإذا كان الوارث عنهم الله والخلف عنهم الله فبقاء الخلف أعز من حياة من ورد عليه التلف كتب.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [الآية: 180] أي: ظهر إماراته أو مقدماته ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [الآية: 180] أي: مالا ولو يسيراً ومالاً كثيراً ﴿الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ وَالَافْرَيْنَ﴾ [الآية: 180] وهو مرفوع بكتب وتذكيره للفصل وكان هذا الحكم في ابتداء الإسلام فنسخ بآية الميراث وبقوله عليه السلام أن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث⁽²⁾ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 180] أي بالعدل بأن لا يجاوز الثلث ولا يفضل الغنى ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 180] أي: حق ذلك حقاً ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 180] أي مخالفة الحق من الشرك الجلي والخفي.

قال الأستاذ: من ترك مالا فالوصية في ماله مستحبة ومن لم يترك شيئاً فأنى في حاله بالوصية الأغنياء يوصون في آخر أعمارهم بالثلث والأولياء يخرجون في حياتهم عن الكل فلا يبقى منهم إلا همة انفصلت عنهم ولم

(1) قول مشهور عند العرب.

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/906) رقم (2714)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/434) رقم (2121)، وأبو يعلى في المسند (3/78) رقم (1508)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/208) رقم (30717).

59/ ب يتصل بشيء لأن الحق لا سبيل إليه للهمة والهمة لا تعلق لها بمخلوق البتة/ فبقيت وحدة منفصلة غير متصلة وأنشدوا:

أحبكم ما دمت حياً فإن مت يحبكم عظمي في التراب رميم⁽¹⁾
هذا وصيتهم وقال بعضهم:

له قلبي الذي غصبه وجسمي لابس وصبه
وللعبرات أجفاني وما يبقى قلل عصبه
لا بل كما قال قائلهم:

أما الرسوم فمخبرات أنهم رحلوا قريباً
رجعوا إلى أوطانهم فجرى لهم دمعي صيباً⁽¹⁾

﴿فَمَنْ بَدَّلُوا﴾ [الآية: 181] أي غير الإيصاء من الأوصياء والشهود والأولياء
﴿بَعْدَمَا سَمِعُوا﴾ [الآية: 181] أي: تحقق عنده ﴿فَالْتَمَأَ إِثْمُهُ﴾ [الآية: 181] أي: اسم
التبديل ﴿عَلَى الَّذِينَ يَبْدِلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 181] لما يقوله الوحي وغيره ﴿عَلِيمٌ﴾
[الآية: 181] بظاهره وباطنه.

وأفاد الأستاذ: أن من حرّف نطقاً جرى بحق لحقه شؤم ذلك ووباله
وعقوبته أن يحرم رائحة الصدق أن يشمه ومن أعان الدين أعانه الله ومن أعان
على الدين خذله الله ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ [الآية: 182] أي علم ﴿مِنْ مُوصٍ﴾ [الآية: 182]
بالتشديد لشعبة وحمزة والكسائي ﴿جَنَفًا﴾ [الآية: 182] ميلاً بالخطأ في الوصية
﴿أَوْ إِثْمًا﴾ [الآية: 182] أي: قصداً وتعمداً للجنف في القضية ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾
[الآية: 182] أي: بين الموصى لهم من الوالدين والأقربين أو بين الورثة
والموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع أو بالتراضي والتصالح في حقهم ﴿فَلَا
إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 182] أي في هذا التبديل لأنه تبديل باطل
إلى حق بخلاف الأول.

وقال الأستاذ: فيه أن من أن تفرس في بعض المريدين ضعفاً ورأى في

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 171).

بعض أهل البداية رخاوة قصد أو وجد بعض الصادقين تكلم بالصدق المحض على من لم يحتمله فرأى أن يرفق بذلك المريد بما يكون ترخيصاً له أو استمالة أو مداراة أو رضاء بتعاطي مباح فلا بأس به فإن حمل الناس على الصدق المحض مما لم يثبت له كثير أخذ والرفق بأهل البداية إذا لم يكن له صارم عزم ولا صادق جهد ركن في ابتغاء الصلاح عظيم.

﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ [الآية: 183] أي: فرض وذلك في شهر شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 183] أي: من الأنبياء الكرام من لدن آدم أو نوح عليهما السلام أو من أهل الكتاب وأصحاب الخطاب والمراد شهر رمضان لما ورد من أن صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم وذهب بعض السلف/ إلى أن الصوم 60/أ على من قبلنا صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كما كان علينا أول الإسلام⁽¹⁾ وكذا ورد في حديث آخر والله أعلم فعلى الأخير يكون التشبيه في أصل الصوم لا بخصوصه ثم التشبيه تنبيه على تأكيد الحكم وترغيب في الصوم تطييب على العزم والصوم في اللغة الإمساك عن أي شيء جرى وفي الطريقة عما تنازع إليه النفس والهوى وفي الشريعة عن المفطرات إذا نوى وفي الحقيقة عن ذكر سوى المولى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 183] أي: النار أو المعصية فإن الصوم يكسر الشهوة المانعة عن وصول الجنة وقد ورد أن الصوم جنة.

وأفاد الأستاذ: أن الصوم على ضربين صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية وصوم باطن وهو صون القلب عن الآفات ثم صون الروح عن المساكنات ثم صون السر عن الملاحظات ويقال صوم العابدين شرطه حتى يكمل صون اللسان عن الغيبة وصون النظر عن الطرف بالريية كما في الخبر «من صام فليصم سمعه وبصره» الحديث وصوم العارفين حفظ السر عن شهود الغير فإن من أمسك عن المفطرات فنهاية صومه إذا هجم الليل على النهار ومن أمسك عن الأغيار فنهاية صومه أن يشهد الحق بلا غبار قال

(1) تفسير الطبري (414/3)، تفسير القرطبي (275/2).

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته⁽¹⁾ فالهاء في قوله عليه السلام عند أهل التحقيق عائد إلى الحق سبحانه فالعلماء يقولون معناه عندهم صوموا إذا رأيتم هلال رمضان وأفطروا لرؤية هلال شوال وأما الخواص فصومهم لله وفطرتهم لله لأن شهودهم لله وإقبالهم على الله والغالب عليهم الله والذين هم به محو الله ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [الآية: 184] أي صوموا أياماً موقتات بأزمنة معلومات أو أياماً قليلات بالنسبة إلى سائر الأوقات.

وأفاد الأستاذ: أن من شهد الشهر صام لله ومن شهد فالتق الشهر صام لله فالصوم لله يوجب المثوبة والصوم بالله يوجب القربة الصوم لله تحقيق العبادة والصوم بالله تصحيح الإرادة الصوم لله صفة كل عابد والصوم بالله نعت كل قاصد الصوم لله قيام بالظواهر والصوم بالله قيام بالضمائر الصوم لله إمساك/ 60 ب من حيث عبارات الشريعة والصوم بالله إمساك بإشارات الحقيقة من شهد الشهر أمسك نفسه في أيام معدودات عن المفطرات ومن شهد الحق أمسك في جميع الأوقات عن شهود المخلوقات من صام بنفسه سقي شراب السلسيل والزنجبيل ومن صام بقلبه سقي شراب المحاب بنعت الإيجاب ومن صام بسره فهم الذين قال الله فيهم ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21] شراب يا له من شراب شراب لا يدار على الكف لكنه يبدو له من اللطف شراب استئناس لا شراب كأس ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ [الآية: 184] أي: مرضاً يضره صومه أو يعسر معه ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [الآية: 184] أي: راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ [الآية: 184] أي فعلية صوم عدد أيام المرض أو السفر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [الآية: 184] إن أفطر.

وقال الأستاذ: من أفطر لهذه الأعذار فعليه صوم عدة أيام بعدد ما أفطر قضاءً كذلك الإشارة لمن سقمت إرادته عن الصحة فيرجع إلى غيره أما الرخصة تأويل أو لقلّة قوة واحتمال أو عجز للقيام بأحكام الحقيقة فليمهل حتى تقوي عزيمته وتشتد إرادته فعند ذلك يستدرك منه ما رخص له بالأخذ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1909)، ومسلم في الصحيح (18/1081).

بالتأويل وذلك سُنَّة من الله سبحانه وتعالى في التسهيل على أهل البداية ثم استيفاء ذلك واجباً في آخر الحال قرب النهاية وهذا معنى قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [الآية: 184] أي: يستطيعون الصوم لكن يتعبهم الصوم ويجهدهم كالشيخ الفاني والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما وولدهما إن أفطروا لكل يوم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [الآية: 184] نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومدٌّ عند فقهاء الحجاز فيكون الحكم ثابتاً ولذا قيل التقدير ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [الآية: 184] ثم القراءة بالإضافة لنافع والشامي وجمع مساكين وإفرادها لنافع والشامي أو لما أمروا بالصوم واشتد عليهم لعدم تعودهم رخص لهم فنسخ بقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [الآية: 185].

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه أن من فيه بقية من القوة للوقوف بمطالبات الحقيقة فيرجع إلى تسهيلات الشريعة وانحط إلى رخصة التأويل فعليه الغرامة بواجب الحال وهو الخروج عن ما بقي له من معلوم مال أو رسوم حال ويبقى مجرداً للواحد ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [الآية: 184] أي: من تنفل بصوم/ وغيره ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 184] أي الخير أو تطوعاً ﴿خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ 61/أ [الآية: 184] أي: وصيامكم في السفر من غير لحوق الضرر ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 184] أي: أفضل من الإفطار ولو مع الأعذار ومن تأخير القضاء فإنه ليس في مرتبة الأداء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 184] ما في الصوم من الفضيلة والمصارعة إلى براءة الذمة وجوابه دل عليه ما قبله.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [الآية: 185] أي: تلك الأيام المعدودات هي شهر رمضان ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [الآية: 185] أي: ابتداء فيه إنزاله إلى السماء الدنيا وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة من اللوح إلى السماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض منجماً في عشرين سنة وفي الحديث نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان والتوراة لست مضيين منه والإنجيل لثلاث عشرة والزبور لثمانية عشرة والقرآن لأربع وعشرين⁽¹⁾ وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 111) رقم (3740)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 188) رقم (18429)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 144) رقم (30191).

اختصاص وجوب الصوم به.

وقال الأستاذ: رمضان يرمض ذنوب قوم ويرمض رسوم قوم فستان بين من يحرق ذنوبه رحمة وبين من يحرق رسومه حقيقته شهر رمضان شهر فاتحة الخطاب شهر إنزال الكتاب شهر حصول الثواب شهر التقريب والإيجاب شهر تخفيف الكلفة شهر تحقيق الزلفة شهر نزول الرحمة شهر وفور النعمة شهر النجاة وشهر زيادة المناجاة ﴿هَذِي لِّلنَّكَاسِ وَيَتَنَتِّ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [الآية: 185] أي أنزل حال كونه هادياً بإعجازه للخلق وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق وفارقاً بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وفاصلاً بين الحدود والحكم والأحكام ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ [الآية: 185] أي: علم ﴿مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ [الآية: 185] أي: هلاله ﴿فَلْيَصُومْهُ﴾ [الآية: 185] أي: فليصم فيه.

قال الواسطي: من شهدني وشاهد أمري فليصم جميع الأوقات عن المخالفات ومن شهد الشهر على رؤية تعظيمه فليمسك فيه عن لغوه ولهوه ومن شهد على رؤية فعله وصومه فليس لله حاجة في ترك طعامه وشرابه ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [الآية: 185] تخصيص لعموم الحكم وشموله أو لثلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه على القول به ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [الآية: 185] ولذا أباح للمريض 61/ ب والمسافر الفطر والمعنى لم/ يضيق عليكم الحكم ليسهل بكم الأمر ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ [الآية: 185] بتشديد الميم لشعبة أي: ولتتموا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في المرض والسفر ﴿وَلِتُكْمِلُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 185] أي: لتعظموا أمره وتفخموه حكمه ﴿عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: 185] أي: لأجل ما أرشدكم إليه ودلكم عليه وما مصدرية أو خبرية وقيل: المراد بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه وكذلك عدي بعلی وقيل تكبير يوم الفطر وقيل: التكبير عند الإهلال مطلقاً أو هلال شوال ولا منع من الجمع والله أعلم بالحال.

وقال الأستاذ: لإرادته بك اليسر معرفتك أنه يريد بك اليسر ومن إمارات أنه أراد بعبد اليسر أنه أقامه بطلب اليسر ولو لم يرد به اليسر لما جعله راعياً

في اليسر قال قائلهم:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلب⁽¹⁾
 حقق الرجاء وأكد الطمع وأوجب التحقيق حيث قال: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ
 الْمُسْرَ﴾ [الآية: 185] لينتفي عن حقيقة التخصيص مجوزات الظنون ﴿وَلِتُكْمِلُوا
 الْوَيْدَةَ﴾ [الآية: 185] على لسان العلم تكملوا مدة الصوم وعلى لسان الإشارة
 لتعرفوا بصفاء الحال ووفاء المآل ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 185] في النفس الأخير وتخرجوا من مدة عمركم بسلامة
 إيمانكم وتوفيق أن يكمل صوم شهرك عظيم لكن تحقيق أن يختم بالسعادة عمرك
 أعظم نعيم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [الآية: 186] أي عن قربي منهم وبعدي عنهم
 ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [الآية: 186] أي: فقل لهم إني قريب ولسؤالهم مجيب قيل: إنه
 تمثيل لكمال علمه بأفعالهم وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه
 منهم والأولى أن يقال له قرب بعبده على ما يليق به فإنه سبحانه في مقام المريد
 أقرب إلى المريد من حبل الوريد وقد قال بعض العارفين لفرط قربيه بك لا تراه
 ولغاية بعدك عنه ترى شيئاً سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح
 الطلب إلا لمن خالف هواه.

وقال سهل: أدنى مقامات القرب الحياء من الله والمعنى أقرب مقامات
 قرب العبد حياؤه من الرب أو أدنى حالات قرب الرب من العبد أن يستحي
 العبد من الغفلة عن الرب ثم في حذف السفير والواسطة حيث لم يقل فقل
 لهم إني قريب إشعاراً بكمال القرب فإن القريب لا يقول قل للسائل إني قريب 62/أ
 ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [الآية: 186] بحذف الياء فيهما وإثباتهما ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا
 لِي﴾ [الآية: 186] أي: فليجيبوا إلى طاعتي والقيام بأمري ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [الآية:
 186] وليثبتوا على الإيمان بي أو وليوقنوا بإجابتي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [الآية:
 186] راجين إصابة صوب الصواب وحصول الرشاد وحسن المعاد والمآب وقد

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/176).

روي أن بعض الصحابة سأل النبي ﷺ أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه⁽¹⁾ فأنزل الله هذه الآية وفيها الإشارة إلى الحديث المشهور حين كان بعضهم رفعوا بالذكر والدعاء أصواتهم فقال لهم أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّاً ولا غائباً بل تدعون قريباً مجيباً⁽²⁾.

وأفاد الأستاذ: أن سؤال كل أحد يدل على حاله لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دنيا ولا عن عقبى بل سألوا عن المولى فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [الآية: 186] فليس هؤلاء من جملة من قال ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: 105] أو ﴿الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: 1] أو ﴿الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219] وأمثال ذلك السؤال هؤلاء أقوام مخصوصون وإذا سألك عن الذين هم في أسر النفس أو حكم الخلق فجوابهم عليك فقل لهم ما نزلنا إليك وهؤلاء عبادي يسألونك عني فأنا أجيبهم وليس هذا الجواب بلسانك يا محمد وإن كنت السفير بيننا وبين الخلق هذا الجواب أنا أتولاه فإني قريب رفع الوساطة في الإخبار عن القربة لم يقل فقل لهم إني قريب بل قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [الآية: 186] وبين أن تلك القربة ما هي حيث تقدس الحق سبحانه عن اقتراب بجهة أو بعد عن جهة واختصاص بقعة دون بقعة فقال ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [الآية: 186] وأن الحق سبحانه قريب من الجملة والكافة بالعلم والقدرة والسماع والرؤية وهو قريب من المؤمنين على وجه الرتبة والنصرة وإجابة الدعوة وجل وتقدس عن أن يكون قريباً من أحد بالذات وبالبقعة فإنه أحدي لا يتجه في الأقطار وعزيز لا يتصف بالكنه والمقدار ثم لم يعد إجابته لمن كان باستحقاق زهداً وفي ضمان عبادة بل قال دعوة الداعي إذا دعان يعني كما دعاني وكيف ما 62 ب دعاني وحيثما دعاني [ثم] / قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ [الآية: 186] هذا تكليف وقوله ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [الآية: 186] تعريف وتخفيف وقدم التخفيف على التكليف فكأنه قال إذا دعوتني عبدي أجيبك فأجبنني أيضاً إذا دعوتك أنا لا أرضى برد

(1)---تخريج الأحاديث والآثار---(114/1) رقم (101).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4205)، ومسلم في الصحيح (2704/44).

دعائك فلا ترضى عبدي بردي من نفسك إجابتي لك بالخير تحملك عبدي على دعائي لا دعاؤك يحملني على إجابتك ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [الآية: 186] فليثقوا بي فإني أجيب من دعاني قال قائلهم:

لا أبتغي بدلاً سواك خليله فثقي بقولي والكرام ثقات⁽¹⁾

ثم قال في آخر الآية ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [الآية: 186] أي: ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا وصولك إلى إرشادك وولائك انتهى ولعل اعتراض هذه القصة الجليلة بين السابق واللاحق من القضية للإشعار بإجابة دعوة الصائمين خصوصاً وسائر السائلين عموماً وقد ورد أن دعاء الصائم مستجاب لا سيما عند الإفطار وحصول الإيجاب وورد «أتاكم شهر رمضان شهر بركة ونزول رحمة ويستجيب الله فيه الدعاء ويحط فيه الخطايا وينظر الله إلى تنافسكم ويباهي الملائكة بكم»⁽²⁾ وفي رواية «ويبعث الله منادٍ ينادي يا باغي الخير هلم ويا طالب الشر أمسك هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من تائب يتاب عليه»⁽³⁾ والله عند وقت الفطر في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ستون ألفاً فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفاً في ستين ألفاً»⁽⁴⁾ وفي رواية «شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره رضوان وعتق من النار» وفي رواية «فضل الجمعة في شهر رمضان على سائر الجمع كفضل رمضان على سائر الشهور»⁽⁵⁾ وفي رواية «الله في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار فإن كان ليلة الجمعة عتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار»⁽⁶⁾.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 177)، (6/ 341).

(2) مجمع الزوائد (3/ 344) رقم (4783)، والمجالس العشرة (1/ 61) رقم (60).

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 123) رقم (10312)، ومسلم في الصحيح بنحوه (170/ 758).

(4) جامع الأحاديث (3/ 461) رقم (2583)، وشعب الإيمان للبيهقي (3/ 304) رقم (3606)، تنزيه الشريعة المرفوعة (2/ 185) رقم (26).

(5) جامع الأحاديث (14/ 440) رقم (14680).

(6) شعب الإيمان للبيهقي (3/ 335) رقم (3695)، والجامع الكبير للسيوطي (1/ 16659) رقم (540).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْقِيَامِ﴾ [الآية: 187] أي: التي يصبح منها صائماً
 ﴿الرَّفَثُ﴾ [الآية: 187] أي: الإفشاء بالجماع ﴿إِلَىٰ فُسَايِكُمْ﴾ [الآية: 187] وذلك
 لأن المجامعة ما كانت تحل في ليالي الصيام في أوائل الإسلام وكذا الأكل
 والشرب بعد العشاء الآخرة أو المنام ثم أن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء
 فندم منه وأتى النبي ﷺ واعتذر/ إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد
 العشاء⁽¹⁾ فنزلت الآية ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾ [الآية: 187] استئناف
 يبين قلة صبرهم وصحة أمرهم في عذرهم وموجب الإحلال بعد حلول هذا
 الحال لكون كل واحد من الرجل والمرأة.

يستر حال صاحبه كالستور ويمنعه من الوقوع في الفجور أو لأنهما
 يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس في اشتماله على اللباس
 وقيل ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: فراش عند الجماع ﴿وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾
 [الآية: 187] أي: لحاف في حال الاجتماع ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوُنَ
 أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 187] تظلمونها بتعريضها للعتاب وتنقيص حظها عن الثواب
 وهو أبلغ من تخونون كتكتسبون وتكسبون ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: عاد
 بالترخيص إليكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: ومحى ما ظهر قبل الرخصة
 منكم ﴿فَالْفَن﴾ [الآية: 187] أي: حين النسخ بنزول القرآن ﴿بَشُرُوهُنَّ﴾ [الآية:
 187] جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: اطلبوا ما قدره
 لكم أو أثبت في اللوح المحفوظ من حصول الولد لكم والمعنى أن المباشر يبتغي
 أن يكون له في فعله تصحيح النية لا أن يقصد مجرد قضاء الشهوة ﴿وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا﴾ [الآية: 187] أي: في الليل كله ﴿حَقَّ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
 الْأَسْوَدِ﴾ [الآية: 187] غاية للأفعال الثلاثة والمعنى إلى أن يظهر ويتميز بياض
 الصبح من سواد الليل وقوله ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [الآية: 187] بيان أن هذا الخيط الأبيض
 من الفجر لا من غيره وتحقيقه أنه شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق
 وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الأبيض
 بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه ﴿ثُمَّ آمِنُوا الْقِيَامَ إِلَىٰ آلِيلٍ﴾

(1) تفسير أبي السعود (1/ 201)، وتفسير البيضاوي (1/ 486).

[الآية: 187] أي بالامتناع من هذه الأشياء فهو بيان لآخر وقت الصوم وقد استفيد أوله بقوله من الفجر وفي إخراج الليل عنه إشارة إلى منع الوصال والله أعلم بحقيقة الحال.

وقال الأستاذ: أخبر أن الحقيقة لا يعود إليها عائد من أوصاف الخلق إن كنت في العبادة التي هي حق الحق أو في أحكام العادة ومن صحبة جنسك التي هي غاية النفس والحظ فسيان في حالك أو ورد فيه الإذن نزلت الآية في زلة بدرت من/ الفاروق فجعل ذلك سبب رخصة جميع المسلمين إلى يوم 63/ ب القيامة هكذا أحكام العناية ويقال علم أنه لا بد للعبد من الحظوظ فقسم الليل والنهار وفي هذا الشهر بيّن حقه وحظك فقال أما حقي ف﴿أَتَيْنُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [الآية: 187] وأما حظك ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [الآية: 187] ﴿وَلَا تُبْشِرُواهُمْ﴾ [الآية: 187] أي: المجامعة ومقدماتها بالشهوة ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 187] أي: معتكفون ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ [الآية: 187] وهو لبث في المسجد بالنية وشرط الصوم في الاعتكاف واجب عندنا وفي غيره خلاف بين علمائنا وهو في العشر الأخير من رمضان سنة مؤكدة وفيما سواه مستحب وبالنذر واجب وجمع المساجد ليشمل جميع المشاهد وأفضل المساجد للاعتكاف المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم الأقصى ثم الجامع.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن محل القرية مقدم عن اجتلاب الحظوظ فقال: إذا كنتم مشاغل بنفوسكم كنتم محجوبين بكم فيكم وإذا كنتم قائمين بنا فلا تعودوا إليكم منا ويقال غيره الحق سبحانه على الأوقات أن يمزج الجد بالهزليات قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إني أحبك وأحب قريبي فقال عليه السلام ذريني يا بنت أبي بكر أتعبد ربي وقال ﷺ لي وقت لا يسعني غير ربي⁽¹⁾ ﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 187] أي الأحكام التي ذكرت من الصوم وما قبله ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ [الآية: 187] أي: ذوات حدوده ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

(1) المقاصد الحسنة (1/ 565) رقم (926)، وكشف الخفا (2/ 173) رقم (2159).

[الآية: 187] بمخالفة أوامرها ونواهيها وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 187] أي: مثل ذلك التبيين ﴿يُخَيِّتُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الآية: 187] أي: سائر آياته وأحكام بيناته ﴿لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 187] أي: عموماً وللمؤمنين خصوصاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 187] أي: يحذرون مخالفة، أمره ونهيه وما يترتب عليها من العقوبة على وفق حكمه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية: 188] أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بما لا يحل في الشريعة من نحو الغصب والسرقة والجناية وبين نصب على الظرفية وفي ذكره إيماء إلى زيادة تقييح أفعالهم فإن وقوع الذنب علانية إعلان بقبح حالهم ﴿وَتَدْلُوا بِهَا﴾ [الآية: 188] أي: ولا تلقوا حكومة الأموال 64 أ ﴿إِلَى الْمَكَاوِرِ إِنَّا كَلُونا﴾ [الآية: 188] / أي: بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ [الآية: 188] طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْرِ﴾ [الآية: 188] أي: بما يوجب إثماً كشهادة الزور والرشوة ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 188] أنكم مبطلون وارتكاب المعصية مع العلم بها أدعى إلى العقوبة ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: إذا تحاكمتم إلى المخلوقين فاعلموا أن الله مطلع عليكم بعلمه ومحيط بكم فراقبوا موضع الاستحياء من الحق سبحانه لا تسقطوا عن عينه ولئن كان المخلوقين متعلقين بالظواهر فالحق سبحانه متولي السرائر.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَلَالِ﴾ [الآية: 189] سأل معاذ بن جبل وغيره النبي ﷺ عن حكمة تغيير الهلال من زيادة الكمال ونقصان الحال⁽²⁾ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 189] أي: معالم لهم عموماً يوقتون بها أمورهم من حلول ديونهم ومعرفة مرور زمانهم وقدر أعمارهم وأجور أجرائهم ومدد حواملهم ومعالم للعبادات المؤقتة للمؤمنين خصوصاً يعرف بها أوقاتها من الصوم والإفطار وعدة النساء ﴿وَالْحَجِّ﴾ [الآية: 189] وخص بالذكر لأن الوقت مراعى فيه حال الأداء والقضاء.

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (4/298) رقم (1306) واللفظ عنده: «ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد ثم يعظم ويستوي ويستدير...».

وأفاد الأستاذ: أن الأهله مواقبت للناس لأشغالهم ومحاسباتهم وهي مواقبت لأهل القصة في تفاوت أحوالهم ومشاهدتهم فللزاهدين مواقبت أورادهم وعباداتهم وأما أقوام مخصوصون فهي لهم مواقبت حالاتهم قال قائلهم.

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار⁽¹⁾

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [الآية: 189] كان الرجل في الجاهلية في حال إحرامه ينقب في بيته نقباً من مؤخره يخرج منه ويدخل به. فاعلمهم الله بأنه ليس ببر ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ [الآية: 189] تقدم الخلاف ﴿مَنْ أَتَى﴾ [الآية: 189] أي: بر من اتقى مخالفة المولى.

وقال الأستاذ: يعني ليس البر مجرد مراعاة الظواهر بل البر تصفية السرائر وتنقية الضمائر ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهَا﴾ [الآية: 189] أي: واركبوا سنة الجاهلية وأربابها وباشروا الأمور من وجوها وأسبابها ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 189] في تغيير أحكامه وما في معناه ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 189] أي: لكي تظفروا بالبر فيما تعملون ولما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية/ إلى 64/ ب المدينة السكنية حين صده المشركون عن الكعبة الأمانة وصالحهم على أن يرجع السنة الآتية ويخلوا له مكة ثلاثة أيام تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه في ذي العقدة لعمره القضاء وخافوا من قريش عدم الوفاء وكره أصحاب محمد ﷺ قتالهم في الحرم وفي الشهر المحترم⁽²⁾ نزل قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 190] أي: في إعلاء كلمته وإعزاز دينه وطاعته ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [الآية: 190] أي: بالمدافعة عن بيته ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [الآية: 190] أي: بابتداء القتال وهذا الحكم كان في أول الحال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية: 190] أي: لا يريد الخير بالمتجاوزين عن الحد في أمر الدين.

(1) نسب إلى عده ومنهم قيس بن الملوّح. انظر: دواوين الشعر العربي (9/ 196)، ومنهم الصمة بن عبد الله القشيري. انظر: لسان العرب (4/ 555)، وتاج العروس (1/ 3175).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (7/ 383) رقم (36843) وهي قصة مشهورة ذكرت في كتب التفاسير والسيرة.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى ليكن نفوسكم عندكم ودائع الحق إن أمر بإمساكها أمسكوها أو صونوها وإن أمر بتسليمها إلى القتل فلا تدخروها وهذا معنى قوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [الآية: 190] وهو أن تقف حيث ما وقفت وتفعل ما أمرت.

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 191] حال نقض عهدهم أو عند الغلبة عليهم ﴿حَيْثُ يُقْبَلُونَهُمْ﴾ [الآية: 191] أي وجدتموهم في حل أو حرم وإحلال وإحرام.

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 191] أي: من البلد الحرام.

قال الأستاذ: يعني عليكم بنصب المعادة مع أعدائي كما أن عليكم إثبات الموالاة مع أوليائي فلا تبقوا عليكم وإن كانت بينكم أو أصر⁽¹⁾ الرحم ووشائج القرابة وأخرجوا أولاً حبههم وموالاتهم من قلوبكم ثم أزعجهم من أوطان الإسلام ليكون الصغار جاريماً عليهم والعز لازماً بكم ﴿وَالْفَنَاءُ﴾ [الآية: 191] أي شركهم في الحرم أو صدهم إياكم عن البيت المعظم ﴿أَشَدُّ مِّنَ الْقَتْلِ﴾ [الآية: 191] أي: أعظم من قتلهم إياهم أو المحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الأوطان أتعب عليه من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها.

وأفاد الأستاذ: أن المحنة التي ترد على القلوب من طوارق الحجب أشد من المحن التي ترد على النفوس من بذل الروح لأن فوات حياة القلوب أشد من فوات حياة النفوس إذ النفوس حياتها بمآلوفاتها وحياة القلوب لا يكون إلا بالله ويقال ﴿وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِّنَ الْقَتْلِ﴾ [الآية: 191] إن تبقى عن الله أعظم من أن تبقى عن روحك وحياتك ﴿وَلَا تُقْبَلُونَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 191] أي: حرمة له لكونه حرمة ﴿حَتَّىٰ / يُقْبَلُوكُمْ فِيهِ﴾ [الآية: 191] فيكون هتك حرمة الحرم منهم ويصير قتالكم معهم ودفعاً لهم ﴿فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 191] أي: مكافأة لهم ولا تبالوا بهم وفي قراءة حمزة والكسائي ﴿وَلَا تُقْبَلُونَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْبَلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 191] والمعنى حتى يقتلوا بعضكم ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 191] أي: مثل ذلك جزاؤهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم.

(1) الوصر: لغة في الأصر بمعنى العهد. والوشائج: الوسائل

وقال الأستاذ: لا تشوش وقتك مع الله إذا كان بوصف الصفوة بما تدخله على نفسك وإن كانت نوافل من الطاعات فإن زاحمك مزاحم يشغلك عن الله فاقطع مادة ذلك عن نفسك بكل ما أمكن لئلا يبقى لك علاقة قصدك عن الله .

﴿إِنِ أَنْهَرَا﴾ [الآية : 192] أي: عن القتال معكم والكفر بمولاكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية : 192] يغفر لهم ما قد سلف ولو ذنب عظيم ويترحم عليهم بالإحسان إليهم.

قال الأستاذ: إذا انقطع عنك غاغة خواطرك وأعداء نفسك مما يخرجك عنه ويزاحمك فسلم حديث النفس ودع مجاهدتها فإن من طولب بحفظ الأسرار يتفرغ إلى مجاهدات النفوس بفنون المخالفات .

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية : 193] أي: شرك والمعنى حتى يسلموا إذ لا يقبل من المشرك الوثني الجزية ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [الآية : 193] أي: خالصاً لله فلا يعبد إلا إياه ﴿فَإِنِ أَنْهَرَا﴾ [الآية : 193] عن كفرهم ﴿فَلَا عُدُونَ﴾ [الآية : 193] أي: فلا اعتداء بالقتل والنهب ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الآية : 193] أي: الثابتين على ظلمهم باختيار ظلمة شركهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من الآية إلى مجاهدة النفوس فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك⁽¹⁾ أي: استوف أحكام الرياضات حتى لا يبقى لآثار البشرية شيء وسلم النفس والقلب لله فلا يكون معارض ولا منازع منك لا بالتوقي ولا بالتلقي ولا بتدبير ولا باختيار بحال من الأحوال يجري عليك صروفه كما يريد وتكون محوياً عن الاختيارات بخلاف ما يرد به الحكم فإذا استسلم النفس ﴿فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى﴾ [الآية : 193] أرباب التقصير فأما من قام بحق الأمر تفصى عن عهدة الإلزام.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [الآية : 194] قاتلهم المشركون بصددهم المؤمنين

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (359/1) رقم (355)، وانظر: تخريج الأحاديث الإحياء (6/213) رقم (2564) ومن رجاله وضاع.

ب/65 عام الحديبية في ذي القعدة الحرام واتفق خروج المسلمين لعمرة القضاء/ فيه بعد ذلك العام وكرهوا أن يقاتلوهم في الشهر الحرام والحرم والإحرام فقبل هذا الشهر بذاك فلا تبالوا بما هناك ﴿وَالْحُرُمَتُ قَصَاصٌ﴾ [الآية: 194] أي: ذوات قصاص وتمائل من غير اختصاص كما قال ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلْ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 194] وهو فذلكة التقرير ونتيجة التحرير وسمي جزاء الاعتداء للمشاكلة الملحوظ فيها المقابلة نحو وجزاء سيئة سيئة ولما فيه معنى الصورة في المشابهة.

وقال الأستاذ: الإشارة فيه إذا تقابل حقان كلاهما لله فسلم الوقت لحكم الوقت ودره مع إشارات الوقت وإياك أن ترجع أحدهما على الآخر بما لك فيه حظ وإن قل فتحتجب حينئذ عن شهود الحق وتعمى به بصيرة قلبك وكل ما كان إلى خلاف هواك أقرب وعن استحلائك وبسكونك إليه أبعد كان ذلك في نفسه أصوب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 194] أي: في الانتصار ولا تعتدوا على غير الأغيار ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 194] أي: بالنصرة والإظفار.

﴿وَاتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 195] أي: في جهات رضاه ﴿وَلَا تُلْقُوا﴾ [الآية: 195] أي: أنفسكم ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 195] أي باختياركم واقتداركم ﴿إِلَى الْهَلَكَةِ﴾ [الآية: 195] أي: إلى ما ينجر إلى الهلاك والفساد وهو ترك الجهاد أو إلى حب المال والإمساك فإنه يؤدي إلى طول الآمال وحصول الإهلاك ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ [الآية: 195] أي: في سائر الأخلاق والأعمال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 195] فيجازيهم على إحسانهم بتحسين المآل.

وأفاد الأستاذ: أن إنفاق الأغنياء بأموالهم وإنفاق العابدين بنفوسهم لا يدخرونها عن العبادات والوظائف على وفق أمره وإنفاق العارفين بقلوبهم لا يدخرونها عن أحكامه وإنفاق المحبين بأرواحهم لا يدخرونها عن حكمه وإنفاق الأغنياء من النعم وإنفاق الفقراء من الهمم إنفاق الأغنياء إخراج المال من الكيس وإنفاق الفقراء إخراج الأغيار من النفس النفيس وإخراج الموحدين إخراج الخلق من السر والإشارة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [الآية:

[195] إلى إمساك يدك عن البذل فمن أمسك يده وادخر شيئاً لنفسه فقد ألقى بيده ﴿إِلَى الْهَلَكَةِ﴾ [الآية: 195] ويقال: أشار إلى إيثار هواك على رضى مولاك ويقال التهلكة هي الغفلة عنه بالاختيار ويقال توهم أنك تعيش من غير لطفه وإقباله/ 66/ أ لحظة ويقال: الرضا بما أنت فيه من الحجاب والفترة ويقال: إمساك اللسان عن دوام الاستغاثة والاستعانة في كل نفس ولمحة وأما قوله ﴿وَاحْشَوْا﴾ [الآية: 195] فالإحسان أن ترفق مع كل أحد إلا معك فإحسانك إلى نفسك في صورة إساءتك إليها في طي الأعمار وذلك لارتكابك به كل شديدة ومقاساتك فيه كل عزيمة والإحسان أيضاً ترك جميع حظوظك من غير بقية والإحسان أيضاً تفرغك إلى قضاء حق كل أحد علق عليك حديثه والإحسان أن تعبدته على غير غفلة والإحسان أن تعبدته وأنت بوصف المشاهدة.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ﴾ [الآية: 196] أي الفرض ﴿وَالْأَمْرَةَ﴾ [الآية: 196] أي: السُّنَّة المؤكدة لله أي خالصتين له من غير رياء وسمعة وارتكاب معصية وإتمامهما القيام بشرائطهما وأركانهما وواجباتهما ومستحباتهما وترك مفسداتهما ومحظوراتهما ومكروهاتهما وقرئ وأقيموا الحج والعمرة لله أو المعنى أتموهما إذا شرعتم فيهما ولو أفسدتموها.

وأفاد الأستاذ: أن الحج هو القصد فقصد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق فالأول حج العوام والثاني حج الخواص فكما أن الذي يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ويحلق فكذا من يحج بقلبه فإحرامه بعقد صحيح على قصد صريح ثم يتجرد عن مخالفته ثم باشتماله بثوبي صبره وفقره وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى وإطلاق المني وما في هذا المعنى ثم الحاج أشعث أغبر فكذلك يظهر عليه آثار الخشوع وأنوار الخضوع وأسرار تلبيته لك باستجابة كل جزء منك وأفضل الحج الشج والعج⁽¹⁾ والشج صب دم الذبيحة والعج رفع الصوت بالتلبية فكذلك سفك دم النفس بسكاكين المخالفة

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 620) رقم (1655)، وابن ماجه في السنن (2/ 975) رقم (2924)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 428) رقم (3974)، وأبو يعلى في المسند (9/ 19) رقم (5086).

ورفع أصوات السر بدوام الاستعانة وحسن الاستجابة ثم الوقوف بساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة فموقف النفوس عرفات وموقف القلوب الأسامي والصفات لعز الذات عن المواصلات ثم طواف القلوب حول مشاهدة العز والسعي بالأسرار بين وصفي كشف الجلال ولطف الجمال ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيارات والمنى والمعارضات ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ [الآية: 196] أي: حبستم ومنعتم عن البيت والوقوف أو عن الكعبة في العمرة من جهة عدو ومرض وغيرهما كذهاب النفقة وموت المحرم للمرأة ونحوهما ﴿فَإِذَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [الآية: 196] أي: فعليكم إن أردتم التحلل ما تيسر من جنس ب/66 الهدى الشامل للإبل والبقرة والشاة بشرط أن تذبح في الحرم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ [الآية: 196] أي: وأنتم محرمون ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [الآية: 196] أي: مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وهو الحرم لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَدُ الْكَلْبَةِ﴾ [المائدة: 95] .

وأفاد الأستاذ: أن الحصر بأمرين العدو أو مرض فالإشارة فيه إن استولى عدو النفس فلم يجد بداً من الإناخة بعقدة الرخص وتأويلات العلم فعند ذلك يتحلل بموجب العذر والاضطرار إذ لا مزاحمة مع الحكم ثم الهدى الذي يهدى به عند التحلل بالعذر الخروج عن المعلوم وتسليمه للفقراء أو انتظار أن يزول الحصر فيستأنف الأمر وإن مرضت الإرادات وسقمت القصور وآل الأمر إلى التكلف فليجتهد أن لا ينصرف كما أنه في الحج الظاهر يجتهد بأن لا ينصرف بكل مرض وإن احتاج إلى اللبس والحلق وغير ذلك بشرط الفدية ثم إن عجز اشترط أن محله حيث حبسه فكذلك يقوم ويقعد في أحكام الإرادة وأوصاف القصد فإن رجع والعياذ بالله لم يقابل إلا بالرد والصد.

فلا عن قلبي كان التفرق بيننا ولكنه دهر يشث ويجمع⁽¹⁾

وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [الآية: 196] إشارة إلى أنه

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 187).

يبدل ما أمكنه ويخرج عن جميع ما ملكه وعليه آثار الحسرة واستشعار الحجة ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 196] أيها المحرمون ﴿مَرِيضًا﴾ [الآية: 196] أي: مرضاً يحوجه إلى لبس المخيط واستعمال الطيب ﴿أَوْ بِهِ أَذَى مِّن رَّأْسِهِ﴾ [الآية: 196] كقمل وجراحة وصداع يضطره إلى حلقه ففعل إحدى هذه المحظورات عند الضرورات ﴿فَقَدِيَّةٌ﴾ [الآية: 196] أي: فعلية فدية مخيرة ﴿مِّن صِّيَامٍ﴾ [الآية: 196] أي: في ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ [الآية: 196] أي: تصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من أو صاع من غيره عندنا ومدان عند الشافعي ﴿أَوْ سُكٍّ﴾ [الآية: 196] أي: ذبح نسكة وهي الذبيحة وأقلها شاة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى أنه يبتهل ويجتهد بالتطواف على الأولياء والخدمة للفقراء والتقرب بما أمكنه من وجوه الاحتيال والدعاء انتهى ولا يبعد أن يقال أنه يرجع عند الابتلاء بالبلاء إلى آداب أهل الولاء من الإمساك عن متابعة الهوى والأهواء كما هو شأن أرباب الفيض من الأصفياء إلى أن يحصل البسط والصفاء والوفاء والضياء ومن الإنفاق بطريق الإحسان على قدر الإمكان على المساكين والضعفاء/ ليرتفع عنه البلاء بالدعاء ومن 67/أ مجاهدة النفس وذبحها عن مشتبهاتها حتى تعود إلى حالة الفناء ومقام البقاء والموت على حصول الرضا الموجب لوصول اللقاء ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ [الآية: 196] أي الإحصار أو إذا كنتم في حال الأمن والقرار ﴿فَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجِّ﴾ [الآية: 196] أي: استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله تعالى بأعمال العمرة قبل المباشرة بتقربه بالحج في أشهره سواء أفرد بينهما في الإحرام أو جمع بينهما من أحد مواقيت البيت الحرام ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِّنَ الْهَدْيِ﴾ [الآية: 196] فعليه دم شكر لتوفيق الجمع بين النسكين في سفر واحد ﴿فَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 196] أي: الهدى أو ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ﴾ [الآية: 196] أي: في أشهره والأحب أن يكون أولاً وآخرها يوم عرفة أو قبله ﴿وَسَبْعُ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [الآية: 196] أي إلى أهليكم أو نفرتم وفرغتم عن نسككم ﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 196] أي: جملة الثلاثة والسبعة ﴿عَشْرَةٌ﴾ [الآية: 196] جملة مؤكدة وفي اصطلاح الحساب فذلكة ليعلم العدة مفصلة ومجملة ومن فائدتها أن لا يتوهم كون الواو بمعنى الترديدية أو أن المراد بالسبعة

الكثرة أو لا يقع التصحيف بين السبعة والتسعة في القضية الرسمية ثم قوله ﴿كَامِلَةٌ﴾ [الآية: 196] صفة مؤكدة لزيادة المبالغة أو مقيدة مفيدة كمال بديلتها من الذبيحة.

وقال الأستاذ: فإذا تجلى أقمار القصور عن كسوف التعذر وانجلت غيابة الحجة عن شمس الوصلة وأشرق نور الإقبال في تضاعيف أيام الوقفة فليستأنف للوصلة وقتاً وليفرش للقربة بساطاً وليجدد للقيام بحق السرور نشاطاً وليقل حيّ على البهجة فقد مضت أيام المحنة وليكمل الحج والعمرة وليستلزم القيام بأحكام الصحبة والخدمة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 196] أي: جواز التمتع ﴿لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 196] إذ لا متعة ولا قران للمكي بل هما مختصان للآفاقي عندنا وأما عند الشافعي فالإشارة إلى الحكم المذكور من الهدى والصيام المسطور واللام تؤيدنا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 196] أي: في المحافظة على أوامره ونواهيه خصوصاً حال مباشرة مناسكه ومواصلة شعائره ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 196] أي: لمن لم يكن من أهل التقوى عن مخالفة المولى من أصحاب الاجتناب عن كل باب سوى باب رب الأرباب.

وأفاد الأستاذ: أنه ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 196] بالحجاب لمن لم يره أهل 67/ ب الوصلة والاقتراب/ ﴿الْحَجَّ﴾ [الآية: 197] أي: وقت أعماله ووقت إحرامه عند الشافعي ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [الآية: 197] أي: معروفات مشهورات وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسع عند الشافعي وذو الحجة كله عند مالك وثمرة الاختلاف مبينة في كتب الخلاف وسمي شهران وبعض الشهر أشهراً إقامة للاكثر مقام الكل ﴿فَمَنْ قُضِيَ فِيهِ الْحَجَّ﴾ [الآية: 197] أي: أوجب على نفسه الحج بإحرامه في الأشهر والتقيد بهن لدفع الحرج المكروه فيما قبلهن بناءً على قواعد علمائنا من أن الإحرام شرط فيصح وجوده قبل الوقت خلافاً للشافعية فإنه ركن عندهم فلا يصح أن يتقدم والله أعلم والحاصل أن من أحرم بالحج لزمه إقامته بجميع مأموراته وانتهاؤه عن محظوراته ﴿فَلَا رَفْعَ﴾ [الآية: 197] أي: فلا جماع ومقدماته ﴿وَلَا مُسُوفَ﴾ [الآية: 197] أي: ولا خروج عن الطاعة بارتكاب

المعصية فإنها أقبح في تلك الحالة ومنها مباشرة المحظورات والإصرار على السيئات بترك التوبة وبهذا يظهر معنى قوله ﷺ من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه⁽¹⁾ وفي قراءة المكي والبصري برفعهما منوناً على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق وأما قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ [الآية: 197] فبالفتح لا غير على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك أن قریشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع أمر الخلاف بأن أمروا أن يقفوا مع غيرهم بعرفات وقيل معناه لا مخاصمة مع الخدم والرفقة وغيرهم فيما يتعلق بأمر الدنيا حتى يقضيهـم والحاصل أن الكل نفى معناه النهي للمبالغة والدلالة على أنها حقيقة بأنها لا تكون موجودة أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا ﴿فِي الْحَجِّ﴾ [الآية: 197] أي: في حال مباشرته من أول إحرامه إلى آخر إتمامه إلا أن ما عدا الجماع من المحظورات يحل بالحلق والجماع بالطواف عندنا وبالسعي عند الشافعي.

وأفاد الأستاذ: فيه الإشارة لمن سلك طريق الإرادة أن لا يعرج على شيء في الطريق ولا يمزج إرادته بشيء مما يحصل به التعويق فمن نازعه أو عارضه أو زاحمه سلم الكل للكل فلا لأجل الدنيا مع أحد تخاصم ولا لشيء من حظوظ النفس والجاه مع أحد تراحم قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63] ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَكْتُمُهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 197] أي: / 68 أ فيكفيكم علمه على ما سواه ويجازيكم على وفق ما قدره وقضاه ﴿وَتَكَرَّوْا﴾ [الآية: 197] أي: لميعادكم بالاتقاء عن غير رضى المولى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْتَقْوَى﴾ [الآية: 197] أو المعنى تزودوا ما تتبلغون، وجوهكم عن السؤال تكفون، أنفسكم عن الظلم والظلمة تمنعون، ولا تقولوا نحن متوكلون وأنتم متواكلون حيث تحجون وتسالون، بل وحجكم وعمرتكم تبيعون، وقصدكم ومشقتكم تضيعون.

قال السلمي: هذا خطاب للخاص ولأنه لا زاد للعارف سوى معروفة

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1819)، ومسلم في الصحيح (438/1350).

ولا للمحب سوى محبوبه وأشد:

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا⁽¹⁾

﴿وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 197] فإن قضية اللب في حكم الحب خشية الرب وتقوى القلب حثهم أولاً على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو المولى فيتبرؤوا عن كل شيء من السوى كما هو مقتضى العقل المعرّى عن شوائب الهوى فلذا خص أولوا الألباب بهذا الخطاب.

قال الواسطي: عاتبهم لأنه أحبهم.

وقال الأستاذ: وتقوى العوام مجانية الزلات في الظواهر وتقوى الخواص مجانية الأغيار بالسرائر.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [الآية: 198] أي بأس بل مباح ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ [الآية: 198] أي: في أن تطلبوا ﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 198] أي: عطاء ورزقاً منه بالتجارة وقصد الربح فيها للإعانة على الزاد وتصدق الزيادة على العباد بشرط أن يكون القصد الحقيقي من الإرادة في السفر والتجارة حصول الطاعة ووصول العبادة ليكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحَرُّ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: 37] وقد حكى عن الشيخ بهاء الدين النقشبندی أفاض الله علينا من أسرار بهائه وأنوار ضيائه أنه قال: رأيت في حجي أمرين غريبين أحدهما شاب في سوق منى باع كذا ألفاً من متاع الدنيا ولم يغفل لمحة عن المولى والآخر شيخ في الملتزم يطلب الدنيا والدرهم وليس له إلا هذا الهم.

وأفاد الأستاذ: أن ما تبتغي من فضل الله مما يعينك على قضاء حقه أو يكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين فهو محمود وما تطلبه لاستيفاء حظك أو لما فيه نصيب لنفسك فهو معلول ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ [الآية: 198] أي: انصرفتم ﴿مِنْ عَرَفْتِ﴾ [الآية: 198] أي: من أي جزء من أجزائها وإنما سمي الموقف عرفاً لأنه نعت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصره عرفه أو لأن آدم وحواء

(1) نسب إلى عمرو بن شاس. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 343)، وديوان المعاني (1/ 93).

تلاقيا فيه وتعارفا ولا يبعد أن يقال لأنها تعرف الخلق بالإشارة إلى جمع الميثاق وإلى الاجتماع يوم التلاق ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَّاتِ﴾ [الآية: 198] أي: في مزدلفة وخص المشعر لأنه أفضل/ موافقة وسمي به لأنه معلم العبادة 68/ ب للعباد ووصف بالحرام لاحترامه للجمعة أنه من الحرم المحترم.

وقال الأستاذ: إذا وقفت حتى قمت بحق طلبه فاذكر فضله معك لأنه لولا أنه أرادك وإلا لم ترده ولولا أنه اختارك وإلا ما أثرت رضاه ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [الآية: 198] أي: كما علمكم وأولاكم بالهداية إلى ذكر مولاكم لولا الله ما اهتدينا ولا ذكرناه ولا لبينا⁽¹⁾ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية: 198] أي: وقد كنتم من قبل الهداية والدلالة الموصلة ﴿لِمَنِ الصَّكَّائِينَ﴾ [الآية: 198] أي: الجاهلين بالإيمان والطاعة والغافلين عن الذكر والتلبية.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [الآية: 199] أي: من عرفة لا من مزدلفة والخطاب لقريش حيث كانوا يقفون بمزدلفة وسائر الناس بعرفة ويقولون نحن جماعة الحرم لم نخرج من المكان المحترم مريدين بذلك ترفعا على سائر الأمم فأمرؤا بأن يساووهم في أمر العبودية حتى يكون إفاضتهم مع الناس من عرفة وقيل: من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إلى هنا فالخطاب عام وقرئ الناس بالكسر أي: الناسي يريد آدم عليه السلام من قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115] وقد قيل: أول الناس أول الناسي والمعنى أن الإفاضة من عرفة إلى مزدلفة شرع قديم من آدم إلى إبراهيم من آبائكم ولا تغيروا القضية بآرائكم ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 199] من ذنوبكم وعيوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 199] لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 199] بمن آب.

قال ابن عطاء: إذا عمرتم بواطنكم بذكرى فارجعوا إلى ما رجع إليه العامة من القيام برسوم العبودية واستغفروا الله عن اشتغالكم بما سواه إن الله غفور للمطيعين تقصيرهم في طاعته رحيم بالعاصين أن يردهم برحمته إلى باب

(1) ورد بلفظ «والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا» انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (4196)، ومسلم في الصحيح (123/1802).

عبادته ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ [الآية: 200] أي: أدبتم عبادات حجكم ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية: 200] أي: فاكثروا ذكره كمبالغتهم في ذكركم أسلافكم وذلك أن العرب كانوا إذا فرغوا من مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل من منازلهم فذكروا مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم ووقائعهم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [الآية: 200] بل اذكروه بلسانكم وجنانكم أكثر ذكراً من ذكركم لأبائكم لأنهم من جملة إحسانكم.

ففي «تفسير السلمي» قيل: معناه إنك تذكر إحسان أبيك فتذكره بذلك 69/أ أبداً وإحساني إليك أقدم وأزيد سرمداً فاذكر ذكري أكثر من ذكر/غيري فإن من رأى برّه أكثر ذكره وأفاد الأستاذ أن في قوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ [الآية: 200] إشارة إلى القيام بحق العبودية وفي ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية: 200] إشارة إلى القيام بحق المحبة قضاء المناسك قيام بالنفس للاستقامة في الأمر والذكر قيام بالقلب على استدامة الوقت واستغراق العمر ويقال كما أن الأغيار يفتخرون بأبائهم ويستشرفون بأسلافهم فليكن افتخاركم بنا واستشرافكم بذكرنا ويقال؛ إن كان لأبائكم حق التربية فلنا حق الألوهية والربوبية فمن الناس من يقول: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية: 200] أي: اجعل عطانا في دنيانا ﴿وَمَا لَكُمْ فِي الْأَخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [الآية: 200] أي: وليس له نصيب وحظ في الأخرى لأن همه مقصور بالدنيا غير متعدٍ إلى فضل المولى.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من لم يجنح قلبه إلينا ويرضى بدوننا عنا فلا يبصر غير نفسه وحظه ولا إيمان له بربه وحقه.

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 201] أي: الصحة والقناعة والكفاف وتوفيق الخير والعفاف وفي الحديث أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى⁽¹⁾ ﴿وَفِي الْأَخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 201] أي: المغفرة والرحمة

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (72/2721) وابن ماجه في السنن (2/1260) رقم (3832)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/522) رقم (3489)، وابن حبان في الصحيح (3/182) رقم (900)، وأحمد في المسند (1/416) رقم (3950).

والمثوبة والدرجة وقنا عذاب النار أي احفظنا بالاتقاء عن موجبات العقوبة، وقال علي كرم الله وجهه الحسنه في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء الحسنه، وعذاب النار المرأة السليطة.

وقال الحسن البصري: الحسنه في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الآية: 201] احفظنا من الشهوات والسيئات المؤدية إلى العقوبة وقال بعضهم ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] الإعراض عنها ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [الآية: 201] ترك الاشتغال بها ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الآية: 201] نيران شهواتنا فإن ما شغل عنك فهو شؤم وقال بعضهم في الدنيا المعرفة وفي الآخرة الرؤية فإن الحجاب أشد العذاب وقيل: ﴿ءَاِذَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ محبة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قربة ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ حذقة الفرقه وقيل: ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ذكرك ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قربك ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ حرمان شكرك ولا يبعد أن يقال أتى بحسنة منكورة ليشمل كل حالة معروفة ومرتبة مستحسنة وعذاب النار نار الندامة والملامة على الغفلة وترك المعرفة وعدم الإنابة وأخبرني زبدة الأولياء زكريا/ عن شيخه أبي الحسن البكري قدس سره السري أن في الآية 69/ب ذكر سبعون إشارة وأجمعها وأنفعها هذه العبادة ربنا ﴿ءَاِذَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ اتباع الأولى ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ التوفيق الأعلى ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ حجاب المولى.

وقال الأستاذ: إنما أراد حسنة ينظم بوجودها جميع الحسنات والحسنة في الدنيا التي بها يحصل جميع الحسنات حفظ الإيمان عليهم في المآل فإن من خرج من الدنيا مؤمناً لم يخلد في النار وبفوات هذا لا يحصل شيء والحسنة التي ينظم بها حسنات الآخرة المغفرة فإذا غفر فبعدها ليس إلا كل خير ويقال: الحسنه في الدنيا شهوده بالأسرار وفي الآخرة رؤيته بالأبصار قلت: ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وصحبة الأشرار ورؤية الأغيار قال: ويقال حسنة الدنيا أن يغنيك عنك وحسنة الآخرة أن لا يردك إليك قلت: وعذاب النار بعده منك وغضبه عليك قال: ويقال حسنة الدنيا توفيق الخدمة وحسنة الآخرة تحقيق الوصلة قلت: وعذاب النار تضيق الفرقه.

﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 202] أي: الفريق الثاني أو مجموع الفريقين ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [الآية: 202] أي: من جنسه أو من أجله أو مما دعوا به.

قال الأستاذ: إن كان خيراً فخير وإن كان غيراً فغير ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الآية: 202] أي: المجازاة فبادروا إلى اكتساب الحسنات واجتنب السيئات.

وقال الأستاذ: هو للعوام في العرصة وللخواص في كل لحظة ولمحة ويقال: ذكر فريقين منهم من يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وثانٍ من يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ والعقبى وثالث لم يذكرهم وهم الراضون بقضائه المستسلمون لأمره الساكتون عن كل دعاء واقتضاء انتهى فكأنه قال: ومنا لا منهم من لم يطلب غيرنا عنا فمن تغنى بنا فما تغنى عنا وقد يقال هم خواص الفريق الثاني الذي جمعهم الإيمان بالمثاني اندراج المعاني في المباني لكنهم لما كانوا محبين في مرتبة المحبوبين جعلهم عن الأغيار مستورين وفي ذيل عنايته محجوبين كما يشير إليه الحديث القدسي والكلام الأنسي «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري» وبه يتم التقسيم السديد كقوله: فمنهم شقي وسعيد.

70/أ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [الآية: 203] أي: أوقات قليلات/ أي: لاكتساب غنيمات ومنها التكبيرات أيام التشريق في إدبار الصلوات وعند ذبح قربان القربان ورمي الجمرات في أوقات منى وحالات منى ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ [الآية: 203] أي: استعجل للخروج عنها ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية: 203] أي: من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني منها بعد رمي الجمار فيها قبل طلوع الفجر عندنا وقبل الغروب عند غيرنا ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 203] في تعجله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ [الآية: 203] في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال أو ولوا قبله ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 203] في تأخره بل هو أفضل من تقدمه وإنما ذكر على وجه التخيير في القضية رداً على أهل الجاهلية فإن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ [الآية: 203] خبر مبتدأ مقدر أي: نفي الإثم في تعجله وتأخره في حجه وحده من عمره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 203] في مجامع أموركم لتحصول أجوركم ووصول حضوركم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 203] أي:

موقف حكم للجزاء بعد الإحياء تجمعون وتنشرون.

وأفاد الأستاذ: إن هذه الآية صفة أواخر النسك وهو الرمي في أيام منى لما قاموا بأركان الحج وخفف عليهم بأن خيرهم في الإقامة والإفاضة والتعجيل في التفرقة والإشارة منه أن من خمدت نفسه وحي قلبه واستدام شهوده فإن سقط عنه شيء من فروع أوراده ففيما هو له مستديم من آداب حضوره عوض عن الذي يفوته من سروره.

﴿وَمَنْ النَّاسُ﴾ [الآية: 204] أي: كالمنافقين والمرائين ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ [الآية: 204] قوله أي: يعظم في نفسك ما يقوله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 204] أي: في أمورها وأسباب معاش سرورها أو في معنى الدنيا الدنية فإنها مراده من ادعاء المحبة وإظهار الإيمان والمعرفة ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ [الآية: 204] أي: ويحلف بالله وشهده شاهداً على أن ما في جنانه موافق للسانه ويؤيده أنه قرأ ويستشهد الله على ما في قلبه ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَصَّاصُ﴾ [الآية: 204] أي: شديد المخاصمة لأهل الإسلام.

وقال الأستاذ: أخبر أن قوماً أعرض الحق سبحانه عن قلوبهم فأعطاهم في الظاهر بسطة في اللسان ولكن ربط على قلوبهم أسباب الحرمان فهم في غطاء جهلهم ليس وراءهم معنى ولا على قلوبهم اعتماد ولا على إيمانهم اتكال ولا بهم ثقة بوجه والإشارة إلى أهل الظاهر الذين لم يساعدهم أنوار البصيرة/ فهم مربوطون بالأحكام الظاهرة لا لهم بهذا الحديث إيمان ولا بهذه الجملة استبصار وإيقان فالواجب صون الأسرار عنهم فإنهم لا يقابلون بهذا الحديث إلا بالإنكار منهم فمن كان أهل الوراثة من العوام الذين في قلوبهم تعظيم لهذه الطريقة ولهم إيمان على الجملة بهذا الحديث فهو أقرب إلى هذه الحقيقة من كثير ممن عد نفسه من الخواص فهو بمعزل عن الإيمان بهذا الأمر الخاص.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ [الآية: 205] أي: أدبر عن خدمتك وأعرض عن حضرتك ﴿سَكَى فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 205] أي: في تخريبها وإهلاك أهلها ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾

وَيُهْلِكُ الْهَرَكُ وَالنَّسْلُ ﴿[الآية: 205] أي: كما يفعلُه ولاةُ السوء بالإتلاف والقتل
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [الآية: 205] أي: ولا يرضى بفساد العباد ولو كان الفساد
في البلاد ومن جملة ما قضاه وأراد.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة لمن سعيه مقصور على استجلاب
حظوظه فهو لا يبالي بما ينحلّ من عرى الدين وهي من أسباب المسلمين
بعدما يشد حبال دنياهم وينتظم أسباب مناهم من حرام جمعوه وحطام حصلوه
فإذا خلا بوساوسه وقصوده الردية سعى في الفساد بأحكام الأسباب الدنيوية
واستعمالهم من يستعينون بهم في تمشية أمورهم من القوم الذين نزع الله
البصيرة من قلوبهم ثم قال ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ وما كان فيه خراب الأمور
الدينية ونظام الأحوال الدنيوية فهو الفساد الظاهر والبلية الجلية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الآية: 206] أي: في فعلك وأمرك وحكمك ﴿أَخَذَتْهُ
الْعُرَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [الآية: 206] أي: حملته الأنفة وحمية الجاهلية على تصميم إثمه
المأمور بتركه أو أخذته الحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام الجلية فالباء للسببية
﴿فَحَسْبُكُمْ﴾ [الآية: 206] أي: فكافيه ﴿جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 206] جزاء لفعله ﴿وَلَيْسَ
أَلَمِهَادُ﴾ [الآية: 206] أي: المقر للعباد وحذف المخصوص بالذم للعلم بالمراد.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء قوم استولى عليهم التكبر والعناد وزال عنهم
خضوع الإنصاف في حق العباد فشمخت أنافهم عن قبول الحق وحصول
الصدق فإذا أمرته بمعروف قال: ولمثلي يقال هذا وأنا كذا وكذا ثم يكرّر
عليك عاطفاً من غير أن يكون ملاطفاً فيقول: وأنت أولى بأن تؤمر بالمعروف
71/أ وتنهى عن المنكر فإن من حالك وقصتك كذا وكذا ولو ساعده التوفيق/
وأدركته الرحمة على التحقيق لتقلد المنة لمن هداه إلى رؤية خطئه ونبهه عن
سوء وصفه ولم يطو لنا صحة على أحنة تبقى آثارها في القلب عشرين سنة
فحسبه جهنم يعني ما هو فيه من الوحشة وظلمات نفسه وضيق اختياره حتى
لا يسعى في شيء غير مراده فيقع في كل لحظة غير مرة في عقوبة ومحنة ثم
إنه منقول من العذاب الأدنى في الدنيا إلى عقاب العقبى وهو أشد وأبقى.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [الآية: 207] أي: يبيعها ببذلها في مرضاة ربها من الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعباد أو الاجتهاد في أمر زاد المعاد ﴿أَتَشْكَا مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 207] أي: طلباً لرضاه لا لغرض سواء ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 207] حيث هداهم إلى طريق الرشاد وسبيل الاجتهاد والجهاد.

وأفاد الأستاذ: أن أولئك الذين أدركتهم خصائص الرحمة ونعشتهم سوابق القسمة فأثروا رضى الحق على هواهم واستسلموا بالكلية لمولاهم ولرأفته بهم وصلوا إلى هذه الأحوال لا بهذه الأحوال استوجبوا رأفته في المآل.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ [الآية: 208] بفتح السين نافع وابن كثير والكسائي أي: في الإسلام والاستسلام ﴿كَافَّةً﴾ [الآية: 208] أي: جملة لأنها تكف الأجزاء من التفرقة وهي حال من الفاعل أو المفعول لأن السلم بمعنى الصلح تؤنث كالحرب والمعنى أطيعوه جملة إطاعة ظاهرة وباطنة أو في شرائع الإسلام وفروع الأحكام بالتمام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية: 208] بالتفرق والتقرير ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الآية: 208] أي: ظاهر العداوة في طريق التحقيق.

وقال الأستاذ: كلف المؤمن بأن يسالم كل أحد إلا نفسه فإنها لا تتحرك إلا بمخالفة سيدها فإن من سالم نفسه في عبادته فتر عن اجتهاده ومجاهدته وذلك سبب انقطاع كل مريد وموجب فترة كل مزيد وخطوات الشيطان ما يوسوس إليك من القيام باستيفاء أحكام معاملة الإسلام وتلك نزعات لا عبرة بها ولا ينبغي أن يلتفت إليها كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [الفصص: 7] ثم أبصروا ما الذي فعل به حين ألقاه وكيف رده إليها بعدما نجاه.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ [الآية: 209] أي: تنحيتم عن الدخول في السلم الذي أمرتم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 209] أي: الآيات/الواضحات 71/ ب

والمعجزات اللائحات على أنه الحق بالبراهين الواضحات ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 209] لا يعجزه الانتقام ولا يغلبه المرام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 209] لا يأمر إلا بالصدق ولا ينتقم إلا بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الزلة الواحدة بعد كشف البرهان أقبح من كثير منها قبل ذلك الزمان ومن عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الأمانة ومحن الأكابر إذا حلت في القضية ولو بالجزئية كان فيها استئصالهم بالكلية.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية: 210] أي: هؤلاء الممتنعون عن الدخول فيما دخل فيه المسلمون والمعنى ما ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 210] ببأسه أو يأتيهم أمره أو بآسه ﴿فِي ظُلُلٍ﴾ [الآية: 210] جمع ظلة بالضم وهي ما أظل ﴿مَنْ أَعْمَاوُ﴾ [الآية: 210] أي: السحاب الأبيض فتقع العقوبة أشد فظاعة لأنه مظنة الرحمة. والشر إذا جاء من من حيث يحتسب النعمة كان أصعب البلية ففيه إيماء إلى أن القضية إنما تكون بغتة وفجأة. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ [الآية: 210] فإنهم الوساطة في إتيان أمره والآتون ببأسه الموكلون على عذابه ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الآية: 210] أي تم أمر إهلاكهم وتحقق وقوع هلاكهم فوضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه أو المعنى فرغ من أمر حسابهم فأوقعوا في عقابهم وذلك يوم القيامة جزاء على اكتسابهم وارتكابهم أو فرغ أمره فيهم لما تعلق قضاؤه وقدره بهم ﴿وَالِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ [الآية: 210] بصيغة المجهول أي: إلى حكمه ترد أمورهم، وبالمعلوم للشامي وحمزة والكسائي أي: إلى أمره تؤول شؤونهم.

وقال الصادق: هل ينظرون إلا إقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق إليهم ونظر العناية إليهم فيكشف عنهم أستار الغفلة فيشهدون بربه ولطفه بل يشاهدون البار اللطيف ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الآية: 210] أي: وصلوا إلى ما سبق لهم في الأزل من إحدى المنزلتين وقال أيضاً: أي كشف عن حقيقة الأمر ومغيبه.

وقال الأستاذ: استبطأ القوم قيام الساعة فأخبروا عن شدة الأمر إذا قامت القيامة بتفصيل ما ذكر من الأحوال وتلك الأفعال في معنى الأهوال يظهر الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في علو شأنه سبحانه ونفاذ قدرته

في ما يريد وقوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الآية: 210] أي: انتهت ستر الغيب عن صريح التقدير السابق ولكن استغنى قلوب/ الموحدين بما فيها من أنوار البصائر 72/أ عن طلب التأويل لهذه الآية وأمثالها إذا لحق سبحانه منزله عن كل انتقال وزوال واختصاص بمكان أو زمان ومقدس عن كل حراك وإتيان.

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 211] لتبكيتهم وتقريعهم ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُم مِّنْ آيَةٍ يَّبَيِّنُهَا﴾ [الآية: 211] أي: معجزة ظاهرة كالفلق والغرق والعصا واليد البيضاء وكم خبرية أو استفهامية ومحلها النصب على المفعولية.

وأفاد الأستاذ: أن فائدة السؤال ليقرر عليهم بسؤاله الحجة لا لتقرر له ﴿بِسْؤَالِهِمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَاضِحِ الْحُجَّةِ﴾ ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ [الآية: 211] أي: آياته الموجبة للهداية التي هي أجل أنواع النعمة بجعلها سبب الضلالة أو بالتحريفات الباطلة والتأويلات الزائغة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ [الآية: 211] أي: وصلت إليه بطريق الإنعام عليه وفيه تنبيه على أنهم إنما بدلوها بعد ما عقلوها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 211] فيعاقبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أعظم حوبة.

وقال الأستاذ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 211] بزوال تلك النعمة وعند ذلك يعرفون قدرها فيطلبونها ولا يصلون قط إليها قال قائلهم:

ستهجرني وتتركني فتطلبني ولا تجدني⁽¹⁾

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 212] أي: حسنت في أعينهم وأشرت محبتها في قلوبهم حتى أعرضوا عن غيرها ومالوا إليها وتهالكوا عليها والمزين على الحقيقة هو الله إذ لا فاعل لشيء سواه نعم كل من الوسواس الشيطانية والشهوات النفسانية وسائر الأمور البهية والأشياء الشهية من الأمور الدنيوية مزين بالنسبة المجازية ﴿وَيَسْحَرُونَ﴾ [الآية: 212] أي: الكفار ومن في معانهم من الفجار ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 212] كبلال وصهيب وابن أم مكتوم وعمار وسائر فقراء الأبرار والمعنى يستردلونهم ويستحقرونهم أو يستهزؤون بهم على رفضهم للدنيا وإقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا مبدأ السخرية ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 202).

[الآية: 212] أي: مخالفة المولى بمجانبة الهوى ﴿فَوَقَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 212] لأنهم في عالية أعلى عليين وأعداؤهم في هاوية أسفل سافلين ولأنهم في كرامة 72/ ب وغيرهم في مهانة أو لأنهم يتناولون عليهم فيسخرون منهم في العقبي/ كما سخروا منهم في الدنيا ﴿وَاللَّهُ يَرُؤُكُم مِّنْ شَاءٍ﴾ [الآية: 212] أي: في الدارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 212] أي: بغير تقدير لكن على تقدير قضاء وتقدير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارةً وابتلاءً أخرى بخلاف نعيم الأخرى.

قال الأستاذ: ومكروا ولم يشعروا وحملهم اشتداد الظلمة لبصائرهم على الوقوعة في أوليائه سبحانه والسخرية منهم فحين تقشع غواية الجهل عن قلوبهم علموا من الخاسر منهم عند شهود البأس الشديد ومن الذي كان في الضلال البعيد.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية: 213] متفقين على ملة الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو بعد إبراهيم أو متفقين على الضلال والجهالة فيما بين إدريس ونوح أو بين نوح وهود عليهم السلام والأظهر الأول وتقدير الكلام فيما قرئ به فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ [الآية: 213] أي: المرسلين ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 213] للمطيعين بجنة المثوبة والوصلة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ [الآية: 213] للعاصين بحرقة العقوبة والفرقة ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 213] يريد به الناس وليس المراد أنه أنزل مع كل واحد كتاباً فإن أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 213] حال من الكتاب أي: ملتبساً بالصدق والصواب ﴿لِيَحْكُمَ﴾ [الآية: 213] أي: الله أو النبي أو الكتاب ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [الآية: 213] من أصول الدين أو فروعه للمتقين ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [الآية: 213] أي: في الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ [الآية: 213] أي: من اليهود والنصارى ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الآية: 213] الحجج الواضحات ﴿بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 213] أي: حسداً كائناً من عندهم وظلماً على أنفسهم ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 213] أي: منهم ومن غيرهم ﴿لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية: 213] أي: لمعرفة الحق الذي اختلف فيه من اختلف من الخلق ﴿بِإِذْنِهِ﴾ [الآية: 213] أي: بإرادته على وفق حكمته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[الآية: 213] لا يضل سالكه المقصد القويم.

وأفاد الأستاذ: أن الغيبة أولاً عن الحق جمعتهم فلما أتاهاهم الرسول تباينوا على حسب ما رزقوا من أنوار البصيرة وحرموا ويقال: كانوا على ما سبق لهم من الاختيار القديم وبمجيء الرسل تهود قوم وتنصر قوم ثم في العاقبة يرد كل أحد إلى ما سبق من التقدير وأن الناس اجتمعوا كلهم/ في 73/أ علمه سبحانه ثم تفرقوا في حكمه فقوم هداهم وقوم أغواهم وقوم حجبهم وقوم جذبهم وقوم ربطهم بالخذلان وقوم بسطهم بالإحسان فلا من المقبولين أمر مكتسب ولا لرد المردودين سبب بل هو حكم بت وعزم وقضاء حتم وجزم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [الآية: 214] أي: بل أظننتم ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الآية: 214] أي: المهيأة لكم ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ [الآية: 214] أي: ولم يأتكم بعد زمانكم ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 214] أي: مثل من الأمم الماضية حيث امتحنوا بالحالة التي هي مثل في الشدة ﴿مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ [الآية: 214] أي: المصائب والنوائب ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [الآية: 214] أي: حركوا بأنواع البلايا والمتاعب ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [الآية: 214] لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث انقطعت حبال الصبر واضطروا إلى طلب استعجال النصر فقالوا ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [الآية: 214] استبطاء لتأخره وفي قراءة نافع برفع يقول على أنها حكاية حال ماضية ألا تنبهوا أن نصر الله قريب وفيه إيماء إلى أن حصول الزلفى ووصول المولى برفض الهوى وتحمل البلوى بلا شكوى إلى السوى وإن مكابدة الرياضات موجبة لرفع الدرجات وعلو الحالات وفي الحديث أن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات⁽¹⁾ وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات⁽²⁾.

(1) واللفظ «خلق الله مكة فوضعها على المكروهات والدرجات». انظر: الدر المنثور (2/267)، وأخبار مكة للفاكهى (4/222) رقم (1507).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (1/2822)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/693) رقم (2559)، والدارمي في السنن (2/437) رقم (2843)، وابن حبان في الصحيح (2/492) رقم (716)، وأبو يعلى في المسند (6/33) رقم (3275).

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه خلق الجنة وحفها بالمصاعب والمتاعب وخلق النار وحفها بالشهوات والرغائب فمن احتشم ركوب الأهوال بقي عن درك الآمال وأن الله سبحانه ابتلى الأولين بفنون من مقاساة الشدائد وكل من ألحق بهم من خلف الأولياء أدخلهم في سلكهم وأدرجهم في غمارهم فمن ظن غير ذلك فسراب ظنه ماء وحلم لم يحصل على ما ظنه تأويلاً. ومضت سنة الله سبحانه أنهم لم ينجوا بعتوة الظفر إلا بعد إشرافهم على عرصاة اليأس فحين طال بهم الترقب صادفهم اللطف بغتة وتحقق لهم المبتغى فجأة قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الآية: 214].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [الآية: 215] أي: أي شيء ينفقون وعلى من ينفقون ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 215] أي: مال حلال والتنكير للتقليل لقوله ب/73: ﴿اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَسَبَقَ دَرَاهِمَ مِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمَ﴾ ﴿فَلِلَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى﴾ [الآية: 215] أي: ولو من الأجنيبين ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ [الآية: 215] أي: من الفقراء والسائلين ﴿وَأَنِ السَّبِيلَ﴾ [الآية: 215] أي: المسافرين المنقطعين.

قال الأستاذ: علموا أن الحق ما لفاعله أن يفعل وأن العبد ليس له فعل شيء إلا بإذن مولاه فتوقفوا في الإنفاق على ما يشير إليه تفصيل الإذن لأن العبودية الوقوف حيث ما أوقفك أمر الربوبية ويقال لهم ينفقوا على إشارات الهوى وأن ما طالعوه تفاصيل الأمر وإشارات شرع المولى والواو في قوله: ﴿وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى﴾ يشير إلى نوع من الترتيب فالأولى بمعروفك والداك ثم أقاربك ثم على الترتيب الذي قاله انتهى وهو لا ينافي الجمع الذي ليس فيه المنع وإنما قال نوع من الترتيب لأنه أراد الترتيب الوقوعي المستفاد من الترتيب الذكري وإلا فالواو لمطلق الجمع إجماعاً ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْصَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ﴾ حيث قال ﷺ ابدأوا بما بدأ الله ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 215] أي: سوى ذلك الخير ولو على الغير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 215] فيجازيكم بتضعيف الأجر.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [الآية: 216] أي: الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

لما ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ﴿وَهُوَ كُزَّةٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 216] أي: مكروه طبعاً عليكم ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ [الآية: 216] أي: أولاً ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 216] أي: آخرأ بأن يجعل الله فيه خيراً كثيراً وذلك الشيء جميع المتاعب الشرعية والمصائب الكونية المكروهة على طبائع البشرية مع أن فيها منافع صلاحهم في الدنيا وسبب فلاحهم في العقبى ومنه الغزو فإن فيه المشقة لكن تصحبه إحدى الحسنين من الغنيمة أو الشهادة ﴿وَعَسَى أَنْ تَحِبُّوا شَيْئًا﴾ [الآية: 216] أي: طبعاً ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [الآية: 216] أي: شرعاً وهو جميع منهيات المولى ومستلذات الهوى المفضية إلى الردى ومنه القعود عن القتال فإن فيه فراغ البال وسعة الحال لكن يعقبه حرمان الغنيمة وفقدان المثوبة ولحوق الإذلال في المآل وعسى للإشفاق في الجملة الأولى وللتراخي في الثانية ﴿وَاللَّهُ يَمْلِكُ﴾ [الآية: 216] أي: ما هو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَقْلُمُونَ﴾ [الآية: 216] خيركم وشركم.

وقال الأستاذ صعبت على النفوس مباشرة القتال فيبين أن راحات/ 74/أ النفوس مؤجلة لأنها في حكم التأديب وبالعكس من هذا راحات القلوب فإنها معجلة إذ هي في وصف التقريب فالسعادة في مخالفة النفوس فمن وافقها حاد عن المحجة المثلى كما أن السعادة في موافقة القلوب فمن خالفها زاغ عن السنة العليا ومبشرات ضمان الحق باليسر أولى أن تقبل من محذورات هواجس النفوس في حلول العسر وحصول الخير.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَتَالٍ فِيهِ﴾ [الآية: 217] بدل اشتمال وقرىء عن قتال فيه ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 217] والأكثر على أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشُّرَكَائِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] أي: من حل وحرم وعموم المكان مستلزم لشمول الزمان ونسخ الخاص بالعام جائز عند علمائنا الكرام ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 217] أي: ومنع عن الإسلام أو ما يوصل العبد إلى علو المقام ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ [الآية: 217] أي: بالله ﴿وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ﴾ [الآية: 217] أي: وصد عن بيت الله أو حرم الله أو وصد المسجد الحرام بتقدير المضاف المسند إلى المفعول فيه ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 217] أي: من القتال في الشهر الحرام خطأ كما وقع من بعض المسلمين ابتداء وهو خبر عن الأشياء

الأربعة المعدودة من كبائر الكفرة المردودة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ [الآية: 217] أي: الشرك عمداً ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [الآية: 217] أي: من قتل مسلم كافراً في الشهر الحرام سهواً فإن الآية نزلت في سرية بعثها رسول الله ﷺ من المسلمين فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون فاستعظم المشركون سفك الدماء في رجب وهو من الأشهر الحرم⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن من المعاصي ما يكون أشد من غيرها في المبنى وأصعب في المعنى فسوء الأدب على الباب لا يوجب من ضرب الأسواط ما يوجبه على البساط فإذا حصلت زلة النفس فأثرها بالعقوبة المؤجلة وهي الاحتراق وإذا زل القلب فعقوبتها معجلة وهي بالفراق وأثر الغفلة على القلوب أعظم من ضرر زلة النفوس فإن النفس على الحظ تبقى والقلب عن الحق يبقى ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ [الآية: 217] أي: المشركون ﴿يَقِيلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ [الآية: 217] أي: كي يمنعوكم ﴿عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْلَمْتُمْ﴾ [الآية: 217] أي: ولم يستطيعوا لعناية ربكم بكم ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 217] أي: وإن وقع ارتداد ب/74 من بعضكم ورجوع ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ [الآية: 217] / إلى دينهم فيكم ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [الآية: 217] أي: عند موته ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [الآية: 217] أي: بطلت ﴿فِي أَلْدِينِ﴾ [الآية: 217] لبطان ما تخيلوه من العقائد الدينية وفوات ما لأهل الإسلام من الفوائد الدنيوية ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ [الآية: 217] بسقوط الثواب وعذاب الحجاب في موقف الحساب ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية: 217] أي: ملاقوها في دار البوار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 217] كسائر الكفار.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا إلى أن أهل الغفلة إذا راودوك على وجه الفتنة أرادوا صرفك إلى ما هم عليه من الغفلة فلا يرضون إلا بأن تفسخ عقد إرادتك بما تعود إليه من سابق حالتك ومن فسخ مع الله عهده مسخ الله قلبه .

﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ﴾ [الآية: 218] أي: عموماً ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 218] أي: خصوصاً ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [الآية: 218]

أي: جزيل ثوابه وجميل ما به وعلق الحكم بالرجاء إيماء بأن العمل غير موجب للجزاء لا سيما والعبرة بالانتهاء المبني على سبق القضاء في الابتداء المبهم أمره على جميع الأصفياء ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ [الآية: 218] كثير الغفران ﴿رَجِيمٌ﴾ [الآية: 218] عظيم الامتنان على أهل الإيمان والإحسان.

وقال الأستاذ: إن الذين صدقوا في قصدهم وأخلصوا في عهدهم ولم يرتدوا في الإرادة على أعقابهم أولئك الذين عاشوا في روح الرجاء إلى أن يصلوا إلى روح البقاء وفرح اللقاء.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ [الآية: 219] أي: شربها ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ [الآية: 219] أي: عن لعب القمار بالنرد والشطرنج ونحوهما والمعنى يسألونك عن حكم تعاطيهما ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾ [الآية: 219] أي: في مباشرهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 219] وفي قراءة حمزة والكسائي كثير لما يؤدي إلى الانتكاب عن المأمورات وارتكاب المحظورات ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 219] من تقوية الطبيعة وتوفير السخاوة والشجاعة في الخمر ومن كسب المال وطرب الحال من مغالبة الرجال في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ [الآية: 219] أي: ضررهما بارتكاب ما فيهما من إثم المخاصمة والمشاتمة وأمثالهما ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [الآية: 219] أعظم وقرىء أكثر والمراد أن المفاصد التي تنشأ منهما أزيد من المنافع المتوقعة فيهما وإذا قيل إن هذه الآية محرمة للخمر فإن المفسدة إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم تلك الفعلة والظاهر أنها ليست/ مصرحة بل ملوحة لما روي أنه نزل بمكة 75/أ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتُخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: 67] فأخذ المسلمون يشربونها ثم أن عمر ومعاذاً وسعد وغيرهم رضي الله عنهم قالوا: أفتنا يا رسول الله في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية⁽¹⁾: فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ناساً منهم فشربوا فسكروا وأقام أحدهم فقراً أعبد ما تعبدون فنزلت ﴿لَا تَقْرَبُوا الزُّكُورَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: 43] فقل من يشربها ثم دعا عتب بن مالك

(1) تفسير أبي السعود (1/ 218)، وتفسير البضاوي (1/ 503).

سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكى إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ فقال عمر: انتهينا يا ربنا⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الخمر ما خامر العقول وكما أن الخمر حرام فالسكر حرام فمن سكر من شراب الغفلة استحق ما يستحق شارب الخمر من حيث الإشارة فكما أن السكران ممنوع من الصلوات فصاحب السكر بالغفلة محجوب عن المواصلات وأوضح الشواهد الوجود فمن لم يصدق فليجرب ومعنى القمار موجود في أكثر معاملات أهل الغفلة إذا سلكوا طريق الحيل والخداع والكذب في المقال فبذل الصدق والإنصاف عزيز.

وفي «العرائس» الخمر حب ما سوى الحق لأن رفع بصر السر عن مشاهدة الحضرة إلى الكون بنعت استحسانه حجاباً لعقل الكل فإذا خامر النفس سر القلب باشره الغفلة وسكرت بإدراك هواها وحظوظها الدنيئة وسقطت عن مباشرة العبودية وبتأثيرها احتجب الروح عن معاينة الآخرة وبقيت في حجاب النفس عن مقام الوصال وحالة المشاهدة، والميسر ميل الشيطان والنفس مع القلب فإذا مال القلب إلى شهوة النفس المختصة بالحيوان فقد قامرها وصار مقموراً سلوب الإيمان والعرفان وقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 219] لأن ظلمة الخمر تطفئ نور العقل ويقوى طرب النفس الأمارة فإن خمد نور العقل وظهرت ظلمة الجهل تفسد النفس/ مقام الإيمان وتخرّبوه وهو القلب فإذا كان القلب خرباً ومنع الإيمان مضمحلاً فهو قريب من الكفر والكفر آخر الإثم واللاعب بالنرد والشطرنج وأمثال ذلك كأنه يعبد الأوثان لأن في الاشتغال به اشتباه نور الإيمان بمثال النرد والشطرنج وتخيل الفهم صون الخيال وهذا أول أسباب الشرك لأنهما أما لجميع الخبائث وقوله:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 305) رقم (3101)، والطبراني في المعجم الأوسط (2/ 125) رقم (1464)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 253) رقم (3049)، والنسائي في السنن الكبرى (3/ 202) رقم (5049).

﴿وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 219] أي: معرفة آفتهما وسوء عاقبة من يشتغل بهما وقيل: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ في تناولهما ﴿وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ في تركهما ﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: أي مقدار يتصدقون ﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾ بالنصب لغة البصري أي: ما فضل من المال عن العيال وهو منسوخ في حق العوام بآية الزكاة وقيل: ما سهل من الأخلاق والأحوال.

وقال الأستاذ: قيل العفو ما فضل عن حاجتك وهذا للخواص أن يخرجوا من فاضل أموالهم عن قدر كفاياتهم فأما خاص الخاص فطريقهم الإيثار وهو أن يؤثر به غيره على نفسه وبه فاقعة إلى ما يخرج وإن كان صاحبه الذي يؤثره به له غنى.

وفي «العرائس» العفو عند العارفين ما سوى الحق من الكونين يعني اتركوا لي ما شغلكم عني وإن كان لكم فيه خصاصة حتى يكون لكم ذخراً في جميع أنفاسكم عوضاً لما تركتم فالخواص ينفقون ما يحبون طلباً لمرضاته وتركاً لمرادهم لأن الحق سبحانه لا يريد بأوليائه شهوة الكونين غيرة على أحوالهم وصوناً لأسرارهم والعوام ينفقون زوائد أموالهم حصناً لها وحرصاً بها ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 219] أي: مثل ما تقدم من البيان في كل شأن ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 219] أي: بقية الآيات في الأحكام البينات ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 219] أي: في الدلالات والقضيات الكائنة.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 220] أي: في أمورها فتنتفعون بالعمل بهما أو لكي تتأملوا في نفسيهما لتعرفوا فضل العقبي على الدنيا فتعرضوا عن الدار الفانية وتقبلوا على الدار الباقية وتعلموا أن الجمع بينهما من المحال وإلا فكان يجمعها أرباب الكمال فهما كالضرتين وكالكفتين فقد ورد من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنيته فاثروا ما يبقى على ما يفنى⁽¹⁾ وورد أيضاً أجوعكم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 343) رقم (7853)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6308)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 288) رقم (10337)، وابن حبان في الصحيح (2/ 486) رقم (709).

76/ أ في الدنيا أشبعكم في الأخرى⁽¹⁾ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [الآية: 220] / حين نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: 10] واشتد عليهم حتى تركوا المؤاكلة معهم والمخالطة بأموالهم والاهتمام بأمرهم ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [الآية: 220] أي: مداخلتهم لإصلاح حالتهم خيرٌ من مجانبتهم.

وأفاد الأستاذ: أن إصلاح حالهم بما يكون فيهم تأديب لحسن مآلهم أحسن وأتم من إصلاح مآلهم ثم الصبر على الاحتمال عنهم مع بذل النصح لهم ومفارقة الملل من إرشادهم خير من الترخص بأن يقول إنه لا يتوجه علي فرضهم ﴿وَلَا تَخَاطَبُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾ [الآية: 220] أي: فهم إخوانكم في الدين فمخالطتهم شأنكم والمعنى إن خلطتم طعامكم وشرابكم بطعامهم وشرابهم حال اجتماعكم فلا حرج عليكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [الآية: 220] أي: يعلم من يخالطهم لإفساد إليه أو إصلاح لديه فيجاريه عليه.

وقال الأستاذ: فيعامل كلاً على سواكن قلبه من القصود على ظواهر كسبه من جميع القيود ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: 220] أي: لأوقعكم في العنت وهو المشقة بأن كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة دون المخالطة والمراد التنبيه على النعمة في التوسعة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 220] أي غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 220] في قضائه وقدره يحكم ما يقتضيه الحكمة وتوسع له الطاقة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ﴾ [الآية: 221] أي: لا تتزوجوهن والمشركات احتزاز من الكتابيات إذا لم يعرفن أنهن مشركات ﴿حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَآمَهُ مُؤْمِنَةً﴾ [الآية: 221] أي: ولو كتابية ﴿خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ [الآية: 221] أي: من حرة كافرة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [الآية: 221] بمالها وجمالها ونسبها وجاهاها وسائر حالها.

وأفاد الأستاذ: أن صلة حبل الدين والتمسك بعصمة المسلمين أتم من الرضا بأن ينتهي إلى حد يسلك إلى الكفر ولئن كانت رخصة الشريعة حاصلة في فعله فإشارة الحقيقة مانعة من حيث التنزيه عن اختياره هذا في الكتابيات

(1) لم يعثر عليه.

التي يجوز مواصلتهن فأما أهل الشرك فحرام مواصلتهم قطعاً وواجب مباينتهم في هذا الباب حكماً جزماً انتهى وإنما قال هنا مواصلتهم يشمل الذكور والإناث لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 221] أي: مطلق الكفار والمعنى لا تزوجوهم المؤمنات أمة أو حرة ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَمَبَدِّ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ﴾ [الآية: 221] أي: الكفار ﴿يَدْعُونَ﴾ [الآية: 221] أي: الناس ﴿إِلَى النَّارِ﴾ [الآية: 221] أي: ما يؤدي/ إلى عذابها في دار القرار فلا يليق 76/ ب موالاتهم ومصاهرتهم ومخالطتهم ﴿وَاللَّهُ﴾ [الآية: 221] أي: أولياؤه المؤمنون بإقامة المضاف إليه مقام المضاف تفخيماً لشأنهم وتعظيماً لدعائهم ﴿يَدْعُوا﴾ [الآية: 221] أي: يدعوهم ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية: 221] أي: إلى أسباب وصولهما وموجبات حصولهما فهم الأحقاء بمواصلتهم ﴿يُذْنِبُهُ﴾ أي: بتوفيق الله وتيسيره أو لقضائه وتقديره أو المعنى والله يدعوكم وغيركم ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ يُذْنِبُهُ﴾ [الآية: 221] أي: بأمره بالإسلام وشرعه للأحكام كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25] ويؤيده العطف بقوله ﴿وَرَبِّينِ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 221] أي: لكي يتذكروا آياته ويعملون بإحكام مواصلاته.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [الآية: 222] سببه إن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يسكنوا في بيت معها كفعل المجوس واليهود ومن تبعهما والمحيض مصدر بمعنى الحيض هنا لقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ [الآية: 222] أي: مؤذي من يقربه نفرة من الاستقذار ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ [الآية: 222] أي: اجتنبوا مجامعتهن ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ [الآية: 222] أي: زمان حيضهن ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ [الآية: 222] أي بالجماع ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [الآية: 222] أي: من الدم أو يغتسلن ويؤيده قراءة شعبة وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء وفتحهما والجملة بيان لغاية الحكم مع زيادة إفادة تأكيد الأمر ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [الآية: 222] أي: بالماء ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾ [الآية: 222] أي: بالوقاع وهو أمر إباحة بالإجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 222] أي: المأتي الذي أمركم به من القبل وحلله لكم من الجماع.

قال الأستاذ: ليس كل ما يكون موجب الاستحياء أو التسوير مما هو

باختيار العبد إذ قد يكون من النقائص ما ليس للعبد فيه كسب وهو ابتداء حكم الحق فمن ذلك ما كتب الله على بنات آدم من تلك الحالة ثم أمرن باعتزال المصلى في أوان تلك الهيئة والمصلي مناخ ربه فتنحين عن محل المناجاة حكماً من الله لا حراماً لهن وفي هذا إشارة ويقال أنهن وإن منعن عن الصلاة التي هو حضور بالأبدان فلم يحجب عن استدامة الذكر بالقلب واللسان وذلك تعرض بساط القرب قال ﷺ مخبراً عنه أنا جليس من ذكرني⁽¹⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [الآية: 222] أي: من السيئات ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الآية: 222] أي: بالماء من الأحداث والنجاسات أو المتنزهين عن الفواحش والقاذورات كمجامعة الحائض وإتيان أدبار الحيوانات.

وقال السلمي أي: المقيمين على توبتهم والمتطهرين عن جميع ما تابوا من معصيتهم.

أ/77 وقال ابن عطاء: / يحب التوابين من أفعالهم والمتطهرين من أحوالهم وهم القائمون مع الله بلا غاية ولا سبب سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب أو التوابين من الحوبة والمتطهرين من التوهم أن نجاتهم بالقربة أو التوابين من ارتكاب المحظورات والمخالفات والمتطهرين من المساكنات والملاحظات والتوابين بالاستغفار والمتطهرين بصب ماء الخجل بنعت الانكسار والتوابين من الزلة والمتطهرين من العلة أو التوابين من شهود التوبة والمتطهرين من توهم شيء من الزلة بل الحكم ابتداءً لله.

وفي «العرائس» يحب التوابين عن وقوفهم في المقامات ويحب المتطهرين بنور المعرفة عن غبار الكائنات وأيضاً التوابين عن طلبهم إدراك بطنان القدم بالعقول الناقصة والعلوم المحدثثة والمتطهرين عن رؤية مقدارهم عن صدمة قهر الكبرياء وسلطان العظمة..

(1) كشف الخفا (1/ 201) رقم (611).

قال الجنيد: دخلت على السري وعليه هم فقال: دخل عليّ فتى من البغداديين فسألني عن شرح التوبة فأجبتة فقال لي: وما حقيقتها؟ فقلت: أن لا تنسى ما من أجله أن تبت فقال الغلام: ليس هو هكذا قال الجنيد: فقلت له صدق الفتى قال: وكيف هذا قال الجنيد: إذا كنت في حال الجفاء فينقلني إلى حالة الصفاء فذكرني الجفاء عند الصفاء من الجفاء.

﴿سَأَوْكُمْ حَرْثٌ﴾ [الآية: 223] أي مواضع حرث ﴿لَكُمْ﴾ [الآية: 223] ومزارع ومنابت لأولادكم شبهن بها لما يلقي في أرحامهن من النطف التي هي سبب النسل بالبدور ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ [الآية: 223] أي: لا فرثكم والمعنى فأتوهن كما تأتون محارثكم وهو كالبيان لقوله: فأتوهن من حيث أمركم الله ﴿أَنِّي سَتِّمُ﴾ [الآية: 223] أي: كيف ستتم مستلقية وباركة وقائمة ومن أين ستتم مقبلة ومدبرة ومجنبة ومتى ما ستتم ما عدا الأزمنة المنهية والهيئة الردية.

وقال الأستاذ: لما كانت النفوس بوصف الغيبة عن الحقيقة أباح لها السكون إلى أشكالها إذا كان على وصف الإذن من بارئها فلما كانت القلوب في محل الحضور حرم عليها المساكنة إلى جميع الأغيار ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 223] أي: العمل لله بما يحبه ويرضاه أو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وقيل: هو طلب الولد بالاجتماع وقيل التسمية عند الجماع.

وقال الأستاذ: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 223] ما ينفعكم ليوم/ إفلاسكم 77/ ب ولذلك قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ [الآية: 223] فانظروا لأنفسكم بتقديم ما يسركم وجوده عند ربكم.

وفي «العرائس» علم عباده أدب المباشرة بشرط التقوى والديانة وصدق النية في شروعه عند مطالبة النفس الدنية حتى لا ينسوه في جميع أعمالهم وسائر أحوالهم ﴿وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 223] أي: الكاملين القائلين بأمر الدين على طريق اليقين وحذف المبشر به لأنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [الآية: 224] أي: لا تجعلوا اليمين بالله

علة مانعة ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ [الآية: 224] أي من أن تعملوا البر ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ [الآية: 224] أي: الشر ﴿وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 224] بما يصلح للاستئناس ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 224] لأيمانكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 224] بإحسانكم.

وقال الأستاذ: نزهوا ذكر ربكم عن ابتذاله بكل حظ لا خطر له ويقال لا تجعلوا ذكر الله شركاً يصطاد به حطام الدنيا أي: فإنه يكون شركاً عند أرباب العقبي.

﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [الآية: 225] اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما يسبق به اللسان في مجراه أو يتكلم به الإنسان جاهلاً بمعناه أو يحلف عن الشيء ثم ينساه ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية: 225] أي: قصدت وعزمت به نفوسكم والمعنى لا يواخذكم الله فيما لا قصد معه ولا نية بعقوبة ولا كفارة ولكن يواخذكم بهما أو بأحدهما حين قصدتم الأيمان بموافقة القلب اللسان.

وقال أبو حنيفة: اللغو أن يحلف الرجل بناءً على ظنه ثم تبين الأمر بخلافه فالمعنى لا يواخذكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدمت الكذب في البيان ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 225] حيث لم يواخذ العبد بعد التوبة ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 225] حيث لم يعجل بالعقوبة تربصاً للأوبة.

وأفاد الأستاذ: أن ما جرى به اللسان على قصد السهو فليس له كثير خطر في الخير والشر ولكن ما انطوى عليه الضمائر واحتوى عليه السرائر من قصود صحيحة وعزائم قوية فذلك الذي يواخذ به إن كان خيراً فجزاء جميل وإن كان شراً فعناء طويل.

﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ﴾ [الآية: 226] أي: يحلفون على أن لا يطؤوهن أربعة أشهر فصاعداً في الحرة وشهرين فأكثر في الأمة ﴿تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [الآية: 226] مبتدأ خبره ما قبله أي: انتظارهم هذه المدة بالإضافة إلى الظرف على التوسعة 78/ أ ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾ [الآية: 226] أي: رجعوا في الأشهر الأربعة لما في قراءة ابن مسعود فإن فاؤوا فيهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 226] أي: للمولي حننه بعد أداء

الكفارة وما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة بالفيئة التي هي كالتوبة ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [الآية: 227] أي: بترك الفيء واختيار الفراق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 227] بحلفهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 227] بفرضهم وعند أبي حنيفة إن فاء في المدة بالوطء أي: قدر عليها بالوعد إن عجز عنه بنحو أن يقال فتت إليها صح الفيء ولزمه الكفارة وإلا فبانت بعدها بتطبيقه وعند الشافعي يطالب بعد المدة بأحد الأمرين وهو الوطء والطلاق فإن أباهما جميعاً طلق الحاكم عليه.

قال محمد بن الحسن، في موطأه: بلغنا عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أنهم قالوا إذا ألى الرجل من امرأته فمضت أربعة أشهر قبل أن يفيء فقد بانت بتطبيقه ولا توقف بعدها وابن عباس اعلم بتفسير القرآن والله أعلم بتحقيق البيان.

وقال الأستاذ: إن كان حق صحبة الأشكال من الخلق محفوظاً عليك حتى لو أخللت به وأخذك بحكمه فحق الحق أحق بأن تجب مراعاة أمره ﴿فَإِنْ قَامُوا﴾ [الآية: 226] أي: رجعوا إلى إحياء ما أمانوا أو استدراك ما ضيعوا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 226] أي: فيما صنعوا ولما تقاصرت لسان الزوجة لكونها أسيراً في يد الزوج تولى الله سبحانه الأمر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع إليها أو بتسريحها.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [الآية: 227] أي: مل عن صحبتها وأكد العزم على مفارقتها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 227] مطلع على حاله وسره فإن بدا له بإد من الندم فلا يلتبس بإنكار الطلاق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أنه طلقها ولما كان الفراق شديداً على المرأة بأن قال إن سألك فراقه فلقد سمعنا موحش تلك المقالة فهو تعزية لها من الحق سبحانه.

﴿وَالْمُطَفِّئُ﴾ [الآية: 228] أي: المخلّيات من حبال الأزواج المدخول بهن حقيقة أو حكماً من ذوات الأقراء بخلاف الحاملة والصغيرة والآيسة والمتوفي عنها زوجها ﴿يَرْبِضَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 228] أي: ليحملنها على الانتظار المسماة بالعدة ﴿ثَلَاثَةً قُرُوءٍ﴾ [الآية: 228] أي مدة ثلاث حيض عندنا وأطهار عند

الشافعي ويؤيدنا عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان⁽¹⁾ فهو خبر في معنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والمبالغة فكأنه سبحانه أمرهن فامتثلن فأخبر عن امتثالهن.

78/ب وقال الأستاذ: أمر المطلقات بالعدة/ احتراماً لصحبة الأزواج ولو ساعة يعني لو انقطعت العلاقة بينكما فأقيموا على شرط الوفاء لما سلف من الصحبة ولا تقيموا غيره مقامه بهذه السرعة واصبروا حتى يمضي مقدار من المدة ألا يرى أن غير المدخول بها لم تؤمر بالعدة حين لم يقم بينهما الصحبة ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ [الآية: 228] يعني الولد إبطاً لحق الزوج من الرجعة أو الحيض استعجالاً في العدة ولا منع من الجمع ومال الأستاذ إلى الأول حيث قال: يعني إن انقطع بينكما السبب فلا تقطعوا ما أثبت الله من النسب ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 228] أي: إيماناً كاملاً وليس المراد تقييد نفي الحل بإيمانهن بل التنبيه على أن المؤمنة الكاملة لا تجزئ عليه فقصد به زجرهن وأكد أمرهن ﴿وَيَعُولُنَّ﴾ [الآية: 228] أي: أزواجهن ﴿أَحَقُّ رِزْقاً﴾ [الآية: 228] أي: بمراجعتهن إن كان طلاقهن رجعيّاً ﴿فِي ذَلِكَ﴾ [الآية: 228] [الآية: 228] أي: في زمان تربصهن من عدتهن ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً﴾ [الآية: 228] أي: إن قصدوا مصالحة بينهم وبينهن وأرادوا إصلاح أنفسهم وأنفسهن لا إضرار النساء بمراجعتهن وهو تقييد للأحقية وقيل المعنى ويعولتهن حقيقون بردهن وأما قول من قال وعندي أن معناه وأزواجهن أحق من الأجانب في مدة العدة فمدفوع بأن الأجانب ليس لهم حق في تلك المدة وبعد فراغها يستوي الأجنبي وزوجها في أن الأمر باختيارها ثم ليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض على هذا الأمر والمنع عن قصد الضرر.

وأفاد الأستاذ: أن من سبق له الصحبة فهو أحق بالرجعة لما وقع في النكاح من الثلثة وقوله: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً﴾ [الآية: 228] يعني أن يكون القصد بالرجعة استدراك ما حصل من الجفاء إليها لا تطويل العدة بأن يعزم على طلاقها

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (26/7) رقم (6749)، والترمذي في الجامع الصحيح (488/3) رقم (1182)، وعبد الرزاق في المصنف (221/7) رقم (12871).

بعدها راجعها ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرِفَةِ﴾ [الآية: 228] ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن على ما عرف في الشرع من حق الرجل على المرأة، وعكسه فيتزين لها كما تتزين له والمقصود وحسن المعاشرة وطيب المخالطة.

وقال الأستاذ: يعني إن كان له عليها حق لما أنفق من المال فلها حق الخدمة لما سلف من الحال ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [الآية: 228] أي زيادة حق سبب المهر الذي ساقوا وللمال الذي أنفقوا أو مزيد شرف لأنهم قوام عليهن وحراس لهن.

وأفاد الأستاذ: أن للرجال عليهن درجة في الفضيلة ولهن مزية في الضعف وعجز/ البشرية ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 228] أي: غالب على المراد لقدرته 79/أ ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 228] يأمر بما أراد لحكمته.

﴿أُطْلِقُ﴾ [الآية: 229] أي الرجعي ﴿مَرَّتَانٍ﴾ [الآية: 229] أي: اثنتان رداً على أهل الجاهلية حيث لم يكن لهم طلبة محصورة معناه التطلق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفرقة وكذا قال علماؤنا الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة.

وقد مال الأستاذ إلى هذا المقال حيث قال ندب إلى تفريق الطلاق لثلا يتسارع إلى تحقيق الفراق وقد قيل في معناه:

قد تبينت أن عزمك قتلي فذريني أضنى قليلاً قليلاً

وفي «العرائس» الطلاق مرتان أحدهما طلاق النفس وشهواتها والدنيا ولهواتها والثاني طلاق الآخرة ولذاتها فينبغي للعارف أن يطلقها لأن عروس مشاهدة الحق غار على قلوب المحبين والمشتاقين أن يكون لهم شيء دون الله قلت ولأنها ضربتان لا تجتمعان إن أرضيت واحدة أغضبت الأخرى وإن أرضيت الأخرى أغضبت الأولى فلا مخلص من علاقتهما سواء يكون بعناقهما أو خناقهما إلا بطلاقهما بإذن المولى ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرِفَةٍ﴾ [الآية: 229] أي: بما عرف من أمر الله والمعنى إذا طلقتموهن واحدة أو اثنتين فلكم الخيار في المراجعة وحسن المعاشرة فإمساك مبتدأ والخبر الجار المقدر ﴿أَوْ تَرْيِغٌ بِإِحْسَنِ﴾

[الآية: 229] بالطلقة الثالثة كما ورد في السنة أو بعدم المراجعة ضراراً حتى تبين بانقضاء العدة.

وقال الأستاذ: في معناه إما صحبة حميدة أو فرقة جميلة فأما سوء العشرة وإذهاب لذة المعيشة بالأخلاق الذميمة فغير مرضي في الطريقة ولا محمود في الشريعة والحقيقة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ [الآية: 229] أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا بِمِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [الآية: 229] من الصدقات أو العطايات.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر العائد في هبته كالعائد في قبته والرجوع فيها خرجت عنه خسة يعني فما خرجت عنه فلا تدخل في قبته ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ [الآية: 229] أي: الزوجان والمعنى يظنا كما قرئ به أو يعلما وفي قراءة حمزة بضم الياء أي يخاف عليهما ﴿إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [الآية: 229] بترك أحكام مواجب الزوجية المقررة بالأدلة الشرعية والمعنى أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر الزوج بغضاً له وخاف الزوج إذا لم تعطه أمراته أن يعتدي عليها حل ب/79 له أن يأخذ الفدية منها إذا دعت إلى ذلك باختيار عنها وهو معنى قوله/ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: أيها الأولياء ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [الآية: 229] أي: فيما بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيكَ أَفَلَدَّتْ بِهِ﴾ [الآية: 229] أي: لا على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت ولا على المرأة في إعطاء ما افتدت سواء أخذت شيئاً من زوجها أو ما أخذت.

وقال الأستاذ: يعني إن أرادت المرأة أن تتخلص من زوجها فلا جناح عليها فيما تبذل من مال فإن النفس تساوي لصاحبها كل شيء والرجل إذا فاته صحبة المرأة لو اعتاض منها شيئاً فلا أقل من ذلك حتى إن فاته راحة الحال يصل إلى يده شيء من المال ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [الآية: 229] إشارة إلى ما حد من الأحكام السالفة ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [الآية: 229] أي: فلا تعتدوها بالمضايقة ولا تجاوزوها بالمخالفة.

وأفاد الأستاذ: إن هذه آداب علمكم وشرائع سنّها لكم فحافظوا على ملازمة حدوده وداوموا على محافظة حقوقه ﴿وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

أَفْلَاحُونَ ﴿[الآية: 229] تعقيب للنهي بالوعيد للمبالغة في التهديد.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ [الآية: 230] أي: الزوج المطلق تبين ﴿فَلَا يَحِلُّ﴾ [الآية: 230] أي المطلقة ثلاثاً ﴿لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ [الآية: 230] أي: بعد التطليقة الثالثة ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [الآية: 230] أي: حتى تتزوج غير المطلق بعد فراغ العدة نكاحاً صحيحاً يطأها فيطلقها وتخرج من عدته خروجاً صريحاً ولعل في ذلك الحكم من الحكمة ردع الزوج عن المسارعة إلى المفارقة والعود إلى المطلقة ثلاثاً بلا كلفة لما فيه من النفرة وقلة الرغبة.

وأفاد الأستاذ: أن الرجل يشق عليه أن ينكح زوجته غيره فمنعه عن اختيار الفراق بغاية المنع لما بين أنها لا تحل له إن فارقها إلا أن تفعل غاية ما يشق عليه وهو الزوج الثاني ليحذر الطلاق ما أمكنه ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ [الآية: 230] أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ [الآية: 230] بنكاح جديد بينهما فالرجعة هنا لغوية لا شرعية ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [الآية: 230] أي: ما بين الله من حقوقهما وعبر بالظن لأن عواقب الأمور مظنونة لكونها مبهمة لا معلومة ﴿وَبِذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 230] أي يفهمون وبمقتضاها يعملون وخصوا بذلك لأنهم المتفعون وغيرهم محرومون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية استيلاء المحبة على القلوب الشديدة يهون المقاساة الشديدة فلو انطوى الزوجان بعد الفرقة/ على التحسر 80/أ على ما فاتهما من الوصلة وندما على ذلك غاية الندامة فلا جناح عليهما أن يتراجعا والمرأة في هذه الحالة كالمنشود من الزوج الأول بمكان الزوج الثاني والزوج كالأتي على نفسه في احتمال ذلك ثم قال ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ يعني أن لا يعودوا بعد ذلك إلى الفراق ثانياً إذا علما حاجة أحدهما إلى صاحبه قال قائلهم:

ولقد حلفت لئن لقيتكم مرة أن لا أعود إلى فراقك ثانية⁽¹⁾

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَسِّنَّ أَجَلَهنَّ﴾ [الآية: 231] أي: قاربين انقضاء عدتهن

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/220).

﴿فَأَسْكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْكِسُوهُمْ ضِرَارًا﴾ [الآية: 231] أي راجعوهن من غير ضرار وتثقيل أو أدخلوهن في مقتضى عدتهن من غير تطويل ﴿وَلَا تُنْكِسُوهُمْ ضِرَارًا﴾ [الآية: 231] أي: لا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن وأنتم لا حاجة بكم إليهن ﴿لِعَعْدُوا﴾ [الآية: 231] أي: لتعلموا عليهن بالاعتداء أي: لتلجئوهن إلى الافتداء واللام متعلقة بالضرار إذ المراد تقييده فإنها إذا زنت يجوز أن تضار لتفتدي.

وأفاد الأستاذ: إن الآية تضمنت الأمر بحسن العشرة وترك المغاظة مع الزوجة فأما تخلية سبيل من غير الجفاء أو قيام بحق الصحبة على شرط الوفاء ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ [الآية: 231] أي: الاعتداء ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الآية: 231] بتعريضها للعقاب وتغويتها للشواب وظلمها ما تعداها إلى غيرها ﴿وَلَا تَنَحَّضُوا عَائِدِ اللَّهِ هُزُوا﴾ [الآية: 231] أي: مهزواً بها بالإعراض عنها وتهاون العمل بما فيها وقد كان الرجل تزوج ويطلق ويعتق ويكون كنت ألعب فنزلت وثبت عنه ﷺ ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق ⁽¹⁾ ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 231] ومن جملتها إنزال رسولنا إليكم وذكرها شكرها بالقيام لحقوقها ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الآية: 231] أي: القرآن والسنة خصها بالذكر لشرفها في المرتبة وشمولها كل نعمة مرتبة ﴿يَعْظُمُ بِهَا﴾ [الآية: 231] أي: بالمنزل من كتابه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 231] تأكيد ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 231] تهديد.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَفَنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: انقضت عدتهن وسياق الكلامين دل على اختلاف البلوغين ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: فلا 80 ب تمنعهن ﴿أَنْ يَكُونَنَّ أَرْوَاجُهُنَّ﴾ [الآية: 232] أي: من أن يتزوجن/ الذين كانوا أزواجهن بنكاح جديد لهن أو من أراد نكاحهن ﴿إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 232] أي تراضياً كائناً بما يعرفه الشرع ويستحسنه الطبع من المهر المتعارف

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 216) رقم (2800)، وابن ماجه في السنن (1/ 658) رقم (2039)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 490) رقم (1184)، وأبو داود في السنن (2/ 225) رقم (2196).

بالمروءة واعتبار الكفاءة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تضمنت نهى الأولياء عن مضارتهن وترك أحكام الجاهلية والانقياد لحكم الله في تزويج النساء إذا أردن النكاح من دون استئثار الأنفة والحمية بل إذا رضيت بكفؤ يخطبها فحرام عليكم ظلمها والتدويب عن أوصاف البشرية بقهر النفس أشد مجاهدة وأصدق معاملة لله ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 232] أي نهيه سبحانه عن الفصل والخطاب له ﷺ فإنه الأصل والفصل وصاحب الفضل والمراد هو وأمته لقوله: ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 232] وخص لأنه المنتفع والمتعظ بالأمر والزاجر ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 232] أي: الانعاز بالامتثال والانتهاه ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية: 232] أي: أنفع وأنمى في صلاحكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ [الآية: 232] أي: أنظف وأنقى في فلاحكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية: 232] أي: ما فيه من نفعكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 232] لقصور علمكم.

﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ [الآية: 233] أو عبر عنه بالخبر للمبالغة وهو للندب مطلقاً أو للوجوب إذا تعين وفقاً ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [الآية: 233] أكده بصفة الكمال لأنه سماع يتسامح فيه في بعض الأحوال أو تحديد لا تقرب لقطع النزاع بين الزوجين في مدة الرضا كما يدل عليه قوله سبحانه ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ﴾ [الآية: 233] وهو بيان للمتوجه إليه الحكم أي ذلك الحكم بإرضاع الحولين الكاملين لمن أراد إتمام الرضاعة مطلقاً أو عند اختلاف إرادة الزوجين وفيه دليل على أن أقصى مدة الإرضاع حولان ولأن لا عبرة بالرضاعة بعدها خلافاً لعائشة رضي الله عنها في أن إرضاع الكبير يؤثر في التحريم.

وأفاد الأستاذ: إن غاية الرحمة التي يضرب بها المثل رحمة الأمهات فأمر الله سبحانه الأمهات بإكمال الرحمة بإرضاع المولود حولين كاملين وقطع الرضاع عليه قبل الحولين إشارة إلى أن رحمة الله بالعبد أتم من رحمة الأمهات بالولد ﴿وَعَلَىٰ الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ [الآية: 233] أي: وعلى الوالد ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [الآية: 233] أي: نفقة الأمهات المرضعات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 233] أي: بقدر

وسعه لقوله سبحانه: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 233] .

81/أ وقال الأستاذ: وقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لما قمن عنك/ وجب حقهن عليك فإن من لك كله فعليك أن يكون كلك له وقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ﴾ أشار إلى أن ادخار المستطاع بخل وغدر والوقوف عند العجز عذر ﴿لَا تُضَاكِرُ﴾ [الآية: 233] بتشديد الراء المفتوحة على أنه نهى معلوم أو مجهول وبالمضمومة للمكي والبصري على أنه نفى كذلك ﴿وَالِدَةٌ يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهَا يُولَدُهَا﴾ [الآية: 233] أي: ولا الأب بولده والمعنى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له من حقه ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ [الآية: 233] أي: وارثه المحرم عند أبي حنيفة حال فقر الرضيع ووارث الأب وهو الصبي نفسه حال غناه اتفاقاً ﴿مِثْلَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 233] أي: مثل ما وجب على الأب من النفقة وسائر أنواع الشفقة.

وقال الأستاذ: كما يجب حق المولود على الوالدين يجب حق الوالدين على المولود ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ [الآية: 233] أي الوالدين ﴿فَصَالَا﴾ [الآية: 233] أي: فطاماً للولد قبل الحولين صادراً ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا﴾ [الآية: 233] بينهما أو بغيرها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [الآية: 233] لأن أمره مفوض إليهما إذ لا يوجد أحد أحسن عليه منهما.

وأفاد الأستاذ: أن الآية اشتملت على تمهيد طريق الصحة وتعلم محاسن الأخلاق في أحكام العشرة وأن من لا يرحم لا يرحم وقد ورد عنه ﷺ أنه قال لمن ذكر أنه لم يقبل أولاده أن الله لا ينزع الرحمة إلا من قلب شقي⁽¹⁾ ﴿وَلِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرَضُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [الآية: 233] حذف المفعول الثاني للاستغناء عنه بما يتضمنه الفعل من البناء والمعنى أن تعطوا أولادكم مرضع من غير أمهاتهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ [الآية: 233] إلى المرضع ﴿مَاءً أَيْتُمُ﴾ [الآية: 233] أي: ما أردتم إيتاءه من أجرتهن وفي قراءة ابن كثير بالقصر أي: فعلمتم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 233] أي: بالوجه المتعارف مروءة والمستحسن شريعة وهو صلة سلمتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وشبه ما هو من

(1) أورده القشيري في تفسيره (1/ 223).

شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة فاستعير له العبارة إشعاراً بأن كون الاسترضاع مقروناً بتسليم ما يعطي المرضع أكثر ثواباً وأنور مآباً ﴿وَالْفُقَاُ اللَّهُ﴾ [الآية: 233] مبالغة في المحافظة على الموافقة ﴿وَأَعْمَوْا أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِصَيْرٍ﴾ [الآية: 233] أي: محاذر عن مباشرة المخالفة وحث على المعاشرة (بالمجاملة) والمخالفة.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 234] أي: يموتون ﴿وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [الآية:

234] أي يتركون/ زوجات من الحرائر ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 234] خبر 81/ ب بمعنى الأمر أي: ليتوقفن وينتظرن أو يحبسن أنفسهن عن الزواج بعد موت الأزواج ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [الآية: 234] أي: عشر ليالٍ فتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرز الشهور والأيام وقيل: أي عشرة أيام لكون التذكر فيه فصيحاً أيضاً وحسنه أنه مقطع الكلام فهو شبيه بالفواصل في تمام النظام كقوله ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: عشرة أيام بقرينة قوله بعد أن ليشتم إلا يوماً وخص عن هذا الحكم الحامل للإجماع ولقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4] .

قال القاضي: ولعل المقتضي لهذا التقرير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً ولأربعة إن كان أنثى فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه عشراً استظهاراً إذ ربما يضعف حركته في المبادئ فلا يحس بها.

وقال الأستاذ: لما كان حق الميت أعظم من المطلق لأن فراقه لم يكن بالاختيار كانت مدة وفائه أطول في الاعتبار ففي ابتداء الإسلام عدة الوفاة كانت سنة ثم ردت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام لتحقيق براءة الرحم عن ماء الزوج ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾ [الآية: 234] أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ [الآية: 234] أي: مما حرم للعدة عليهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 234] أي: بالوجه المستحسن شرعاً وعرفاً.

وقال الأستاذ: يعني إذا انقضت العدة أبيح لها التزوج بزواج آخر فإنها قامت بحق المروءة وأمر الشريعة إذ الميت لا يستديم وفائه إلى آخر العمر

أحد في الطريقة ولا في الحقيقة وقد قيل:

وكما تبلى وجوه في الشرى فكذا يبلى عليهن الحزن⁽¹⁾

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية: 234] وبجاء أعمالكم بصير.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيَمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ [الآية: 235] أي: تكلمتم به على طريق

غير تصريح بل على سبيل كناية وتلويح ﴿مِنْ خُطْبَةِ النَّسَاءِ﴾ [الآية: 235] أي: من

التماس نكاح المعتدات للوفاة حال العدة وبتعريض خطبتها مثلاً أن يقول لها أنك

جميلة أو صالحة أو نافعة ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 235] أي: فيها

أضمرتم من نكاحهن في قلوبكم وأو للتنويع أو التخيير ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرْنَهُنَّ﴾

[الآية: 235] أي: في أنفسكم فرفع الحرج في ذلك عنكم أو المعنى ستذكرونهن

باللسان لعدم صبركم عن الرغبة فيهن وعلى السكوت عنهن ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ

سِرًّا﴾ [الآية: 235] التقدير فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن/ نكاحاً أو جماعاً وعبر ٨/أ

عنه بالسر لأنه يسر وعن العقد لأنه سببه أو معناه لا تواعدوهن في السر على أن

المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يُستهجن حتى في الذكر ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا

قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الآية: 235] بأن تذكروا تلويحاً لا تصريحاً والمستثنى منه محذوف

أي: ﴿لَا تَوَاعِدُوهُنَّ﴾ إلا مواعدة معروفة وقال الأستاذ أبيح من ذلك ما كان فيه

استحلاب للمودة وتأسيس لحال الوصلة وحرم منها ما فيه ارتكاب محظورات

إلمام بذنوب أو عدة بجزم ﴿وَلَا تَعَزِّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [الآية: 235] أي: لا

تقصدوا عقد عقدة النكاح وذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد ولا بد عن

تقدير المضاف لأن العزم إنما يكون على الفعل لا نفس العقد والمعنى لا تقصدوا

قصداً جازماً في عقد ما يتقيد به أمر الزواج وملخصه لا تصححوا عقد النكاح

﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [الآية: 235] أي: حتى تنقضي عدة الأول فإن حرمة

الماضي لا تضيع ولو طال الأجل ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية:

235] أي: من العزم على ما لا يجوز لكم ﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾ [الآية: 235] ولا تعزموه أو

فخافوا المطلع على ما في ضمائرهم.

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: الزهرة (1/164)، والبيان والتبيين (1/484).

وفي «تفسير السلمي» وقيل: فاحذروا أن يكون في أنفسكم سواء فيعرض عنكم الإله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 235] لمن عزم على معصيته وتركها لخشيته ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 235] لا يعجل عليكم بعقوبته وبخهم أولاً في الزلة ثم لم يؤيسهم من الرحمة.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الآية: 236] أي: لم تجامعوهن حقيقة أو حكماً وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ﴿أَوْ قَفَرْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية: 236] أي: لم تفرضوا بمعنى لم تقدروا أو إلا أن تفرضوا أو إلى أن تفرضوا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾ [الآية: 236] تسموا مهراً مفروضاً فعليه بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الإسمية ويحتمل المصدرية والمعنى لا تبعة على المطلق من جهة الوزر ولا من مطالبة المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر فإنها لو كانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل وإذا لم تكن ممسوسة وسمي لها فلها نصف المسمى كما سيأتي في بيان هذا المعنى ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ [الآية: 236] أي: فطلقوهن ومتعهوهن بمعنى أعطوهن من مالكم ما به يتمتعن ﴿عَلَى الْوُسْعِ﴾ [الآية: 236] أي: الغني الذي يكون في سعة من غناه ﴿قَدَرٌ﴾ [الآية: 236] بسكون الدال نافع والمكي والبصري والشامي وشعبة/ أي: 82/ ب قدر إمكانه ومقدار طاقته ﴿وَعَلَى الْقُدْرَةِ﴾ [الآية: 236] أي: الفقير الذي في ضيق مما ابتلاه الله ﴿قَدَرٌ﴾ [الآية: 236] والحكمة في إيجاب المتعة خبر إيحاش الفرقة بعد الوصلة وهي درع وخمار وملحفة عند أئمتنا الحنفية على حسب حال صاحب البلية في القضية وفي تفسير الوجيز أعلاها خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ما له ثمن ثم قال والمطلقة قيل تسمية المهر والمسيب يستحق المتعة بالإجماع انتهى. وأكثر السلف على أن المتعة عام لكل مطلقة وعندنا المتعة واجبة لمن لم يسم لها مهر ولم يقع لها مس ولا متعة لمن سمي لها مهر ولم يقع لها مس ومستحبة لسائر المطلقات. ﴿مَتَّعًا﴾ [الآية: 236] أي: متمتعاً ﴿بِالْمَتْرُوفِ﴾ [الآية: 236] أي: مما يعرف حسنه شريعة ومروءة ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 236] صفة لمتاعاً أي: واجباً ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 236] أي: إلى أنفسهم بالمسارعة إلى امتثال أمر ربهم.

وقال الأستاذ: يعني إن ابتدأتم بوصلة أشكالكم ثم بدا لكم مفارقة أمثالكم فلا حرج عليكم في اختيار الفرقة إذ أردتم فإن الذي لا يجوز اختيار فرقته واحد فأما صحبة الخلق بعضهم مع بعض فليس بواجب بل غاية وصفة أنه جائز ولكن لما وقع عليهن اسمكم فنصف المسمى يجب لهن فإن الفراق كيف ما كان فهو شديد فجعل ما يستحق من العوض كالخلق لا عند تجرع كأس الفرقة فإن لم يكن مسمى فلا يخلو العقد من متعة فإن تجرع الفرقة مجرد عن كل راحة محنة عظيمة.

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [الآية: 237] أي: لأجلهن ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُو﴾ [الآية: 237] أي المطلقات بأن يتركن مطالبة أزواجهن ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي يَدُوهُ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [الآية: 237] أي الزوج المالك لعقده وحله فإن الطلاق لمن بيده الساق عما يعود نفعه بالتشطير مالا فيسوق المهر إليه يوجب كمالا وبه فسر أصحابنا والشافعي وأحمد وحجتهم ما رواه الدارقطني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله قال ولي العقدة الزوج وفسره مالك بالولي ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ [الآية: 237] أي: وعفوكم أيها الرجال والنساء ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [الآية: 237] أي: أدعى إلى كمال الإتياء من أحوال الأنقياء فإن امتثال العفو المندوب مشعر بأن صاحبه بالأولى بتمثل أمر الوجوب والآية في الجملة داعية إلى خصلة الإيثار التي هي طريقة الأبرار ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 237] أي: لا تتركوا تفضل بعضكم على بعض منكم بزيادة الإحسان فيما بينكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَمَلُّونَ بِصِيرٍ﴾ [الآية: 237] فلا يضيع أ/83 تحملكم وتجميلكم/.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال من أخل بالفضل واقتصر على العرض فعن قريب يخل بالفرض ويقال نسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل وأن من سئة الكرام إذا خفي عليهم موضع الكرام أن يتخذوا بصائر الجود بتطلع لطائف الكريم ليتوفر دواعيهم في اقتناء أسباب الفضل.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [الآية: 238] أي داوموا عليها بأدائها على وفق

شروطها وأركانها ومراعات سننها وأدابها ﴿وَالضُّكُورَ الْوُسْطَى﴾ [الآية : 238] أي بينها والفضلى منها خصوصاً وهي صلاة العصر وعليه أكثر السلف والخلف وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال يوم الأحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً⁽¹⁾ ولعل فضلها لكثرة اشتغال الناس في أسواقهم حينئذ عنها ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ [الآية : 238] أي: في الصلاة عموماً وفي الوسطى خصوصاً ﴿فَنُتَبِّينَ﴾ [الآية : 238] ذاكرين ومطيعين أو خاضعين خاشعين.

وأفاد الأستاذ: أن المحافظة على الصلوات أن يدخلها بالهيئة ويخرج بالتعظيم ويستديم بدوام الشهود وينعت الأدب وأبهم الصلاة الوسطى عنك لتراعي الجميع اعتقاداً منك لكل واحدة منها أنها هي لأن لا يقع منك تقصير في شيء منها انتهى ولا يبعد أن يقال المراد منها الصلاة الواقعة في وسط الناس ومجامعهم وخصت بالمحافظة مخافة الاشتغال بهم وخشية استعمال السمعة والرياء في محافلهم ولذا ورد أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة⁽²⁾ وإنما شرعت المفروضة علانية بالجماعة لأمره تعالى بقوله ﴿وَأَذْكُرُوا مَعَ الرُّكُوبِ﴾ [البقرة : 43] إشعاراً بأنه من شعائر المسلمين ولأن الصلاة بالجماعة تقتضي أن تكون بالهيئة المجموعة كاملة في المرتبة الحضورية بأن كلاً من المصلين يكون حاضر القلب في جزء من الأجزاء الأركانية وغير ذلك من الحكم الإلهية بالأسرار النبوية.

وقال صاحب «العرائس» المحافظة شهود السر مقام الغيب وخمود النفس عن دواعي الريب ومراقبة القلب أنوار الكشف ورعاية الروح مشاهدة الوصل ومراعات الأدب ظاهراً وباطناً أما الظاهر فبإقامة الحدود في أركانها وأما الباطن فبدفع الخواطر المذمومة الشاغلة عن رؤية الآخرة/ ثم الغيبة عن 83/ ب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2931)، ومسلم في الصحيح (203 / 6271).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (731)، والطبراني في المعجم الكبير (144 / 5) رقم (4895)، والبيهقي في السنن الكبرى (2 / 494) رقم (4382)، وابن حبان في الصحيح (238 / 6) رقم (2491).

الأركان والرسوم برؤية الحق جل جلاله في صلاته ثم الفناء في حقائق المشاهدة عن ملاحظة وجوده لغلبة سكر الوجد ومن هذا حاله فهو غائب في سر الاصطلام ولا يعلم كيفية صلاته لغلبة الوقت ولا عيب عليه لأنه قد بلغ مقام المشاهدة وهذا مقصود الصلاة إشارة من النبي ﷺ بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك⁽¹⁾ لكن صورة الأحكام تجري على العارف ويحفظها الله عليه وإن لم يعلم شأنه فيها فهؤلاء القوم يغيبون عن الظاهر لشغل الباطن والعامه يغيبون عن الباطن بشغل الظاهر فشتان ما بين الطائفتين فالعوام طاحوا في أودية الغفلات فيزينون أحكام الظاهر وأهل المعرفة طاروا في عالم المشاهدة فهم في غيبة عن رسوم الأحكام استغراقاً في بحر أنوار مشاهدة ذي الجلال والإكرام وأبهم صلاة الوسطى لمراعاة جميع الأوقات ومراقبة أحيان المكاشفات انتهى وكأنه يشير إلى إيصال صلاة الوصلة فيما بين الصلوات من النوافل وسائر الأذكار والدعوات بحيث لا يخلو في لحظة ولا لمحة ولا نفس نفس السالك عن الذكر والطاعة ولذا قال بعض العارفين الصلاة دوام الحضور مع الله والصيام هو الإمساك عما سواه ثم ما ذكره الشيخ من تقسيم الخاص والعام مستقيم عند المشايخ الكرام لكن فوق هذا مقام للأخص وهو المعبر عنه بجمع الجمع حيث لا منع بمعنى أن حضور الباطن لا يمنع عن القيام بالظاهر وعكسه فهم ثمن يقال فيهم أنهم مجمع البحرين وملتقى النيرين كما قال تعالى: ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ يَبْتَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19 - 20] وأما غيرهم فكما أشار الله إليهم بقوله ﴿كَلَّا تُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِّنْ عَطَاٰ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاٰ رَبِّكَ مَحْظُوْرًا ﴿٢٠﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيْلًا﴾ [الاسراء: 20 - 21] وفي هذا تنبيه نبيه على أن درجات الصلاة ومراتب الوصلات يكون أبداً في مزية الزيارات كما يقتضيه كمال تجلي الذات والصفات والله أعلم بحقائق الحالات ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [الآية: 239] من عدو وغيره ﴿فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [الآية: 239] أي: فصلوا راجلين واقفين على الأرجل جماعة أو راكبين فرادى مستقبلي القبلة أو غيرها

كما قرر صلاة/ الخوف في محلها ولا يصلي عندنا حال المشي والمسايقة خلافاً 84/أ
 للعلماء الشافعي ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ [الآية: 239] أي: كنتم في أمان ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾
 [الآية: 239] أي: فصلوا صلاة إلا من مع أهل الإيمان ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ [الآية:
 239] أي: لأجل تعليمنا إياكم ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 239] بعقولكم.

وقال الأستاذ: لا تخلوا بمناجاتي لأوقاتها على الوصف الذي أمكنكم
 فإن من تخشونه من أعدائكم أنا سلطتهم عليكم فإذا خلوتم لي بقلوبكم
 قصرت أيديهم عنكم وجعلت الظفر لكم عليهم ثم إذا زال عنكم الخوف
 وأمنتم فعودوا إلى استقراركم باستفراغ أوقاتكم في الاعتكاف بحضرتي سرّاً
 وجهراً انتهى ولعل ذكر الصلاة حال الرفاهية والمخوفات بعد الأمر بمحافظه
 جميع الصلوات في أثناء أحكام الأولاد والزوجات لئلا يشغلهم الاهتمام
 بأمرهم عن حكم ربهم كما أشار إليه سبحانه بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
 أُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
 [المنافقون: 9] ولا يبعد أن يكون حكمة إيراد الجمل المعترضة إشارة إلى قطع ما
 بعدها عما قبلها نزولاً وإيماء إلى أن ما سيأتي منسوخ وإن تأخر وجوده ذكراً.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾ [الآية: 240] أي: فعليهم
 وصيته وفي قراءة البصري والشافعي وحفص وحمزة بالنصب أي: فليوصوا وصية
 ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا﴾ [الآية: 240] أي: تمتيعاً ﴿إِلَى الْحَوْلِ﴾ [الآية: 240] أي: نصب
 بالفعل أو المصدر ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [الآية: 240] بدل اشتمال منه والمعنى أنه
 يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لنسائهم بأن يتمتعن بعدهم
 بإجراء النفقة عليهن وإبقاء السكنى لهن حولاً من غير إخراج الورثة إياهن كما
 قال قائلهم، إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ثم نسخت هذه المدة بما تقدم من
 العدة وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن وكذا السكنى لأنه تابعة للنفقة ومن
 جملة المتعة وهذا عندنا معشر الحنفية خلافاً للعلماء الشافعية فإن السكنى لها بعد
 ثابتة لكن على وفق المدة المتقدمة ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ [الآية: 240] أي: عن منازل
 أزواجهن باختيارهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾
 [الآية: 240] أي مما لم ينكره الشرع من التشوف للنكاح والتصنع للأزواج ﴿وَاللَّهُ

عَزِيزٌ ﴿[الآية: 240] أَي: لا يدفعه أحد من الانتقام عن من خالفه في الأحكام
﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 240] أَي: حاكم لا يعقب فيما أمرهم وذو حكمة يراعي
84/ ب مصالحهم/ .

﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 241] قال الواحدي لما
ذكر الله تعالى متعة المطلقة في قوله ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ قال رجل من المسلمين
إن أحسنت فعلت وإن لم أزد ذلك لم أفعل فأوجبها الله على المؤمنين الذين
يتقون الشرك.

وفي «العرائس» جعل لهن المتاع تسلية لقلوبهن لأنهن كابدن مقاساة
الفراق لثلا يضاعف البلاء لهن بلاء الهجران وبلاء الحرمان.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 242] أَي: مثل بيان ما سبق من حكم الأزواج والأولاد
﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾ [الآية: 242] أَي: سيبين للعباد ما يحتاجون إليه في أمر
المعاش والمعاد ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 242] أَي: تفهمونها وتعملون بها فإنها
نعم الزاد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية: 243] تعجيب وتنبيه على أمر غريب والمعنى ألم تنظر
بعين التعجب ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الآية: 243] أَي: من أوطانهم
باختيارهم ﴿وَهُمْ أُولُو﴾ [الآية: 243] أَي: كثيرة حتى قيل: أربعون بل سبعون
والجملة حالية ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [الآية: 243] أَي: فراراً من الطاعون في بلادهم
حتى نزلوا وادياً في طريقهم ﴿فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا﴾ [الآية: 243] أَي: كونوا أمواتاً
فماتوا كقوله سبحانه: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] فالأمر للتكوين لقوله: ﴿كُونُوا
قُرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65] ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [الآية: 243] أَي: مقتهم الله على فرارهم
فأماتهم عقوبة لأفعالهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ﴾ [الآية: 243] حيث أحياهم ليعتبروا ويعرفوا أن لا مفر عن القدر فيتقنوا
ويثبتوا وأخبركم لتستبصروا فتصبروا وتشكروا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 243] أَي: بل يكفرون وينكرون والقصة مقدمة للأمر
بالمجاهدة وتوطئة مشجعة للتعرض بالشهادة على وجه التوكل حال البلاء

وطريق الاستسلام للقضاء.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما استبعدوا قدرة الله في الإعادة أراهم في أنفسهم عياناً ثم لم ينفع إظهار ذلك لمن لم يشحذ بصيرته في التوحيد ومن قويت بصيرته لم يضره عدم تلك المشاهدات فإنهم تحققوا بما أخبروا لما آمنوا به بالغيب.

﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 244] لدعواتكم
﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 244] بنياتكم.

وقال الأستاذ: يعني إن مسكم ألم فتساعد منكم أنين فاعلموا أن الله سميع لأنينكم عليم بأحوالكم بصير بأموركم وأفعالكم فالآية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الألم قال قائلهم:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك فتسمع⁽¹⁾

/ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [الآية: 245] أي من هذا الذي يعمل عمل 85/أ المقرض بأن يقدم من ماله أو عمله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية: 245] أي: إقراضاً مقروناً بالاخلاص وطيب نفسه ﴿فِيضْلَعِفُهُ﴾ [الآية: 245] أي: فيضاعف جزاؤه ﴿لَهُ﴾ [الآية: 245] وصيغة المبالغة للمبالغة وفي قراءة ابن عامر وعاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى أي أيقرض الله أحد فيضاعفه وفي قراءة المكي والشامي يضعفه بالتشديد ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [الآية: 245] أي: كثرة لا يعلم قدرها إلا الله ونصبه على المصدرية على أن الضعف اسم المصدر وجمع لقصد الأنواع.

وقال الأستاذ: سمي القرض قرضاً لأن المتصدق يقطع من ماله شيئاً فيعطي المقرض وهذه التسمية لحفظ قلوب الأحاب حيث خاطبك في باب الصدقة باسم القرض ولفظه ويقال دلت هذه الآية على عظيم رتبة الغني حيث سأل منه القرض ولكن رتبة الفقير في هذا أعظم لأنه سأل لأجله القرض وقد

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/234) و(3/7) و(3/462) (5/195).

يسأل القرض عن كل أحد ولكن لا يسأل لأجل كل أحد ففي الخبر مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند [أبي] شحمة اليهودي على شعير أخذه لقوت عياله⁽¹⁾ أبصر ممن اقترض ولأجل من اقترض انتهى.

والظاهر أنه تعالى إنما سأل القرض لرتبة الفقراء من العلماء والأولياء فكأنه قال من يعطيني لأجلهم أو من يعطيهم لأجلي وأنا كفيل برد الزيادة من فضلي مع أن الكل عبدي ومالي وفيه ابتلاء للأغنياء لا سيما من السفهاء حيث قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء ولا يبعد أن يكون التقدير من ذا الذي يقرض أوليائه ومن الفقراء أصفياه وفيه إيماء إلى عظم شأنهم وعلو مقامهم حيث نزل نفسه الأنفس منزلة القوم الأقدس.

ثم أفاد الأستاذ: بأنه يقال القرض الحسن ما لا يطالع عليه الجزاء ولا يطلب بسببه العوض ولا الثناء ويقال القرض الحسن أن لا يعطى على الغفلة وإنما يعطى عن شهود الحضرة ويقال القرض الحسن من العوام إذا كان عن ظهر غنى ومن الخواص إذا كان بشرط الإيثار ويقال القرض الحسن من العامة عن مائتين خمسة وعلى لسان القوم بذل الكل وزيادة الروح على ما يبذل.

وفي «العرائس» القرض الحسن بذل الموجود مع الحياء والخجل معرفة على تقصيره وفناء أطماع الأعواض والفرح بمخاطبة الحق معه وأيضاً استقرض من عباده ما أعطاهم ليربيه لهم ويزيد فضله على فضله في حقهم 85/ ب ﴿وَاللَّهُ يَقِضُ/ وَيَبْصُطُ﴾ [الآية: 245] وفي قراءة الحرميين غير قنبل وشعبة والكسائي يبسط والمعنى يمسك الرزق عمن ما يشاء ويوسع على من يشاء أو يضيق تارة ويوسع أخرى حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت مشيئته فلا تبخلوا بصرف المال في سبيله لأنه قادر على تبديله وتحويله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 245] وعلى أعمالكم تثابون.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2916)، وابن حبان في الصحيح (262/13) رقم (5936)، وابن ماجه في السنن (815/2) رقم (2438)، والترمذي في الجامع الصحيح (519/3) رقم (1214)، والنسائي في السنن الكبرى (49/4) رقم (6247).

قال الواسطي: يقبضك عما لك ويبسطك فيما له .

وقال الثوري: يقبضك بإياه أي: بفعله ويبسطك لإياه أي: لأجله وقيل ﴿يَقْبِضُ﴾ أي: يوحش أهل صفوته من رؤية الكرامات ويبسطهم بالنظر إلى الكريم الذات بحيث ينسى حينئذ جميع اللذات.

وقال الأستاذ: يقبض الصدقة من الأغنياء قبض قبول وقرض ويبسط عليهم بسط خلف وعوض ويقال قبض على الفقراء ليمنحهم بالصبر وبسط على الأغنياء ليطالبهم بالشكر ويقال يقبض تسلياً للفقراء حتى لا يروا من الأغنياء ويبسط لثلاً يتقلدوا المنة من الأغنياء ويقال قبض القلوب بأعراضه وبسط القلوب بإقباله ويقال القبض لما غلب على القلوب من الخوف والبسط لما غلب عليها من الرجاء ويقال القبض لقهره والبسط لبره ويقال القبض لستره والقبض لكشفه ويقال القبض للمريدين والبسط للمرادين ويقال القبض للمتسابقين والبسط للعارفين ويقال يقبضك عنك ثم يبسطك به ويقال القبض حقه والبسط حظك ويقال القبض لمن تولى عن الحق والبسط لمن تجلى له الحق ويقال يقبض إذا أشهدك فعلك ويبسط إذا أشهدك فضله ويقال يقبض بذكر العذاب ويبسط بذكر الثواب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 246] أي: إلى جمع عظيم يملؤون الأعين بكثرتهم وقوة شوكتهم من تبعضية ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الآية: 246] أي: بعد موته ومن ابتدائية ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ أَهْمُ﴾ [الآية: 246] يوشع أو شمعون أو غيرها ﴿أَنْتَ لَنَا مَلِكٌ﴾ [الآية: 246] أي: أقم لنا أميراً ﴿نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 246] أي: نهض معه للقتال مع غير أهل ملتنا ومنتظم به كلمتنا وتستقيم به حالتنا ﴿فَقَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [الآية: 246] بفتح السين لغير نافع ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [الآية: 246] فصل بين عيسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع حصول جبنكم عن قتال عدوكم إن كتب الجهاد عليكم ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 246] أي: وأي مانع لنا من عدم المقاتلة في مرضاة/ 86 أ مولانا مع أعدائنا ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَنْشَأْنَا﴾ [الآية: 246] أي وأفردنا

بالسبي والقتل مع أولادنا والجملة حال عامله نقاتل والظرف أعني لنا والمعنى إذا بلغ الأمر منا هذا المقدار فلا بد من الجهاد الذي ليس فيه الفرار ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ [الآية: 246] وأمر عليهم أفضل الرجال ﴿تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 246] أي: جنبوا ولم يثبتوا على ما كتب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 246] وهم كاهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر وسيأتي أنهم هم الذين عبروا النهر.

وفي «تفسير السلمي» قال فارس: لا يتجرد للحق من هو قائم بسبب أو علاقة أو سكون أو مسكن.

وأفاد الأستاذ: أنهم استقبلوا الأمر باختيارهم واقتربوا على نبيهم بسؤال إذن القتال لهم فلما أجيبوا إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التكاثر وعرجوا في أوطان التجادل والتغافل ويقال أنهم أظهروا التصلب والجد في القتال ذباً عن المنازل والأموال فكذلك لم يتم قصدهم لأنه لم يخلص لحق الله عزمهم ولو أنهم قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أمرنا وأوجب علينا فإنه سيدنا ومولانا تجب إطاعة أمره علينا لعلهم وفقوا لإتمام ما قصدوا.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ﴾ [الآية: 247] أي: أقام ﴿لَكُمْ طَائِفَتًا مِّمَّا﴾ [الآية: 247] أي: أميراً سألتموه للقتال ونصبه على حال ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 247] أي: من أين يكون له الإمارة لدينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [الآية: 247] أي: والحال إنا أحق منه بالإمارة لأنه ليس من بسط المملكة ﴿وَلَكُم يُوتَ سَعَةٌ مِّنَ الْمَالِ﴾ [الآية: 247] أي: والحال أنه لم يعط توسعاً وزيادة من جهة المال ليكون له قوة المكنة والقدرة نسباً وسبباً ﴿قَالَ﴾ [الآية: 247] ذلك النبي ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 247] بالملك والحكم ﴿وَزَادَهُمْ بَسْطَةً﴾ [الآية: 247] أي سعة ومزية ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [الآية: 247]

وهو كناية عن الشجاعة وهما شرطان في صحة الخلافة فوفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليكون إشارة إلى تحقق الشجاعة مع زيادة

الهيبة في قلوب أهل الريبة ويكفيه من جهة نسبة النسب في الجملة أنه من أهل بيت النبوة ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 247] من غير اعتراض عليه لا في الابتداء ولا في الانتهاء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 247] أي في فضله يوسع على الفقير ويغنيه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 247] بحال عبده فيما يبيديه ويخفيه.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [الآية: 248] حين طلبوا منه إمارة على اصطفاء طالوت ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [الآية: 248] أي: صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد⁽¹⁾ مموهاً بالذهب/ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين أو كان تابوتاً أنزله الله تعالى على آدم فيه صور الأنبياء عليهم السلام كانت بنو إسرائيل يستفتحون به على عدوهم فغلبتهم العمالة على التابوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال: آية ملكه أن يرد الله التابوت عليكم فحملته الملائكة حتى وضعوه في دار طالوت ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [الآية: 248] أي: مودع فيه سكون لأنفسكم واطمئنان لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ﴾ [الآية: 248] أي أبناؤهما وهي رضراض الألواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون عليهما السلام ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية: 248] أي: فيما ذكر من علامات اليقين ﴿لَّآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 248].

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه إذا أظهر نوراً من فضله أمدّه بتأييد من قبله فلما ملك طالوت عليهم أزال الإشكال عن قلوبهم بما أظهر من آياته الدالة على صدق قول نبيهم في اختياره فرد عليهم التابوت الذي فيه السكينة فاتضح لهم أنه ملكهم وأن نبيهم صدقهم فيما أخبرهم ويقال: إن الله تعالى جعل سكينة بني إسرائيل في التابوت الذي فيه رضراض الألواح وآثار صاحب نبوتهم وجعل سكينة هذه الأمة في قلوبهم فقال فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ثم إن التابوت كان يتداوله الأيدي من الأعداء وغيرهم فمرة كان يدفن ومرة يغلب عليه فيحمل ومرة يرد وأما قلوب المؤمنين فحال بين

(1) شجر السرو، انظر: تاج العروس (1/ 2403).

أربابها وبينها ولم يستودعها ملكاً ولا سماء ولا هواء ولا مكاناً ولا شخصاً وقد قال ﷺ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يعني في قبضة الحق سبحانه وتحت تقلبيه وتصريفه والمراد منه القدرة فشتان بين أمة وبين أمة أمة سكينتهم فيما للأعداء عليه تسلط وأمة سكينتهم فيما ليس لمخلوق عليه سلطان.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ [الآية: 249] أي: انفصل وخرج بهم عن مكانهم لقتال العمالقة من أعدائهم ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ [الآية: 249] أي: معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه على وقف ما طلبتموه لما روي أنه قال لهم لا يخرج معي إلا الشاب النشيط فارغاً لا يكون لأحد إلهاً فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفاً فسلكوا مفازة في وقت كان قيظاً وحرّاً وسألوا أن يجري الله لهم نهراً ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: من مائه بغمه أو وعائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ [الآية: 249] أي: من أشياعي فلا يتبعني / أو من أتباعي فليس بمتحد معي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ [الآية: 249] أي: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [الآية: 249] أي: من أهل ديني ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ [الآية: 249] بالضم للشامي والكوفي أي: معروفة وبالفتح لغيرهم أي: مرة من الغرف ﴿يَدْرِي﴾ [الآية: 249] والمراد الرخصة في السير دون الكثير وقد علم ذلك وحياً إن كان نبياً وإلهاماً إن كان ولياً والاستثناء وصل لأن من اغترف فقط ليس ممن شرب بمعنى كرع أو أفرط ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: بفمهم أو أفرطوا في شربهم ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ [الآية: 249] وتقدم بيان عددهم وروي أن من اقتصر منهم على غرفة كفته لشربه وأداوته ومن لم يقتصر غلب عليه العطش وشدة حرارته وحصل اسوداد بشفته ولم يقدر أن يتجاوز عن منزلته وهذا مثال للدنيا للسالك العقبي وقاصد المولى.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه ابتلى الخلق بصحبة الخلق وبالدنيا وبالنفس فمن كانت صحبته مع هذه الأشياء على حد الاضطراب بمقدار القوام وما لا بد له ينجو من هذه الدار ويسلم من عذاب النار ومن جاوز حد الاضطراب واتسبط في الصحبة مع شيء من ذلك بموجب الشهوة والاختيار فليس من الله في شيء إن كان ارتكاب محظور وحرمة ليس من هذه الطريقة

في شيء إن كان ما له منه بد وعلى جهة الفضلة والخواص في كل وقت يقل عددهم ولكن يجعل قدرهم ومددهم ﴿فَلَمَّا جَاوَزْهُ﴾ [الآية: 249] أي النهر ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [الآية: 249] أي: سواء على كمال الإيمان وهم القليل الذين لم يخالفوه بالعصيان وفيه إيماء إلى أنهم هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴿مَعَهُ﴾ [الآية: 249] أي: مع طالوت متعلق بجأزه ﴿فَكَالُوا﴾ [الآية: 249] أي الذين أفرطوا في شربهم وخالفوا أمر ربهم فيما بينهم أو لمن جاوز النهر منهم ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [الآية: 249] أي: لكثرتهم وقوة شوكتهم فإن جالوت كان جباراً من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكانت بيضة فيها ثلاث مائة رطل بوزن الحداد.

وأفاد الأستاذ: أنهم نظروا إلى الحال بالعين الظاهرية فدخلهم شيء من رعب البشرية فربط الله على قلوبهم بما ذكرهم من نصرة الحق سبحانه وتعالى لأوليائه إذا شاء على أعدائه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 249] أي: والخلص منهم الذين يتقوا لقاء ربهم وتوقعوا ثواب كسبهم وهم القليل الذين ثبتوا معه في بلائهم وبعض علمائهم وفضلائهم ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ / فِتْنَةً﴾ [الآية: 249] أي: جماعة ﴿غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 87/ ب 249] أي بمشيئته ومعونته لهم لا بحولهم وقوتهم وكم خبرية لا استفهامية ومن مزيدة أو مبينة ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 249] بالنصرة والقوة وإثابة المثوبة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ [الآية: 250] أي: خرجوا وظهروا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ [الآية: 250] أنزل ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الآية: 250] فيه نصر الله إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: 127] ﴿وَتَكُنْتَ أَقْدَامُنَا﴾ [الآية: 250] بتقوية قلوبنا ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 250] أي من الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة من إقامة الطاعة ووصلة الحضرة.

وأفاد الأستاذ: أنهم تبرؤوا من حولهم وقوتهم ورجعوا إلى الله بتضرعهم ومسكنتهم مستعينين إليه مستعينين به واثقين بنصره معتمدين على إعطاء صبره فكان أهم أمورهم الصبر والوقوف لعدوهم ثم بعده النصر عليهم فإن الصبر

حق ربهم والنصر نصيبهم فقدموا تحقيق حقه سبحانه وتوفيقه لهم ثم وجود حظهم ونصيبهم من النصر على عدوهم ثم أشاروا إلى أنهم يطلبون النصر عليهم لا للانتقام منهم ولا لأجل ملفاتهم من نصيبهم ولكن لكونهم كافرين أعداء ربهم فقاموا بكل وجه لله بالله فلذلك نصروا ووجدوا الظفر.

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 251] أي فكسروهم وغلبوهم بإرادته على حسب ما قدره وقضاه ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ [الآية: 251] روي أنه كان صغيراً يرعى الغنم فأوحى إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من الله فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له أنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله وقد وعده طالوت أن يزوج ابنته بعد قتل جالوت ويشركه في نعمته وأمر حكومته فوفى بعهده ثم آل الأمر إلى داوود بعده ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [الآية: 251] أي: ملك بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 251] أي: النبوة ولم يجتمعا قبل داوود على أحد إذا كان الملك في سبط والنبوة في آخر ﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 251] يعني صنعة الدرع ومنطق الطير وكلام الدواب.

قال الأستاذ: هيب الله الأعداء بطالوت لما زاده من البسطة في الجسم ولكن عند القتال جعل الظفر على يدي داوود وكان كما في قصة ربع القامة صغير الجثة ولم يكن معه السلاح إلا مقلاع ولكن الظفر كان له لأن نصرة الله سبحانه كانت معه.

ومن «نفائس العرائس» أن طالوت هاهنا الروح وهي ملك الباطن ومثل 88/أ داوود نبي الله عليه السلام العقل وجنوده/القلب وتلك الإلهام والعلم والفهم والإدراك والحواس ومثل جالوت عدو الله تعالى الشيطان وجنده خيل الخيال وأعوان الشهوات فأمر الله تعالى الروح بالمحاربة معه اختباراً للنفس الأمارة فلما فصل الروح بجنودها قالت: إن الله مبتليكم بنهر الشهوة الذي يشرب منه النفس بكأس الغفلة وأضاف إليهم الشرب لأن الروح مقدسة عن رجس البشرية ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ [الآية: 249] أي: ليس من عالم الروحانيات وليس من أهل مكاشفات الصفات ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [الآية: 249] أي:

من نور القدس عالم الأنس ﴿إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [الآية: 249] أي: القلب والحواس والنفس يغترفون بقدر الترفه حتى لم يحترقوا في جوار الروح بنيران المحبة والمواجيد التي يحصل منه نور المعرفة ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ [الآية: 249] أي: النفس وأعوانها لأنهم من ملكوت الأرض ولأجل ذلك مالوا إلى طعمة الطبيعة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 249] أي: العقل والملك لأنها من ملكوت السماء وليس لهما إلا لذة التربية أما شرب القلب فبقدر الكفاية لأنه ممزوج بخلصة الجسم ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [الآية: 249] أي: الروح والعقل والملك والحواس والقلب ﴿فَكَأَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [الآية: 249] يعني أوباش الطبيعة وقت محاربة تمّتي النفس وأعوانها لأنهم جبنوا بشربهم مياه الشهوة من نهر الغفلة فصاروا وجلين عن الجهاد ﴿قَالَ الَّذِينَ يَلْمُوكَ أَنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 249] أي: يقول أعوان الروح الذين يوقنون كشف العيان بعد مجاهدة الشيطان ﴿كَم مِّنْ فَتَكَةٍ لِّلْغُلَاظِ﴾ [الآية: 249] بالعدد ملأها نور اليقين ﴿غَلَبَتْ فَتَنًا كَثِيرَةٌ﴾ [الآية: 249] أي: من التي ليس معها النصر من عند الله ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية: 249] الذين وقفوا على مراد الحق بنعت الرضا والتسليم ورؤية كرمه القديم.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ [الآية: 251] وفي قراءة نافع ﴿دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 251] بنصر المؤمنين على الكافرين ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [الآية: 251] بغلبة المشركين على المؤمنين وتخريب البلاد وتعذيب العباد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَكِيدِينَ﴾ [الآية: 251] بهلاك الظالمين وخلص الصالحين.

وقال الأستاذ ولو تظاهر الخلق وتوافقوا بأجمعهم لهلك الضعفاء لغلبة الأقوياء ولكن شغل بعضهم ببعض ليدفع بتشاغلهم شرهم من قوم أراد خيرهم .

﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 252] / أي: تلك الحالات السابقة والإخبارات السالفة 88/ ب ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ﴾ [الآية: 252] علامات توحيده ودلالات تمجيدته ﴿تَنَزَّلُهَا عَلَيْكَ يَا حَقِّقُ﴾ [الآية: 252] أي: بالوجه المطابق وعلى وفق الصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ

الرَّسُلِ ﴿[الآية: 252] لما أخبرت بها من غير تعرف واستماع لها.

وأفاد الأستاذ: أنه لمن يكن في علمك ولا في وسع احتيالك الوقوف على هذه الغايات من الكائنات التي سلفت وإنما وقفت عليها بتعريف من قبل الله تعالى.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ [الآية: 253] إشارة إلى الجماعات المذكورة في هذه السورة أو تلك الرسل التي عندك معلومة وفي ذهنك مسطورة ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 253] أي: لم نجعلهم سواء في الفضيلة وإن استووا في القيام بأمر الرسالة بل خصصنا بعضهم بما ليس لغيره من المنقبة ﴿وَمَنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [الآية: 253] كلم موسى عليه السلام في الطور ليلة الحيرة وكلم محمد ﷺ حين كان قاب قوسين أو أدنى ليلة الخيرة وبين المقامين بون بين ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: 253] بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد ﷺ فإنه خص بالدعوة العامة والحجج التامة والمعجزات المستمرة بتعاقب الدهر ومزية الفضائل العلمية والعملية الغائية للحصر ولعل الإبهام لوضوح مرتبة الكلام ورفعة المقام وقيل المراد به إبراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي من أعلى مراتب الأنام ﴿وَوَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 253] أي المعجزات الظاهرات ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [الآية: 253] ووجه تخصيصه إفراط اليهود والنصارى في تحفيره وتعظيمه.

وقال الأستاذ: جمعتهم الرسالة ولكن تباينوا في خصائص الفضيلة ولكل واحد منهم أنوار ولأنوارهم مطارح وآثار فمنهم من هو أعلى نوراً وأتم في الرفعة وفوراً، ولم يكن فضائلهم باستحقاقهم ولا بناء على أفعالهم وأحوالهم، بل حكم بالحسنى أدركهم وعاقبة بالجميل تداركتهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية: 253] أي: هداية الناس بأجمعهم ﴿مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: 253] أي: من كان بعد مجيء رسلهم ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الآية: 253] أي: ظهرت المعجزات الواضحات لهم ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ [الآية: 253] لتعلق المشيئة بعد اتفاقهم كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ

مُخْلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾ أي: لأجل اختلاف المظاهر الذي يقتضيه نعوت الجمال وصفات الجلال كما قال في آية 89/أ أخرى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ [الآية: 253] بإحسانه وإقباله عليه فضلاً ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [الآية: 253] بخذلانه وإعراضه عنه عدلاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم مصروفون بالمشيئة الأزلية التي عليها المدار ومسلوبون الاختيار الذي به الاعتبار والعبودية شد نطاق الخدمة وشهود سابق القسمة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَنَلُوا﴾ [الآية: 253] أي: كرهه لتأكيد الرد على المعطلة⁽¹⁾ والمعتزلة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 253] ولذا لما ألهم أبوا يزيد ما تريد فقال أريد أن لا أريد فقال بعض أهل المزيد هذا أيضاً نوع من إرادة المريد وقد قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد

وهنا نكتة لطيفة وهي أن المريد إذا ترك الإرادة صار مراداً وأخذ من فائدة مائدة التعويض والتسليم زاداً وحينئذ تقول هل من مزيد ويقال له لدينا مزيد وفي الحقيقة فهو المراد والمريد ويحكم ما يريد بالعبيد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقْتُلُونَ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ [الآية: 254] أي: للزكاة والصدقة والنفقة في المجاهدة ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [الآية: 254] وفي قراءة المكي والبصري بفتح الثلاثة والمعنى أنه لا يوجد ذلك الوقت مفاداة ولا مصارفة ولا معاونة لأرباب المخالفة والمخالصة والشفاعة من الأبرار ولذا قال سبحانه ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 254] أي: الكاملون في الظلم فإن الشرك لظلم عظيم فقرابه وخيم وحجابه جسيم لا يدفعه شفيع ولا ينفعه حميم.

وقال الأستاذ: يعني اغتبنوا مساعدة الإمكان في تقديم الإحسان قبل فناء الجسد وانقضاء الأمد.

(1) النافين لصفة الكلام. شرح قصيدة ابن القيم (1/311).

﴿اللَّهُ﴾ [الآية: 255] أي: الذات المستجمع لكمال الصفات المستحق لعبادة المخلوقات وهو مبتدأ خبره ﴿لَا إِلَهَ﴾ [الآية: 255] أي: لنا أو موجود أو مشهود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ [الآية: 255] أي: القديم الأزلي والباقي الأبدي ﴿الْقَيُّومُ﴾ [الآية: 255] أي الدائم القيام بتدبير الأنام.

وفي «تفسير السلمي» ﴿الْحَيُّ﴾ [الآية: 255] الذي أحيا كل حي وهو الحي الذي لم يزل ولا يزال والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت وقيل من قال هذه الكلمة وفي قلبه طمع أو سؤال أو رغبة أو رهبة فهو مشرك أي: شركاً خفياً حيث جعل ما سوى الله شريكاً في محبة مولاه.

وقال صاحب «العرائس» ﴿الْحَيُّ﴾ [الآية: 255] الذي قام به الأحياء ﴿الْقَيُّومُ﴾ [الآية: 255] الذي يحيي بقيومته الأموات والحي من صفاته الخاصة في 89/ ب القدم ونعوته/ العامة فيما أوجد الخلق من العدم والقيومية صفته التي لم يزل كان موصوفاً بها ومحصلها أنه اشتغل بنفسه في أزليته وأبديته.

وقال الخواص: من عرفه بأنه الحي القيوم ألزمه معرفته طلب كل شيء منه وترك القيام بشيء من أموره لقيامه بها.

وأفاد الأستاذ: أن قوله لا إله إلا هو إخبار عن نفي النظير والشبيه بما استوجبه من التقديس والتنزيه ومن تحقق بهذه المقالة لا يرى ذرة من الإثبات لغيره أمن غيره فلا يرفع إلى غيره حاجة ولا يشهد من غيره ذرة فيصدق إليه انقطاعه ويدوم بوجوده انفراده فلا يسمع إلا من الله وبالله ولا يشهد إلا الله وبالله ولا يقبل إلا على الله مع الله ولا يشتغل إلا بالله والله فهو محو عما سوى الله فما له شكوى ولا دعوى ولا يتحرك منه لغيره عرق أصلاً فإذا استوفى الحق عبداً لم يبق للحفظ فيه مساغ أبداً ثم أن هذه المقالة يقتضي التحقق بها الفناء عن الرسومات بجملتها والتحقق بأنه لا سبيل للخلق إلا وجود الحق سبحانه فلا وصل ولا فصل ولا قرب ولا بعد فإن ذلك أجمع آفات لا يليق بالقديم وقوله ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [الآية: 255] المتولي لأمر عباده القائم بكل حركة وسكون والمجري لكل عين وأثر ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ﴾ [الآية:

255] وهي فتور يتقدم نوم الناس ويعبر عنه بالنعاس ﴿وَلَا تَوَّمُّ﴾ [الآية : 255] روعي الترتيب الوجودي في ذكرهما وإلا فمقتضى المبالغة عكسهما والجملة نفي للتشبيه وتنبيه على أن من أخذ سنة وغفلة لم يكن كاملاً في الحياة والقيومية.

وأفاد الأستاذ: أنه أحد لا ترهقه غفلة وصمد لا تمسه علة وعزيز لا يقاربه ذلة وكريم لا يوازيه قلة وجبار لا تميزه عزلة وفرد لا تضمه جثة ووتر لا يحده جهة وقديم لا يلحقه آفة وعظيم لا تدركه مسافة تقدس من جماله جلاله وجلاله جماله وسناؤه بهاؤه وبهاؤه سناؤه وأزله أبده وأبده سرمده وسرمده قدمه وقدمه وجوده.

وفي «العرائس» يخوف بهذه الإشارة خواص المراقبين حتى لا يشتغلوا بغيره عنه طرفة عين وأيضاً ينفي السنة نزه نفسه عن الغفلة وينفي النوم قدس نفسه عن الفترة وأيضاً هذا إعلام منه سبحانه للمهمومين أنه ينتقم عن الظالمين للمظلومين ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية : 255] ملكاً وإبداعاً وخلقاً واختراعاً وهذا تقرير لقيوميته كما أن ما قبله تحرير لديموميته وفي / كل 90/ أ تنبيه على تفرد في ألوهيته.

وفي «العرائس» أزال حلاوة زهر الكونين عن قلوب أهل الصفوة حيث وبخ من التفت سره عنه إلى ما له لأن الالتفات من المنعم إلى النعم شرك بالمنعم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الآية : 255] أي: لا يشفع عنده أحد إلا بأمره.

وقال الأستاذ: ومن ذا الذي يتنفس بنفس إلا بإجرائه أو يتوسل إليه من دون إذنه وإبدائه ومن ظن أنه يتوسل إليه باستحقاق أو عمل أو تذلل أو أمل وقربة أو نسب أو علة أو سبب فالظن وطنه والجهل مألفه والغلط غايته والبعد قصاره ونهايته ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية : 255] أي: ما قبلهم وما بعدهم أو أمور الدنيا وأحوال الأخرى أو ما يدركونه وما لا يدركونه.

وفي «العرائس» يعلم ما بين أيديهم من الخطرات وما خلفهم من العثرات وأيضاً يعلم ما بين أيديهم من المقامات وما خلفهم من الحالات.

والحاصل كما قال الأستاذ: أنه لا يخرج عن علمه معلوم ولا يتلبس عليه موجود ولا معدوم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [الآية: 255] أي: من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [الآية: 255] أي: بما أراد أن يعلمه بعض مخلوقاته.

وفي «العرائس» حجب علم القدم عن إدراك من وجد من العدم إلا ما كاشف لأهل القلوب من معانيات الغيوب.

وقال الأستاذ: إذا تقاصرت العلوم عن الإحاطة بمعلوماته فأى طمع لها في الإحاطة بذاته ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية: 255] الكرسي جسم بين يدي العرش محيط بالسماوات السبع والعرش لقوله ﷺ ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة⁽¹⁾.

قال السلمي: العرش والكرسي إظهار للقدرة لا محل للذات لأنه سبحانه منزّه عن سمات الحادثات.

وفي «العرائس» كرسيه قلب العارف وهو أوسع منهما لأنه معدن علوم الألوهية وعلم اللدنيّ مما لا غاية له ولا نهاية.

وقال الأستاذ: خطاب لهم على قدر فهمهم وإلا فأى خطر للأكوان عند صفاته المنزهة عن المكان والزمان وجل قدره عن التعزز بعرش أو كرسي أو التجمل بجني وإنسي ﴿وَلَا يَوَدُّهُ﴾ [الآية: 255] أي: ولا يشغله ولا يجهدّه ﴿حِفْظُهَا﴾ [الآية: 255] أي: محافظته لهما.

وقال الأستاذ: كيف يتعب المخلوقات من خلق الذرة والكون بجملته له 90/ ب سواء فلا من القليل له تيسير ولا من الكثير عليه تعسير / ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ [الآية: 255] المتعالي عن الاستواء والاشتباه ﴿الْعَظِيمُ﴾ [الآية: 255] المستحقر بالإضافة إليه ما سواه.

وفي «العرائس» لا توازيان في عظمتة خردلة لأنها في ملكه وسلطانه أقل

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 76) رقم (361).

من ذرة انتهى ولكون هذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية والصفات الجمالية والجلالية قال ﷺ أعظم آية في القرآن آية الكرسي كما رواه مسلم⁽¹⁾.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [الآية: 256] بعد إسلام المشركين حيث يقبل الجزية من الموحدين ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ [الآية: 256] أي: الهداية ﴿مِنَ الْغَيِّ﴾ [الآية: 256] وهو الضلالة بالآيات الواضحة والدلالات اللائحة واتضح أن الإسلام رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية.

وقال الأستاذ: امتاز الليل بظلامه عن النهار بضياءه ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ [الآية: 256] بالشیطان والأصنام أو كل ما عبد من دون الله أو شغل عن طاعة مولاه وقيل طاغوت كل امرئ نفسه وهواه ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 256] وبما أمره ونهاه وقدره وقضاه ﴿فَقَدْ اسْتَسْكَ﴾ [الآية: 256] أي: تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [الآية: 256] من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك الحق بالنظر الدقيق على وجه التحقيق للتوفيق وحاصله أنه عقد لنفسه عقداً وثيقاً وحسن ذلك رفيقاً ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ [الآية: 256] لا انقطاع لاتصالها قال بعضهم الإيمان إذا دخل القلب أمن السلب ومن رجع إنما رجع عن الطريق فإن من وصل فهو في بحر الحق غريق.

وأفاد الأستاذ: أن العروة الوثقى هي سلوك سبيل المصطفى فمن تحقق بها سرّاً وتعلق بها جهرّاً فاز في الدارين وسعد في الكونين ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 256] بالمضمرات ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 256] بالنيات.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 257] أي محبهم وناصرهم ومتولي أمورهم والمراد بهم من أراد إيمانهم ﴿يُخْرِجُهُم﴾ [الآية: 257] بهدأيته وتوفيق طاعته ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ [الآية: 257] أي: ظلمات الجهل والغواية وابتداع الهوى ﴿إِلَى النُّورِ﴾ [الآية: 257] أي: نور العلم والهداية واتباع الهدى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ

(1) أخرجه أحمد في المسند (5/ 141) رقم (21315)، وعبد الرزاق في المصنف (3/ 370) رقم (6001)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 457) رقم (2390).

الْفَلَقُوتُ﴾ [الآية: 257] أي: المضلات من الشيطان والهوى والمال وجاء الدنيا ﴿يُخْرِجُوهُمْ﴾ [الآية: 257] يتسببون لخروجهم ﴿مِنَ النُّورِ﴾ [الآية: 257] أي: من نور اليقينيات ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [الآية: 257] أي: ظلمات الشكوك والشبهات 91/أ بالأنهماك في الشهوات ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية: 257] / لاختيارهم الأغيار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 257] أي: في نار العذاب وعار الحجاب دائمون.

قال الواسطي: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الآية: 257] ونفوسهم وهوأها إلى أنوار ما جعل لهم في السبق من الرضا والصدق والمحبة وغيرها.

وقال الثوري: يخرجهم من ظلمات العلم إلى نور المشاهدة فإنه ليس الخبر كالمعاينة.

قال أبو عثمان: يخرجهم من رؤية الأفعال إلى رؤية المنن والإفضال.

وقال ابن عطاء: يغنيهم عن صفاتهم بصفته فيندرج صفاتهم تحت صفته كما اندرجت أكوانهم تحت كونه وحقوقهم عند ذكر حقه فيصيرون قائمين بالحق مع الحق للحق ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الولي على وزن فاعيل في معنى الفاعل فالله يتولى أمرهم أو في معنى المفعول فالمؤمنون يتولون طاعته وكلاهما حق فالأول جمع والثاني فرق وكل جميع لا يكون مقيداً بفرق وكل فرق لا يكون مؤيداً بجمع فذلك خطأ وصاحبه مبطل يخرجهم من ظلمات تدبيرهم إلى سكينه سعة تقديره أو يخرجهم من ظلمات ظنهم أنهم يتوسلون أو يصلون إليه بشيء من سكناتهم وحركاتهم أو يخرجهم من ظلماتهم بأن يدفع عنهم ظل نفسهم ويدخلهم في ظل عنايته أو يخلصهم عن حسابان النجاة بهم أو يحول بينهم وبين الاعتماد على أعمالهم والاستناد إلى أحوالهم.

وفي «العرائس» -يوجدتهم من ظلمات العدم إلى كشف أنوار القدم أو يخرجهم من ظلمات الامتحان إلى مشاهدة العيان أو من ظلمات العبودية إلى

نور جمال الربوبية أو من ظلمات الفرح بما وجدوا من المقامات والدرجات إلى نور مشاهدة الذات والصفات أو يقدسهم في ظلمات البشرية إلى نور الأبدية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 257] أي ستروا ما قد عاينوا في نفوسهم من أنوار فعله وقدرته وما بدت في قلوبهم من لوائح العقول ولوامع حكمته بالشروع في لذائذ الشهوات وغطاء الغفلة أولئك أصحاب الهجران عن مشاهدة الرحمن هم فيها في القطيعة وابتداء الطيعة خالدون ليس لهم مساغ في الوصول أبد الأبدين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ﴾ [الآية: 258] أي: جادل وخاصم ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَيْبِهِ﴾ [الآية: 258] أي في ثبوت ألوهيته ونعوت وحدته وقدرته وإرادته وهذا تعجيب من محاجة نمروود وحقايقته ﴿أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [الآية: 258] أي: لأجل إعطائه إياه بعض نعمته والمعنى / أنه أبطره حصول سلطنته وحمله على شيطنته 91/ ب وهو نمروود المردود ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الآية: 258] أي: ابتداء أو بعد ما قال له من ربك غيري استغناء ﴿رَبِّیَ الَّذِی یُحِیْ وَیُمِیتُ﴾ [الآية: 258] بإيجاد العباد بعد إفناء الأجساد ﴿قَالَ أَنَا أُحِیْ وَأُمِیتُ﴾ [الآية: 258] بالعفو والقتل وهذا تلييس من إبليس حيث أتى بالعبارة الموهمة المموهة ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الآية: 258] معرضاً عن معارضته الفاسدة إلى ما يقدر عليه من المجادلة الكاسدة ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [الآية: 258] وهذا لا شبهة فيه ولا مريبة ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [الآية: 258] إن كنت تدعي الربوبية وهذا تعجيز له وتخيل لا طلب آية ودليل ﴿فَبُهِتَ الَّذِی كَفَرَ﴾ [الآية: 258] أي: فصار مبهوراً وانقطع سكوتاً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 258] أي: سبيل النجاة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى وإلى محبة المولى ومجانبة السوى وقال الأستاذ عجل الحق سبحانه لأعدائه عقوبة الفرقة قبل أن يعاقبهم بالحرقة وهذه العقوبة أشد أثراً في الحقيقة لو كانت لهم عين البصيرة وأن الحق سبحانه أخبر أن إبراهيم عليه السلام انتقل مع العدو اللعين عن الحجة الصحيحة إلى أخرى أوضح منها لا لخلل في الحجة بل لقصور الكافر في اختيار المعاندة ومحك من سدة بصائره عن التحقيق تضييع الوقت بلا فائدة تجدي إلا بمقدار أو ما يكون من الأمر فلا بد منه.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [الآية: 259] عطف على ما قبله والتقدير أرايت مثل الذي حاج أو مثل الذي عبر على قرية وهي بيت المقدس حين خربه بخت نصر أو القرية التي خرج منها الألوف أو غيرها والمار عزيز والخضر أو كافر بالبعث ﴿وَهِيَ غَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الآية: 259] أي: خالية مع بقاء عروشها أو ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَتَى﴾ [الآية: 259] في محل نصب على الظرفية بمعنى متى أو على الحالية بمعنى كيف ﴿يُخَيِّئُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية: 259] اعترافاً بالقصور عن معرفة طريق إحياء أهلها واستعظاماً لقدرة المحيي لها إن كان القائل مؤمناً واستبعاداً إن كان كافراً ﴿فَأَمَّا تَأْتِي﴾ [الآية: 259] فلبث ميتاً ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثُوهُ﴾ [الآية: 259] أي: أقامه حياً وذلك أنه مر بهذه القرية على حمار ومعه ركوة عصير وشكوة لبن وسلّة عنب أو تين فربط حماره واستبعد أن يعمر القرية بعد شدة خرابها فأراد الله أن يريه آية في نفسه ليتيقن أنه سبحانه قادر/ على إحيائها وإحياء أهلها فألقي عليه النوم ونزع الله روحه مائة سنة ثم أحيّاها بعده ﴿قَالَ﴾ [الآية: 259] أي الله أو ملك ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الآية: 259] أي: أقمت هنا ومكثت ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية: 259] على التردد كقول الظان ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [الآية: 259] أي: لم يتغير كل منهما بمرور الزمان عليهما مائة سنة ثم بين علامة مكثه يبلي عظام حماره بعدما أراه بقاء طعامه وشرابه مع أنهما أولى بالتغيير من عظام حماره فقال ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ [الآية: 259] كيف بليت عظامه وتفرق نظامه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ [الآية: 259] أي: وفعلنا ذلك لنجعلك ﴿ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 259] فإنه رجع إلى بلده شاباً وكان أحفاده شيوخاً فإذا حدثهم بحديث قالوا هذا حديث مائة سنة ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْوُطَّارِ﴾ [الآية: 259] أي: عظام حمارك ﴿كَيْفَ تُنْشِرُهَا﴾ [الآية: 259] أي: نحيتها وفي قراءة نافع والمكي والبصري بالراء أي: نبعتها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 259] أي: ظهر أمر الإحياء له وشاهده ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 259] في قراءة حمزة والكسائي بصيغة الأمر فالقائل الملك والمراد به علم المشاهدة فإن الخبر ليس كالمعاينة.

قال الأستاذ: لم يكن ذاك سؤال جحد ولا قضية جهل ولا دلالة شك في القدرة بل كان سؤال تعجب من كمال الحيرة وأراد بهذه المقالة زيادة اليقين وسؤال اليقين من الله والحيلة في رد الخواطر المشكلة دأب المتعرفين ولذلك عذر الله سبحانه عزيراً في هذه المقالة حتى قرر عليه ما طلب فيه زيادة اليقين.

وفي «العرائس» تعجبه في القدرة ليس بشك في القادر ولكنه لسكون الخاطر ونقله من مقام الإيمان إلى مقام مشاهدة الحال في ظهور البرهان وأيضاً خاض في بحر الفكرة لطلب درّ المعرفة والفرق بين سؤال إبراهيم وسؤال عزير عليهما السلام أن إبراهيم كان في محل التمكين فأراه الله تعالى مشاهدة القدرة في غيره وعزير في محل التكوين فأراه مشاهدة القدرة في نفسه حتى يباشر قلبه نور الصفات ويصير محكماً في محل التمكين وأيضاً مقام الخليل مقام الانبساط ومقام عزير مقام التحير فانبط الخليل وسأل مشاهدة الصفات في لباس الآيات فأراه ما سأله في غيره لأنه مملوء من أنوار القدرة 92/ب فيطلب مزيداً على حال وتعجب/ عزير تحيره من عناية في أسرار الربوبية فأراه الآية في نفسه تأديباً له لأن أهل الانبساط ليسوا بمؤاخذين كخليل الله وأيضاً سؤال الخليل في طلب المشاهدة وتعجب عزير يحير في كمال القدرة وأيضاً بلغ الخليل مقام كشف المعانيات في الحياة وكشف له الملكوت لأجل اقتباسه نور مشاهدة الحق في الآيات ولم يضطر إلى أن يغيب روحه من الحواس حتى يرى صرف العين لأنه في حال الصحو ولم يبلغ عزير في ذلك الإيمان مقام العيان فألجأه الله إلى غيبته عن الصورة بنعت الغشيان ليرى في حال غيبته مشاهدة الحق لأنه في حال السكر فلما انتبه رأى في صحوه ما رأى في سكره ولكن ما رأى في السكر وحال الغيبة مشاهدة الروح وما رأى في الصحو مشاهدة العيان وأيضاً مقام الخليل مقام إيجاد تجلي الصفات ومقام عزير مقام إيجاد تجلي الأفعال وقيل لأن الخليل تلطف في السؤال بالعزة والحكمة فقال أرني وتعجب عزير في القدرة ألا ترى أنه ختم قصته بكمال القدرة فقال ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 259] وختم قصة الخليل بالعزة والحكمة فقال ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] لأن الخليل

سأل إظهار الحكمة ومشاهدة العزة وعزير تعجب من القدرة فأجيب كل من حيث سأل وهذا القول نقله السلمي عن ابن عطاء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [الآية: 260] قال: أو لم تؤمن بأنني قادر على الإحياء انتهاء كقدرتي على الإيجاد من العدم ابتداء ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ [الآية: 260] آمنت ببيان البرهان ﴿وَلَكِنَّ﴾ [الآية: 260] سألت الشهود الغيبي ﴿لِيُطَمِّنَ قَلْبِي﴾ [الآية: 260] بزيادة مشاهدة العيان فأترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾ [الآية: 260] بكسر الصاد أي أملهن ﴿إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [الآية: 260] بسكون الزاي لغير شعبة ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [الآية: 260] أي: ساعيات مسرعات ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 260] لا يعجزه شيء عما يريد ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] ذو حكمة بالغة في كل ما يبدية ويعيده قال القاضي وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاها بداعية الشر وكفى لك شاهداً على فضل إبراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه سبحانه أراه ما أراد أن يراه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيزاً بعد أن أماته مائة عام.

93/أ وفي «تفسير/ السلمي» قيل الطيور كانت طاووساً وبطاً وغراباً وديكاً والمعنى به أن الطاووس أشبه الطيور بزينة الدنيا والغراب أحرص الطيور والبط أطلبهم للرزق والديك أشدهم شهوة فكأنه يقول اقطع عنها زينة الدنيا والمفاخرة بها والحرص عليها وطلب الرزق فيها وإنالة الشهوة منها حتى تنال كمال حقيقة الإيمان فإذا سقطت عن نفسك هذه الخصال حليت بك بصفتي في إحياء الموتى ﴿أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: 260] إليك لأنك في ذلك الوقت فإن من صفاتك وإنما دعوتهن بصفتنا التي حليت بك بها.

وقال الأستاذ: قيل كان في طلب اليقين فأراد أن يقرن حق اليقين بما كان له حاصلاً من عين اليقين وقيل: استجلب خطابه بهذه المقالة حتى قال له الحق سبحانه ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [الآية: 260] فإن بقولك أو لم تؤمن قال: بلى

كنت أؤمن ولكن اشتقت إلى قولك لي أو لم تؤمن يطمئن قلبي والمحبة أبداً
يجتهد أن يجد خطاب حبيبه على أي وجه أمكنه وقيل: إنه طلب رؤية الحق
سبحانه ولكن بالرمز والإشارة فمنع منها بالإشارة دون العبارة فقال ﴿أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 260] وأن موسى عليه السلام إنما سأل الرؤية جهراً فقال
﴿أَرِنِي﴾ [الآية: 260] فرد بالجهر صريحاً فقال: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ [الأعراف: 143] وقيل:
لما قال إبراهيم عليه السلام ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الآية: 260] فقيل له:
وأرنا كيف تذبح الحي يعني إسماعيل وطالبه بمطالبة فلما وفى بما طوّل منه
وفى الحق سبحانه بحكم ما طلب.

وفي «العرائس» سأل الخليل مشاهدة الحق في لباس الخلق.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 261] أي: مثل نفقتهم في
طريق المحبة ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [الآية:
261] والمعنى أنه يضاعف مثوبة النفقة بأن يجعل الواحدة سبعمئة ويجعلها
كالحبة ينبت الله منها سبعمئة حبة وهذا تمثيل لا يقتضى وقوعه ولا يجب وجوده
مع أنه قد يكون في الدخن والذرة وكذا في البر في الأراضي المغلة ﴿وَاللَّهُ
يُضَاعِفُ﴾ [الآية: 261] تلك المضاعفة المسطورة أو زيادة على المضاعفة المذكورة
﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 261] بفضل ورحمته على حسب مراتب حال المنفق من
إخلاصه وتعبه ونيته ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 261] أي: فضله على عباده ﴿عَلِيمٌ﴾
[الآية: 261] مطلع على نية عباده.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين ينفقون أموالهم فالخلف لهم الجنة والذين
يبدلون أرواحهم فالخلف عنهم الحق سبحانه فشتان بين خلف وبين خلف من
أنفق ماله وجد مثوبته ومن أنفق حاله/ وجد قربته فإنفاق المال في سبيله 93/ب
بالصدقة وإنفاق الأحوال في سبيله بالصدق فالعابدون إذا أنفقوا حبه ضاعف
لهم سبعين إلى سبعمئة إلى أضعاف كثيرة والواجدون إذا بذلوا فكما قيل:
فلا حسن نأتي به يقبلونه ولا إن أسأنا كان عندهم محو⁽¹⁾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 251).

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 262] أي يصرفون في طريق رضاه ﴿ثُمَّ لَا يُلْتَمَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ [الآية: 262] أي: امتناناً على الفقير باعتداده إحسانه إليه ﴿وَلَا أَذًى﴾ [الآية: 262] بذكر إعطائه لمن لا يحب المسكين اطلاعه عليه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [الآية: 262] أي: ثوابهم المضاعف ثابت ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 262] بلحوق عقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 262] بنوب ثواب.

وأفاد الأستاذ: أن المن شهود ما تفعله والأذى تذكيرك لمن أحسنت إليه إحسانك ويقال ينفقون ما ينفقون ثم لا يشهدون البتة أفعالهم ولا أعمالهم ويقال كيف يمتنون بشيء يستقدرونه ويستحقرونه ويقال لا يمتنون بفعلهم بل يشهدون المنة لله بتوفيقه ورود ذلك عليهم.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [الآية: 263] أي: رد جميل على السائل بالعدة أو الدعاء ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ [الآية: 263] أي: وتجاوز عند الحاجة في سؤال العطاء ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَّدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى﴾ [الآية: 263] أي: من منة أو تعبير على الفقراء ﴿وَاللَّهُ غَفِيرٌ﴾ [الآية: 263] عن صدقة متبوعة بالمنة والأذية ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 263] عن معاملة من يخالفه بالعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن قول الفقير المجرد برد من يعرض له بإظهار العذر خير وأتم من صدقة المعجب بفعله وما يتبعه من إلزام المنة فيه ويقال إقرار منك مع الله بعزمك وجزمك وغفران الله لك على قولك خير من صدقة بالمن مشوبة وبالأذى مصحوبة.

﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ [الآية: 264] أي: مثوبات نفقاتكم ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [الآية: 264] وسائر محبطاتكم ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَّةَ النَّاسِ﴾ [الآية: 264] أي كباطال الذي يرثي الخلق بالإنفاق ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 264] أي: والحال أنه لا يظهر الإيمان إلا على وجه النفاق ﴿فَمَثَلُهُ﴾ [الآية: 264] أي: فمثل المرائي في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾ [الآية: 264] أي: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ زُرَابٌ﴾ [الآية: 264] أي: غبار كثير ﴿فَأَصَابَهُ وَايْلٌ﴾ [الآية: 264] مطر

غزير ﴿فَتَرَكُوهُ﴾ [الآية: 264] أي: الله والوابل ﴿صَلَدًا﴾ [الآية: 264] براقاً نقياً كذلك أعمال المرائي يضمحل وقت نزول الرحمة الموجبة لأهل الطاعة وإن ظهر له عمل عند نفسه وسائر الخليقة ﴿لَا يَقْدُرُونَ﴾ [الآية: 264] أي المراؤن ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [الآية: 264] أي: على تحصيل ثواب مما عملوا/ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 264] للنعمة إلى العبادة المقبولة في الدنيا المقتضية للمثوبة في العقبى.

وقال الأستاذ: إنما يحمل تحميل المنة من الحق سبحانه فأما من الخلق فليس لأحد على غيره منة فإن تحمل المنن من المخلوقين أعظم محنة وشهود المنة من الله أعظم نعمة قال قائلهم:

ليس إجلالك الكبار بذل إنما الذل أن تجل الصغار⁽¹⁾

ويقال أفقر الخلق من ظن نفسه موسراً فتبين له إفلاسه كذلك أقل الخلق قدراً من ظن أنه على شيء فيبدوا من الله ما لم يكن يحتسبه.

وفي «العرائس» المن تعزز البشرية على الجبرية واستكبار الحدث على الكبرياء القديم والأذى ازدراء الفقير عند العطاء بالتسول وأيضاً المن تذكر الحدث ونسيان القدم لأن المنان إذا من على أحد فقد نسي الله عند تذكر نفسه وهذا نوع من الشرك والأذى البذل بنعت البخل والرمي بالعين إلى الفقراء على جهة تعظيم نفسه ورؤية شرفه عليهم وأيضاً المن شهود الأفعال والأذى التماس الأعواض.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 265] لأجل طلب رضاه ﴿وَتَنَبَّيَاتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 265] أي وليقينهم وتصديقهم من أصل أنفسهم أن الله سيجزيهم على إنفاقهم وسائر أعمالهم أو لتثيتهم بوضع صدقاتهم عند أبواب حاجاتهم والحاصل أن مثل نفقة هؤلاء في الزكاة والنماء ﴿كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [الآية: 265] بالفتح للشامي وعاصم وقرئ بالكسر أي كمثال بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظراً وأكثر ثمراً ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ [الآية:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (254).

265 [مطر عظيم قطراً ﴿فَقَالَتْ أَكُلَهَا﴾ [الآية: 265] بضميتين لغير الحرمي والبصري أي: فأعطت صاحبها ثمرتها ﴿ضَعُفَيْنِ﴾ [الآية: 265] أي: حال كونها مثلي ما كانت تثمر غيرها من البساتين ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [الآية: 265] يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الضعيف والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية متزايدة عند الله تعالى لا يضيع بحال من أحوالهم وإن كانت تتفاوت بقدر ما ينضم إليها من أفعالهم والحاصل أن صدقاتهم زكت قلت النفقة أو كثرت كما أن تلك الجنة أثمرت صغرت أقطار الأمطار أو كبرت ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 265] تحذير عن رياء الخلق وترغيب في إخلاص الحق.

94/ ب ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ/ مِنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَابٌ﴾ [الآية: 266] وسائر الأشجار والأثمار ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية: 266] أي: المنافع الكثيرات ﴿وَأَسَابِقُ الْكِبَرِ﴾ [الآية: 266] أي: وقد لحقه كبر السن وضعف عن الكسب ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ [الآية: 266] صغار عجزة عن تحصيل النفقة فإن الفاقة والعالة أصعب في الشيخوخة ﴿فَأَسَابِقُ إِعْصَارٍ﴾ [الآية: 266] ريح عاصفة منعكسة من السفلى إلى العلو مستديرة ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ [الآية: 266] لا يدفعها درهم ولا دينار ﴿فَأَحْرَقَتْ﴾ [الآية: 266] أي جنته في تلك الحالة والمعنى تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها من الأعمال السيئة والحسرة إذا كان يوم القيامة واشتد حاجته إلى المثوبة فوجدها محبطة بحال من هذا شأنه في الكيفية وكذا من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره إلى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه بالنظر إلى الخلق والالتفات إلى ما سوى الحق ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ [الآية: 266] أي المشتملة على العبارات والإشارات ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 266] أي: تتأملون فيها وتعتبرون بها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه آيات كثيرة ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق ولمن أنفق في سبيل الله ولمن أنفق ماله في الباطل فهؤلاء يحصل لهم الشرف والخلف وهؤلاء لا يحصل لهم في الحال إلا السرف وفي المال إلا التلف وهؤلاء ظل سعيهم مشكوراً، وهؤلاء يدعون ثبورا ويصلون

سعيراً، هؤلاء يزكوا أعمالهم وينموا أموالهم ويعلو عند الله أحوالهم ويكون
الوصلة مآلهم وهؤلاء حبطت أعمالهم وخسرت أحوالهم وختم بالسوء مآلهم
وتضاعف عليهم وبآلهم ويقال مثل هؤلاء كالذي أنبت زرعاً فزكا أصله ونمی
فضله وعلا فرعه وكثر نفعه ومثل هؤلاء كالذي خسرت صفقته وسرقت بضاعته
وضاعت على كبره عيلته وتواتر من كل وجه بليته وفي كل وقت محنته هل
يستويان مثلاً أو يتقاربان شبهاً.

﴿بَنَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: 267] أي: حلالاته
أو مستلذاته ﴿وَمِمَّا أَرْجَبْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية: 267] من الحبوب والثمرات
وسائر الخضراوات التي فيها الصدقات ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ مِنْهُ﴾ [الآية: 267]
تتفقون أي: لا تقصدوا الرديء مما لكم ﴿تُنْفِقُونَ﴾ [الآية: 267] أي: حال كونكم
تتصدقون من مالكم ﴿وَلَكَسْتُمْ بِمَا تَزِيدُ﴾ [الآية: 267] أي: وحالكم أنكم لا تأخذونه
في حقوقكم ﴿إِلَّا أَن تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ [الآية: 267] أي إلا بإغماض وتساهل منكم
وفيه إيماء إلى أن الفقراء/ شركاء الأغنياء ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي﴾ [الآية: 267] عن 95/أ
إنفاقكم وإنما يأمركم به لانتفاعكم ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 267] بقبوله منكم وإثابته
عليكم.

وقال الأستاذ: لينظر كل واحد ما الذي ينفقه لأجل نفسه وما الذي
يخرجه بأمر ربه الذي يخرج عليك من ديوانك فما كان لحظك فنفاثس ملكك
وما كان لربك فخصائس مالك الذي الله فلقمة لقمة والذي لأجلك فأكثرها
قيمة وأكملها نعمة ثم أبصر كيف يستر عليك بلا كيف يقبله منك بل أبصر
كيف يعوضك عليه بل أبصر كيف يمدحك به بل أبصر كيف ينسبه إليك الكل
منه فضلاً لكنه ينسبه إليك فعلاً ثم يولي عليك عطاءً ويسمي العطاء جزاءً
يوسعك بتوفيقه براً ثم يملأ العالم منك شكراً.

﴿السَّيْطَانُ يَبْذُوكُمُ الْفَقْرَ﴾ [الآية: 268] أي: يخوفكم بقوله أن الجود يفقر في
آخره ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الآية: 268] بالخصلة الفاحشة في القبح من نحو
البخل والرياء ﴿وَاللَّهُ يَبْذُوكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ﴾ [الآية: 268] أي: مغفرة لذنوبكم من

أجل إنفاقكم ﴿وَفَضَّلًا﴾ [الآية: 268] أي: خلفاً أفضل مما أنفقتُم في الدنيا والأخرى ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 268] أي: واسع الفضل في حقكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 268] بأفعالكم وأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان يعد الفقر لفقره والله يعد المغفرة لكرمه ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الآية: 268] أي: بالرغبة في الدنيا أو بالأسباب التي تقوي الحرص عليها أو بكثرة الأمل وقلة العمل أو بنسيان القناعة وحرمان الطاعة أو بمتابعة الشهوات وملاحظة الحظوظ واللهوات ويقال: بالرجوع إلى ما تركته لله أو بإخطار شيء مما سواه والفضل الموعود في العاجل القناعة وفي الأجل المثوبة والرؤية والعفو والغفران والجنان والرضوان.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 269] أي: علم الكتاب والسنة أو تحقيق العلم وإتقان العمل أو النبوة والولاية وقيل: الحكمة مشاهدة حكمة الحكيم في جميع الأحكام والأقضية بنعت الإنقان والإحكام ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 269] من الفرق الناجية الفاخرة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية: 269] جامعاً لخيري الدنيا والآخرة ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ [الآية: 269] أي: وما يتعظ بما في هذا الكتاب إلا ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 269] أي: أرباب العقول السليمة المهتدية إلى صوب الصواب.

وأفاد الأستاذ: أن الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق لا داعي النفس وباعث الخلق أو الحكمة هي الموافقة كما أن السفه هو المخالفة أو الحكمة 95/ ب شهود/ الحق والسفه شهود الخلق.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ [الآية: 270] قليلة أو كثيرة سراً أو علانية في طاعة أو معصية ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ [الآية: 270] بشرط أو غيره من فعل أو أمر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ﴾ [الآية: 270] فيجازيكم عليه بقدر إخلاصكم لديه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 270] أي الواضعين المال في غير موضعه بارتكاب المعصية ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [الآية: 270] أي: يدفعونهم ويمنعونهم من العقوبة والجمع للمقابلة.

قال الأستاذ: قوم توعدهم بعقوبته وآخرون توعدهم بعلمه فهؤلاء العوام وهؤلاء الخواص ولا شيء يوجب سقوط العبد من عين الله كمخالفته بعهوده معه بقلبه فليحذر المريد غاية الحذر عن إذلال نفسه.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ [الآية: 271] أي: تظهروها وتعلنوها فهو خير لكم ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾ [الآية: 271] أي: نعم شيء إبدائها ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ [الآية: 271] أي: تعطوهم إياها مع إخفائها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 271] لأنه أبعد من لحوق السمعة والرياء بها ﴿وَيُكْفِّرُ﴾ [الآية: 271] أي الله وفي قراءة غير الشامي وحفص ونكفر بالنون وجزمها نافع وحمزة والكسائي ﴿عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية: 271] وهي الصغائر ويحتمل الكبائر فمن تبعية لا زائدة مؤكدة.

قال الأستاذ: إذا أظهرت صحبتك معنا وأعلنت فلقد جودت وأحسنيت وإن حفظت سرنا عن دخول الوسائط بيننا صغت شروط الوداد وشيدت من بناء الوصلة العماد.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [الآية: 272] أي: هداية العباد وإنما عليك تبليغ الإرشاد وتبيين طرق الرشاد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾ [الآية: 272] أي: هداية موصلة لصلة ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 272] أي على وفق ما تعلق به المشيئة وروي أنه ﷺ كان لا يأمر بالتصدق إلا على المسلمين حتى نزلت ليس عليك هدايتهم فأمر بالصدقة بعده على كل سائل من أهل كل دين⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن لك المقام المحمود واللواء المعقود والرتب العلية والمنازل البهية والأسرار المرضية وأنت سيد الأولين وسند الآخرين ولا أحد يدانيك فضلاً من أنه يساميك ولكن الهداية من خصائص حقنا نخصها من نشاء من عبادنا يا محمد أنت تدعوهم ونحن نهديهم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾

(1) أورده الطبري في تفسيره (5/ 587 - 588)؛ وأخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 313) رقم (3128)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 54) رقم (12453)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 305) رقم (11052).

[الآية: 272] نفقة معروفة ﴿لَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 272] فهو لها لا يتعداها ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ﴾ [الآية: 272] خبر مختص للخواص من الأمة المنزهين عن الرياء والسمعة ونفي في معنى النهي للمبالغة أي: / ولا تنفقوا ﴿إِلَّا أَنْفِكَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [الآية: 272] أي: لطلب رضاه من غير نظر إلى سواه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 272] أي: يوفر ثوابه ويعود نفعه عليكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾ [الآية: 272] أي: لا تنقصون شيئاً من ثواب أعمالكم.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ [الآية: 273] اعمدوا في صدقاتكم واقصدوا في مصادقتكم للفقراء الصادقين ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 273] أي: احصرهم الجهاد وحبسهم التعلم والاجتهاد عن كسب البلاد ومنهم أصحاب الصفة الذين انقطعوا عن الخلق بالكلية.

وأفاد الأستاذ: أن معناه وقفوا على حكم الله فاحصروا أنفسهم على طاعته وقلوبهم على معرفته وأرواحهم على محبته وأسرارهم على رؤيته ﴿لَا يَسْتَظِلُّونَ﴾ [الآية: 273] لأشغالهم بأمر مولاهم في تحسين أحوالهم ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 273] أي ذهاباً فيها لكسب أموالهم.

وقال الأستاذ: أخذ عليهم سلطان الحقيقة كل طريق فلا لهم في الشرق مذهب ولا الغرب مضرب كيف ما نظروا رأوا سرادقات التوحيد محيطة بهم. كأن فجاج الأرض ضاقت برحبها عليهم فما تزداد طولاً ولا عرضاً⁽¹⁾

فلا يسلم لهم نفس واحد مع الخلق أنى بذلك ولا خلق وإذا لم يكن فائبات ما ليس شرك في التوحيد والفقير الصادق مع الله بالله لا إشراف للأجانب عليهم ولا سبيل للمخلوق إليهم يظهرهم في عين الأغيار في لبسة سوى ما هم به من الأسرار ﴿يَحْشُبُهُمْ﴾ [الآية: 273] بفتح السين الشامي وحمزة وعاصم أي: يظنهم ويتوهمهم ﴿الْجَاهِلُ أَغْنَىٰ عَنْكَ الْتَعَفُّفُ﴾ [الآية: 273] أي: من أجل تعففهم عن سؤال مخلوق مثلهم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 262).

قال الأستاذ: فأما من كان عالماً محرماً فلا إشكال عليه في شيء من أحوالهم ﴿تَقْرِفُهُمْ﴾ [الآية: 273] أي: يا محمد بالأصالة وغيرك بالتبعية على وجه الفراسة ﴿يَسِيئُهُمْ﴾ [الآية: 273] من ضعف أبدانهم وتغير ألوانهم ورثاة أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن تلك السيمة ليست مما يلوح للبصر تلك سيما تدركها البصيرة لا إشراف عليهم إلا بنور الأحدية وظهور الصمدية ويقال تعرفهم باستبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم فصياح أسرارهم إلى العرش نشاطاً عند ذبول ظاهريهم عن الانتعاش ويقال بكسر الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس من هذه ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 273] أي: إلحافاً فإذا كان عندهم غداء لم يسألوا عشاء وإذا كان عندهم عشاء لم يسألوا/ غداء والمراد نفي القيد والمقيد أي: لا يسألون الخلق 96/ب أصلاً وإنما يطلبون من الله رزقاً وفضلاً.

قال الأستاذ: فإن جرى منهم من الخلق بدون الإلحاف سؤال كما يشير إليه دليل الخطاب فتلك صيانة لهم وستر لقصتهم ليلاحظهم الخلق بعين السؤال من الاحتقار وليس على سرهم ذرة من الإثبات للأغيار.

وفي «تفسير السلمي» قيل الذين وقفوا مع الله بهمهم فلم يرجعوا منه إلى غيره ولا يتحركون لطلب الرزق نعرفهم بطيب قلوبهم وحسن حالهم وبشاشة وجوههم.

قال جنيد: كلت ألسنتهم عن سؤال من يملك الأملاك فكيف عمن لا يملكها.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِهْكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية: 274] كعليّ كرم الله وجهه حيث لا يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً ودرهم⁽¹⁾ ﴿سِرًّا﴾ [الآية: 274] ودرهم ﴿وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

(1) أورده القرطبي في تفسيره (3/ 347)، والبغوي في تفسيره (1/ 339)، والرازي في تفسيره (4/ 24)، والزمخشري في الكشاف (1/ 243).

رَبِّهِمْ ﴿[الآية: 274] على أعمالهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 274] في مآلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 274] في حال من أحوالهم.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [الآية: 275] أي: يأخذونه ويعاملون به فنبه بأكله على غيره ولأنه معظم انتفاعه ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ [الآية: 275] من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَهُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 275] أي إلا قياماً كقيام الذي يصرعه ﴿مِّنَ الْمَسِّ﴾ [الآية: 275] أي من مس الشيطان له المورث لجنونه ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 275] العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [الآية: 275] وعكس القضية للمبالغة القياسية ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [الآية: 275] إنكار للتسوية وإبطال للقياس مع النصوص القوية ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية: 275] أي: بلغه وعظ من المولى وزجر بالنهي عن الربا ﴿فَأَنتهَى﴾ [الآية: 275] أي: تبع النهي واتعظ به ﴿فَلَهُ﴾ [الآية: 275] أي حال وصول الشرع إليه ونهيه عنه ﴿مَا سَلَكَ﴾ [الآية: 275] أي: ما تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 275] بأن يوفقه بالتوبة أو يخذله بالعود إلى المعصية ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ [الآية: 275] إلى تحليل الربا وغيره من الأمور المنهية ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 275].

وأفاد الأستاذ: أن من أعرض عن الأمر ورخص لنفسه ما يسول له خاطره من التأويل فلا استقلال لهم في الحال ولا انتعاش في المآل خسروا في عاجلهم ولم يربحوا في آجلهم فمن انتبه بزواج الوعظ وكبح بلجام الهوى ولم يطل عنان الإصرار فله الإمهال في الحال فإن عاد إلى مذموم تلك الأحوال فليستظر وشيك الاستئصال وفجأة النكال.

أ/97 ﴿يَمَحُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [الآية: 276] أي: يذهب/بركته وينقص الأموال التي دخل فيها ﴿وَيُرِي الْمَصْدَقَاتِ﴾ [الآية: 276] أي: يكثرها وينميها

وأفاد الأستاذ: إنما كان بإذن منه سبحانه من التصرفات فمقرون بالخيرات مصحوب بالبركات وما كان بمتابعة الهوى والشيطان يسلط عليه المحق والنقصان وكان عاقبة أمره الخسران ﴿وَاللَّهُ لَا يُجِبُ﴾ [الآية: 276] لا

يرتضي في حكمه ﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَنِيمٌ﴾ [الآية: 276] فاجر بأخذه وأكله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 277] أي: بالله ورسله وبما جاءهم من قبله
﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية: 277] أي: الطاعات الباقيات ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 277] أي: قاموا بالعبادات البدنية والطاعات المالية وخصا بالذكر
لإناقتهما وأصالتهما ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 277] أي: من المثوبات
﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 277] من آتٍ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 277] على ما
فات.

وأفاد الأستاذ: أن الذين كانوا لنا يكفيهم ما يأخذون منا فإننا لا نضيع
أجر من أحسن عملاً ورجاء من فضلنا أَمْلاً.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 278] أي: قوموا على تقواه ﴿وَذَرُوا مَا
بَقِيَ مِنَ الزُّبُرِ﴾ [الآية: 278] اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا ﴿إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 278] أي: في إيمانكم موقنين.

وأفاد الأستاذ: أن الاكتفاء بموعد ربه خير للمسلم من تعلق قلبه
بمقصود نفسه مقصودك من تسويلات النفس وعادات الخلق وموعدة ما ضمنه
الحق.

﴿إِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ [الآية: 279] أي: ترك ما بقي من رباكم ﴿فَأَذْنُوبُ﴾ [الآية:
279] وفي قراءة شعبة بالمد والكسر أي: فاعلموا بأنفسكم ثم اعلموا غيركم
﴿يَحْرِبُ﴾ [الآية: 279] أي: بقتال عظيم مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: 279] لكم.

وأفاد الأستاذ: إن صاحب الأضرار ليس له عندنا وزن ولا مقدار ولا
قدر ولا خطر ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا﴾ [الآية: 279] من أفعالكم ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا
تَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 279] ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 279] بأخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والمنقصة ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [الآية: 280] أي: إن وقع غريم صاحب
عسرة من شدة فاقة وحاجة ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ [الآية: 280] أي: فعليكم انتظار وتأخير في
المطالبة ﴿إِلَّا مَنَسَرَقًا﴾ [الآية: 280] بفتح السين لغير نافع أي: تيسر يسار بعد
عسار ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ [الآية: 280] بالتخفيف لعاصم أي: وأن تتصدقوا بالإبراء

ووضع الأوزار ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 280] أكثر ثواباً من الانتظار من الإعسار إلى الإيسار مع أن البراءة سنة والنظرة فريضة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 280] ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل.

وقال الأستاذ: إذا تقرر عند القاضي إفلاس المحبوس وفقره فلا يحل له استدامة حبسه وإن لم يظهر لذي الحق حجته والمفلس مرتتهن بحق خصمه ولكنه في إهمال وانتظار من ربه لا يحكم بهذا علينا ثم مع علمه بإعسارنا ب/97 وعجزنا لديه وصدق افتقارنا إليه وانقطاعنا عن غيره عليه/ ألا يرحمنا ولا يسامحنا مع أنه أمرنا في التصديق في إبرائنا.

وفي «العرائس» أدب قوماً بتأديبه في كرمه ورحمته على المعسرين على الطاعة والمكثرين من المعصية وهذا إخبار عن غاية شفقتة على عباده إذ أمر بعضهم أن يمهل بعضاً في واجب حقوقهم أشار بهذا أن حقيقة الحقوق له يهب بفضله ما قصروا في واجب أمره وأيضاً رمز لأصحاب المعاني في هذه الآية أي إن كان أهل المعرفة في عسر من المشاهدة وكشف القرية فلا تطالبوهم بإثقال المعاملات والتماس الكرامات إلى ميسرة الكشوف وبروز أنوار الحضرة في قلوبهم لأن للعارف مقامين الأول هو القبض والثاني هو البسط فإذا كان في القبض فهو في هبوط الهجران وهو عسر ظاهر ولا يؤدي في ذلك المقام حق الحقيقة وإذا كان في مقام البسط فهو في رجاء التوحيد ويطبق أن يؤدي ما وجب عليه من حق الطريقة لأنه في ذلك الحال يلتبس بأنوار الربوبية وينتهي له ما يريد كما وصف الله تعالى أنبياءه وأوليائه في حال انبساطهم وبسطهم مثل عيسى عليه السلام.

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾ [الآية: 281] أي: يوم القيامة أو يوم الموت أو حساب يوم أو عذاب وقت ﴿تَرْجَعُونَ﴾ [الآية: 281] بصيفة المجهول لغير البصري أي: تردون أو تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 281] أي: حكمه وأمره فتأهبوا لمصيره ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 281] أي: جزاء ما كسبت من أعمال سبقت وأحوال سلفت ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [الآية: 281] بتنقيص ثواب ولا بتضعيف عقاب

روي أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال: ضعتها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها إحدى وعشرين يوماً وقيل: سبعة أيام وقيل: ثلاث ساعات.

قال الواسطي: هذا ترهيب للعام فأما الخاص فقولہ ﴿وَإِنِّي فَأَقُولُ﴾ [البقرة: 41] وأفاد الأستاذ أن الرجوع على ضربين بالأبشار والنفوس عند توفي الأنفس وبالأسرار والقلوب في كل نفس أنفس ومحاسبته نقد ووعد فنقد مطالبته أدق مما سيكون في القيامة من وعده.

وفي «المصائبي» أي: خافوا يوم الفصل من وقوف مقام الحياء والخجلة بين يدي ملك يمنع المستدرجين عن مشاهدته ويعاتب أوليائه بالخطرات والإشارات ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَدِئِينَ﴾ [الآية: 282] أي: تعاملتم بسلف معير ﴿إِلَّا مُسَكَّى﴾ [الآية: 282] أي: زمن محدود معلوم/ ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ 98/ [الآية: 282] لأنه أوثق للمطالبة وأدفع للمنازعة والجمهور على استحباب الكتابة ﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 282] أي بين المستدين والمدين ﴿كَاتِبٌ يَلْمُذِلٌ﴾ [الآية: 282] أي: من يكتب بالسوية لا بزيادة ولا منقصة ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ [الآية: 282] أي: لا يمتنع من ذلك إذا أمر ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 282] أي: مثل ما علمه من كتبة الوثائق والمعنى أنه لا يأب من نفعه للناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى: ﴿وَاحْزِنِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الفصل: 77] بل يكتب أمر بها بعد النهي عن إياها تأكيداً في شأنها ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [الآية: 282] أي: وليكن المملي من عليه الحق على طريق الصدق ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [الآية: 282] أي: كل من المملي وال كاتب عذابه ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الآية: 282] أي: لا ينقص من الحق شيئاً ولو قليلاً ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ [الآية: 282] ناقص العقل مبذراً محجوراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 282] صبيهاً أو مجنوناً أو شيخاً مخبلاً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ﴾ [الآية: 282] أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس في لسانه أو جهل باللغة في بيانه ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ [الآية: 282] أي: متولي أمره من وصيه أو وكيله ومترجمه ﴿يَلْمُذِلٌ﴾ [الآية: 282] أي: بالصدق والحق ﴿وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ [الآية: 282]

أي: يطلبوا أن يشهدوا على الدين شاهدان ﴿مِنْ رِّجَالِكُمْ﴾ [الآية: 282] من رجال المسلمين إذا كانت المعاملة فيما بينهم بقرينة أن الخطاب في صدر الآية لهم فلا ينافي ما قاله إمامنا أبو حنيفة من أن شهادة الكفار تسمع لبعضهم على بعض منهم ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا﴾ [الآية: 282] أي: الشهيذان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ [الآية: 282] أي: فليشهد رجل ﴿وَأَمَّا أَتَكَانَ﴾ [الآية: 282] وهذا مخصوص بالأموال عند الشافعية ربما عدا الحدود والقصاص عند الحنفية ﴿وَمَنْ رَضِيَ مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ [الآية: 282] لعلمكم بعد التهم ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرَمَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ [الآية: 282] بالتخفيف للمكي والبصري ﴿إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ [الآية: 282] أي: لأجل أن إحدیهما إن نسيت الشهادة ذكرتها الأخرى وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وفي قراءة حمزة بكسر إن على الشرط فتذكر بالرفع مع التشديد إذ الفاء مانعة من الجزم ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [الآية: 282] لتحمل الشهادة وأدائها إذا تعينوا ومنه علم أن تحمل الشهادة فرض كفاية ثم ما بعد إذا في الكلام مزيدة ﴿وَلَا تَقْعُوبُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ [الآية: 282] أي: ولا تملوا من كثرة المداينة بين 98 ب/ الأصحاب أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب ﴿صَغِيرًا/ أَوْ كَبِيرًا﴾ [الآية: 282] قليلاً كان الحق أو كثيراً ﴿إِلَّا أَجْلًا﴾ [الآية: 282] أي: وقت حلوله ﴿ذَلِكَمُ﴾ [الآية: 282] أي: الكتاب ﴿أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 282] أعدل في حكمه ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ [الآية: 282] أي: أثبت لها وأعون على إقامتها ﴿وَأَذَنٌ أَلَّا تَرَابُوا﴾ [الآية: 282] وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله ونحوه ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ [الآية: 282] أي: تقع ﴿تَجَرَّةٌ حَاضِرَةٌ﴾ [الآية: 282] وفي قراءة عاصم بنصبهما أي: إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة وهو استثناء من الأمر بالكتابة أي: إلا أن تتناعوا مبايعة ناجزة وهذا معنى قوله ﴿تُذِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [الآية: 282] فلا بأس ألا تكتبوها لبعده عن النسيان والمنازعة ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [الآية: 282] والأوامر في هذه الآية للاستحباب عند جمهور الأمة وكذا النواهي محمولة على الكراهة التنزيهية على خلاف في أحكامهما ونسخهما ﴿وَلَا يُضَارَكُ﴾ [الآية: 282] يحتمل البيانين ﴿كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [الآية: 282] فنهيهما عن ترك الإحاجة والتحريف بالنقصان والزيادة والنهي عن

الضرار بهما بأن يكلفا الخروج عما حد لهما ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ [الآية: 282] الضرار وسائر ما عنه نهيتهم ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ [الآية: 282] خروج عن الطاعة لا حق بكم ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 282] في أوامركم ونواهيكم ﴿وَعَلِمُكُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 282] أي: أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 282] وإظهار الجلالة في مواضع إضمارها لأنه أدخل في التعظيم من الكناية مع عدم الملاحة بتكرار الجلالة وقد قيل أن آية المدائنة أرجى آية في القرآن لأنها دالة على غاية رحمة من الرحمن حيث أمرهم في المعاملة الدنيوية مع أنها ليست من الأمور الدنيوية بما لا يشوش عليهم من الأحوال العارضية والدنيوية مع أنه قد ورد أن الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً من مائها شربة⁽¹⁾.

وتوضيحه ما قال الأستاذ إن الله سبحانه أمر الخلق بالقيام بالصدق وعلمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم بالحق والأخذ بالاحتياط والاستشهاد لئلا يجري من بعضهم على بعض حيف في المطالبة أو الإنكار وذلك من مقتضى رحمته سبحانه عليهم وموجب رفقه بهم لئلا يتخاصموا فيما بينهم فأمر بتحصيل الحقوق بالكتابة والإشهاد وأمر/ الشهود بالتحمل ثم بالإقامة ومن 99/أ شرع اليوم ما ينقطع الخصومات به بينهم فبالحري أن يجري ما يرفع في الآخرة آثار الخصومة عنهم وفي الخبر المنقول تواهبوا فيما بينكم⁽²⁾ فقد وهبت فيكم مالي عليكم فإن الكريم إذا قدر غفر.

وفيما شرع من الدين - مع أن الدين شين - الدين رفق لأرباب الحاجات لأنه يمسسه الحاجة فيحمله الحال على الاحتياط ويضيق به الصبر على الاحتمال ويمنعه حفظ التجمل عن الكدية والسؤال فأذن له في الاستدانة ليجبر أمره في الحال وينتظر فضل الله في المال وقد وعد على الإدانة المثوبة الكبرى وذلك كله من لطفه تعالى.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 341) رقم (7847)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 157) رقم (5840)، وابن ماجه في السنن (2/ 1376) رقم (4110)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 560) رقم (2320).

(2) أورده القشيري في تفسيره (1/ 271).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية: 283] أي: على جناح سفر يعني مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ﴾ [الآية: 283] أي: فعليكم والوثيقة رهان ﴿مَقْبُوضَةً﴾ [الآية: 283] من يد صاحب الحق وفي قراءة المكي والبصري فرهن بضميتين وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون ﴿فَإِنْ آمَنَ بِعُضُوكُمْ﴾ [الآية: 283] أي: من الدائنين ﴿بَعْضًا﴾ [الآية: 283] من المديونين واستغنى بالأمانة عن الارتهان والكتابة ﴿فَلْيَدْرِكُوا﴾ [الآية: 283] أي: دينه بملك الذي هو بمنزلة الأمانة ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية: 283] في الخيانة ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ [الآية: 283] فإنها من جملة الأمانة ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ﴾ [الآية: 283] أي: الكاتم ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [الآية: 283] وأسند الإثم إليه لأنه رئيس الأعضاء وأشرف الأجزاء فكأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وفاق سائر ذنوبه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 283] وعد ووعد.

وفي «العرائس» ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ [الآية: 283] أي: لا تكتموا ما أشهدكم الله من مقام أهل الولاية بأن تحملوا ذكرهم حسداً عليهم ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾ [الآية: 283] يعني ما خصهم به ﴿فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [الآية: 283] أي جزاء كتمان قساوة قلبه وإثم القلب الحسد بأهل الولاية وجزاء الحسد الطبع والختم وسوء الخاتمة.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 284] ملكاً وملكاً.

قال ابن عطاء الكونان هو مبدؤهما من غير شيء سبقهما فمن اشتغل بهما قطعاه عن الله ومن أقبل على الله وتركهما لله ملكهما الله إياه.

وقال صاحب «العرائس» أي: لله خزائن ملكوت الكونين وأسرار غيب العالمين لا يكشفها إلا لخواص أجلته من العلماء العالمين ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية: 284] من السوء والعزم عليه ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ 99/ب [الآية: 284] في الدنيا/ بالمكفرات أو في العقبى بالعقوبات.

وفي «العرائس» أن تظهروا ما في قلوبكم من حقائق المكاشفات والمخاطبات ليقندي به أهل الإرادة أو تخفوا عجائب الغيب التي ترى عيون الأرواح المقدسة تورعاً لثلا يفتتن بها أقوام من ضعفاء المؤمنين لقلّة فهمهم

يربيكم الله بتمكين الظاهر بما أظهرتم حتى لا تفتنوا بدقائق الرياء والسمعة ويبقين الباطن بما أخفيتم من الخلق إخلاصاً وصدقاً لتذوقوا حلاوة صفاء الإخلاص في كتمان الأسرار ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 284] مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 284] عقوبته وجزمهما عطف على جواب الشرط وفي قراءة الشامي وعاصم برفهما على الاستئناف ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 284] من الإحياء والمحاسبة والغفران والمعاقبة.

قال الواسطي: من أراد الكون أو المكون يحاسبه الله فيغفر لمن أراد له الجنة ونعيمها الغفلة ويعذب من آثر الدنيا على الآخرة.

وقال الأستاذ: ﴿وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 284] من المعاني والدواعي أو القصود والرغائب وفنون الحوائج والمطالب أو ما تبديه العبادة وما تخفيه الإرادة أو ما تبديه السكنات والحركات وما تخفيه الخطرات ويقال الإشارة فيه إلى استدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة فلا تغفل خطره ولا لحظة ولا تمهل وقتك نفساً ولا لمحة.

وفي «العرائس» ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 284] لمن يدفع خطرات الباطن ترغيباً ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 284] لمن يتبع هواه بدخوله في الزلات تهذيباً.

﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 285] تنصيص من الله على صحة إيمانه وتخصيص للاعتداد بشأنه وتنبه على كمال اتباعه في اتباع تصديقه وبرهانه ﴿كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ [الآية: 285] وفي قراءة حمزة والكسائي كتابه على إرادة جنسه ﴿وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 285] والترتيب باعتبار حصوله وانفرد ضمير آمن للفظ كل ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [الآية: 285] أي: بالتصديق والتكذيب فلا ينافي الفصل بالترتيب والتقدير قالوا هذا القول ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ [الآية: 285] قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 285] أمرك ﴿غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 285] غفرانك أو اغفر لنا غفرانك ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية: 285] بحذف حرف النداء ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 285] أي: المرجع بعد الموت والغناء

بالبعث والجزاء والبقاء.

100/أ وقال /الأستاذ: شهادة الحق سبحانه لنبيه عليه السلام أتم من إخباره عن نفسه بشهادة الإسلام ويقال آمن الخلق كلهم من حيث البرهان وآمن الرسل بالعيان.

وفي «العرائس» أن الله قدس باطن رسوله عليه السلام من سوائب النفسانية وخطرات الشيطانية وكحل عين سره بنور الملكوت حتى قيل بالصدق والإخلاص ما كشف له من عجائب الجبروت ورأى بمصابيح القرآن أسرار الأزل والأبد وما جرى في بطنان الغيب وغيب الغيب رؤية عيان وآمن بها إيمان المشاهدة والعرفان ثم المؤمنون على قسمين منهم العارفون والصادقون والمشاهدون والمقربون والمكاشفون والمحافظون والمحسنون والراضون والمتوكلون والمحبون والمريدون والمرادون كل شاهدوا بعض ما شاهد الرسول عليه السلام لولا ذلك لم يشرعوا في بذل الأرواح ومجاهدة الأشباح لكن للنبي ﷺ مشاهدة الصرف خاصة له بلا زحمة الخطرات ولهم مشاهدة اليقين بوسائط الالتباس ممتحنين بالوسواس والقسم الثاني من المؤمنين هم الذين آمنوا إيمان الفطرة بإرشاد العلم والعقل والبيان والبرهان.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 286] أي: إلا ما يسعه من قدرتها وما دون غاية طاقتها لا ما لا يملك دفعه من حديث النفس وخطراتها.

وفي «العرائس» لو أظهر من جمال عز الأزل صفة من صفاتي لا يطيق الخلق أن يستقيموا عند كشف ذرة منها لكن أواسيهم بلوائح التجلي بنعت الالتباس لكيلا يغنوا مثل تجلي موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أيضاً لا يكلف الله حق عبوديته نفوس أوليائه إلا قدر ما يطيقون من جهة التقصير والضعف عند تحمل حقيقة العبودية لا من حق الربوبية أن يذوب الأرواح والأشباح في أول تكبيرة كبروا تعظيماً وإجلالاً وأن الله تعالى ما أظهر للخلق من معرفته إلا مقدار ما يعيشون به من جهلهم بربوبية ربهم ولو أيقنوا أنهم في

معزل من حقيقة العبودية وإدراك صرف الربوبية لماتوا حسرة على ما قالوا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 286] من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [الآية: 286] من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غير ذاتها.

وفي «العرائس» لها ما كسبت أرواحهم من مقاسات/ الهجران في دار 100/ ب الامتحان وعليها ما اكتسبت نفوسهم من جرائم الخطرات عند مكاشفة الغيب للمخفيات يجازي الله النفوس في الدنيا بالذنوب في المجاهدات ويجازي الأرواح في الآخرة لصرف المشاهدات ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [الآية: 286] أي: قولوا ذلك وهو تعليم للعباد من آداب الدعاء من تصديره بالنداء والثناء والمعنى لا تحاسبنا ولا تعاقبنا ﴿إِنْ نَسِينَا﴾ [الآية: 286] بخلاف من كان قبلنا فإنهم إذا نسوا شيئاً من الشريعة عجلت لهم العقوبة ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [الآية: 286] أي: بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة فإن النسيان والخطأ ليسا من الأمور الاختيارية ثم هذان بالنسبة إلى الحقوق الإلهية دون الآدمية.

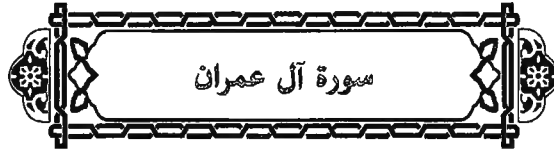
وأفاد الأستاذ: أنه تعالى لا يلقنهم الدعاء في الدنيا ثم يمنعهم الإجابة في الأخرى.

وفي «العرائس» لا تحجبنا بك عنك إن نسيناك أو أخطأنا بالالتفات إلى غيرك ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ [الآية: 286] أي: أمراً يثقل لدينا ﴿كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الآية: 286] من قتل النفس وقطع موضع النجس وخمسين صلاة في اليوم واليلة وصرف ربع المال للزكاة وسائر ما أصابهم من الشدة والمحنة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [الآية: 286] من البلية أو العقوبة أو التكاليف لا تفي بها الطاقة فالدعاء به الاستدامة واعتداداً بالنعمة ﴿وَاغْفِرْ عَنَّا﴾ [الآية: 286] بمحو ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية: 286] بستر ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ [الآية: 286] بالتعطف بنا والتفضل علينا ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ [الآية: 286] أي: ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 286] من الأعداء الظاهرة والباطنة في أمر الدين.

وقال الأستاذ: أغف عنا في الحال ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ في المال ﴿وَارْحَمْنَا﴾ في

جميع الأحوال إذ ليس لنا أحد سواك فأنت مولانا فاجعل النصرة على ما يشغلنا
عنك ويذهلنا منك.

وفي «العرائس» ﴿وَأَعِزُّ عَنَّا﴾ قلة المعرفة بك ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ التقصير في
عبادتك وارحمنا بمواصلتك ومشاهدتك فانصرنا على القوم الكافرين هذا نجوى
أهل الامتحان من المكاشفين والمشاهدين أي: نحن أسرار معرفتك وضعفاء
محبتك فارحمنا بتجلي العظمة حتى يقوى منك بك في محل العبودية وكشف
الربوبية وانصرنا بمعاونة المعرفة وجند حقائق الإلهام عن مشاعر الألوهية على
القوم الكافرين أو على بأس الطبيعة حتى يهربوا عن ميادين معارفك بتأبيد
معرفتك وتسريح من تشويشهم في صرف عبوديتك وطلب مشاهدة حضرتك.



[مدنية]

وأيها مائتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ يتيامن باسم ذاته ووسم صفاته كل بيان في كل زمان ومكان وفي تكرار 101/أ
البسملة إشعاراً بأن كل سورة في قضية وصورة ما نزلت إلا ناشئة عن عموم
الرحمة الإلهية الشاملة للعموم في الدنيا وللخصوص في العقبي ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَى﴾ [النجم 25] .

ثم العلماء اختلفوا في أن الله اسم مرتجل أو مشتق من ألّه بمعنى عبد
فإله مصدر بمعنى معبوداً ومن وله ثم أبدل واوه همزاً بمعنى تحير قاله بمعنى
متحير فيه سبحانه من تحير في ذاته سواء حتى تحير أرباب العقول في تحقيق
اسمه أيضاً كما تحير الكل في مسماه وقيل من لاه بمعنى احتجب فلاه مصدر
بمعنى الفاعل أي: محتجب عن الأبصار وعن مشاهدة الأغيار في جميع
الأعصار.

وأفاد الأستاذ: إن أهل التحقيق اختلفوا في أن اسم الله هل هو مشتق
من معنى أم لا فكثير منهم قالوا إنه ليس بمشتق من معنى وهو له سبحانه على
جهة الاختصاص يجري في وصفه مجرى اسم الأعلام في صفة غيره فإذا قرع
هذا اللفظ أسمع أهل المعرفة لم يذهب فهمهم ولا علومهم إلى معنى غير
وجوده سبحانه وحقه فحق هذه القالة أن تكون مقرونة لشهود القلب في كل
حالة فإذا قال بلسانه الله أو سمع بأذنه الله شهد بقلبه الله وكما لا تدل هذه
الكلمة على معنى سوى الله لا يكون مشهود قائله إلا الله فيقول بلسانه الله
ويعلم بفؤاده الله ويعرف بقلبه الله ويحب بروحه الله ويشهد بسرّه الله ويتملق

بظاهره بين يدي الله ويتحقق بسره بالله ويتخلق بأحواله لله وفي الله فلا يكون فيه نصيب لغير الله وإذا أشرف على أن يصير محوفاً في الله بالله يتداركه الحق برحمته فيكاشفه بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1] استبقاء لمهجتهم أن يتلف وإرادة قلوبهم أن يبقى فتلطف سنة منه سبحانه أن لا يفني أوليائه بالكلية.

﴿آل عمران: الآية 1﴾ أكثر أرباب العبارة على أن الحروف المقطعة في أوائل السور لا يعلم دقائق مبنائها وحقائق معناها غير منزلها وعبروا عن ذلك بقولهم الله أعلم بمراده مع أن هذه العبارة لا تخلو أيضاً عن الإشارة وهو الله أعلم أو أعلم بصيغة المتكلم وحده أو بصيغة الأمر بمعنى أنا أعلم فأنت أعلم أتينا ببعض الحروف إيماء وإسقاطاً لبعضها اكتفاء ليكون من رموز المحبوب 101/ ب للأحباء على وجه لا يشعر/ به الرقباء والأعداء.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الألف من الأحدية واللام من اللطف والميم من الملك ومعناه أن من وحد على الحقيقة بإسقاط العلائق والأعراض عن الأعواض تلطفت له وأخرجته من رق العبودية إلى الملك الأعلى وهو الاتصال لمالك الملك دون الاشتغال بشيء من الملك.

وقال الأستاذ: أشار بقوله ألف إلى قيامه بكفايتك على عموم أحوالك فأنت في أسر الغفلة لا تهتدي إلى صلاحك ورشدك وهو مجر ما يجبرك وكاف بما ينصرك فبغير سؤالك بل بغير علمك بحالك يكفيك من حيث لا تشعر ويعطيك من غير أن تطلب والإشارة من اللام إلى لطفه بك في خفي السر حتى أنه لا يظهر عليك محل المنة في قيام البر والإشارة من الميم موافقة جريان القضاء بمتعلقات الطلبة من الأولياء فلا يتحرك في العالم شيء ولا يظهر في الكون ذرة إلا وهو بمحل الرضا منهم حتى أن قائلاً لو قال في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن، الآية: 29] أن ذلك الشأن تحقيق مراد الأولياء لم يكن ذلك ببعيد عند أرباب التأييد ويقال تفرق عن القلوب باستماع هذه الحروف المقطعة التي هي خلاف عادة الناس في التخاطب كل معلوم

ومرسوم ومعتاد وموهوم من ضرورة أو حس أو اجتهد حتى إذا خلا القلب عن الموهومات والمعلومات وصفا السر عن المعتادات والمعهودات يرد هذا الاسم وهو قوله:

﴿اللَّهُ﴾ [الآية: 2] على قلب مقدس عن كل غير وسر مصفى عن كل كيف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 2] أي لا معبود بل ولا موجود في نظر أرباب الشهود إلا ذات الواجب الوجود وصفاته من الكرم والجود ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [الآية: 2] أي: الذي حياته بذاته أبداً وقيامه في مقام البر بتدبير مصنوعاته على وقف صفاته سرمداً.

وقال الأستاذ هو الذي لا يلهو فيشغل عنك ولا يسهو فتبقى عنك فهو على عموم أحوالك رقيب شرك إن خلوت فهو رقيبك وإن توسطت الخلق فهو قريبك وفي الجملة كيفما دارت بك الأحوال فهو حبيبك.

وقال صاحب «العرائس»: ﴿الْحَيُّ﴾ [الآية: 2] الذي لا يقاس حياته ببعد الأوهام ولا يدرك سرمدية ذاته بغوص قطر الأنام وأيضاً الحي الذي حياته قام بها العالم واستنارت بنورها روح آدم والقيوم الذي/ يبقى ببقائه أهل الفناء ويفنى 102/أ بقهر قيوميته أهل البقاء.

﴿زَلَّ﴾ [الآية: 3] أي: أنزل الله منجماً مدرجاً ﴿عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 3] أي: بالصدق والصواب ليقع فيه كثرة الخطاب ويسع السؤال والجواب ويكون الرسول والمرسل إليهم دائماً في انتظار الوحي الرباني وفي التوجه إلى نزول السفير السبحاني وهو اشتغال بالحق لما ورد أن انتظار العبادة عبادة بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فإنه ما كان حينئذ مراجعة ولا مراودة بل كان يأساً وانقطاعاً عن ذلك بالكلية.

وقال الأستاذ: وما كنت يا محمد تدري ما الكتاب ولا قصة الأحباب ولكن صادفك اختيار أزلي واصطفاء أولي فألقاك في أمر عجيب شأنه جليل برهانه عزيز محله ومكانه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية: 3] أي: موافقاً لما تقدمه من الكتب ومطابقاً لما سبق به الرسل.

وقال الأستاذ: محققاً لموعوده لك في الكتب على السنة الرسل عليهم السلام ﴿وَأَنْزَلَ﴾ [الآية: 3] أي: مجمله مكمله ﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [الآية: 3] أي على موسى وعيسى عليهما السلام.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 4] أي: قبل القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 4] أي: الموجودين في ذلك الزمان وهو حال من كل من المفعولين مجازاً أو من الفاعل حقيقة ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [الآية: 4] أي: ما فرق به بين الحق والباطل من التبيان والمراد به جميع الكتب المنزلة على الأمم في سائر الأديان فهو تعميم بعد تخصيص لمزيد البرهان وقال الأستاذ أي: إنا وإن أنزلنا قبلك كتبنا على المرسلين فما أخلينا كتاباً من ذكرك قال قائلهم:

فعندي لأحبابنا الغائبين صحائف ذكرك عنوانها⁽¹⁾

وكما أتممنا بك أنوار الأنبياء زينا بذكرك جميع ما أنزلنا من الذكر والأنباء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 4] أي أنكروا الحق أو ستروا وجحدوا ﴿يَايَنَتِ اللَّهُ﴾ [الآية: 4] أي: من كتبه وأنبائه ومعجزات أنبيائه وكرامات أصفياه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية: 4] وحجاب أكيد ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 4] أي: ذو عزة وغلبة على أوليائه ﴿ذُو أَنْتِقَامٍ﴾ [الآية: 4] أي: ذو عقوبة ونقمة من أعدائه.

قال الأستاذ: عزيز يطلبه كل أحد ولكن لا يجده كثير عدد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 5] من الإخفاء ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية: 5].

أفاد الأستاذ: أنه لا يتنفس عبد نفساً إلا والله سبحانه محصيه ولا يحصل 102/ب في السماء والأرض ذرة إلا وهو سبحانه مجريه/ ومبديه ولا يكون أحد بوصف ولا نعت إلا وهو متولي هذا على العموم وأما على الخصوص فلا يرفع أحد إليه حاجة إلا وهو قاضيها ولا يراجعه أحد في نازلة إلا وهو كافيها.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/276)، (6/365).

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الآية: 6] أي: أرحام الأمهات ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الآية: 6] من أنواع التصويرات.

وفي «تفسير السلمي» قيل يصور كل أحد منكم عالماً به وبصفاته وبأوامره وسائر حالاته فمن لم يصحبه حزن ما قدر عليه في وقت تصويره من الشقاوة والسعادة فهو الجاهل والآمن مكره المقتضى إبعاده.

وقال الأستاذ: هذا فيما لا يزال من حيث الخلقة وهو الذي قدر أحوالكم في الأزل كيف يشاء وهذا فيما لم يزل من حيث القضاء والقسمه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 6] إذ لا يعلم غيره ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله.

وأفاد الأستاذ: أنه لا إله إلا هو فيتعقب حكمه بالنقض أو يعارض تقديره بالإهمال والرفض ﴿الْفَرْيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 6] إيماء إلى غاية قدرته ونهاية حكمته.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 7] أي جملة القرآن بأحسن الخطاب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [الآية: 7] أي: بعضه دلالات محكمة العبارات محفوظة من نشأة الاحتمالات ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 7] أي: تلك الآيات أصل الخطاب الذي يرجع إليه ويتفرع عليه بقية آيات الكتاب وأحكام الأبواب وفي أفراد اللام إيماء إلى أن الكل بمنزلة آية واحدة في هذا البناء ﴿وَأُخَرُ مُتَشَبِّهَاتٌ﴾ [الآية: 7] أي: وبعضه آيات آخر إشارات محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالاجتهاد في تدبر مبانيها وتفكر معانيها ليحصل المطابقة بين متشابهاتها ومحكماتها أو ليظهر العجز عن إدراك كنه حقائقها ودقائقها في بعض دلالاتها ولا ينافي هذا التقسيم قوله تعالى كتاب أحكمت آياته فإن معناه أنها حفظت من كساد المبنى وفساد المعنى ولا قوله سبحانه كتاباً متشابهاً إذ المراد أنه يشبه بعضها بعضاً في غاية الفصاحة ونهاية البلاغة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [الآية: 7] أي: ميل وعدول عن الحق كالمبتدعة من المجسمة والمعطلة والمتعلقة بالشك والشبهة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ [الآية: 7] فيتعلقون بظاهره المنافي للمحكمات أو بتأويل باطل يكون من

الممتنعات ﴿اتَّبِعْهُ الْفِتْنَةُ﴾ لأجل طلب افتنان الناس عن دينهم بالتشكيك 103/أ والتلبيس المقتضي للغواية عن يقينهم / ﴿وَاتَّبِعْهُ تَأْوِيلُهُ﴾ [الآية : 7] ولقصد طلب تأويله على ما يشتهونه ويبنون مذاهبهم الباطلة عليه أو لإرادة حقيقته ما يؤول أمره إليه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ [الآية : 7] أي الذي يجب أن يحمل عليه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية : 7] أكثر القراء والعلماء ذهبوا إلى الوقف على الجلالة وإن قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [الآية : 7] مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [الآية : 7] ويؤيده قوله سبحانه إخباراً عنهم ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [الآية : 7] أي كل من المحكم والمتشابه من عند مولانا وما لنا إلا الإيمان بأنه من كلامه والعجز عن إدراك مراده يريده قراءة ابن مسعود وإن تأويله إلا عند الله وكذا قراءة ابن عباس ويقول الراسخون في العلم ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ كما أخرجه سعيد ابن منصور عنه بإسناد صحيح وغريب إلى أبي أيضاً⁽¹⁾.

وقد أخرج الطبراني وابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن عائشة أنها قالت في قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ انتهى علمهم إلى أن آمنوا بمتشابهه ولم يعلموا تأويله⁽²⁾. وفي «صحيح البخاري» عن عائشة أنه عليه السلام تلا هذه الآية وقال فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم⁽³⁾.

وأخرج ابن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم⁽⁴⁾ وبعضهم ذهبوا إلى أن الواو للعطف وجملة يقولون استثنائية بيانية ولغوية وبقوله تعالى ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ [الآية : 7] أي متذكر مقصود الخطاب من الكتاب ﴿إِلَّا أَفْلَؤُا أَلَّا لَبِى﴾ [الآية : 7] والتحقيق أن بعض الآيات المتشابهات لا يعلم حقيقة معناها أحد إلا الله وبعضها يعلم معناه الثابتون في

(1) تفسير الطبري (6/ 202، 204).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 293) رقم (4342)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (2/ 423).

(3) الصحيح (4/ 1655) رقم (4273).

(4) تفسير ابن أبي حاتم (2/ 421) رقم (3252) و(4/ 441) رقم (6301).

العلم المجتهدون في تحقيق مبنى القرآن ومعناه وبه يرتفع النزاع ويحصل الاجتماع ثم الرابطة بين هذه الآية وما قبلها أنّ الأولى في تصوير الاشباح وتسويتها والأخرى في تصوير الأرواح بالعلم وتزيينها.

وأفاد الاستاذ: ان الله سبحانه أنزل الكتاب وجنس فيه الخطاب فمن ظاهر واضح تنزيله ومن غامض مشكل تأويله القسم الأول لبسط الشرع واهتداء أهل الظاهر والقسم الثاني لصيانة الأسرار عن اطلاع الأجانب عليها فسييل العلماء الرسوخ في طلب معناه على ما يوافق الأصول فما حصل/ 103/ ب عليه الوقوف فمقابل بالقبول ما امتنع من التأثير فيه بمعاول الفكر سلموه إلى عالم الغيب وسييل أهل الإرشاد والفهم إلقاء السمع بحضور القلب فما يسنح لفهومهم من لوائح التعريفات بنوا على إشارة الكشف أن طولبوا باستدامة الستر وطى السر تخارسوا عن النطق وإن أمروا بالإظهار والنشر وأطلقوا على بيان الحق نطقوا عن تعريفات الغيب فأما الذين أيدوا بأنوار البصائر فمستضيئون بشعاع شمس الفهم وأما الذين ألبسوا غطاء الريب وحرموا لطائف التحقيق فينقسم بهم الأحوال ويترجم لهم الظنون ويطيحون في أودية التلبيس فلا يزدادون إلا جهلاً على جهل ونفوراً على شك وما يعلم تأويله إلا الله ومن وجد علمه من الله فيكون إيمانهم بلا احتمال بجولان خواطر التجويز بل عن صريحات الظهور وصافيات اليقين وأما أصحاب العقول الصاحبة ففي صحبة التذكر ظهور وجوه البراهين وسر أحكام التحصيل في الدين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [الآية: 8] الظاهر أنه من مقال الراسخين ويحتمل أن يكون استئناف تعليم للسالكين والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الرضي إلى اتباع المتشابه بالتأويل الغير المرضي فعنه ﷺ قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن⁽¹⁾ إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاعه عنه ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [الآية: 8] إلى الحق والصواب والإيمان بالقسمين من الكتاب ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 706) رقم (1926)، والطبراني في المعجم الأوسط (2/ 147) رقم (1530)، ومسلم في الصحيح (2654/ 17)، والترمذي في الجامع الصحيح (538/ 5) رقم (3522).

[الآية: 8] أي: من عندك ومن طريق فضلك ﴿رَحْمَةً﴾ [الآية: 8] تزلفنا إليك وتدلنا عليك وتدلنا بين يديك لنفوز بها لديك.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما ازدادوا قرباً إلا ازدادوا أدباً واللياذ إلى التقاعد أقوى أسباب رعاية الأدب ويقال حين صدقوا في حسن الاستغاثة أمدوا بأنوار الكفاية ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابُ﴾ [الآية: 8] لكل مسؤول من كل باب.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ [الآية: 9] أي: لحساب يوم أو لجزائه وإلى يوم أو في يوم ﴿يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 9] أي: في وقوع اليوم وما فيه ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [الآية: 9] أي: وعده ووعيده في حق العباد لا أن وعيد الفساق 104/أ تحت المشيئة كما أن وعيد الكفار مشروط بعدم التوبة/ وكذا وعد مثوبة الأبرار موقوف على حسن الخاتمة.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم جمع الأحباب على بساط الاقتراب وغداً جمع الكافة لمحل الثواب أو لعقاب اليوم جمع الأسرار لكشف الجلال والجمال وغدا جمع الأبشار لشهود الأهوال ومقاساة ما أخبر عنه من تلك الأحوال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ﴾ [الآية: 10] أي: لن تدفع ﴿عَنْهُمْ﴾ [الآية: 10] ولن تنفعهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية: 10] بل ولا أعمالهم وأحوالهم ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ [الآية: 10] بل ولا آباءهم وأجدادهم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 10] أي: بدل رحمته أو طاعته أو من عذابه وعقوبته ﴿شَيْئاً﴾ [الآية: 10] من الإغناء ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾ [الآية: 10] أي: حطبها فإنهم حملوا الأوزار باختيار الأغيار.

قال الأستاذ: لا فداء ينفعهم ولا غنى يرفعهم ولا مال يقبل منهم ولا حجاب يرفع عنهم ولا مقال يسمع فيهم بهم يسعر الجحيم ولهم الطرد الأليم والبعد الحميم ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 11] أي: دأب قومك وعاداتهم في كفرهم وجهلهم ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 11] استئناف بيان لصنيعهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 11] أي: شديد عقابه كما أنه سريع حسابه.

وقال الأستاذ: أصروا في العتو على سُنَّتِهِمْ وأدمنوا لهم في الانتقام سُنَّتِنَا

فلا من الإصرار أقلعوا ولا في المبار طمعوا ولعمري أنهم هم الذين ندموا وتحسروا على ما قدموا ولكن حينما وجدوا الباب مسدوداً والندم عليهم مردوداً.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 12] أي: مشافهة ﴿سُفُلُونَ﴾ [الآية: 12] في الدنيا ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 12] في العقبى وفي قراءة حمزة والكسائي بالغيبة أي: قل في شأنهم وقد حقق الله ذلك في بدر وقضايا آخر من قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر ووضع الجزية عليهم ممن ظهر فالآية من دلائل النبوة وشواهد المعجزة ﴿وَيَسَّرَ اللَّهُ لَهُمُ﴾ [الآية: 12] أي: فراش البعاد وما مهدوه ليوم المعاد.

وقال الأستاذ: أي أخبرهم أنهم يفوتهم حديث الحق في الأجل ولا يكون لهم لذة عيش في الأجل والذي يلقون في الآخرة من شدة العقوبة بالحرقة ليس فوق ما يصيبهم في الدنيا من الغيبة عن الله والفرقة ولكن سقمت بصائر أهل الحجاب فلم يحسوا/ بأليم العقاب.

104/ب

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ [الآية: 13] أيها الكفار أو الأبرار أو لجملتكم ﴿ءَايَةٌ﴾ [الآية: 13] أي: معجزة ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ الْفَتْحُ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 13] أي: في جماعتين مختلفتين يوم بدر اجتمعتا فئة أي: طائفة عظيمة ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [الآية: 13] تقاتل في طريق نفسه وهواه ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ﴾ [الآية: 13] أي: يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب ألف فرأوهم ألفين ليحصل لهم الرعب أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم فإن أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ليشبوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم ويؤيده قراءة نافع ترونها بالخطاب وكلا المعنيين صدق وصواب إذ قللهم الله في أعين المشركين أولاً حتى اجتروا عليهم وتوجهوا إليهم فلما لا قوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مدداً من الله تعالى لهم وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْفَتْحُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَقَلِيلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 44] ﴿رَأَىٰ الْآمِينَ﴾ [آل عمران: 13] رؤية ظاهرة معاينة بلا شبهة ولا مرية ولا احتياج

إلى رؤية ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 13] أي: له النصره كأهل بدر.

وفي «تفسير السلمي» قيل يوفق من يشاء من عباده بلزوم السنّة وترك البدعة ولا يبعد أن يقال بلزوم الحضرة وترك الغفلة ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية: 13] أي: فيما ذكر من كون الواقعة ﴿لَوَبْرَةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ [الآية: 13] لفظة معتبرة لذوي البصائر تعبر بصاحبها من منزلة الجهلاء الفجار إلى رتبة العلماء الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد إمضاء أمر قلل الكثير في أعين قوم وكثر القليل في أعين قوم وإذا لبس على بصيرة قوم أيقنهم نفاذ أبصارهم وإذا فتح أسرار آخرين فلا يضرهم انسداد أبصار آخرين قلت: وإذا أراد الله بقوم فتح باب علم أو عمل هون عليهم طريقه وحسن لهم تحقيقه وإذا أراد بقوم خلاف ذلك طول عليهم سبيله وبعد لهم تحصيله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً مما قدر لكل سالك أن يكون لأمر مخلوقاً ومجبولاً.

﴿زَيْنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 14] أي: من ذوي الغفلات ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [الآية: 105/أ 14] أي: المشتبهات والمزين على الحقيقة هو الله المتعالي فإنه خالق الأفعال والدواعي أو الشيطان على طريق السببية والإسناد المجازي ابتلاء ليميز من يختار حب الله ممن يحب سواه ﴿مِنَ النَّسَاءِ﴾ [الآية: 14] حرة أو أمة ﴿وَالْبَنِينَ﴾ [الآية: 14] وخصوا لكرهه البنات طبعاً في غالب الناس ولا يبعد أن يكون من باب الاكتفاء أو نوعاً من التغليب ﴿وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ﴾ [الآية: 14] أي: الأموال الكثيرة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [الآية: 14] وما يشتري بهما من سائر الأشياء المرغوبة ﴿وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ﴾ [الآية: 14] المعلمة أو المرعية أو المطهمة ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ [الآية: 14] من الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثَ﴾ [الآية: 14] أي: الزراعة ويدخل فيه سائر الصناعة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 14] أي: جميع ما ذكر ﴿مَتَكُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 14] وهي مع كونها قليلة ناقصة مكدره منقصة وزائلة فانية ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [الآية: 14] أي: المرجع بالمشوبة في الجنة التي نعيمها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة بل دائمة باقية دل عليه ما بعده من الآية

الآتية والحاصل أنه تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات الناقصة الفانية الردية وقد قيل من مال إلى هذه الأشياء واستحسنها قطعة عن طريق الحق وعوقه العوائق ومن استصغرها وأعرض عنها عوض عليها السلامة منها وفتح له الطريق إلى الحقائق.

وقال الأستاذ: نبه بذكر بعض الشهوات على ما سواها مما هو في معناها وفي الجملة ما يحجبك عن الشهود فهو من جملتها وأصعب العوائق في هذا الطريق الشهوة الخفية وأداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم في جملة الشهوة ومن المقاطع المشكلة السكون إلى ما يلقيك به من فنون تقريبك وكأنه في حال ما يناجيك به ويناعيك فإنه بكل لطيفة يصفك ويطريك تحتها خدع خافية ومن أدركته السعادة كاشفة بشهود جلاله وجماله لإثباته في لطيف أحواله وما يخصه به من أفضاله وإقباله.

﴿قُلْ أَذُنُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ [الآية: 15] أي: من الذي ذكرت لكم وفيه تقرير أن ثواب الله في العقبى خير وأبقى من مستلذات الدنيا لأهل التقوى كما قال ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 15] خبر مقدم مبتدؤه ﴿جَنَّتْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 15] حال مقدرة والجملة استثنائية مبينة لما هو خير ولمن لا يكون له الخير ﴿وَأَرْوَجُ مُطَهَّرَةً وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 15] بضم/ 105 ب الراء لشعبة حيث جاء ما عدا رضوانه سبل السلام في المائدة ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 15] أي: عالم بأعمالهم وأحوالهم فيثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم وقد نبه الله سبحانه في هذه الآية على مراتب نعمه جملة فأدناها متاع الدنيا وأوسطها نعيم العقبى وأعلاها رضاء المولى وكذا قيل من عمل لرجاء الجنة وحصولها فإن غايته بلوغها ووصولها أو من كانت معاملته على رؤيته الرضا فإن له الرضوان وقد قال عز وجل ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 15] وعباداتهم عالم بهمم العالمين وإرادتهم.

وقال الأستاذ: بين فضيلة أهل التقوى على أرباب الدنيا فقال هؤلاء لهم متابعة المنى وموافقة الهوى وأولئك لهم الدرجات العلى والله بصير بالعباد

أنزل كل قوم وأوصله إلى ماله.

وأمله ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [الآية: 16] بلسان القول أو بيان الحال ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكُ﴾ [الآية: 16] أي صدقنا بما يجب علينا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [الآية: 16] أي: تقصيرنا التي صدرت عنا ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الآية: 16] بانضمام الأغيار في دار البوار والجملة منصوبة بأعني ليلائم قوله ﴿الْفَكْرَيْنِ﴾ [الآية: 17] على بلياتهم.

﴿وَالْمُذْذِبِينَ﴾ [الآية: 17] في نياتهم ﴿وَالْقَانِطِينَ﴾ [الآية: 17] أي: الخاشعين في طاعاتهم ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ [الآية: 17] أموالهم في خيراتهم ﴿وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [الآية: 17] أي: في أفضل أوقاتهم وآخر عباداتهم عن تقصيراتهم وزلاتهم أو عن جميع معاملاتهم وقال بعضهم الصابرين مع الله في موارد قضائه فيهم والصادقين في توحيدهم ومحبتهم والقانتين الراجعين إلى الله في سرائهم وضررائهم والمنفقين ما سواه له حال بذلهم ﴿وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [الآية: 17] من أفعالهم وأقوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر حبس النفس وذلك على ثلاث مراتب صبر على ما أمر به العبد وصبر عن ما نهى عنه وصبر هو الوقوف تحت جريان حكمه على ما يريد أما في فوات محبوبك أو هجوم ما لا تستطيعه فإذا ترقيت عن هذه الصفة بأن لا يصيبك مشقة أو تنال راحة فذلك رضا لا صبر ويقال الصابرين على ما أمر الله والصادقين فيما عاهدوا الله ﴿وَالْقَانِطِينَ﴾ [الآية: 17] بنفوسهم بالاستقامة في محبة الله ﴿وَالْمُسْتَفْزِينَ﴾ [الآية: 17] عن جميع ما فعلوا/ 106 أ لرؤية تقصيرهم في الله ويقال ﴿الْفَكْرَيْنِ﴾ [الآية: 17] بقلوبهم ﴿وَالْمُذْذِبِينَ﴾ [الآية: 17] بأرواحهم ﴿وَالْقَانِطِينَ﴾ [الآية: 17] بنفوسهم ﴿وَالْمُسْتَفْزِينَ﴾ [الآية: 17] بالستهم ويقال الصابرين على صدق القصود في العهود والقانتين بحفظ الحدود والمستغفرين عن أعمالهم وأحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد ويقال الصابرين الذين صبروا ولم يتعللوا بالهرب ولم يحتشموا من التعب وهجروا كل راحة وطلب فصبروا على البلوى ورفضوا الشكوى حتى وصلوا إلى المولى ولم يقطعهم شيء من الدنيا والعقبى والصادقين الذين صدقوا في الطلب فقصودوا ثم

وردوا ثم صدقوا حتى شهدوا ثم صدقوا حتى وجدوا ثم صدقوا حتى فقدوا قربتهم قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود والقانتين الذين لازموا الباب وداوموا على تجرع الاكتفاء وترك المحاب ورفض الأصحاب إلى أن تحققوا بالاقتراب ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ [الآية: 17] الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ثم جادوا بميسورهم من الأموال ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل والآجل استهلاكاً عن القرب والوصال بما لقوا به من الاضطلام والاستئصال والمستغفرين عن جميع ذلك إذا رجعوا إلى الصحو عند الأسحار يعني ظهور الأسفار وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الأقطار.

وفي «العرائس» الصابرين عن جميع حظوظهم لله والصادقين في معاملة الله والقانتين بنعت الرضا عن الله والمنفقين نفوسهم لله وبالله والمستغفرين عن التفاتهم إلى غير الله بالأسحار حين أشرقت أنوار المشاهدة وأسرار المكاشفة ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 18] بين ألوهيته وعين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليهما وإنزال الآيات الناطقة بهما.

وقال الأستاذ: أي علم الله وأخبر الله وحكم الله بأنه لا إله إلا هو فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق وأول من شهد أنه الله هو الله فشهد في آزاله بقوله وكلامه الأزلي وأخبر عن وجوده الأحدي وكونه الصمدي وعونه القيومي وذاته الديمومي وجلاله السرمدي وجماله الأبدي فقال.

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [الآية: 18] أي: بين الله بما نصب من البراهين وأثبت/ من 106/ ب دلائل اليقين وأوضح من الآيات وأبدى من البيّنات فكل جزء من جميع ما خلق وفطر ومن كتم العدم أظهر وعلى ما يشاء من الصفات الذاتية حصل من أعيان مستقلة وآثار في ثاني وجودها مضمحلة وذوات للملاقاة قابلة وصفات في المحال متعاقبة فهو لوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد وللعقول مخبر بأنه واحد عزيز ماجد شهد سبحانه بجلال قدره وكمال عزه حين لا جحد ولا جهول ولا عرفان لمخلوق ولا عقل ولا وفاق ولا كفر ولا حدثان ولا غير ولا إلحاد ولا شرك ولا فهم ولا سماء ولا فضاء ولا ظلام ولا ضياء و وصول

للمزدوجات ولا فصول باختلاف الأوقات ﴿وَالْمَلَكُ﴾ [الآية: 18] أي: وشهدت الملائكة بمعنى أقرت بالوحيته واعترفت بتوحيده في ربوبيته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يؤيد شهادته لوحدانته بشهادة الملائكة بل أسعدهم وأيدهم حين وفقهم بشهادته وسددهم إلى معرفة وحدانيته أرشدهم ﴿وَأُولُوا الْأَلْبَانِ﴾ [الآية: 18] أي: من الأنبياء والأولياء والأصفياء والعلماء والعبرة بشهادتهم وشهادتهم دالة على سبق عنايتهم وسعادتهم وفيه شهادة على أن من لم يشهد عن جهل أو جحد أو عناد وارتداد فهو من الذين غلبت عليهم شقاوتهم.

وأفاد الأستاذ: أن المراد بأولي العلم أولاد بني آدم إذا علموا جلال قدره وعزّ نعتهم أكرمهم حيث قرن بشهادته شهادتهم فشهدوا عن شهود وتعيين لا عن ظنون وتخمين إن لم يدركوه اليوم ضرورة وحساً لم يعتقدوه ظناً وحسناً تعرف إليهم فعرفوه وأشهدهم فلذلك فشهدوا ولو لم يقل لهم أنه من هو لما عرفوا من هو ولكن العلماء يشهدون بصحو عقولهم والموحدون يشهدون بعد خمودهم فهم كما قيل:

مستهلكون بقهر الحق قد همدوا واستنطقوا بعد إفتاء بتوحيد⁽¹⁾

فالمجرى عليهم ما يبدو منهم سواهم والقائم عنهم بما هم عليه وبه غيرهم ولقد كانوا لكنهم بانوا.

وأولوا العلم على مراتب فمن عالم نعتة وفاق ورهبانية ومن عالم وصفه 107/أ فناء وربانية وعالم يعرف أحكامه وحلاله/ وحرامه وعالم يعلم أخباره وسنته وآثاره وعالم يحفظ كتابه وتفسيره وتأويله ومحكمه وتنزيله وعالم يعلم نعتة وصفاته ويستقري حججه وتوحيده وعالم لطفه حتى أحضره ثم كاشفه فقهه فلاسم باقي والعين محو والحكم طار والعبد محق قال قائلهم:

بنو حق غدوا بالحق صرفاً نعت الخلق فيهم مستعار⁽²⁾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 290).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 251).

ليست الإشارة من هذا إلا إلى فنائهم عن إحساسهم وعن علومهم بأنفسهم فأما أعيانهم فمخلوقة وما يقوم بذواتهم من أحوالهم فمبسوقة وذات الحق لا يتصف بقبول حدثان وصفات ذاته لا تقبل اتصالاً بالغير ولا انفصالاً عن الذات تقدر الحق عن كل ضد وند ووصل وفصل وجمع وفرق وعين وخلق وملك وفلك ورسم وأثر وعبد وبشر وشمس وقمر وغير ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 18] أي: مقيماً للعدل في قسمه وحكمه أو ثابتاً بصفات الكمال من نعوت الجلال والجمال ونصبه على المدح أو الحال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 18] أي: في الحقيقة والمآل ويشهد به جميع الكائنات بلسان القول أو ببيان الحال ﴿الْمَرْيُومُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 18] الموصوف بنعت القوة والقدرة ووصف الحكم والحكمة.

﴿إِنَّ إِلَٰهَ رَبِّكَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَسَلْتُمْ﴾ [الآية: 19] أي: الدين المرضي في حكم الملك العلام إنما هو الاستسلام للأحكام على وفق ما جاء به الرسل الكرام عليهم السلام وقرأ الكسائي بفتح أن على أنه بدل من أنه.

وأفاد الأستاذ: أن الدين الذي يرتضيه والذي حكم لصاحبه بأنه يجاريه ويعليه وبالفضل يلاقيه هو الإسلام والإسلام هو الإخلاص والاستسلام وما سواه فمردود وطريق النجاة على صاحبه مسدود ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا أَلْكِتَابَ﴾ [الآية: 19] من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الخطاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْوَمُ﴾ [الآية: 19] بحقيقة الإسلام وأحكامه في جميع الأبواب ﴿بَقِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 19] أي: لطلب أعراض فاسدة وأعواض كاسدة من أخذ الرشوة وطلب الرئاسة والحسد على النبوة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 19] واختار طريقاً سوى رضاه ﴿فَأَيُّ اللَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الآية: 19] وشديد العقاب.

وقال الأستاذ: جاءهم العلم الذي عليهم حجة لا المعرفة التي لهم بيان/ ومحجة فأصروا عن الجحود لأنهم حججوا عن محل الشهود. 107/ب

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ [الآية: 20] أي: جادلوك في الدين وخاصموك بعد تبين اليقين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 20] أي: أخلصت ذاتي وأصلحت صفاتي لحكم تحقيقه ولطلب مرضاته بتوفيقه ﴿وَمَنْ أَتَّبَعْنِي﴾ [الآية: 20] أي: وأسلم من اتبعني

وتبع أمري وجهه كوجهي في مقصدي وتوجهي ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 20] أي: اليهود والنصارى ونحوهم ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ [الآية: 20] أي: المشركين من العرب وغيرهم ﴿ءَاسَلَّمْتُمْ﴾ [الآية: 20] أي: كما أسلمت أنا وأتباعي أم أنتم باقي على كفركم ونزاعي والمراد التحضيض على الإسلام والأمر بالاستسلام ﴿فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَكُوا﴾ [الآية: 20] طريق الصواب في الدنيا وحس المآب في العقبى ﴿وَإِنْ قَوْلَا﴾ [الآية: 20] أي: أعرضوا عن الباب بعد دعائك إلى الجنان ورفع الحجاب ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [الآية: 20] وقد بلغت وحصل لك الأجر والثواب ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 20] في جميع الأبواب.

وقال الأستاذ: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ﴾ [الآية: 20] أي: فطالعهم بعين التصريف كي لا يفترق بك الحال في شهود اختلافهم وتباين أطوارهم فإن من طالع الكائنات بعين القدرة علم أن المثبت لكل على ما اختص به كل واحد من الكل واحد فادعهم جهراً بجهر وأشهد تصريفنا إياهم سرّاً بسر واشغل لسانك بنصحهم وفرغ قلبك عن حديثهم وأفرد شرك عن شهودهم فليس الذي كلفناك من أمورهم إلا البلاغ والمجري للأمور والمبدي نحن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 21] التي أنزلت إليهم ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 21] حتى في زعمهم ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 21] وقرأه حمزة يقاتلون ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 21] أي: بالعدل والحق والصدق الواضح لدينهم ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 21] أي: من علمائهم وفضلائهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 21] تهكماً بهم ففي الحديث المرفوع قتلت بنو إسرائيل [ثلاثة وأربعين نبياً...] ⁽¹⁾ فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم ولم ينقطع سوقهم من قساوة القوم ⁽²⁾.

قال الأستاذ: إن الذين ربطناهم بالخذلان ووسمناهم بوصف الحرمان

(1) الزيادة من كتب التفسير.

(2) تفسير الطبري (6/ 286، وتفسير ابن كثير (2/ 27)، وتفسير القرطبي (4/ 46).

أخبرهم بأن إعراضنا عنهم مؤبد في الزمان وأن حكمنا سبق بنقلهم عن دار الجنان إلى دار الهوان وإلى العقوبة والنيران.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ [الآية: 22] أي: بطلت/ ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ [الآية: 22] إلى 108/ أ شيء يدعونها ويحسبون أنهم يحسنونها ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 22] أي: مما تعقلت بالأمور الدنيوية أو بالأحوال الآخروية ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ الْغُيُوتِ﴾ [الآية: 22] يدفع عنهم العقوبة الأبديّة.

وأفاد الأستاذ: أن أولئك الذين ليس لهم اليوم توفيق بأعمال ولا غداً تحقيق لا مآل وإنما ذلك لأنهم فقدوا في الدار من تصرفنا ولم يشهدوا عزتنا وقدرتنا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ [الآية: 23] أي: حظاً قليلاً ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 23] وهو مجرد القراءة ومحض الرواية والعمل بكل آية ﴿يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 23] أي: الكتاب فيما وقع لهم من الخلاف في باب من الأبواب ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ وَنَهُمُ﴾ [الآية: 23] أي: يعرضون عن القبول والامتثال ويدبرون بدل الإقبال مع أنهم يدعون العلم والكمال ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 23] أي: قوم عادتهم الإعراض والاعتراض في جميع الأحوال.

وقال الأستاذ: امتحناك بدعوة من سبق علمنا بأنهم لا يستجيبون فاصبر على ما أمرت فيهم واعلم سري في أحوالهم فإنهم أهل التولي عن الإجابة لأنهم فقدوا منا حسن التجلي يسابق الإرادة.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 24] أي: التولي عن الأنبياء والإعراض عن قبول الآيات ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 24] من أن النار لن تصيبهم إلا أزماناً قليلات وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فيما صدر عنهم من السيئات.

وقال الأستاذ: عاقبناهم في الدنيا بالاستدراج حتى حكموا لأنفسهم بالنجاة وتخفيف العقاب والإخراج وسوف يعلمون تضاعف البلاء عليهم ويظهر خلود العذاب ودوام الحجاب إليهم.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 25] حالهم في مآلهم ﴿إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِیَوْمٍ لَا رَيْبَ فِیْهِ﴾ [الآية: 25] أو المعنى حينئذ كيف يصفون وعن عذابنا كيف يتخلصون ﴿وَوُفِّتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [الآية: 25] أي: أجر ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 25] في كل ساعة ونفس على وفق ما يعملون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 25] أي: بتنقيص الحسنات ولا بتضعيف السيئات.

وأفاد الأستاذ أن هذه الكلمة تعجيب بما أخبر به عن تعظيم الأمر وتفخيم الشأن عند بهت عقولهم ودهشة أسرارهم وانقطاع دعاويهم وانخلاع قلوبهم عن مكانها وترقيها إلى تراقيهم ثم ما يلقونه من الحساب والعذاب 108/ ب وعدم الإكرام والإيجاب وما في هذا الباب / .

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ [الآية: 26] قيل أصله يا الله آمنا بخير فخفض بحذف حرف النداء وإسقاط همزة الوصل وترك الفصلة ﴿مَلِكِ الْمُلْكِ﴾ [الآية: 26] نداء ثانٍ أو نعت للأول.

وأفاد الأستاذ: أن معناه يا الله فالميم في آخر اللهم بدل عن حرف النداء وهذا تعليم الحق للخلق كيف الثناء أي: صفني بما أستحقه من جمال القدر فقل يا مالك الملك لا شريك لك ولا معين ولا ظهير ولا قرين ولا وزير ولا مقاسم له في الذات ولا مساهم له في الصفات ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ [الآية: 26] أي: من ملكك الذي هو ملكك ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] من خلقك وعبيدك ما تشاء من فضلك وبرك وهو شامل لملك النبوة والولاية والسلطنة والمعرفة والقناعة والعبادة والطاعة والعزلة وترك المذلة ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَزِّزُ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] على وفق ما تعلق به المشيئة ﴿وَتُخْزِئُ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بإيئاته أو نزعه ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بإعطائه أو منعه.

وقد قال ابن عطاء الله رحمه الله: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك فطوبى لمن ملك ربه قلبه على نفسه وهواها حتى يسلم من شرورها ويخلص من غرورها ويمنعها من فجورها.

وقال الأستاذ: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بشد نطاق خدمتك ﴿وَتَنْزِعُ

أَلْمُلْكُ مَن تَشَاءُ ﴿[الآية: 26]﴾ بِنْفِيهِ عَنْ بَسَاطِ حَضْرَتِكَ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِإِقَامَتِهِ بِالْإِرَادَةِ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بَرَدِهِ إِلَى مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَادَةِ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِعِرْفَانِكَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِخِذْلَانِكَ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِأَنْ يَشْهَدَكَ وَيُوحِدَكَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِأَنْ يَجْحَدَكَ وَيُفْقِدَكَ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِبَيْمَنِ إِقْبَالِكَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِوَحْشَةِ إِعْرَاضِكَ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِأَنْ تُؤْنِسَهُ بِكَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِأَنْ تُوَحِّشَهُ عَنْكَ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِأَنْ تُشْغِلَهُ بِكَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِأَنْ تُشْغِلَهُ عَنْكَ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِطَوَالِغِ إِنْسِهِ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِطَوَارِقِ نَفْسِهِ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِبَسْطِهِ بِكَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية: 26] بِقَبْضِهِ عَنْكَ.

ومن «نفائس العرائس» خص الله نفسه بالالوهية ومدحه بملك الربوبية وأنه ذو الملك والملكوت والعز والجبروت وهو موصوف به في الآزال باقي عليه فيما لا يزال ثم خص بملكه الذي هو بعض صفاته من يشاء من أنبيائه وصفوته وأوليائه من أهل طاعته/ فالملك الذي خص به الأنبياء هو الاصطفاء 109/أ والاجتهاد والخلافة والخلة والمحبة والتكليم والرسالة والنبوة وظهور الآيات والمعجزات والنهاج والمعراج فكسى الله تعالى سفرة الأنبياء عليهم السلام كسوة الربوبية والسلطنة فظهر منهم الآيات الباهرة المعجزات القاهرة وقهروا بعز ملك الرسالة والنبوة جبابرة الأرض وعتاة الظلمة وهذا موهبة خاصة سبقت لهم العناية وحرم عنها أهل الخذلان والغواية وأما الملك الذي خص به أوليائه فعلى أقسام أربعة منها قسم الكرامات والآيات كطي المسافات واستجابة الدعوات وهؤلاء أهل المعاملات ومنها قسم المقامات وهو أشرف مما قبلها كالزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والطمأنينة والاستقامة وهؤلاء أهل الدرجات وقسم منها وهو أشرف من الثاني هو الوجد والنجوى والمراقبة والحياء والخوف والرجاء والمحبة والشوق والعشق والشكر والصحو وهؤلاء أهل الحالات وقسم منها وهو أشرف من الثالث وهو الكشف والمشاهدة والمعرفة والتوحيد والتفريد والغناء والبقاء وهؤلاء أهل المعانيات

﴿يَدْرِكُ الْخَيْرُ﴾ [الآية: 26] أي: الخير الدنيوي والأخروي والملك الصوري والمعنوي والمعنى أنه بتصرفك الخير والشر فحذف الثاني للاكتفاء أو اقتصر على الخير لأنه المرغوب فيه بالدعاء أو لأنه المقضي بالذات والشر مقضي بعرض الحادثات إذ لا تلقى شراً جزئياً ما لم يتضمن خيراً كلياً أو لأن الشر لا ينسب إليه تأدباً لما ورد من أن الخير بيدك والشر ليس إليك⁽¹⁾ ونبه على أن الشر أيضاً بيده بقوله ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 26] أي من الخير والشر وغيرها.

وقال الأستاذ: أي من الحجب والجذب والأخذ والرد والفرق والجمع والقبض والبسط.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الآية: 27] أي: تدخل أحدها في مكان الآخر بالتعقيب في الزمان أو بالزيادة والنقصان ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الآية: 27] خفف ياء الميت ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة والمراد بإخراج الحي من الميت وعكسه إنشاء الفروع والأشجار من الحبوب والأثمار وإبداء الحيوان من النطف والبيض من الطير والطيور من البيض 109/ ب وإخراج المؤمن والصالح من الكافر/ والفاجر وعكس ذلك كله وكان عليه السلام إذا رأى عكرمة بن أبي جهل يقول ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] .

وقال الأستاذ: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ [الآية: 27] حتى يغلب سلطان ضياء التوحيد فلا يبقى من آثار النفس وظلماتها شيء ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الآية: 27] حتى كان شمس القلب كسفت أو كأن الليل دام وكأن الصبح فقد ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] حتى كأن الفترة لم تكن وعهد الوصال رجع فتياً وعود القرب صار غصاً طرياً ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية: 27] حتى كأن شجرة البرم أوردق شوكةً وأزهر شركاً وكأن البائس لم يجد خيراً ولم يشم ريحاً وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (771/ 201)، وأبو داود في السنن (277/ 1) رقم (760)، وابن حبان في الصحيح (71/ 5) رقم (1773)، وأبو يعلى في المسند (433/ 1) رقم (574).

ومن «نفائس المصائب» تولج دخان ظلمات البشرية في سلطان ضياء الربوبية أو ظلمة الأشباح النفسية في أنوار الأرواح القدسية وأيضاً تحرق سجون ليالي الهجران بطلوع شمس العرفان وأيضاً تحرق حجب قضاء أنس الحدوثية عن ظهور سناء قدس الصمدية ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الآية: 27] أي: سبل حجاب الفناء على وجوه أهل البقاء وأيضاً ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الآية: 27] حين كسفت شمس المعرفة في منازل الفكرة وغلبت ظلمة الفترة على نور المعاملة ﴿وَتُخْرِجُ الْغَيَّ مِنْ مَكْشَفَتٍ﴾ [الآية: 27] أي: تخرج أشجار أنوار المعرفة بكشف جمال المشاهدة من القلوب الميتة بتواتر الفترة وأيضاً تخرج أرواح القدسية بأصوات جرس الوصلة عند غلبات الوجود من الأشباح المضمحلة تحت أنقال سلطان كشف توحيد الوجدانية إلى فضاء السرمدية لتجول في سرادق الكبرياء وخيام الملكوت طلباً لمشاهدة جمال الجبروت تخرج مياه دموع العارفين بنيران الوجد من قلوبهم الخالية عن آثار المشاهدة وأيضاً إذا يبست عيون المعرفة في قلوب العارفين من حرارة اليقين وأورقت فيها أشجار الغفلة بأوراق هموم المذمومة ويبست رياحينها بالانقطاع عنها مياه صفاء المعاملة ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآية: 27] أي: ما تشاء من الأوراق الحسية والأخلاق الإنسانية والحالات الدنيوية والأخروية والمقامات العلية الصفية ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 27] أي: بكثرة زائدة عن دائرة الحساب أو بدون محاسبة وعذاب وقد روي مرفوعاً أنه ﷺ ذكر عقيب 110/أ هذا الدعاء المصدر بحسن الثناء حيث قال رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطيها من تشاء وتمنع منها من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك وفيه تنبيه نبيه على أن أحداً لا يوجد ممنوعاً من عطائه سبحانه بالكلية فيوافق ما جاء في الآية ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20] .

وأفاد الأستاذ: بعد قوله ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 27] حتى لا كد ولا جهد ولا عرق جبين ولا تعب يمين ليله روح وراحة ونهاره طرب ومهجة وساعاته كرامات ولحظاته قربات وأجناس أفضاله على التفصيل لا يحصره لسان ولا يأتي على استقصاء كنهه عبارة ولا بيان.

ومن «عرائس النفائس» ترزق العارفين مقام المشاهدة وترزق المشتاقين مقام المكاشفة وترزق المحبين مقام المداناة وترزق الموحدين مقام البقاء والنقاء والصحو والسكر والمحو ترزق العاشقين مقام الجمع والتفرقة وترزق الأحرار مقام التلوين والتمكين بغير حساب أكثر من أن يحصى عدد أسرارها وبعد حقائق أنوارها.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 28] أي: من المشركين والمنافقين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية: 28] أي: أنصاراً وأعواناً وأحباباً وأخذاناً ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 28] أي: مما عدا المخلصين الموافقين كقوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الذِّبْرُ أَمْثُلًا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119] والحاصل أنهم نهوا عن موالاتهم لقربة أو صداقة بجاهلية ونحوها من أغراض نفسية حتى لا يكون حبيهم وبغضهم إلا في الله ولا يقع الاستعانة والاستغاثة إلا بأهل الله.

وأفاد الأستاذ: أن من حقائق الإيمان الموالاة في الله والمعادة في الله وأولى من تسومه الهجران والإعراض من أهل الخذلان نفسك فإنها مجبولة على المجوسية حيث تقول لي وعني وبي وقد قال تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الذِّبْرُ أَمْثُلًا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 123] وأن الإيمان بهذه الطريقة عزيز ومن لا إيمان له بهذه الطريقة من العوام وإن كانوا قد بلغوا من الزهد والجهد مبلغاً عظيماً فليس بأهل لموالاتك والشكل بالشكل أليق والمثل بالمثل أحق ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ [الآية: 28] أي: اتخذهم أولياء ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 28] 110/ ب / أي: من ولايته ﴿فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: 28] يصح أن يسمى ولاية فإن المتعادين لا يجتمعوا موالاة.

وأفاد الأستاذ: أن صحبة الحق سبحانه وقربه لا يكون مقرونة بصحبة الأضداد وقربهم ألبته ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ ثَقَنَةٌ﴾ [الآية: 28] أي: إلا أن تخافوا من جهنم ما يجب اتقاؤه ويؤيده أنه قرأ تقية والحاصل أنه سبحانه منع أوليائه عن موالات أعدائه ظاهراً وباطناً في الأوقات كلها وفي الحالات جميعها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة للضعفاء رخصة وقد روي عن عيسى عليه السلام كن

وسطاً وامش جانباً متوسطاً ومختلطاً في معاشرتهم ومخالفتهم وامش جانباً بعيداً عن موالاتهم وموافقتهم ومنه قول الشاطبي قريباً غريباً مستمالاً مُطْطاً أي: قريباً بالقلب مع الخلق ظاهراً في الجلوة وغريباً بالقلب عنهم باطناً في الخلوة وكما قيل:

ودارهم ما دمت في دارهم (1)

وقد صرح ابن عباس رضي الله عنهما أنه سبحانه يريد مداراة ظاهرة ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [الآية: 28] أي: يخوفكم الله عن مخالفة ذاته تعالى في نفوسكم وما يتبعها من الهوى والميل إلى سوى المولى ﴿وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 28] أي: المرجع والمأوى فلا يتعرضوا لسخطة بموالات أعدائه أو بمعاداة أوليائه.

قال ابن عطاء: إنما يحذر نفسه من يعرفه فأما من لا يعرفه فإن هذا الخطاب زائل عنه ومائل منه.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ: من أن هذا خطاب للخواص من أهل المعرفة فأما الذين نزلت رتبهم عن هذا فقال لهم ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ﴾ [آل عمران: 131] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة: 48] إلى غير ذلك أو المعنى ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [الآية: 28] أن يكون عندكم أنكم رضيتم فإن خفايا المكر تعتري اكابر قال قائلهم: فأمنته فأتاح لي من مأمني مكرراً كذا من يأمن الأحباباً (2)

ويقال ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [الآية: 28] أي: يجري في وهم أحد أنه يصل إليه مخلوق أو يطأ بساط العز قدم همه بشر جلت الأحدية وعزت الصمدية أن من ظن أنه أقربهم إليه ففي الحقيقة أنه أبعدهم عنه.

(1) هذا صدر البيت أما عجزه:

وارضهم ما دمت في أرضهم

وقد نسب إلى أبي نصر محمد بن محمد بن أحمد. انظر: الوافي بالوفيات (59/1) ونسب إلى المغربي علي بن فضال بن علي أبي الحسن. انظر: الوافي بالوفيات (479/6)، والنجوم الزاهرة (2/223) وإلى غيرهم...

(2) ذكره القشيري في تفسيره (42/1) و(300/1) و(37/5).

﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 29] من موالاة الكفار أو معاداة الأبرار
 ﴿أَوْ تُبْذَرُوْهُ﴾ [الآية: 29] أي: تظهروه من جنانكم على لسانكم ﴿يَعْلَمُهُ اللهُ﴾ [الآية: 111/أ] 29 لأن عنده يستوي إخفاؤكم وإعلانكم/خصوصاً ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 29] عموماً جزئياً و كلياً مظهراً ومخفياً وهو إتمام للتحذير لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيء منهما فكيف عليه ما في الضمير ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 29] زيادة تقرير للتحذير من عقاب من لا يعجزه شيء مما تعلق به المشيئة والتقدير.

وقال الأستاذ: لا يعزب معلوم عن علمه فلا يحتشم مع علمه بحالك من نازلة بك تسؤك وعن قريب سيأتيك الغوث والإجابة وعن قريب سيزول البلاء والمحنة ويتعجل المدد والكفاية.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية: 30] أي: صحيفة عملها أو جزاء فعلها ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 30] أي: طاعة وبر وذكر وفكر ﴿مُحْضَرًا﴾ [الآية: 30] أي: معيناً مبيناً ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ [الآية: 30] أي: وكذا ما اكتسبت من معصية وغفلة مستحضرًا ﴿تَوَدُّ﴾ [الآية: 30] أي: تتمنى كل نفس في كل نفس حينئذ ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾ [الآية: 30] أي: وبين سوء أعماله أو وبين ذلك اليوم وهوله ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 30] أي: مسافة بعيدة ومباعدة عميقة لثلا ترى سوء أعماله أو جزاء قبح أفعاله أو شدة أحوال ذلك اليوم وأهواله ﴿وَيُحْذَرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [الآية: 30] أي: في العقبي كما يحذركم نفسه في الدنيا ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 30] عطوف بالعباد فيرجى رحمته وثوابه كما يخشى سخطه وعقابه.

قال الأستاذ: ود أهل الطاعات أن لو استكثروا منها في دنياهم وود أرباب المخالفات أن لو كبحوا لجامهم عن الركض في ميدانهم قال قائلهم: ولو أنني أعطيت من دهري المنى وما كل من يعطى المنى بمسدد لقلت لأيام مضيّن: ألا ارجعي وقلت لأيام أتين ألا ابعدى⁽¹⁾ والإشارة من قوله ﴿وَيُحْذَرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [الآية: 30] للعارفين ومن قوله

(1) نسب إلى أبي العالية. انظر: نور القبس (1/ 78).

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 30] للمستأنفين فهؤلاء أصحاب العنف والعنوة وهؤلاء أصحاب التخفيف والسهولة ويقال لما قال ﴿يَمُرُّكُمْ اللَّهُ فَسَسُّهُ﴾ اقتضى سماع هذا الخطاب تهويلهم فقال مقرونًا به ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ليحقق تأميناً لهم وكذا سنته يطعمهم في عين ما يرووهم ويقال: أفناهم بقوله ﴿يَمُرُّكُمْ اللَّهُ فَسَسُّهُ﴾ ثم أحياهم وأبقاهم ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية: 30] ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 31] وتدعون بغض ما سواه ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ [الآية: 31] في طريق المحنة وتحقيق الطاعة ﴿يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] أي: كما أحبني فإنه يحب من أحبه بل ولولا أنه أحبه ما أحبه فمحبته سابقة ولاحقة فالمرتبة الحبيبية وهي المرتبة 111/ب الجامعة بين المحبة والمحبوبة/خالصة له ﷺ أصالة ولأتباعه على قدر اتباعه تبعية ﴿وَيَنْفِرَ كَأَنَّهُ دُؤِبٌ آفَكٌ﴾ [الآية: 31] بأن يستر عنكم عيوبكم ويظهر عن محبة الغير قلوبكم فيقربكم في جوار قدسه ويطربكم إلى خطار أنسه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 31] لتقصيرات المحبين ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 31] متفضل على المحبوبين ثم من المعلوم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمال فيما سواه فهو من الله ابتداءً وبالله بقاء وإلى الله انتهاء فلا ينبغي لأحد أن يكون حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي أن لا يطيع إلا إياه.

ومن «نفائس العرائس» أن حقيقة المحبة عند العارفين والمحبين احتراق القلب بنيران الشوق وروح الروح بلذة العشق واستغراق الجنس في بحر الأنس وطهارة النفس بنهر القدس ورؤية الحبيب بعين الكل وغمض عين الكل عن الكونين وطيران السر في غيب الغيب وتحلق المحب بخلق المحبوب وهذا أصل المحبة وأما فرع المحبة فهو موافقة المحبوب في جميع ما يرضاه ويقبل بلاءه بنعت الرضا والتسليم في ما قدره وقضاه بشرط مراعاة الوفاء ومتابعة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وأكمل الثناء وأما آداب أهل المحبة والانقطاع عن الشهوات واللذات والمسارة في الخيرات والمبرات والسكون في الخلوات والجلوات ومراقبة الأنفاس والساعات واستنشاق نفحات الصفات والتذلل حال المناجاة ودوام النوافل من العبادات حتى صاروا متصفين بصفات الحق ومنورين بنور الحق بين الخلق وفي

الحديث القدسي والكلام الأنسي لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً وجناناً ويداً ومؤيداً⁽¹⁾ وصرف المحبة لا يكون إلا بعد أن ترى الروح الناطقة بعين السر مشاهدة الحق بنعت الجمال وحسن القدم لا بنعت الآلاء والنعمة لأن المحبة إذا كانت من قوله رؤية للنعماء يكون محبة معلولة وحقيقة المحبة ما لا علة فيما بين المحب والمحبوب شيء سوى المحبوب وقال أبو عمرو بن عثمان المكي محبة الله هي معرفته ودوام خشيته واشتغال القلب واشتغاله وانتصابه بذكره ودوام أنسه وفكره.

أ/112 وقال محمد بن خفيف: المحبة الموافقة لله فيما يحبه/ ويرضاه.

وأفاد الأستاذ: أن قوله سبحانه ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 31] فرق ﴿يُحِبُّنَاكُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] جمع ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 31] مشوب بالعلة ﴿يُحِبُّنَاكُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] بلا علة بل هو حقيقة الوصلة محبة العباد لله حالة لطيفة يجدها السالك من نفسه تحمله تلك الحالة على موافقة أمره بالرضا دون الكراهة وتقتضي منه تلك الحالة إثارة سبحانه على كل شيء وعلى كل أحد وشرط المحبة أن لا يكون فيها حظ بحال فمن لم يغنى عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظية ومحبة الحق سبحانه للعبد إرادة إحسانه إليه ولطفه به وامتنانه عليه وهي إرادة فضل مخصوص فيكون من صفات ذاته وقد يكون بمعنى ثنائه عليه ومدحه له وإيصال جزائه إليه فعلى هذا يكون من صفات فعله ويقال شرط المحبة امتحان كليتك عنك لاستهلاكك في محبوبك وهذا فرق بين الحبيب والخليل قال الخليل: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم، الآية: 36] وقال الحبيب: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] إن كان تابع الخليل نال منه إفضالاً فإن متبع الحبيب محبوب الحق سبحانه مآلاً وكفى بذلك قرينة وحالاً ويقال قطع أطماع الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتداهم وأمامهم سيد الأولين وسيد الآخرين محمد ﷺ ويقال في هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير معلولة وليست باجتلاب لطاعة وتجرد عن

(1) تفسير القرطبي (28/16)، وتفسير البغوي (7/194)، وتفسير الرازي (10/170)، وتفسير النيسابوري (2/136).

آفة لأنه قال ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية: 31] وبين أنه يجوز أن يكون عبد له ذنوب كثيرة ثم يحب الله ويحب الله ويقال: قال أولاً ﴿يُحِبُّكُمْ﴾ [الآية: 31] ثم قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 31] والواو تقتضي الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة للغفران أولاً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُغْفِرُ لَهُمْ﴾ ثم يغفر لهم ويستغفرونه والمحبة توجب الغفران لا العفو يوجب المحبة انتهى كلامه وكأنه أراد أن الترتيب الذكري يفيد الترتيب الوجودي ولا منع أن يكون الواو لمطلق الجمع كما عليه الجميع وأن المغفرة مقدمة على المحبة لأنه سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين فيظهر المحب المذنب أولاً بالتوبة وغيرها من أسباب المغفرة ثم يجعله في مرتبة المحبوبة لأن هذه المنزلة مرتبة على المتابعة والمتابعة هي الموافقة وترك المخالفة كما قيل: إن المحب لمن يحب مطيع/ نعم المحبة الأزلية سابقة على 112/ب المحبة التنجيزية المبنية على تحقق المتابعة كما يشير إليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه.

ثم أفاد الأستاذ: أن المحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حجب الأسنان وهو صفاؤها والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب في السر ومنه أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب والحب حرفان حاء وباء الحاء إشارة إلى الروح والباء إلى البدن فالمحب لا يدخر من محبوه لا بدنه ولا قلبه.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الآية: 32] أي: كونوا على وفق الكتاب والسنة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 32] يحتمل الماضي بمعنى اعرضوا والمضارعة بمعنى فإن تعرضوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 32] لا يرضى عنهم ولا يثيبهم بل يغضب عليهم ويعاقبهم والعدول عن المضممر إلى المظهر للتنبيه على أن غير الكافرين من عصاة المؤمنين لا يخرجون عن درجة المحبوبين لكن فيه إيماء إلى أن المعرضين يحومون حول وادي الكافرين.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 33] أي: إسماعيل وإسحاق وأولادهما معه ﴿وَعِزَّةَ آلِ عِمْرَانَ﴾ [الآية: 33] أي: موسى وهارون ابني عمران أو عيسى وأمه مريم بنت عمران وبين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة ﴿عَلَى الْأَعْلَمِينَ﴾

[الآية: 33] أي: اصطفاهم بالرسالة الربانية والفواضل الروحانية والفضائل الجسمانية على المخلوقات السفلية والعلوية قيل: اصطفى الخواص للمشاهدة والتقريب واصطفى المؤمنين للمطالعة والتهذيب واصطفى العامة للمخاطبة والتأديب كذا في تفسير السلمي.

وقال الأستاذ: اتفق آدم وذريته في الظنية وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذي هو من قبله لا بالنسب ولا بالسبب.

ومن «نفائس العرائس» ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ [الآية: 33] بعلم الصفات وكشف جمال الذات قبل خلق الخلق في أزل الأزال فلما أراد خلق روحه نظر بجماله إلى جلاله وبجلاله إلى جماله فظهر بين النظرين روح آدم فخلقها بصفة الخاص ونفخ في روحه روحاً وهو علم الصفات بفعل الخاص الذي يتعلق بالذات فلا يؤثر في نعوت الأزل ولا طوارق الحدوث آخرأً وأيضاً اصطفاهم لنفسه عن خلقه 113/أ لموقع الخطاب وكشف النقاب لاستعدادهم/ تحمل أثقال أمانته والتعمق في بحار أزليته والسيران في ميادين وحدانيته والطيران في هواء فرادنيته لطلب كشف أحديته وجمال سرمديته والإشارة في نوح وآل إبراهيم أن الاصطفائية في أسباب المحبة الأزلية لا من جهة الأسباب الحديثة.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [الآية: 34] حال من كل حال والمعنى أنهم ذرية واحد متشعبة بعضها من بعض في الملة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 34] بالأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 34] بالأفعال والأحوال.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [الآية: 35] وهي حنة أم مريم جدة عيسى عليه السلام حين رأت طائراً يطعم فرخة فحنيت إلى الولد وتمنته فقالت إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾ [الآية: 35] أي أوجبت على نفسي أن أجعل لأجلك ﴿مَا فِي بَيْتِي مُحَرَّرًا﴾ [الآية: 35] أي: معتقاً لخدمة بيتك أو مخلصاً لعبادتك ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ [الآية: 35] أي: نذري أو مندوري ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 35] بقولي وفعلي ومقدوري.

وأفاد الأستاذ: أن المحرّر هو الذي ليس في رق شيء من المخلوقات حرره الحق في سابق حكمه عن رق الأشغال بجميع الوجوه والأحوال.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ [الآية: 36] أي: ما في بطنها وتأنيثه لأنه كان أنثى ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [الآية: 36] أي: وهي لا تصح أن تكون محرراً فذكرته تحزناً واعتذاراً وتحسراً ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [الآية: 36] أي: بالشيء الذي وضعت وبالأمر الذي نذرت فالجملة استئناف تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر بصيغة المتكلم على أنه من كلامها تسلية لنفسها في عدم حصول مرامها أي: ولعل الله فيه سراً والأنثى كان خيراً ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [الآية: 36] بيان لقوله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت في القضية التي نذرت. قال الأستاذ: لعمرى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [الآية: 36] في الظاهر ولكن إذا تقبلها الحق سبحانه طاح عنه كل أعجوبة في الخاطر ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [الآية: 36] تفاؤلاً لعود فائدة إذ هي في لغتهم بمعنى عائدة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ [الآية: 36] أجبرها بحفظك ﴿وَوَدَّيْتَهَا﴾ [الآية: 36] أي: أولادها على فرض وجود ولادتها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [الآية: 36] أي: المطرود من باب الكريم الرحيم والله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة من أمهما كما روي عنه ﷺ ما من/ مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا 113/ب مريم وابنها⁽¹⁾ والحديث يفيد أن الإعاذة إنما صدرت من حنة قبل وضع مريم وأن الواو لمطلق الجمع من غير مراعاة الترتيب الذكرى تكملة لدعائها.

﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا﴾ [الآية: 37] فرضي بها في النذر مكان الذكر المحرر المقرر محلها ﴿يَقْبُولُ حَسَنَ﴾ [الآية: 37] بوجه حسن مقبول.

وقال الأستاذ: حيث بلغها فوق ما تمت أمها ويقال حتى أفردا لطاعته وتولاها بما تولى به أولياءه من خاصته وأفضى العجب جميع من في عصرها من حسن تولية أمرها ويقال: القبول الحسن حسن تربيته لها مع علمه سبحانه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3431)، ومسلم في الصحيح (2366/146).

بأنه يقال فيه بسببها ما يقال فلم يبال بقبح مقال الأعداء:
أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليلمني اللوم⁽¹⁾
وكما قيل:

ليقل من شاء ما شاء فإنني لا أبالي

ويقال القبول الحسن أن رباها على نعت العصمة نقياً حتى كانت تقول:
﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ [مريم: 18] ﴿وَأُنَبِّئُهَا نَبَأًا حَسَنًا﴾ [الآية: 37]
أي: رباها تربية صالحة لها مصلحة لأعمالها في جميع أحوالها.

وقال الأستاذ: أنبئها نبأاً حسناً حتى استقامت على الطاعات وآثرت
رضاء سبحانه في جميع الأوقات وحتى كان الثمرة منها عيسى عليه السلام
ابنها وهذا هو ذا النبات الحسن والثمر المستحسن ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [الآية: 37]
قرأ الكوفيون بتشديد الفاء وقصر زكريا إلا أن شعبة يقرأ مهموزاً منصوباً على أنه
مفعول ثانٍ وأن الفاعل هو الله تعالى فالمعنى جعله كافلاً لها وضامناً لمصالح
حالتها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعاً فالمعنى ضمن زكريا القيام بأمرها فبنى
غرفة يسمى محراباً بالمسجد لها لا يرقى إلا بسلم إليها.

وأفاد الأستاذ: أن من القبول الحسن والنبات الحسن أن جعل كافلاً لها
والقيم بأمرها وحفظها نبياً من الأنبياء عليهم السلام مثل زكريا وقد أوحى الله
إلى داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا
الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [الآية: 37] روي أنه كان لا يطلع غيره إليها وإذا خرج
114/ أ أغلق الباب عليها ثم كان يجد فاكهة الصيف/ في الشتاء وبالعكس لديها فعند
ذلك ﴿قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [الآية: 37] من أين لك هذا المرزوق والحال أن
الباب عليك مغلق ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 37] فإنه لا رازق سواه ﴿إِنَّ
اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 37] أي: بغير احتساب أو بغير محاسبة
وعتاب.

(1) نسب إلى أبي الشيص. انظر: العقد الفريد (2/ 342)، وشرح ديوان الحماسة (1/ 420).

وأفاد الأستاذ: أن من إمارة القبول الحسن أنها لم تكن توجد إلا في المحراب ومن كان مسكنه وموضعه الذي فيه يتعهد ويتفقد هو المحراب فذلك عبد عزيز في الباب وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية: 37] إيضاح عن عين التوحيد وأن رزقه للعباد وإحسانه إليهم بمقتضى مشيئته وإرادته دون أن يكون معللاً بطاعة أحد ووسيلة عبادته.

﴿هَٰذَا لَكَ﴾ [الآية: 38] أي: في ذلك المكان أو الزمان ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [الآية: 38] أي: كما وهبتها لحنة أو كما رزقت مريم الفاكهة ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [الآية: 38] معجيب للدعاء.

وقال الأستاذ: لما رأى كرامة الله سبحانه معها ازداد يقيناً على يقين ورجاء على رجاء فسأل الولد على كبر سنه وكانت تلك الإجابة نقضاً للعادة ويقال: أن زكريا عليه السلام سأل الولد ليكون عوناً له على الطاعة ووارثاً من نسله في النبوة وليكون قائماً بحق الله فلذلك استحق الإجابة فإن السؤال إذا كان لحق الحق لا لحظ النفس لا يكون له الرد وكان زكريا عليه السلام يرى الفاكهة الصيفية عند مريم في الشتاء وبالعكس فسأل الولد حال الكبر ليكون له آية ومعجزة أي: كما كان وجود الفاكهة لها آية وكرامة.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية: 39] قرأ حمزة والكسائي بالتذكير والإمالة لأن الفاعل مؤخر وهو مؤنث غير حقيقي والباقون بالتأنيث باعتبار جماعة من الملائكة وهو جبريل ومن معه ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [الآية: 39].

أفاد الأستاذ: أن من له إلى الملوك حاجة فعليه بملازمة الباب إلى أن يستجاب ويقال: إن الله سبحانه حكم أنه إنما يقبل بالإجابة على من هو موافق للخدمة فأما من أعرض عن الطاعة فإنه ألقاه في ذل الوحشة.

ومن «نفائس العرائس» أن المحراب مقر العباد وملجأ الزهاد ومعصم المتوكلين ومحبس المشتاقين ومسند الراضين وبستان المحبين وسرور المريدين ورياض العاشقين/ وكعبة المستأنسين وحرم المؤمنين وفوز القائلين 114/ ب وقيد الموحدين وستر الشاطحين ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [الآية: 39] أي: بأن الله وقرأ

ابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة الفعل أو لأن النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي ببشر ﴿يَبْشِرُ مَصِدَقًا يَكْمُرُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 39] أي: بعيسى عليهما السلام وسميت بها لأنه وجد بكلمة كن في شأنه أو لتكلمه في غير أوانه وهو حال مقدرة ويحيى اسم عجمي وقيل: عربي.

قال الأستاذ: قيل: سمي يحيى به لحياة قلبه بالله ولسان التفسير أنه حي به عقر أمه وقيل: لأنه سبب حياة من آمن به بقلبه ﴿وَسَيِّدًا﴾ [الآية: 39] كريماً على ربه ويسود قومه ويفوقهم ومن سيادته المحضة أنه قطع لهم بالمعصية ولا يبعد أن يقال السيد هو الحر الذي لم يستعبده هواه ولم يسترقه دنياه فيكون عبداً مختصاً لله معتوقاً عن قيد ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل له سيداً لأنه لم يطلب لنفسه مقاماً ولا شاهد لنفسه قدراً ولما أخلص في تواضعه لله بكل وجه رقاها على الجملة وجعله سيداً للجميع ﴿وَحَصُورًا﴾ [الآية: 39] أي: مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات ومنعها عن اللهوات مع القدرة على حصول اللذات روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 39] أي: الكاملين في الصلاح الواصلين إلى كمال الفلاح ممن لم يأت كبيرة ولا صغيرة من الجناح.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [الآية: 40] استبعاداً من حيث العادة أو استعظاماً وتعجباً من هذه الحالة ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ الْكِبَرُ﴾ [الآية: 40] أدركني كبر السن وأثر في ضعف القوى وكان له من السن تسع وتسعون أو مائة وعشرون ﴿وَأَسْرَأَنِي عَاقِرٌ﴾ [الآية: 40] وكان لها من العمر ثمان وتسعون ﴿قَالَ﴾ [الآية: 40] أي: الله أو الملك ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَقَعُ مَا يُشَاءُ﴾ [الآية: 40] أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر فإنه على كل شيء قادر.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [الآية: 41] علامة أعرف بها حبل المرأة لأستقبله بالشكر والبشاشة ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا أَنْ تَكَلِمَ النَّاسَ﴾ [الآية: 41] أي: أن لا تقدر على

تكليم الناس ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 41] مع أنك صحيح سوي تقدر على الحمد والتسبيح والذكر وإنما حبس لسانه عن مكالمة الخلق خاصة لتخلص/ المدة لذكر 115/أ
الله وشكره قضاء لحق النعمة فكأنه قال: آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر والذكر فإن أحسن الجواب ما اشتق عن السؤال ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ [الآية: 41] أي: بالرمز والإشارة بنحو يد أو رأس أو حاجب ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ [الآية: 41] بلسانك وجنانك ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية: 41] أو زماناً كثيراً فإن الأذكار ليس لها وقت معين ولا قدر مبين ﴿وَسَبِّحْ بِالْفَاشِ وَالْإِنْكَارِ﴾ [الآية: 41] من طلوع الفجر إلى الضحى فما بينها وقت القيلولة من النهار وزمان المشغلة المقتضية للغفلة.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية: 42] بأن سمعت كلامهم وشهادتهم أو هتفوا بها وما رأتهم ﴿يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ [الآية: 42] أي: بما لطف بك واجتباك حتى انقطعت إلى طاعته وتجردت إلى عبادته ﴿وَوَهَبْنَاكِ﴾ [الآية: 42] أي: من ملامسة الرجال وعن مساوىء الأحوال ﴿وَأَصْطَفَاكِ﴾ [الآية: 42] أي: فضلك واختارك ﴿عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 42] أي: مطلقاً أو عالمي زمانها لما صح من أن مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها⁽¹⁾.

﴿يَمْرِيْمُ أَقْنِي﴾ [الآية: 43] أي: قومي ﴿لِرَبِّكِ﴾ [الآية: 43] أي: لطاعته أو لمرضاته ﴿وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [الآية: 43] أمرت بالصلاة مع الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة على شأنها وقدم السجود مع أنه مؤخر في الوجود لكونه كذلك في شريعتهم أو للاهتمام بشأن السجود والركوع مع أن الواو لا توجب الترتيب في الوقوع أو المراد بالقنوت إدامة الطاعة وبالسجود الصلاة وبالركوع الخشوع والخضوع.

قال الأستاذ: أي لازمي بساط العبادة وداومي على الطاعة ولا تقصري في استدامة الخدمة فكما أفردك الحق بمقامك وتعظيم شأنك كوني في عبادته أوجد زمانك.

(1) مسند الحارث زوائد الهيثمي (2/ 909) رقم (990)، والمطالب العالية (11/ 241) رقم (4053).

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 44] أي: ما ذكر من قصة مريم وزكريا ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْفَيْبِ﴾ [الآية: 44] أي: أخبار ما غاب عنك ﴿تُوجِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 44] أي: نمليه عليك ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ [الآية: 44] أي: عندهم ﴿إِذْ يُقُوتُ أَقْلَهُمْ﴾ [الآية: 44] أي: أقداحهم بالاقتراع ليعلموا ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 44] أي: في تربيتها وحضانتها ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية: 44] تنافساً في كفالتها وذلك أن حنة⁽¹⁾ ولدت مريم أتت بها سدة بيت المقدس وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فتنافس فيه الأحبار وتنازع فيه الأخيار حتى اقترعوا عليها فخرجت القرعة لزكريا.

115/ب وقال الأستاذ/ : أي هذه القصص نحن عرفناكمها وخاطبناكم بمعانيها وإن قصصنا نحن عليك هذا بعزیز خطابنا أعز وأتم من أن لو كنت مشاهداً لها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشْرِكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: 45] أي: بمن حصل لمجرد كلام من الله من غير أب ﴿أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 45] المسيح بمعنى المبارك لقبه وعيسى علمه وفي الخطاب بها تنبيه لها على أنه يولد من غير أب إذ الولد لا ينسب إلى الأم إلا عند فقد الوالد ﴿وَجِيهًا﴾ [الآية: 45] أي: ذا وجهة ومكانة وهو حال مقدرة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 45] بالنبوة والشفاعة ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية: 45] إشارة إلى علو درجته في الجنة.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [الآية: 46] حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت في مراتب الأبناء وفيه الإيماء بأنه يعيش سالماً من كيد الأعداء ﴿وَمِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [الآية: 46] كاملين في الصلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده في الدين.

قال الأستاذ: لم يشرها بنصيب لها في الدنيا ولا بحظ لها في الأخرى ولكن بشرها بما أثبت في ذلك من عظيم الآية وكونه نبياً لله مؤيداً بالمعجزة ويقال ربط على قلبها بما عرفها أنه إذا لم ينطق لسانها بذكر براءة ساحتها ينطق الله عيسى عليه السلام بما يكون دلالة على صدقها وجلالتها.

(1) هي امرأة عمران واسمها حنة بنت فاقوذ بن قنيل. انظر: تفسير الطبري (6/ 328).

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [الآية: 47] استفهام تعجب واستعظام واستبعاد عادي لما في ما بين الأنام ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 47] .

وأفاد الأستاذ: أن المعنى كما شاهدت ظهور الأشياء ناقضة للعادة في رزقنا لك فكَذَلِكَ ينقض العادة في خلق ولد من غير ميسس بشر ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ [الآية: 47] إذا أراد إمضاء حكم أو وجود شيء ﴿فَلَنَمَّا يَقُولُ لَكُمُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية: 47] إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجة مرتبة يقدر أن يخلقها دفعة واحدة فلا يتعسر عليه إبداء ولا يصعب عليه إنشاء.

﴿وَيَعْلَمُ﴾ [الآية: 48] أي: نحن وقرأ نافع وعاصم بالياء أو يعلمه ﴿الْكِتَابَ﴾ [الآية: 48] أي: الكتابة أو جنس الكتب المنزلة عموماً ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 48] خصوصاً.

﴿وَسُؤْلًا﴾ [الآية: 49] أي: وبرسلة مرسلاً ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 49] معلماً ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: بمعجزة ظاهرة ودلالة قاهرة وعلامة باهرة هي ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ [الآية: 49] وقرأ نافع بالكسر/أي: 116/أ قائلاً إني أقدر لأجلكم وأصور ﴿مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [الآية: 49] أي: شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ [الآية: 49] أي: في ذلك المماثل ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 49] فيصير ﴿طَيْرًا﴾ [الآية: 49] وقرأ نافع طائراً ﴿يَاذَنُ اللَّهُ﴾ [الآية: 49] أي: بأمره وتيسيره ﴿وَأُزَيِّرُ الْأَكْمَةَ﴾ [الآية: 49] الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ [الآية: 49] ونحوهما مما عجز عنه الأطباء ﴿وَأُخَيِّ الْمَوْتَى﴾ [الآية: 49] أي: الحقيقية والحكمية ﴿يَاذَنُ اللَّهُ﴾ [الآية: 49] إعادة لدفع توهم دعوى الألوهية فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية: 49] الآن ﴿وَمَا تَخْشَوْنَ﴾ [الآية: 49] لاستقبال الزمان ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية: 49] من المغيبات التي لا تشكون فيها من أفعالكم وأحوالكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 49] أي: في كل ما ذكر ﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ [الآية: 49] أي: علامة عظيمة على صدق دعوى الرسالة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 49] أي: مصدقين للحق غير معاندين أو مريدين للإيمان موفقين.

﴿وَمَصَدَقَ﴾ [الآية: 50] عطف على رسولا أي: وموافقاً ﴿لِمَا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [الآية: 50] النازلة إليكم لأمركم بما في كتاب لديكم ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 50] في شريعة موسى نبيكم من الشحوم والسمك ولحم الإبل والعمل في السبت ونحو ذلك ﴿وَجَعَلْتُكَ يَدَايَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 50] أي: بحجة على صدقي في إخباري لكم وأفردها مع أنها آيات متعددة لأنها في جنس الدلالة متحدة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 50] ولا تبالوا مما سواه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية: 50] فيما أمركم وأنهاكم على وفق هداة.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَكِيبٌ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية: 51] أي: وحدوه ﴿هَذَا﴾ [الآية: 51] أي: طريق التوحيد والدين القويم ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الآية: 51] الموصل إلى جنة النعيم وقرب الرب الكريم وختم الكلام بالاستقامة فإنها أفضل من ألف كرامة.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ [الآية: 52] أي: أدرك من قومه آثار إصرار الكفر وعدم رجوعهم إلى التوبة بالإيمان والشكر ﴿قَالَ مَن أَنصَارِي﴾ [الآية: 52] أي: من أعوان ديني وخلان يقيني ممن يقيني من أعدائي ملتجئاً ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 52] غير ملتفت إلى ما سواه ﴿قَالَ الْغَوَارِيُّونَ﴾ [الآية: 52] أي: أصحابه المخصوصون في محبتهم الثابتون في ملتهم بخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الآية: 52] أي: أنصار دينه وأعوان نبيه ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية: 52] وتبرأنا مما سواه ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 52] أي: منقادون مخلصون.

وأفاد الأستاذ: أنه حين بلغهم الرسالة واختلفوا في اختيار الموافقة 116/ ب فمنهم من صدقه ومنهم وهم الأكثرون من كذبه علم أنه لا ينفك أمر النبوة/ من البلاء وتسليط الأعداء انقطع عنهم قلبه وصدق إلى الله قصده وقال لقومه ﴿مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ومن يساعدي على التجرد لحقه والخلوص في قصده فقال من انبسط عليه بآثار العناية واستخلص بآثار التخصيص بالهداية ما ظهر من كلامه أنه تعلق به الرعاية.

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ﴾ [الآية: 53] أي: علينا وأعلننا ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الآية: 53] فيما أمرنا ونهانا ﴿فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية: 53] بوحدتك

والقائمين بخدمتك أو من أمة محمد ﷺ الذين يشهدون يوم القيامة على سائر الأمم.

قال ابن عطاء: آمنا بما نور به قلوب أصفياك من علوم غيبك واتبعنا الرسول فيما أظهر من أوامرك ونواهيك أن يوصلنا اتباعه إلى محبتك فاكبتنا مع من يشهدك ولا يشهد معك سواك.

﴿وَمَكْرُوا﴾ [الآية: 54] أي: الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن سلطوا عليه من يقتله خفية خيفة من الحواريين ﴿وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: عاملهم معاملة مكرهم بأن رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد قتله حتى قتل بدله والمكر من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها إلى مضرة لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والمشاكلة أو بمعنى المجازاة أو مماثلة المعاملة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ [الآية: 54] أي: أقواهم وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يتصور.

وقال محمد بن علي: مكروا أنفسهم فحسن الله مكرهم عندهم وكان في الحقيقة الماكر بهم لتربيته ذلك عندهم ألا تراه يقول ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8].

ومن «نفائس العرائس» سقطوا عن مشاهدة سابق مكر الحق فاحتالوا مع أهل الولاية بتدبير النفس فكان مكرهم مكر الحق عليهم وهم لا يعلمون أنهم مخدوعون وسئل بعض أهل الحقيقة كيف نسب المكر إلى الله فصاح وقال لا علة لصنعه وأنشأ يقول:

فديتك قد جبلت على هواكا فنفسي لا تنازعني سواكا
ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاك
أحبك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي حراكا⁽¹⁾

وحاصله أن في الصفات السبحانية ما هو مستحسن كالتكبر والتجبر

(1) نسب إلى رجل يقال له فلان الطبراني. انظر: الكشكول (1/ 83).

والمنة على خلاف النعوت الإنسانية.

أ/117 ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ هَٰذَا وَتَمُوتْ﴾ [الآية: 55] أي: قابضك/ من غير موت لك وافياً تاماً لم ينالوا شيئاً منك أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى العلويات ﴿وَرَأَيْكَ﴾ [الآية: 55] إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ﴿وَمَطَّهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 55] من سوء جوارهم وقصدهم إذ ذاك بإمكارهم.

وأفاد الأستاذ بقوله: ﴿مُتَوَفِّيك﴾ [الآية: 55] عنك وقابضك منك ﴿وَرَأَيْكَ﴾ [الآية: 55] عن نعوت البشرية ﴿وَمَطَّهِرُكَ﴾ [الآية: 55] من إرادتك بالكلية حتى تكون مصرفاً بنا لنا ولا يكون عليك شيء من اختيارك ويكون إسبال القول عليك قائماً عنك وبهذا الوصف كان يظهر على يده إحياء الموتى وما كانت تلك الأحداث حاصلة إلا بالقدرة جلت ويقال: طهر قلبه عن مطالعة الأغيار ومشاهدة الآثار والأمثال في جميع الأحوال والأطوار ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ [الآية: 55] أي: ومصير أتباع دينك من المؤمنين بك ولو في الصورة ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْيُسُوءِ﴾ [الآية: 55] بغلبة الحجة أو بقوة الشوكة إذا لم يتفق لليهود ملك ودولة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ [الآية: 55] أي: مرجعك ومرجعهم من مؤمنهم وكافرهم ﴿فَأَنصَحُكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 55] من أمر دينكم وبيان الحكم قوله:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 56] أي: بالعقاب ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ [الآية: 56] أي: مانعين ودافعين في كل باب.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية: 57] من ارتكاب المأمورات واجتناب المحظورات ﴿فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الآية: 57] بالنون لغير حفص أي: فنجازيهم جزاءً وافياً بإعطاء المثوبات ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 57] فلا يرفع لهم الدرجات بل يوقعهم في الدركات.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 58] ما سبق من نبأ عيسى وغيره ﴿تَتْلُوهُ﴾ [الآية: 58] أي نقرؤه ﴿عَلَيْكَ﴾ [الآية: 58] بلسان جبريل ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 58] حال كونه من الدلالات الواضحات على نبوتك والمعجزات اللاتحات على رسالتك فإنه من

العلوم الغيبية التي لا يطلع عليها إلا الذي أطلعك وأعلمك بها ﴿وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 58] أي: ومن الذكر المشتمل على الحكم والأحكام على وجه الإتيان والأحكام والمراد به القرآن أو اللوح المحفوظ.

وقال الأستاذ: نعرفك يا محمد حق معانيه بما يوحى إليك لا بتكلفك ما تصل إلى علمه وتتعلمك من الامتثال أو استنباطك بنوع من الاستدلال.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ [الآية: 59] أي: شأنه الغريب ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في الخلق والإنشاء ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [الآية: 59] / بل قضية آدم أغرب وخلقته أعجب أن عيسى خلق من أم بلا أب وآدم من غير أب وأم بل ﴿خَلَقْتُم مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الآية: 59] جعله طيناً ثم صلصالاً ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ [الآية: 59] بشراً بنفخ الروح فيه إدخالاً ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية: 59] أي: فكان والعدول لحكاية الحال الماضية مع مراعاة الفواصل الماضية والآتية.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خصهما بتطهير الروح عن النتائج في الأصلاب وأفرد آدم بصفة البدء وعيسى بنفخ الروح فيه على وجه الإعزاز والإغراب وهما وإن كانا كبيرى الشأن فنقص الحدثان والمخلوقية لازمة لهما .

﴿الْحَقُّ﴾ [الآية: 60] المطابق للصدق المطلق من ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 60] ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ [الآية: 60] أي: من جملة الشاكين فضلاً عن أن يقع منك شك في الدين وهذا نهى تكوين له ﷺ مفيد للتمكين ومانع من التلوين ولذا قال ﷺ لما نزل ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلْ﴾ [يونس: 94] فسئل⁽¹⁾: ولا أشك ولا أسأل وحاصله الأمر بالشبات على اليقين أو الخطاب له والمراد غيره من المؤمنين.

وقال الأستاذ: فلا تشكن يا محمد في أنه لا يماثله في الإيجاد أحد ولا على إثبات سنية سيد لمخلوق قدره والموجودات التي حقت بوجودها عن كتم العدم من الله بدوها وإليه عودها.

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211)، وأبو داود في السنن (4/ 489) رقم (5112).

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ [الآية : 61] أي: خاصمك وجادلَكَ من النصارى وغيرهم في شأن عيسى ونحوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الآية : 61] أي: من الآيات المبينات للعلوم اليقينية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ [الآية : 61] أي: هلموا بالرأي والعزم منا ومنكم ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية : 61] أي: يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله إلى المباهلة وقدمهم على الأنفس فيما رتبهم لأن الشخص يخاطر بنفسه لهم ويحارب عدوه دونهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [الآية : 61] أي: نتباهل ونتضرع إلى الله في الدعاء ليجعلنا من المقبولين ﴿فَنَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية : 61] أي: طرده وإبعاده على من يكذب منا ليتبين المحق والمبطل ممن حضر مجلسنا روي أن وفد نجران جادلوه ﷺ في أمر عيسى عليه السلام فدعاهم إلى المباهلة فقالوا: حتى ننظر فلما تخالوا وتشاوروا قالوا للعاقب 1/118 أ وهو صاحب رأيهم الثاقب ماذا ترى في هذا الأمر فقال والله لقد عرفتُم/ نبوته ولقد جاءكم بالبيان الفصل في شأن صاحبكم والله ما بأهل قوم نبياً إلا هلكوا فإن أبيتم إلا إلف دينكم فصالحوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفهم رضي الله عنهم وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا فقال: أسقفهم وهو أعلمهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسحوا قرده وخنازير ولا اضطرم عليهم الوادي ناراً ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر⁽¹⁾ وفيه دليل عظيم على تحقق نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته .

وقال الأستاذ: يعني بعدما ظهرت على صدق ما يقال لك وتحققت بقلبك معرفة ما خاطبك فلا تحشم من حملهم على المباهلة وثق بأن لك القهر والنصر فإننا توليناك وفي كنف قربنا آييناك ولو أنهم رغبوا في هذه المباهلة لأضرمت الأودية عليهم نيراناً مؤجحة ولكن أخر الله سبحانه ذلك

(1) تفسير البضاوي (46/1).

عنهم لعلمه بمن في أصلابهم من المؤمنين والإشارة في هذه الآية ولمن نزلت حالته عن أحوال الصديقين فإنه إذا ظهرت أنوارهم انخس آثار هؤلاء فلا قرار ولا عنهم آثاراً.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الآية: 62] أي: الذي أوحينا إليك ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [الآية: 62] أي: الإخبار الصدق الدال على التوحيد المطلق ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية: 62] أي: ليس من يستحق أن يعبد سواه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 62] أي: المنعوت بالقدرة التامة والحكمة البالغة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 63] أي: هم وأنتم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 63] أي: بهم وبكم من أهل الفساد في أمر دنياكم ودينكم.

وأفاد الأستاذ أنه لا يتسلط على شواهد التوحيد غبار شبهه ولا يدرك سر حكمه سبحانه وهم مخلوق ولا يدانيه معلوم حصره الوجود أو موهوم يصوره التقدير فإن تولوا يا محمد فإنه لا ثبات عند شعاع نورك لشبهة مبطل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 63] إما أن يجتاحهم أو يحلم عنهم حتى إذا استمكن 118/ب ظنونهم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون ولا ينصرون.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 64] يعم أهل الكتابين ومن يجري مجراهم في الخطاب ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ [الآية: 64] أي: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الآية: 64] مما لا يختلف فيه الرسل الواردة عليكم والكتب المنزلة إليكم والكلمة يطلق على الجملة وتفسيرها ما بعدها وهي ﴿أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية: 64] أي: نوحده بالعبادة ونخلصه في الطاعة ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ من الإشراك لا جلياً ولا خفياً ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ولا نطيع الرهبان والأحبار فيما أحدثوا من الأحبار والمقصود انقطاع الرؤية عن المكونات كما قاله السلمي ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 64] أي: أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 64] منقادون للطاعة على طريق التفريد.

وأفاد الأستاذ: أن الكلمة هي كلمة التوحيد وإفراد الحق سبحانه في إنشاء الأشياء بالشهود وقوله ﴿أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية: 64] لا تطالع بسرك

مخلوقاً فكما لا يكون غيره معبودك لا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك وهذا هو اتقاء الشرك وأنت أول الأغيار الذين يجب أن لا يشهدهم وقوله ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ فيظهر صدق هذا بترك المدح والذم لهم ونفي الشكوى عنهم وتنظيف السر عن حسابان ذرة من المحو والإثبات منهم قال ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل⁽¹⁾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 65] أي: لم تخاصمون في حقه وتصرفونه عن الملة الحقيقية وتنسبونه إلى اليهودية والنصرانية ﴿وَمَا أُنْزِلَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِي﴾ [الآية: 65] الجملة حالية والمعنى أن إبراهيم كان قبل موسى بألف سنة وقبل عيسى بألفين فكيف يكون إبراهيم تابِعاً لهما ومتبعاً لدينهما ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 65] قبح المقال وادعاء المحال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ضرب على خيله نقاب الضنة وحجاب الغيرة فقطع سببه عن جميعهم بعد ادعاء الكل فيه بتعارض شبههم.

﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 66] أي: تنبهوا أنتم المخاطبون الغافلون يا هؤلاء المجادلون الجاهلون ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية: 66] أي: فيما زعمتم به 119/ أ في الجملة ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية: 66] بالكلية كقضية/ الحنيفية واليهودية والنصرانية ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية: 66] ما حاججتم فيه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 66] جاهلون به.

وقال الأستاذ: يعني ما كان في كتابكم له بيان ويصح أن يكون لكم عليه برهان فخصهم في ذلك إما بحق وإما بباطل فالذي ليس لكم البتة عليه دليل ولا لكم إلى معرفته سبيل فكيف تصديتم للحكم فيه وادعاء الإحاطة به.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [الآية: 67] تصريح بما علم ضمناً ﴿وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا﴾ [الآية: 67] أي: مائلاً عن العقائد الزائغة وفيه نوع من التعريض والكتابة ﴿مُسْلِمًا﴾ [الآية: 67] أي: منقاداً لأمر الله ومستسلماً لما قدره وقضاه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6147)، ومسلم في الصحيح (2256/2).

وهذا التوحيد المطلق الذي أجمع عليه أهل الحق وليس المرام أنه على ملّة الإسلام فإنه مشترك الإلزام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 67] رد لادعاء المشركين أنهم على ملّة إبراهيم عليه السلام.

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 68] أي: أخصهم منه وأقربهم به ﴿لَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [الآية: 68] من أمته الثابتين على ملّته ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ [الآية: 68] أي: من ذريته ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 68] على طريق موافقته ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 68] أي: ناصر جميع المؤمنين إذا كانوا من أرباب اليقين.

قال الأستاذ: ولأنهم تولوا دينه ووافقوا توحيده ثم ولاية الله إنما تكون بالعون والنصرة والتخصيص والقربة.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: تمنوا أن يضلوكم وعن طريق الحق يدفعوكم ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 69] فإن المؤمنين لا يقبلون شيئاً من أقوالهم فيرجع إلى أنفسهم وبال ضلالهم وقصد إضلالهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 69] بتشغيل وزره عليهم وعود وباله إليهم واختصاص ضرره بهم.

وأفاد الأستاذ: أن من حلت به فتنة وأصابته محنة واستهوته غواية رضي لجميع الناس ما حل به من البلية فأهل الكتاب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 70] أي: المنزلة في الكتب الدالة على حقية ملّة الإسلام وصدق دعوى نبوة محمد عليه السلام ﴿وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الآية: 70] صدقها في كتبكم أو تشهدون المعجزات الملزمة لكم.

قال الأستاذ: وأنتم تشهدون قبل بعثته على صحة نبوته فما الذي حملكم على غيكم حتى جحدتم ما علمتم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونُ﴾ [الآية: 71] أي: تخلصون/ ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ 119/ ب [الآية: 71] أي: بالتحريف والتزوير وإبراز الباطل في صورة الحق المنير ﴿وَتَكْفُمُونَ

أَلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 71] أي: والحال أنكم عالمون غير ناسين ولا ساهين ولا جاهلين بل متعمدين قاصدين ضالين مضلين.

قال الأستاذ: فهل هذا إلا حكم الخذلان وقضية الحرمان ثم أخبر أن منهم من ينافق في حالته فيريد أن يندفع عنه عوادي المسلمين ولا يخالف إخوانه من الكافرين فتواصوا فيما بينهم بموافقة المسلمين جهراً والخلوص في عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سرّاً بقوله:

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 72] أي: بالقرآن وما يقتضي أمره ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِتْنَةٍ أَجْرَهَا﴾ [الآية: 72] أي: أوله وصدوره ﴿وَأَكْثَرُوا فِيهَا لَعْنًا﴾ [الآية: 72] أي: عن دينهم ويشكون في يقينهم ظناً منهم أن كفر مخالفهم بعد موافقتهم صدر عن شبهة توجب وهن أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن نفاقهم كشف للمسلمين وأن ذلك لا ينفعهم في الدين أما في الدنيا فإطلاع الله نبيه والمؤمنين عليه وأما في الآخرة فلفقد إخلاصهم فيه.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [الآية: 73] أي: لا تقروا عن تصديق قلبكم ويقينكم إلا لأهل دينكم.

وقال الأستاذ: يحتمل أن يكون هذا ابتداءً أمر من الله للمسلمين والإشارة فيه ألا تعاشرُوا الأضداد ولا تفسحوا أسراركم للأجانب والأنداد ويؤيده ما نقله السلمي عن بعضهم لا تعاشرُوا إلا من يوافقكم على أحوالكم وطرائقكم ولكن يلائم الأول قوله ﴿قُلْ إِنَّا أَلْهَيْنَا هَذَا لِلَّهِ﴾ [الآية: 73] أي: الهدى الحقيقي هو الهدى الموصل إلى توحيد الحق وتفريده عما سواه فيخص من عباده من يشاء إلى هداة والجملة معترضة بين المتعلّق والمتعلّق قوله: ﴿أَنَّ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيَتْهُمُ أَوْ يُعَاجِلُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية: 73] والمعنى لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفسوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا يكون لهم حجة على أتباعكم وقرأ ابن كثير بزيادة همزة الاستفهام الإنكاري والمعنى يتصور إيتاء أحد غيركم مثل ما أوتيتم حتى

يحتاجوكم عند ربكم فيدحضوا حججتكم ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 73] فهو الذي يختص من يشاء بأنوار العرفان ويختص من يشاء بحكم الخذلان والحرمان.

﴿يَخْنُصُ رَحْمَتِيهِ﴾ [الآية: 74] أي: بأنواع نعمته ومن جملتها إدخال جنته وإيصال/ قربته وإفضال رؤيته ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 74] وفق ما يشاء ﴿وَاللَّهُ ذُو 120/ أ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية: 74] على من تعلقت مشيئته باختصاص رحمته وامتيار نعمته بتوفيق ديانه ورعاية أمانته.

وأفاد الأستاذ: أن الرحمة تكون بمعنى النبوة والولاية والعصمة وجميع أقسام الخيرات التي يختص بشيء منها عبداً من عباده يدخل تحت قوله ﴿يَخْنُصُ رَحْمَتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 74] أي: بنعمته من يشاء فقوم اختصهم بنعمة الأخلاق وقوم اختصهم بنعمة الأرزاق وقوم اختصهم بنعمة العبادة وآخرين بنعمة الإرادة وآخرين بتوفيق الظواهر وآخرين بتحقيق السرائر وآخرين بعتاء الأبخار وآخرين بقاء الأسرار قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ نَعْدُوا نَمَتَ اللَّهُ لَا تُحْصُوهُآ﴾ [النحل: 18] ويقال لما سمع قوله ﴿يَخْنُصُ رَحْمَتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 74] علموا أن الوسائل ليس بها شيء وإنما الأمر بالابتداء والمشية.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقَنْطَارٍ﴾ [الآية: 75] أي: مال كثير ومتاع كبير ﴿يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 75] كعبد الله بن سلام رضي الله عنه استودعه قرشي ألفاً ومائتين أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ﴾ [الآية: 75] أي: نحوه من درهم وشيء قليل ﴿لَا يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 75] كفضاحص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [الآية: 75] أي: إلا مدة دوامك أيها الطالب قائماً على رأسه مبالغاً في مطالبته للمآرب ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 75] أي: ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَكِيلٌ﴾ [الآية: 75] أي: ليس علينا في شأن من لم يكن على ديننا عقاب ولا ذم وعتاب ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ﴾ [الآية: 75] في ادعائهم ﴿وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿[الآية: 75] أن هذا من افترائهم والحاصل أنهم استحلوا حرمة من خالفهم وقالوا لم يجعل في كتابنا احتراماً لهم.

﴿بَلَى﴾ [الآية: 76] أي: عليهم سبيل منهم ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ [الآية: 76] في الإيمان وأداء الأمانة ﴿وَأَتَّقَى﴾ [الآية: 76] بترك العصيان والخيانة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 76] للشرك والطغيان فيجازيهم بالإحسان ويعاقب غيرهم بالخسران والحرمان.

وقال الأستاذ: أخبر أنهم مع كفرهم وأنواع ضلالهم وإضلالهم متفاوتون 120/ب في أخلاقهم وأحوالهم وكلهم خونة في أمانة الدين/ ولكن منهم من يرجع إلى سداد معاملة وإن كانت معاملتهم بالصدق لا تنفعهم في إيجاب الثواب ولكن ينفعهم من حيث تخفيف العذاب إذ الكفار مطالبون بتفصيل الشرائع فإذا كانوا في كفرهم أقل ديناً كانوا بالإضافة إلى الآخرين أحق عذاباً وإن كانت عقوبتهم أيضاً مؤبدة ثم بين أنه ليس الحكم إليهم حتى ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَكِيلٌ﴾ [الآية: 75] لتجري عليهم هذه الحالة أو تنفعهم هذه المقالة بل الحكم لله تعالى كما قال بلى من أوفى بعهده واتقى فصاحب الوفاء مستوجب للوصلة وأهل الكرامة ومستحق للمحبة وصاحب الخطأ مبعود عن القربة وأهل للمهانة ومتعرض للخجلة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 77] أي: يستبدلون بما عاهدوا الله عليه من الإيمان والوفاء بالأمانة ﴿وَأَيْمَنَ بِهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: وبما أكدوا عهودهم بالإيمان المغلظة ﴿ثُمَّ قَلِيلًا﴾ [الآية: 77] من أعراض الدنيا وأعواضها الدنية ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ [الآية: 77] أي: لا نصيب ولا حظ لهم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 77] من رحمة الله تعالى وسائر نعيم الآخروية ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 77] أي: بما يسرهم أو مشافهة بلا واسطة ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 77] نظر عناية ﴿وَلَا يَرْحَمُهُمُ﴾ [الآية: 77] أي: لا يثني عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 77] على أفعالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الذين أثروا هواهم على عقباهم وقدموا مناهم على

موافقة مولاهم أولئك لا نصيب لهم في الآجل ولا استماع بما اختاروا في العاجل خسروا في الدارين بقوا من الحق وما استمتعوا بالخط جمع عليهم فنون المحن السرمدية والعقوبات الأبدية.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: من المحرفين في الدين ﴿لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلَسْتَهُمْ بِالْكَذِبِ﴾ [الآية: 78] أي: يصرفونها بقراءته فيميلونها عن صرافته من المنزل إلى المحرف من الكتاب في تعبير الخطاب وتغيير الباب ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] من جهة المبنى أو من طريقة المعنى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 78] زيادة تشنيع عليهم وتسجيل على جرأة عظيمة لديهم في ادعائهم وافتراءهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ﴾ [الآية: 78] فكيف على غيره سبحانه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 78] أنهم كاذبون ويتعمدون فيما يفترون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من/ هذه الآية إلى المبطلين في الدعاوى في 121/أ هذه الطريقة يزينون العبارات ويطلقون ألسنتهم بما لا خبر لقلوبهم من الحالات ولا لهم بذلك تحقيق في بشارة الإشارات تلبساً على الأغبياء وتدليساً على الأغنياء حتى العوام وأهل البداية يتوهمون أن لهم تحقيق ما يقولونه بألسنتهم من طي المقالات وحالات أرباب النهاية قال تعالى في صفة هؤلاء: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابِ﴾ [الآية: 78] كذلك أرباب التدليس والتلبس يروجون قائلتهم على المستضعفين في المعرفة فأما أهل الحقائق وأسرارهم عندهم مكشوفة ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 78] أنهم كاذبون كذلك أهل الباطل في هذه الطريقة يتكلمون عن قلوب خربة وأسرار محجوبة ونعوذ بالله من استحقاق المقت في الوقت.

﴿مَا كَانَ لِيُشْرِيَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [الآية: 79] أي: الحكمة ﴿وَالنَّبُوءَ﴾ [الآية: 79] أو الحكومة والولاية ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 79] أي قوموا بالخدمة على وجه العبودية والعبودة تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وفي قوله ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 79] إيماء إلى أن

عبوديته لا تجتمع مع عبودية من سواه ﴿وَلَكِنْ﴾ [الآية: 79] يقول: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ [الآية: 79] منسوبين إلى الرب في العبادة مخلصين له الدين أو إلى التربية للمريدين وإرشاد السالكين ﴿يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [الآية: 79] أي: لسبب كونكم معلمين لفظ الكتاب ومعناه للطلاب وبسبب كونكم تدرسون فيما بينكم وتداومون وتحافظون على علمكم وعملكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وتعلمون بمعنى عالمين فتدرسون من الدرس بمعنى التدريس كما قرئ به وفيه حث على الجمع بين العلم والعمل والتعليم فإنه الكمال والتكميل الموجب للتعظيم وقد روي من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيماً⁽¹⁾ وكفى بالله عليماً قال الجبري ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ [الآية: 79] سامعين من الله ناطقين بالله.

وقال الواسطي: هم الذين يملكون الأشياء ولا يملكهم شيء.

وقال الأستاذ: ليس من صفة من اخترناه للنبوة واصطفيناه للولاية أن ب/121 يدعو الخلق إلى نفسه أو يقول بإثبات/نفسه وحظه لأن اختياره إياهم للنبوة والولاية يتضمن في عصمتهم وحفظهم عن ما لا يجوز من المقالة فتجوز ذلك في مقالهم منافي لحالهم وإنما دعاء الأنبياء والأولياء الخلق إلى الله سبحانه وهو معنى قوله ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ [الآية: 79] وهم العلماء بالله الحكماء في الله القائمون بالله الفانون عن غير الله المستهلك حظوظهم المستغرقون في حقائق وجوده عن إحساسهم بأحوال أنفسهم ينطقون بالله ويسمعون بالله وينظرون بالله فهم بالله بمحو ما سوى الله ويقال الرباني من هو محق في وجوده ومحو عن شهوده فالقائم عنه غيره والمجري لما عليه سواه ويقال الرباني الذي لا يستغفره محنة ولا تهزه نعمة فهو على حالة واحدة في اختلاق الطوارق المتعددة ويقال الرباني الذي لا يبالي بشيء من الحوادث بقلبه وسره وإن كان لا يقصر في شيء من الشرع بفعله وأمره بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون من توالى إحساني إليكم وتضاعف نعمتي لديكم ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ

أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴿[الآية: 80]﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفًا على يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي والمعنى ليس لبشران يستنبته الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه خصوصاً ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً عموماً ورفع الباقون على الاستثناء أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون منقادون لله مخلصون وهو استفهام تعجيب أو إنكار وترهيب

وأفاد الأستاذ: أنهم لا ينسبون إليهم ذرة من الإثبات في الخير والشر ويقال يعرفكم حد البشرية وحق الربوبية وأدب العبودية ويقال يأمركم بتوقييرهم من حيث الأمر والشريعة وتحقير قدر الخلق بالإضافة إلى مرتبة الربوبية ﴿يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 80] أيأمركم بإثبات الخلق بعد شهود الحق ويقال يأمركم بمطالعة الأشكال ونسبة الحدثن إلى الأمثال بعد أن لاح في أسراركم أنوار التوحيد وطلعت في قلوبكم شمس التفريد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [الآية: 81] أي: الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من الأمم الأولين ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: 81] وفي قراءة نافع لما آتيناكم ﴿وَمِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [الآية: 81] اللام/ موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية أو خبرية ومن بيانية وقرأ حمزة بكسر اللام على أن ما مصدرية ومن تبعية والمراد بالحكمة النبوة والرسالة أو الحكومة والمكانة بالولاية ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية: 81] أي: عظيم وهو محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 81] أي: موافق لأصولكم المتفق عليها عندكم ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَصْنِعْ لَهُ﴾ [الآية: 81] أي: في أمر دينه ولذا قال ﷺ لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي⁽¹⁾ وكذا عيسى إذا نزل من السماء لا يكون إلا من أتباعي ومثل هذا لم يتصور في حق نبي قبله ولا بعده والظاهر أن هذا الميثاق الخاص كان يوم الميثاق العام وهو الملائم لأن يكون بشهادة التوحيد والربوبية مقرونة بشهادة النبوة والعبودية إظهاراً لربوبيته العلية ومنزلته البهية وقد ورد أنه ﷺ أول من قال بلى وذلك لظهور نوره أولاً بل ولا كان وجود موجود لولا أوان هذا في عالم

الأرواح قبل ظهور الأشباح كما يشير إليه قوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد⁽¹⁾ فهو نبي الأنبياء في عالم الابتداء كما صار إمام الأنبياء في ليلة الإسراء ويكون شفيع الأنبياء يوم اللقاء حين اجتماعهم تحت اللواء رزقنا الله ذلك الإيواء ﴿قَالَ أَقْرَرْتُمْ﴾ [الآية: 81] أي: اعترفتم ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [الآية: 81] أي: وقبلتم على ما ذكرت لكم عهدي ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ [الآية: 81] وأخذنا وحذف للاكتفاء ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ [الآية: 81] قال فليشهد بعضكم على بعض أو أشهدوا على أنفسكم وأممكم أو الخطاب للملائكة ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية: 81] وهو تأكيد عظيم وتحذير جسيم.

﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 82] أي: أعرض بعد هذا الميثاق الواقع عليه الاتفاق ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية: 82] أي: المتمردون من أهل الكفر والنفاق.

وقال الأستاذ: أخذ الله ميثاق محمد ﷺ على جميع الأنبياء عليهم السلام كما أخذ ميثاقهم في الإقرار بربوبيته سبحانه وهذا غاية تعظيم ونهاية تكريم حيث قرن اسمه باسم نفسه وأثبت قدره كما أثبت قدر نفسه فلا يوجد له في الخاصية نظير في الرتبة ثم سهل سبيل الكافة في معرفة جلالته بما 122/ ب أظهر على يده من المعجزة فمن حاد عن سُنَّتِهِ أو زاغ عن اتباع طريقته/ بعد ظهور دليله ووضوح معجزته فأولئك هم الذين خست درجتهم ووجب المقت عليهم بجحدهم وسقوطهم عن تعلق العناية بهم.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [الآية: 83] بالغيبة لأبي عمرو وحفص أي: أيتولون فيطلبون غير دين الله الذي اجتبهه ولأنبيائه ارتضاه ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 83] أي: ولأمره وقضائه وحكمه انقاد من في عالم العلويات والسفليات ﴿طُوعًا وَكَرْهًا﴾ [الآية: 83] أي طائعين خاضعين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 665) رقم (4209)، والطبرانی في المعجم الكبير (12/ 92) رقم (12571)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 585) رقم (3609)، وأحمد في المسند (4/ 66) رقم (16674).

كالملائكة والمؤمنين وكارهين مسخرين مذللين كالمشركين والمنافقين بأنهم لا يقدر أن يتمتعوا بما قضى عليهم في أمر الدنيا والدين فهم أرباب العدل كما أن الأولين أصحاب الفضل فلا إكراه ولا ظلم في الفضل فإنه سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون عما فعل كل أحد أو لم يفعل وفي الحقيقة منشأ الاختلافات الحالية إنما هو مقتضى الصفات الجمالية والنوع الجلالية فافهم هذه النكتة الإيمانية ولا تلج في لجة البحار الأزلية من الحكومات القضائية والقدرية التفصيلية ﴿وَاللَّيْلُ يُجْمَعُونَ﴾ [الآية: 83] بالغيبة لحفص على أن الضمير لمن باعتبار معنى الجمعية.

وأفاد الأستاذ: أن من لاحظ غير الحقيقة أو طالع سواه في توهم الإلهية ك (رأى) السراب ظنه ماء فلما أتاه وجده هباء وله أسلم طوعاً لإسبال أنوار التجلي على أسرارهم وكرهاً لإجراء حكم الإلهية.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: 84] أي: معشر المسلمين وقدم لأن الإيمان به مستلزم لما بعده وللإشعار بتقديم رتبة نبينا وجلالة كتابنا من حيث نسخ ما قبله ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ إِلَّا حَقٌّ﴾ [الآية: 84] من الصحف بطريق الأصالة ﴿وَأَسْمِعْ لَكُمْ وَأَسْمِعْ لِكُلِّ قَوْمٍ مِّنْهُمُ﴾ [الآية: 84] كيوسف وغيره عليه السلام على وجه التبعية ﴿وَمَا أَوْفَىٰ مَوْثِقِي﴾ [الآية: 84] من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 84] من الإنجيل ﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 84] تعميم بعد تخصيص يدفع حصر الأنبياء وكتبهم ويقيد الإيمان الإجمالي بكلهم ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 84] بالتصديق والتكذيب بخلاف اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 84] أي؛ منقادون في طاعته مخلصون في عبادته.

وقال الأستاذ: أي بالله آمنا لا بنفوسنا ولا بحولنا وقوتنا ولا بجهدنا واكتسابنا ولولا أنه عرفنا من هو وإلا متى علمنا/ أنه من هو.

أ/123

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [الآية: 85] أي: من يطلب ديناً غير دين الإسلام وهو الاستسلام التام ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [الآية: 85] أي: في جميع الأحكام

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الكاملين في خسارة التجارة حيث باع العقبي بالدنيا واختار السوى على المولى.

قال سهل الإسلام: هو التفويض التام فمن لم يفوض إلى مولاه في جميع أحواله لن يقبل شيء من أعماله.

وأفاد الأستاذ: أن من سلك غير الحمود تحت جريان حكمه سبيلاً قلت قدمه في وهدة من المغاليط لا مدى لقعرها ويقال: من توسل إليه بشيء دون الاعتصام به فخرانه أكثر من ربحه ويقال: من لم يفن عن شهود الكل [لم] يصل إلى من به الكل ويقال: من لم يمش تحت راية المصطفى في قدره المعلى في وصفه لم يقبل منه شيء ولا ذرة ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ [الآية: 86] أي: والحال أقروا ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الآية: 86] أي: الدالة على أن كلامه صدق وهو استبعاد أن يهديهم بعد الارتداد فإن الجائر عن الحق بعد ما وضع له الأمر الصدق بعيد عن الرشاد ومستبعد عن قبول الإرشاد واستفهام نفي وإنكار لإيمانهم ممن علم الله بشأنهم على كفرانهم.

وأفاد الأستاذ: أن من أبعد عن استحقاق الوصلة في سابق حكمه وفق حكمته متى يقربه إلى بساط الخدمة بفضله في وقته ويقال: الذي أقصاه حكم الأزل متى أدناه صدق العمل والله غالب على أمره بحكم قضائه وقدره ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 86] الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر على الإيمان بعد ظهور الحق وتبيان العيان.

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [الآية: 87] أي: أصالة ﴿وَالْمَلَكُوتِ﴾ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [الآية: 87] تبعيته والمراد بالناس عمومهم فإنهم يلعنون منكر الحق ويسبونهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 88] أي: في اللعنة والعقوبة أو النار الدالة عليها اللعنة الموجبة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ [الآية: 88] بل يزداد فوقه الحجاب ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [الآية: 88] يمهلون ساعة من العقاب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: بعد ارتداد ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ [الآية:

[89] أي: وتداركوا ما عملوا من الفساد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 89] أي: يقبل توبة العباد ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 89] بتفضل على العباد.

وأفاد الأستاذ أن أولئك قصارى حالهم ما سبق لهم من حكمة في ابتداء أمرهم ابتداءهم رد القسمة ووسائطهم الصد عن الخدمة ونهايتهم/المصير إلى 123/ب الطرد والذلة خالدين في تلك المذلة لا يفر عنهم العذاب لحظة ولا يخفف عنهم الفراق دونهم ساعة إلا الذين تداركتهم الرحمة ولم يكونوا في سبق السبق من تلك الجملة وإن كانوا في توهم الخلق أنهم من تلك الزمرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الآية: 90] كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة ﴿ثُمَّ أَزْوَادُوا كُفْرًا﴾ [الآية: 90] بمحمد ﷺ والقرآن ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [الآية: 90] لأنهم لا يتوبون كما علم الله منهم أو لأنهم لا يتوبون إلا عند حلول البأس أو نزول اليأس وتلك التوبة غير مقبولة عنهم بل مردودة عليهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 90] أي: في ضلالهم ثابتون وعلى كفرهم مصرون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه أن الذين رجعوا إلى أحوال أهل العادة بعد سلوكهم طريق الإرادة وآثروا الدنيا ومطاوعة الهوى على طلب الحق سبحانه وتعالى ثم أنكروا على أهل الطريقة وازدادوا في وحشة ظلماتهم على الحقيقة لن تقبل توبتهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 90] عن طريق الحق فإنه لا يقبل الأمانة بعد ظهور الخيانة وعقوبتهم أنهم على ممر الأيام لا يزدادون إلا نفرة قلب عن الطريقة ولا يتحسرون إلا على ما فاتهم من صفاء الحالة ولو أنهم رجعوا عن إصرارهم [لها] لقبلت توبتهم ولكن الحق سبحانه أجرى سُنَّتَهُ مع أصحاب الفترة في هذه الطريقة إذا رجعوا إلى أحوال أهل العادة إذ لا يتأسفوا على ماضي أوقاتهم قال الله تعالى ﴿وَنَقَلِبُ أَيْدِيهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام، الآية: 110] وأن المرتد عن الإسلام لأشد عداوة للمسلمين من الكافر الأصلي فكذلك الراجع عن هذه الطريقة لأشد إنكاراً لها وأكثر اعتراضاً على أهلها من الأجنبي عنها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 91] أي: حال حياتهم ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [الآية:

91] عند مماتهم ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ [الآية: 91] حين بعثهم وإرادة عذابهم

﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [الآية: 91] أي: قدر ما يملؤها من الذهب ونحوه فداءً له

﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ [الآية: 91] أي: ولو تحقق افتداؤه بملئها ذهباً لا ينفعه فالأول

فرضي والثاني وقوعي وتحقيقه إن هذه الواو إنما يؤتى بها حيث يراد تحقق

الحكم السابق على تقدير الشرط وعدمه حتى ذهب بعضهم إلى أنها للعطف على

محذوف هو نقيض الشرط المذكور أي: لو لم يفتد به ولو افتدى به والمقصود

أ/124 هاهنا عدم قبول الفدية سواء وجدت أو لم توجد والله أعلم/ أو التقدير فلن يقبل

من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في

العقبى أو المعنى ولو افتدى بمثله في الفداء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ

نَصِيرِينَ﴾ [الآية: 91] من شفيع ولا حميم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه لمن مات بعد فترة وإن كانت له بداية

حسنة فلا يحشر في الآخرة مع أهل هذه القصة ولو تشفع له ألف عارف لدفع

القصة بل من كمال المكر معه أنه يلقي شبهة في الآخرة حتى يتوهم معارفوه

من أهل المعرفة أنه هو فلا يخطر ببال أحد أن يشفع له.

﴿إِنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ [الآية: 92] أي: حقيقة البر منكم الذي هو كمال الخير لكم

أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرضا والرحمة والجنة والوصلة ﴿حَقَّقْ تَفَقُّوْا وَمَا

يُحِبُّونَ﴾ [الآية: 92] أي: من المال وبذل الجاه في مرضاة الله وإذابة البدن في

عبادته وإراقة المهجة في طاعته ومن للتبيين أي: شيئاً تحبونه أو للتبعيض ويقويه

أنه قرأ بعض ما تحبون وهو يفيد أن الكل بالأولى يفيد المرتبة الأعلى.

قال الواسطي: الوساطة إلى البر بإنفاق بعض المحاب والوصول إلى

البار بالتخلي عن الكون وما فيه من كل باب.

قال ابن عطاء: لن تصلوا إلى قرب ربكم وأنتم منعطفون إلى حظ

نفسكم.

وأفاد الأستاذ: لما كان وجوه البر ذكر فيه من التي هي للتبعيض فمن

أراد البر فلينفق مما يحبه ومن أراد البار فلينفق جميع ما يحبه ومن أنفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من المولى ومن كان مربوطاً بحظ نفسه لم يحظ بقرب ربه ويقال إذا كنت لا تصل إلى البر إلا بإنفاق محبوبك فمتى تصل إلى البار وأنت تؤثر عليه حظك وفي «المرائس» نفائس في هذا الباب تركت ذكرها مخافة الأطناب ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 92] أي: محبوب فيه أو مرغوب عنه أو قليل وكثير أو جليل وحقير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 92] فيجازيكم عليه من فضله الكريم.

وقال الأستاذ: منهم من ينفق على ملاحظة العوض والجزاء ومنهم من ينفق على مراقبة رفع المحن ودفع البلاء ومنهم من ينفق اكتفاءً بعلمه سبحانه وإرادة الرضا وطلب الثناء كما قال قائلهم: ويهتز للمعروف في طلب العلى لتذكر يوماً عند سلمى شمائله⁽¹⁾

/ ﴿كُلُّ الْأَطْعَامِ﴾ [الآية: 93] أي: الأطعمة من المأكولات والمشروبات 124/ ب والمراد تناولها ﴿كَانَ حَلَالًا﴾ [الآية: 93] أي: حلالاً ﴿إِنِّي إِسْرَءِيلُ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ [الآية: 93] أي: يعقوب عليه السلام ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الآية: 93] كلحوم الإبل وألبانها بأمر من ربه أو باجتهاد من عنده ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ [الآية: 93] لأنها كانت محرمة على إبراهيم ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كما ادعته اليهود وأسندوه إلى كتابهم ﴿قُلْ فَأَنُؤِ بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 93] فبهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته وافترائهم في حرمة.

﴿فَمَنْ أَفْقَرُ﴾ [الآية: 94] أي: ابتدع واخترع ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 94] أي: بعد ما ألزمه الحجة بما هنالك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْظَالِمُونَ﴾ [الآية: 94] أي: المكابرون المعاندون.

وأفاد الأستاذ: إن الأصل في الأشياء أن لا شرع فيها بالتحليل والتحريم فما لا يوجد فيه حد فذلك من الحق سبحانه توسعة ورفق إلى أن يحصل فيه

(1) نسب إلى كثير. انظر: ديوان المعاني (1/ 111).

أمر وشرع فإن الله وسع أحكام التكليف على أهل النهاية فسيبيلهم الأخذ بما هو الأسهل لتمام ما هم به من أحكام القلوب فإن الذي على قلوبهم من المشاق أشد وأما أهل البداية فالأمر مضيق عليهم في الوظائف والأوراد فسيبيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب لفراغتهم بقلوبهم من المعاني فمن ظن بخلاف هذا فقد غلط والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية: 94] إلى أحوال أهل الدعاوى والمغاليط فإنهم يخلون بنفوسهم فينسبون إلى الله هواجسها والله بريء عنها وعزيز عبد يفرق بين الخواطر والهواجس.

ومن «نفائس العرائس» الإشارة فيه إلى أهل هذه القصة يجوز لهم أن يتركوا شيئاً من المأكولات من جهة المجاهدات واختيار الرياضات لا من جهة تحريم الطيبات وأيضاً فيه إشارة إلى ترك اللحوم على الدوام لما فيها ضرارة كضرارة الخمر من جهة المجاهدة لا من جهة التحريم والمضادة وأيضاً حرم نبي الله يعقوب عليه السلام على نفسه أشهى طعام فالإخبار عنه تعليم لله تعالى أهل محبته لتركوا ما أحب إليهم من الأطعمة الشهية وما تشتهي أنفسهم من زهرة الدنيا ولذتها الدنية.

125/أ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ [الآية: 95] أي: في هذا أو غيره ﴿فَاتَّبِعُوا/ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الآية: 95] أي: ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم عليه السلام أو مثل ملته الحنيفية حتى يتخلصوا من اليهودية المقتضية للافتراء الموجب للأعراض الدنيوية والأعراض النفسية الدنية ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95] بل كان موحداً صرفاً في أعلى مراتب اليقين وفيه تعريض باليهود وغيرهم من كفار مكة في دعواهم أنهم على ملة إبراهيم مع إشراكهم في الدين.

وأفاد الأستاذ: أن ملة إبراهيم الخروج إلى الله بالكلية والتسليم لحكمه من غير أن تبقى بقية وإثبات ذرة في الحساب من الإثبات للحدثان شرك في التحقيق عند أهل العرفان.

ومن «نفائس العرائس» أن ملة إبراهيم الشوق والعشق والمحبة والخلة

والفتوة والمروءة والشجاعة والسخاوة والحلم والأمانة والديانة والكرامة وإكرام الضيف والصبر في البلاء والشكر في النعماء والهجرة والخروج عن الله بالكلية والتأوه والصدق والإخلاص والتوحيد والتجريد والتفريد والسماع والوجد والإنصاف بصفة الحق من رسوم البشرية وبهذه الخصال صار إماماً للعارفين وأمر الله أحب عباده إلى متابعتة وموافقتة في جميع أحواله ومن زاغ عن طريقه ولو ذرة فيكون النفس له صنماً قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130] وقوله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95] أي: لم يمل من الحق إلى جبرائيل حيث عرض عليه الليادة بقوله ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا⁽¹⁾ لم يداهن في دينه لمحبة أبيه وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78] وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصافات: 99] وكسر أصنام الكفر بفأس الحمية وبذل في محبته الأموال والأولاد لا يخاف في الله لومة لائم ولأجل ذلك قال: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الآية: 95] وأيضاً نفى عنه خاطر الشك حيث قال: ﴿أَرَأَيْتَ كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: 260] بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 95].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 96] أي: لعبادتهم وجعل متعبداً لطاعتهم والواضع هو الله ويدل عليه أنه قرئ بصيغة الفاعل ﴿لِلَّذِي يَبْكُ﴾ [الآية: 96] أي: للبيت الذي بمكة فإنها لغة فيها وسميت بها لأنها تبك أعناق الجابرة عليها أو لزدحام الناس إليها وقد روي أنه كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الصرداح⁽²⁾ لأنه صرح من الأرض وأبعد وهو المشهود ببيت المعمور المحاذي إلى السماء الرابعة المحاذي إلى البيت المذكور يطوف به الملائكة فلما هبط آدم أمر بأن يحججه ويطوف حوله ثم رفع في الطوفان إلى السماء الرابعة/يطوف به 125/ب الملائكة كل يوم سبعون ألفاً لا يحصل لهم الاعداء وهو لا ينافي ظاهر الآية فإن موضع التشريف هو تلك البقعة الكريمة والجهة المعينة العظيمة وهو لا يمكن رفعها وإنما رفع البيت الموضوع محلها المتشرف بوضعه في مكانها

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (28/2) رقم (1077).

(2) المكان الواسع الأملس. انظر: لسان العرب (512/2).

العلي شأنها ثم بناه إبراهيم عليه السلام في تلك البقعة ثم هدم فبناه قوم من جرهم وهم حي من اليمن أصهار إسماعيل عليه السلام ثم العمالة من ملوك مصر أو الشام ثم قريش قبل بعثته عليه السلام ثم عبد الله بن الزبير بناءً على حديثه ﷺ⁽¹⁾ وعلى طبق ما قصد به من المرام من فتح باب غربي وإدخال الحطيم فيه على وجه تمام النظام فتعقبه الحجاج وسد الباب الثاني وأخرج الحطيم ورد الجدار الذي يليه إلى ما كان عليه ولعل الحكمة في ذلك أن كل أحد يتمكن من دخول البيت في الجملة ولو بالدليل الظني وإن تميز ما ثبت من البيت بالدليل القطعي عن غيره مراعاة للأحوط اليقيني في استقبال الصلاة التي هي الركن الديني وبسبب تعظيم هذه البقعة بعد اصطفاء الله ما شاء من الأفراد الإنسانية والحيوانية والأشياء الجمادية والنباتية والأحوال الزمانية والمكانية أن الله سبحانه على ما ورد في بعض الآثار وروي في بعض الأخبار عن بعض الأحبار من الأخيار لما خلق الله عرشه على الماء قبل خلق الأرض والسماء نظر إلى الماء وتجلّى على الهواء فتموج واضطرب الماء وخرج منه دخان مرتفع خلق منه السماء وتزبد فوق الماء قطعة مقدار البقعة فجعلت الأرض منها ودحيت من جوانبها وأطرافها، ولذا سميت أم القرى ثم لما كانت تميد وتميل مراراً ولم تستقر قراراً خلق الله الجبال أوتاداً وألقاها عليها اشتداداً وأولها جبل أبو قبيس المسمى بأم الجبال اعتماداً ثم وقع البناء على تلك البقعة للدلالة على الوقعة إرشاداً ﴿مُبَارَكًا﴾ [الآية: 96] كثير الخير المعنوي والنفع الدنيوي والأخروي لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله خصوصاً ﴿وَهْدَىٰ لِلْعَلَمِينَ﴾ [الآية: 96] أي: عموماً لأنه قبلة لحيهم وميتهم وسبب هداية إلى جهة عبادتهم وأدب جلستهم في طاعتهم.

وأفاد الأستاذ: أن البيت حجرة والعبد مدرة فربط المدرة بالحجرة 126/أ فالمدر مع الحجر وتقدس وتعزز من لم يزل عن الغير ويقال البيت/مطاف النفوس والحق سبحانه مقصود القلوب البيت أطلال وآثار ورسوم وأحجار ولكن

(1) الحديث: «لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة... وجعلت لها بايين...».

إِنَّ آثَارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ⁽¹⁾

ويقال البيت حجر ولكن ليس كل حجر كالذي يجانسه من الحجر فإنه لقلوب الأحباب مزعج لا بل لأكباد الفقراء منضج بل لقلوب قوم مثلج مبهج هو بيت مقصد الأحباب ومزارهم وعنده يسمع أخبارهم ويشهد آثارهم بيت من طالعه بعين التفرة عاد بسر خراب ومن لاحظته بعين الإضافة حظي بكل تقريب وإيجاب بيت كما قيل:

إِنَّ الدِّيارَ وَإِنْ طُمَسَتْ فَإِنَّ لَهَا عَهْدًا بِأَحْبَابِنَا إِذْ عِنْدَهَا نَزَلُوا⁽²⁾

بيت من زاره بنفسه وجد ألطافه وعناياته ومن شهد به بقلبه نال كشوفاته ومشاهداته ويقال: قال سبحانه ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ [الحج: 26] فأضافه إلى نفسه وقال هنا إن ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 96] وفي هذا طرف من الإشارة إلى عين الجمع وسميت مكة بكة لأزدحام الناس عليه فالكل يتناجزون على البدار إليه ويزدحمون في الطواف حواليه ويبدلون المهج في الطريق وهم مقبلون عليه في التحقيق والبيت لم يخاطب أحد منذ بني بسينه ولم يستقبل واحد بخطوة ولا أرسل أحدا برسالة فإذا كان البيت الذي خلقته للحج هذا وصفه في التعزز فما ظنك بمن البيت له فيما يرويه عن ربه قال ﷺ: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري»⁽³⁾ ويقال: إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل من ناحية من نواحيه إلا بقطع المفاوز والمتاهات فكيف تطمع أن تصل إلى رب البيت بالهويناء دون تحمل المشقات ومفارقة الراحة ويقال لا تعلق قلبك بأول بيت وضع لك ولكن أفرد شرك لأول حبيب أثرك ويقال شتان بين عبد اعتكف عند أول بيت وضع له وبين عبد لازم حضرة أول عزيز كان له ويقال ازدحام الفقراء حول البيت بهمهمهم ليس بأقل من ازدحام الأغنياء الطائفين بقدمهم ويقال الكعبة بيت

(1) ذكره القشيري في تفسيره (294/7).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (357/1).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک (129/1) رقم (203)، وابن ماجه في السنن (1397/2)

رقم (4174)، وابن حبان في الصحيح (35/2) رقم (328)، وأبو داود في السنن (4/

102) رقم (4092).

الحق سبحانه في الجهر والقلب بيت الحق سبحانه في السر قال قائلهم:

لست من جملة المحيين إن لم أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي إجمالة السير فيه وهو ركني إذا أردت استلاماً⁽¹⁾

126/ب

/ فاللطائف بقلوب العارفين والحقائق تعتكف في قلوب الموحدين
والكعبة مقصود حج العبد والقلب مقصود الحق بإفراده إياه بالتوحيد والوجد
وقوله ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 96] بركاته اتصال الألفاظ والكشوفات فمن
قصده بهمة ونزل عليه بقصده هداه إلى طريق رشده.

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يَنْتَظِرُ﴾ [الآية: 97] كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى
الأعصار وإن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم بلا أضرار وإن كل جبار
وقصده بسوء كأصحاب الفيل أهلكه وقهره الملك القهار وكذا ذكره المفسرون
والمؤرخون لكن في الآيتين الأوليين نظر ظاهر لأنهما خلاف مشاهدة الحاضر
ولعلمهما كانتا أيام الجاهلية للدلالة على تعظيم البقعة العلية ولما جاءت الشريعة
السنية والآيات النقلية والدلالات العقلية الدالة على تعظيم الكعبة البهية ارتفعت
العلامات الحسية والصورية اكتفاءً بالحقائق المعنوية على أنه قد قيل أن جلوس
بعض الطيور فوق البيت الشريف إنما هو استشفاء لما فيه من الداء ببركة قرب
المحل المنيف ويؤيد ما قدمنا قول الأستاذ ولكن لا يدرك تلك الآيات بإبصار
الرؤوس ولكن ببصائر القلوب.

وقال السلمي: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ﴾ [الآية: 97] أي: علامات ظاهرة يستدل بها
العارف على معرفته ولا بعيد أن يقال ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 97] أي جمع حواليه
﴿ءَايَاتٌ﴾ [الآية: 97] أي: علامات بينات أي: واضحات ودلالات لائحات من
المشاعر العظام منها ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 97] لأنه خارج عن داخل البيت
الكريم أو بدل من الآيات بدل البعض من الكل أو عطف على بيان أن المراد
بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبيين على وجد
الإبداء من الابتداء إلى الانتهاء وتخصيصها بهذه إلا لأنه من بين الصغار وسائر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/357) و(5/186).

الأشياء وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء وحفظه ألوف سنة مع كثرة الأعداء ويريد البيان أنه قرئ آية بينة على توحيد البناء وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام إبراهيم على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماء وظهر هذا الأثر وفي بعض الآثار أنه لما فرغ من بناء البيت أمر ببناء الناس إليه فصعد عليه ونادى الخلق لديه وقال: أيها الناس حجوا/ بيت ربكم فقالوا في عالم 127/أ الأرواح والأصلاب والأرحام لبيك لبيك بعدد ما كتب الله لهم من أحد التسكين.

وقال الشبلي: مقام إبراهيم الخلعة فمن شاهد مقام الخليل فهو شريف ومن شاهد في المقام الحق الجليل فهو أشرف.

وأفاد الأستاذ: أن مقام إبراهيم في الظاهر ما تأثر بقدمه وفي الإشارة ما وقف الخليل عليه بهممه ويقال إن شرف مقام إبراهيم لأنه أثر الخليل ولأثر الخليل عند الجليل أثر جميل وخطر جليل ﴿وَمَنْ ذَكَرَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [الآية: 97] ليس الضمير راجعاً إلى المقام كما يتوهمه العوام فإنه لا يتصور فيه المرام بل هو عائد إلى نفس البيت أو حرمة وهو أبلغ في احترامه فيفيد أن من التجأ إليه لا يجوز الاعتراض عليه وقد ثبت في الحديث أن من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً ويدل عليه صريحاً قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت: 67] ويختطف الناس من حولهم والجملة خبرية مبنى وإنشائية معنى فالمراد من دخله فأمنوه أو من دخل بشرائط آدابه كان آمناً من عذاب الله وحجابه.

قال الثوري: من دخل قلبه سلطان الاطلاع كان من هواجس النفس ووساوس الشيطان آمناً.

وقال الواسطي: من دخله على الحقيقة كان آمناً من رعونات النفس في الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن مقام إبراهيم التسليم ومن كان مسلماً لأمره إلى الله لم يبق له اختيار فإذا لم يبق له اختيار كان آمناً لأن ضد الأمن الخوف والخوف إنما يكون على أن لا يحصل مرادك على ما تريد فإذا لم يكن للعبد إرادة ولا اختيار فأبي مساغ للخوف في وصفه ويقال إن قيل أن الكناية بقوله

دخله راجعة إلى البيت فمن دخل بيته على الحقيقة كان آمناً وذلك أن يكون دخوله على وصف الأدب ولا محالة دخول البيت تسليم الأمور إلى رب البيت فإن من لم يكن صاحب التسليم فهو معارض للتقدير ودخول البيت إنما الأدب فيه أن يكون دخولاً على التسليم دون المعارضة والنزاع فيؤول إلى المعنى المتقدم وإن جعلت الإشارة من البيت إلى القلب فمن دخل قلبه بسلطان الحقيقة أمن من نوازع البشرية وهواجس النفسية/ فإن من التجأ إلى ظل الملك لم يتخط إليه محذور ويقال لا يكون دخول البيت على الحقيقة إلا بخروجك عنك فإذا خرجت عنك صح دخولك في البيت وإذا خرجت عنك أمنت ويقال دخول بيته لا يصح مع تعريضك في أوطانك ومعاهدك فإن الشخص الواحد لا يكون في حالة واحدة في مكانين فمن دخل بيت ربه فالحري أن يخرج عن معاهد نفسه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية: 97] متعلق بالعامل في الخبر وهو الله أي يجب عليهم ﴿حُجُّ الْبَيْتِ﴾ [الآية: 97] أي: قصده للزيارة على الوجه المخصوص في الشريعة وقرأ حفص وحزمة والكسائي بالكسر وهو لغة نجد ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [الآية: 97] بدل من الناس مخصص له والضمير في إليه للبيت أو الحج والمعنى من قرأ في نفسه فلا يلحقه المشقة في ركوبه وله القدرة على الرحلة وملك النفقة لذهابه وإيابه فاضلاً عما لا بد له منه فقد وجب عليه الحج وقد روى رسول الله ﷺ الاستطاعة بالزاد والراحلة⁽¹⁾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ [الآية: 97] بامتناعه عن الحج وقبول فرضه أو باستحلال تركه فلا يضر إلا نفسه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنَّا﴾ [الآية: 97] أي: عباد الخلق أجمعين أو المراد بالكفر كفران النعمة أو قرب الكفر بقربان المعصية المؤدية إلى سوء الخاتمة وقيل: وضع كفر موضع لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاً على تاركة ولذا ورد من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً وتخصيصها بالذكر لأنهما لم يقولوا بفريضة الحج عليهما.

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (225/5) رقم (2998)، وابن أبي شيبة في المصنف (433/3) رقم (15714)، وابن ماجه في السنن (967/2) رقم (2897)، والطبراني في المعجم الكبير (235/11) رقم (11596).

وأفاد الأستاذ: إن شرط الغني أن لا يدخر عن البيت شيئاً من ماله وشرط الفقير أن لا يدخر عن الوصول إلى نيته نفساً من روحه ويقال الاستطاعة فنون فمستطيع بنفسه وماله وهو الصحيح السليم ومستطيع بغيره وهو الزمن المعسوب وثالث غفل الأكثرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نعت كل مخلص متحقق فإن عطايه لا يحملها إلا مطايه ويقال حج البيت فرض على أصحاب الأموال وحج رب البيت فرض على أرباب الأحوال وقد ينسد الطريق إلى البيت ويمنع الحاج عن البيت ولكن لا ينسد الطريق إلى رب البيت ولا يمنع الفقير عن رب البيت ويقال الحج هو القصد إلى من تعظمه فقاصد بنفسه إلى زيارة البيت وقاصد بقلبه إلى شهود رب البيت فستان بين/ 128 أ حج وحج فهؤلاء تحللهم عن إحرامهم عند قضاء نسكهم وأداء فرضهم وهؤلاء تحللهم عن إحرامهم عند شهود ربهم فأما القاصدون بنفوسهم فأحرموا عن المعهودات من محرمات الإحرام وأما القاصدون بقلوبهم فإنهم أحرموا عن المساكنات وشهود الغير وجميع الأنام.

ويقال إن سبيل من حج البيت أن يقوم بآداب الحج فإذا عقد بقلبه الإحرام يجب أن يفسخ كل عقد يصده عن هذا الطريق وينقض كل عزم يرده عن هذا التحقيق وإذا تطهر تطهر كل دنس من آثار الأغيار بماء الخجل ثم بماء الحياء ثم بماء الوفاء ثم بماء الصفاء فإذا تجرد عن ثيابه تجرد عن كل ملبوس له من الأخلاق الذميمة فإذا لبى بلسانه وجب أن لا يبقى شعرة من بدنه إلا وقد استجاب لله فإذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسره حيث وفقه الحق بلا اختيار ومقام ولا تعرض لتخصيص فإذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه وعرف له تعالى حقه على نفسه ويتعرف إلى الله بتبرئه عن منته وحوله والحق سبحانه يتعرف إليه بتوليه له بمنته وطوله فإذا بلغ المشعر الحرام يذكر لمولاه بنسيان نفسه ولا يصح ذكره لربه مع ذكره لنفسه فإذا بلغ من نفي عن قلبه كل طلب ومُنَى وكل شهوة وهوى وإذا رمى الجمار رمى عن قلبه وحذف عن سره كل علاقة في الدنيا والعقبى فإذا ذبح ذبح هواه بالكلية وتقرب به إلى الحق سبحانه فإذا دخل الحرم عزم على التباعد عن كل محرم على لسان الشريعة

وبيان الطريقة وإشارة الحقيقة فإذا وقع طرفه على البيت شهد بقلبه رب البيت فإذا طاف بالبيت أخذ سره بالجولان في الملكوت فإذا سعى بين الصفا والمروة صفا عن كلكدورة بشرية وكل آفة إنسانية فإذا حلق قطع كل علاقة بقيت له فإذا تحلل من إحرام نفسه وقصده إلى بيت ربه استأنف إحراماً جديداً بقلبه فكما خرج من بيت نفسه إلى بيت ربه يخرج من بيته إلى ربه فمن أكمل نسكه فإنما عمل لنفسه ومن تكاسل فإن الله غني عن العالمين وقال ﷺ الحاج أشعث أغبر⁽¹⁾ فمن لم يتحقق بكمال الخضوع والذوبان عن كليته فليس بأشعث ولا أغبر.

128/ب ومن «نفائس المرائس» أضاف/الحج إلى نفسه لما فيه من آثار الربوبية وحقائق العبودية وأيضاً ألزم على عباده حق العبودية لأداء شكر الربوبية وأيضاً أضاف الحج في أول الآية لنفسه ونزه نفسه في آخرها ليعلم أهل خبرة العبودية له شفقة على عباده لأن العبادة ترجع إليهم بالثواب وهو منزّه عن الأسباب والقاصدون إلى بيت الله على ثلاثة أقسام قسم منهم قاصدون إلى البيت بأموالهم وأنفسهم لطلب الثواب وقسم منهم القاصدون إلى البيت بقلوبهم الصافية عن الدنيا وما فيها لامتثال الأمر ومرضات رب الأرباب وقسم منهم القاصدون إلى مشاهدة رب البيت بأرواحهم العاشقة لطلب حقائق المعرفة والقربة وصفاء الوصلة وزيادة مشهد التجلي والتدلي فأهل الظاهر يحرمون عن المحظورات ويحلون عند فراغ العبادات وأهل الباطن يحرمون عن الكائنات ولا يحلون ما داموا في الدنيا إلى مشاهدة الذات وكشف الصفات فشتان بين من يحرم من المعهودات وبين من يحرم من المسكنات وشهود المكونات أو ذهبوا وذهب معهم البركات وغربت بغروبهم في مغارب الأبد شمس الكرامات وأقمار الآيات رحمة الله عليهم من الأحياء والأموات.

(1) أورده القشيري في تفسيره بهذا اللفظ وقد عنون المحدثون أبواب الحديث بهذا اللفظ، لكن جاء بروايات أخرى في نفس المعنى.

وفي «النفائس» عرائس لم نذكرها خوفاً من الملالة الناشئة عن الهواجس.

﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 98] بآياته البقلية والعقلية والأفاقية والأنفسية وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح في هذا الباب وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بكل كتاب لا سيما وهم منكرون الحج مردودون عن هذا الجنب.

وأفاد الأستاذ: أن الخطاب بهذه الآية تأكيد الحجة عليهم فمن حيث الشرع يؤكد الحجة عليهم ومن حيث الحقيقة والفهر يسد المحجة عليهم فهم مدعوون شرعاً وأمرأ مطرودون حكماً وقهراً ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 98] أي: مطلع على أعمالكم وأحوالكم فيجازيكم بأقوالكم وأفعالكم.

﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ [الآية: 99] أي: تعرضون أو تمنعون الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 99] أي: دينه وكتابه ونبيه ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عَوْجًا﴾ [الآية: 99] حال كونكم باغين طالبين لها اعوجاجاً عن الحق وميلاناً عن الصدق بالتليس والتزوير أو التحريش بين الكبير والصغير/ ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ [الآية: 99] 129/ أ أي: عارفون أنها سبيل الكمال وأن الصد عنها ضلال وإضلال ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 99] من الأفعال في كل الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يصد غيره من هو مصدود في نفسه أن في هذا السر الربوبية أي: لتسليم العبودية.

﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 100] وهم طائفة من أهل الإضلال ﴿يَرُدُّوكم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [الآية: 100] من أهل الضلال فيرجعوا بعد علو الكمال إلى حضيض النكال والوبال في الحال والمآل.

وأفاد الأستاذ: أن الوحشة ليست بلازمة لأصحابها بل هي متعديّة إلى كل من يحوم حولها فمن أطاع عدو الله أبى شؤم صحبته إلا لقاءه في وهدهته ثم الآية نزلت في نفر من الأوس والخزرج حيين من الأنصار حين أغرى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم إلى أن تداعى بعضهم بعضاً إلى القتال

فتوجه إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه وقال أندعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم بالاجتماع والتضام فألقوا السلام وأظهروا الصلاح واستغفروا وتعانقوا فخاطبهم وعاتبهم⁽¹⁾ بقوله :

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية : 101] أي: بعد الإيمان ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ [الآية : 101] أي: من القرآن ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [الآية : 101] أي: بالمشاهدة والعيان فالاستفهام للإنكار على وجه التعجيب والاستبعاد مع ظهور أسباب الإرشاد والإسعاد.

وأفاد الأستاذ: أنه لا ينبغي لمن أشرق في قلبه شمس العرفان أن يوقع الكفر عليه ظله فإنه إذا إقبل النهار من هاهنا أدبر الليل من هاهنا ﴿وَمَنْ يَنْصِبْ بِاللَّهِ﴾ [الآية : 101] أي: يتمسك بدينه ويلتجئ إليه في جميع أمره ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية : 101] أي موصل إلى وصله.

قال الأستاذ: إنما يعتصم بالله من وجد العصمة من الله فأما من لم يهده الله فمتى يعتصم فالهداية منه في البداية توجب اعتصامك به في النهاية لا الاعتصام منك يوجب الهداية وحقيقة الاعتصام به صدق اللجئ إليه ودوام الفرار إليه واستصحاب الاستغاثة إليه ومن كشف عن سره غطاء التفرقة تحقق بأن لا غير به ذرة ولا منه سينة وقد ورد أعوذ بك منك⁽²⁾ ومن اعتصم بنفسه دون أن يكون محوياً عن حوله وقوته في اعتصامه فالشرك وطنه وهو لا يشعر 129/ ب به/ .

ومن «نفائس العرائس» من اعتصم به منه اهتدى به إليه لأنه في محل المعرفة ومن عرفه يستفيد برضاه من سخطه وبما فاته من عقوبته وبه منه وهذا سيد الأنبياء عليه أفضل التحية والثناء قال في سجوده حال شهوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي

(1) الكشف (304/1)، وتفسير أبي السعود (64/2)، وتفسير البيضاوي (72/1).

(2) سبق تخريجه.

ثناء عليك أنت كما أثبتت على نفسك⁽¹⁾ وكان عليه السلام ذلك الوقت في مشاهدة الجلال والجمال والكمال والقدم والبقاء والجبروت والكبرياء بنعت المعرفة على بعض أسرار إرادته فخاف به منه واستعاذ منه إليه وأيضاً من اعتصم بالله هداه الله إلى معرفة عيوب النفس ومكائد الشيطان وأخلاق القلب وشمائل الروح وأوصاف العقل وأمور المعاملات وحقيقة الحالات وطلب المكاشفات والاطلاع على المشاهدات ولمة الملائكة وعلوم الإلهام والفراسات وأيضاً الاعتصام انجذاب القلب عن الأسباب والأرباب والتبري إلى الله تعالى من الحول والقوة ومن قطع حبل الطلب عن الخلق ارتفع قيام البين بينه وبين الحق والاعتصام قبل المعرفة محال والمعرفة قبل المشاهدة محال ومن شاهد الله تعالى بنعت المعرفة اعتصم به في جميع مراده.

في «تفسير السلمي» عن الواسطي: الاعتصام أن ترى نفسك في ظله وكرمه وحسن قيام نظره لك في أزلّه وأبده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [الآية: 102] أي: حق تقواه وعلى وفق ما يرضاه من استفراغ الوسع في اكتساب الأوامر واجتناب الزواجر لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] وعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً في بيان تقوى أرباب الكمال في محبة المولى هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وعن بعض العارفين هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازات عليها.

وقال الثوري: حق تقواه أن لا يرى في قلبك شيء سواه.

وأفاد الأستاذ: أن حق التقوى أن يكون على وفق الأمر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص وهذا هو المعتمد من الأقاويل فيه وأمره على وجهين على وجه الحتم وعلى وجه الندب وكذلك القول في النهي/ على قسمين تحريم 130/أ وتنزيه في جملة هذا أن يكون حق تقاته أولاً اجتنب الزلة ثم اجتنب

الغفلة ثم التوقي عن كل خلة ثم التنقي عن كل علة فإذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك وحق التقوي رفض العصيان ونفي النسيان وصون العهود وحفظ الحدود وشهود الإلهية والانسلاخ عن الأحكام البشرية والخمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب كل جرم وظلم واستشعار الأنفة عن التوسل إليه بشيء من طاعتك دون صرف كرمه لك والتحقق بأنه لا يقبل أحداً بعلقة ولا يرد أحداً بعلقة ﴿وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 102] أي: كونوا على الإسلام وداوموا على الاستسلام حتى إذا أتاكم الموت صادفكم على حال النظام فهو في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام فالمعنى لا تكونن عن حال سوى الاستسلام التام في جميع الليالي والأيام فإن مأتي الموت إنما هو على الإبهام وفيه إيماء إلى أن مدار السعادة على حسن الخاتمة ولما أريد بالإسلام كمال الانقياد والاستسلام بمتابعة جميع الأحكام فسر المسلمون بمتزوجون أي كاملون عاملون بكتاب الله وسنة النبي ﷺ.

وقال الأستاذ: أي لا يصادفكم الوفاة إلا وأنتم بشرط الوفاء.

﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 103] أي: بدينه الذي ارتضاه أو بكتابه المشتمل على أحكامه وما سواه بوصف المبين لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين واستعير له الحبل من حيث أن التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردى ومن حيث أنه وسيلة للصعود عن بئر غوايته إلى شرف هدايته وقابل للتنزل من العلو في حالته ولذا ورد: «القرآن حجة لك أو عليك»⁽¹⁾ وفي رواية القرآن شافع مشفع أو ما حل مصدق⁽²⁾ ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 103] أي: حال كونكم مجتمعين عليه غير متفرقين عنه فإن الاجتماع المشعر بالإجماع من أقوى الحجج عند الأسماع كما يشير إليه قوله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [الآية: 103]

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1/223)، وابن ماجه في السنن (1/102) رقم (280)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/535) رقم (3517)، والدارمي في السنن (1/174) رقم (653)، والنسائي في السنن الكبرى (2/5) رقم (2217).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/757) رقم (2087)، والطبراني في المعجم الكبير (9/132) رقم (8655)، وابن أبي شيبه في المصنف (6/130) رقم (30052).

[103] وفي رواية البزي فبتشديد التاء والمعنى لا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف في قضية الصدق ثم الاعتصام بالله/ فنسبة حقيقية والاعتصام بحبل الله 130/ ب سببية إضافية.

وقال الواسطي: من يعتصم بالله للخاصة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 103] للعامة.

وأفاد الأستاذ: أن الاعتصام بحبله سبحانه التمسك بآثار الواسطة وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسنة ويصح أن يقال الخواص يقال لهم ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 103] وخاص الخاص قيل لهم: واعتصموا بحبل الله ولمن رجع عند سوانحه إلى اختياره واحتياله أو فكرته واستدلالة أو معارفه وأشكاله أو التجأ إلى ظل تدبيره أو استضاء بنور عقله وتفكيره فمرفوع عنه ظل العناية وموكل إلى سوء حاله في الرعاية والفرقة أشد العقوبة وهي قرينة الشرك المعبر عنه بالفتنة.

ومن «نفائس العرائس» أن وحشة التفرقة تكون في الغيبة وحقيقة الجمعية يكون في مشهد المشاهدة وحبل الله أنواع الواسطة للجمعية من الهداية والكفاية والرعاية والعبودية والمعرفة والمحبة والخدمة والأدب والحرمة والحشمة والنبي والكتاب والسنة أوجب على الجمهور الاعتصام بهذه الوثائق حتى وصلوا إليه ولا تفرقوا عنه لأن من رجع إلى معاملته ومجاهدته وحيلته وفكرته فهو بمعزل عن ظل العناية وكنف الكفاية والاعتصام بالله من باب المعرفة أرشد طائفه إلى نفسه بلا وسائط وأغرقهم في بحار وجوده حتى يلتجئوا من قعر بحر الذات إلى سفن الصفات لينقذهم من لطمات النكرة بأنوار المعرفة وفي مشهد التوحيد الاعتصام للمحبين جهل بعلم القدم وللعارفين مكر وحجاب برسوم المعرفة عن حقائق الأسرار وللموحدين كفر لأن حقيقة التوحيد حالان خمود السر عن الإرادة عند إرادة الحق وفناء الموحد عن الموحدية في رؤية الموحد لأن من التفت عنه بعد شهوده عن القدم إلى رسوم الربوبية والعبودية فهو شرك في الحقيقة وهذا من غرائب

شطحياتي ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 103] أي: الذي من جملتها الهداية والتوفيق للرعاية المؤدية إلى الإلفة المألوفة من المعية والحالة الجمعية والهيئة الاجتماعية ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ [الآية: 103] أي: في زمن الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 103] أي: فأوقع/ الإلفة وأثبت المحبة فيما بينكم بالإسلام وموافقة الأحكام.

وفي «حقائق السلمي» قيل: أي كنتم أعداء بملازمة حظوظ أنفسكم فألف بين قلوبكم فأزال عنكم حظوظ الأنفس وردكم منها إلى حظ الحق فيكم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [الآية: 103] أي: فصرتم بإنعام هدايته وإكرام رعايته متحابين مجتمعين على الأخوة في الله والمحبة في رضاه.

وقال الأستاذ: كانوا أعداء حين كانوا قائمين بحظوظهم معرجين على ضيق البشرية متزاحمين بمقتضى شح النفوس فألف بين قلوبهم بإخلاص عن أسر المكونات ودفع الأخطار عن أسرارهم فصار مقصودهم جميعاً واحداً وألف ألف شخص في طلب واحد في الحقيقة واحد ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾ [الآية: 103] التي هي عصمته إياكم ﴿إِخْوَانًا﴾ [الآية: 103] متفقي القصد والهمة متفانين عن حظوظ النفس وخفايا البخل والشح وسائر الدنس ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ﴾ [الآية: 103] أي: طرف محفورة منها والمعنى وكنتم مشفين ومشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك الحالة من التفرقة لوقعتم في نار الهاوية كما أن من أدركه الموت في حال الإسلام من الجمعية لوقع في روضة الراضية وقد أشار إليها حديث «القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران»⁽¹⁾ ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [الآية: 103] أي: أخلصكم من الحفرة أو النار بالإيمان والإقرار قيل المعنى كنتم على شفا حفرة من النار برؤية النجاة بالعمل فأنقذكم منها بمشاهدة الفضل كذا في «حقائق السلمي».

وقال الأستاذ: كنتم تحت أسر مناكم ورباط حظوظكم وهواكم فأنقذكم

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 272) رقم (8613)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 639) رقم (2460).

منها بنور الرضا والخمود عند جريان القضاء وتلك حقاً هي المملكة العظمى والدرجة الكبرى ويدخل في جملة هذا ترك السكون إلى ما منك من المناقب والتقى والعقل والحجى والتحصيل والنهى والفرار إلى الله عن كل غير وسوى ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 103] أي: مثل ذلك التبيين المبين كالعيان ﴿يُيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 103] أي: دلائله المؤيدة بالبرهان ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 103] إلى مدارج العرفان ومعارج الإيقان.

﴿وَلَتَكُنَّ مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 104] أيها المؤمنون ومن بيانية متقدمة أو تبعية مفيدة أن الأمر للوجوب على وجه الكفاية ﴿أُمَّةٌ﴾ [الآية: 104] أي: جماعة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [الآية: 104] أي: إلى الإسلام/ أو الاستسلام بالمواعظ 131/ ب واستحسان الكلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ﴾ [الآية: 104] وهو امتثال الطاعات ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الآية: 104] وهو ارتكاب السيئات ﴿وَأُولَئِكَ﴾ [الآية: 104] أي: الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 104] أي: الكاملون في الفلاح الفائزون بالنجاح.

وأفاد الأستاذ: إن هذه الآية إشارة إلى أقوام قاموا بالله لا يأخذهم لومة ولم يقطعهم عن الله استنامة إلى علة وقفوا جملتهم على دلالة أمر الله وقصروا أنفاسهم واستغرقوا عمرهم في تحصيل رضاه عملوا لله ونصحوا لدين الله ودعوا خلق الله إلى الله فريحت تجارتهم وما خسرت نفقتهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [الآية: 105] أي: في شأن دينهم ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ [الآية: 105] أي: في أمر نبيهم اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الآية: 105] أي: الآيات الواضحات والدلالات اللائحات الموجبة للاتفاق المبينة لعدم الافتراق والمراد النهي عن التفرق في الأحوال الممهدة دون الفروع المرتبة لقوله ﷺ على ما رواه جماعة من علماء الأئمة اختلاف أمتي رحمة⁽¹⁾ ﴿وَأُولَئِكَ﴾ [الآية: 105] أي: الموصوفون بالتفرق في الدين القويم ﴿كُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 105] وحجاب جسيم وهذا وعيد لهم وتهديد لمن تشبه بهم.

(1) جامع الأحاديث (40/2) رقم (874)، وكنز العمال (10/136) رقم (28686).

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام أظهر عليهم في الابتداء رقوم طلب
الوصلة ثم وسمهم في الانتهاء بكى الفرقة فباتوا في نفق الأحاب وأصبحوا
في زمرة الأجانب وراء الحجاب ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [الآية: 105]
قيل: بياض الوجوه وسواده كنياتان عن ظهور بهجة السرور والنعمة وكآبة الحزن
والمحنة والأظهر أنهما على ظاهر معناها ثم قيل تبيض وجوه بالشهادة في سبيله
وتسود وجوه بالفرار عن طريقه وقيل تبيض بالقناعة بإعطاءهم الحق وتسود وجوه
بالطمع في الخلق وقال: محمد بن علي تبيض وجوه بنظرهم إلى مولاهم وتسود
وجوه باحتجابهم عنه كذا في الحقائق للسلمي والأظهر أن يقال تبيض بالعلم
وتسود بالجهل أو تبيض بالإيمان وتسود بالكفران لقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [الآية: 106] أي: يقال لهم توبيخاً
أكفرتم بالباطن ﴿بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ﴾ [الآية: 106] بالظاهر فالخطاب للمنافقين أو أكفرتم
بمحمد ﷺ/ بعد ظهور نبوته ووضوح رسالته بعد إيمانكم به قبل بعثته فالخطاب
لأهل الكتاب أو أكفرتم بالافتراق بعد إيمانكم جميعاً يوم الميثاق ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 106] أي: بالنفاق أو الشقاق.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [الآية: 107] فلا يقال لهم بواسطة من العلم
والعمل لكونهم من أهل التوحيد والفضل بل يقال لهم ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الآية:
107] أي: فأنتم منغمسون في رحمته ومنطمسون في نعمته للإشعار بأن المؤمن
وإن استغرق عمره في طاعته لا يدخل الجنة إلا بفضلته ورحمته ثم قدم ذكرهم
في الإجمال المذكور وآخر في التفصيل المسطور ليكون مطلع الكلام ومقطع
المرام حيلة المؤمنين ومثوبة الموقنين ﴿هُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 107] أي: في رحمته التي
هي كناية عن جنته التي هي محل نعمته ﴿خَالِدُونَ﴾ [الآية: 107] دائمون باقون
بخلاف الكفار فإنهم في العذاب مخلدون ولعله ترك بيان خلودهم لظهور أمرهم
أو للاكتفاء بضدهم أو للإعراض عن ذكرهم ويمكن أن يكون التقدير فذوقوا
العذاب المخلد بكفركم بدل شكركم.

وأفاد الأستاذ: أن أرباب الدعاوي تسود وجوههم وأصحاب المعاني

تبيض وجوههم وأهل الكشوفات غداً تبيض بالإشراق وجوههم وأصحاب الحجاب تسود بالحجبة وجوههم فتعلوها غبرة وترهقها قفرة ويقال من ابيض اليوم قلبه ابيض غداً وجهه ومن كان بالضد فحاله عكسه ويقال من أعرض عن الخلق عند سوانحه ابيض وجهه بروح التفويض ومن علق بالأغيار قلبه عند جوائحه أسود محياه بغبار الطمع وأما الذين ابيضت وجوههم ففي أنس وروح وأما الذين اسودت وجوههم ففي مخنّ ونوح.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ [الآية: 108] أي: الواردة في وعده ووعيده ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 108] أي: بالوجه الثابت الصدق ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 108] إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يجب شيء عليه فيظلم بنقضه ولا يمنع عن شيء يكون ملك غيره فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 109] ملكاً وملكاً ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الآية: 109] علماً وحكماً فيجازي كلاً بما وعد له وأوعده فضلاً وعدلاً.

وأفاد الأستاذ: أن نديم مخاطبتنا معك على دوام الأوقات/ بالإمداد في 132/ ب كل قليل وكثير عمارة لسبيل الوداد وما الله يريد ظلماً للعباد وأتى لجواز الظلم في وصفه تقديراً ووجوداً فالخلق كلهم خلقه والحكم عليهم حكمه.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [الآية: 110] أي: في علم الله أو في اللوح المحفوظ أو فيما مضى من الأمم أو المعنى أنتم أيها الصحابة وأتباعكم خير أمة ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 110] أي: أظهرت لهم على طريقة تنفعهم كما بينه بقوله ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 110] أي: ما استحسنة الشرع أو ما نشأ عن المعرفة.

وقال الصادق المعروف ما وافق الكتاب والسنة ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الآية: 110] أي: ما استقبحه الشرع أو ما نشأ عن النكرة يحتمل النكرة أو ظهر من أهل البدعة وهذا مقام التكميل ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 110] وبما جاء من عنده على وفق ما قضاه إيماناً ثابتاً في مقام الكمال غير مقيد بحال من الأحوال ولذا قال بعض العارفين الصوفية بخير ما تناقلوا في الأقوال والأفعال ولعل وجه

تأخيره مع اقتضاء الترتيب تقديمه ليلائم قوله ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 110] إيماناً كييمانكم ﴿لَكَانَ﴾ [الآية: 110] أي: إيمانهم ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الآية: 110] مما هم عليه من شر أحوالهم وسوء أعمالهم ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 110] أي: الكاملون بالإيمان الداخلون في الإسلام كعبد الله بن سلام وهم قليل منهم أو بعضهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية: 110] أي: المعاندون أو المنافقون.

قال يحيى بن معاذ: هذه الآية مدحة لهذه الأمة وما كان الله ليمدحهم ثم يعذبهم كذا في «الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان المصطفى ﷺ أشرف الأنبياء كانت أمته أشرف الأمم ولما كانوا خير الأمم كانوا أشرف الأمم ولما كان شوق الأمم إليه كانت أعمارهم أقصر الأعمار وخلقهم آخر الخلائق لئلا يطول مكثهم تحت الأرض ثم ما حصلت خيرتهم بكثرة صلاتهم وعبادتهم ولكن بزيادة إقباله عليهم وتحصيله إياهم ولقد طال وقوف المتقدمين بالباب ولكن لما خرج الإذن بالدخول تقدم المتأخرون.

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لما ينالوا نصيباً⁽¹⁾

والمعروف خدمة الحق والمنكر صحبة النفس والأنس بالخلق المعروف
إيثار حق الحق والمنكر اختيار حظ النفس المعروف ما يزلفك إليه والمنكر ما يحجبك عنه وشرط الأمر بالمعروف أن يكون متصفاً بالمعروف وحق الناهي عن المنكر أن يكون منصرفاً عن المنكر انتهى وهذا شرط الكمال في مقام
133/ أ الإكمال لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 44]
فالأظهر أن العاصي يجب أن ينهى غيره من ولده وعبدته ونحوه عما يرتكبه بنفسه
لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر.

ثم قال الأستاذ: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ لو دخل الكافة تحت أمرنا لوصلوا إلى حقيقة العز في الدنيا والعقبى ولكن بعدوا عن القبول في سابق الاختيار فصار أكثرهم موسوماً بالشرك والتعلق بالأغيار.

(1) نسب إلى العباس. انظر: الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿لَنْ يَصُرُواكُمْ﴾ [الآية: 111] أي: أعداؤكم من أهل الكتاب ﴿إِلَّا أَذَى﴾ [الآية: 111] أي: ضرراً يسيراً كقطعن وتهديد فوجب لكم بالصبر عليه أجراً كثيراً ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمُ الْأَذْبَارُ﴾ [الآية: 111] أي: ظهورهم عند ظهوركم عليهم بالفرار ﴿ثُمَّ لَا يُصْرُونَ﴾ [الآية: 111] في هذه الدار ويعذبون بالنار في دار القرار.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه لا يسلط أعداءه على أوليائه إلا بمقدار ما يصدق إلى الله فرارهم فإذا حق فرارهم أكرم لديه قرارهم وإن استطالوا على الأولياء بموجب حسابانهم انعكس الحال عليهم بصغارهم وهوانهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [الآية: 112] أي: ألزمهم الله المذلة والمهانة بهدر النفس والمال والأهل أو الجزية ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ [الآية: 112] أي: وجدوا في جميع الأحوال ﴿إِلَّا يَحِلَّ مِنَ اللَّهِ وَحْلٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 112] أي: إلا معتصمين بذمة الله وعهده الذي عاهدهم أو كتابه الذي أتاهاهم وذمة المسلمين وعهدهم بالمهادنة لهم أو ضرب الجزية عليهم ﴿وَبَاءُ﴾ [الآية: 112] أي: رجعوا ﴿بِقَضِبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: مستوجبين للسخط واللعنة بعد ما كانوا من أهل الرضا والرحمة ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [الآية: 112] أي: الظاهرة والباطنة حيث سكنوا واطمأنوا بالدنيا عن الآخرة أو المعنى أحيطت بهم إحاطة الخيمة المضروبة على أهلها الساكنة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب الموجب للبعد عن الرحمة ﴿يَأْتُهُمْ كَأَنُورًا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: المنزلة أو دلالات المعجزة ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 112] أي: بغير جرم من الأنبياء حتى في زعم الأعداء ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: بما ذكر من الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 112] أي: بسبب عصيانهم القاصرة والمتعدية فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى ارتكاب الكبائر والاستمرار على الكبائر يؤدي إلى الكفر الموجب للمقت في الوقت والبعد عن السعد والفرقة والحرقة/ وحرمان الوصلة وسائر النعمة.

وأفاد الأستاذ: إن علم الهجران لا ينكتهم وسمة البعد لا تخفى ودليل القطع لا يستتر فهم في صغار الطرد وذل الرد يعتبر بهم أولوا الأبصار ويغتر

بهم أضرابهم من الكفار والفجار ﴿لَيْسُوا﴾ [الآية: 113] أي: أهل الكتاب.

﴿سَوَاءٌ﴾ [الآية: 113] أي: مستويين في المساوىء لما سبق من أن منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ولقوله ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [الآية: 113] بالحق مستقيمة في الصدق وهم الذين أسلموا منهم ﴿يَتْلُونَ﴾ [الآية: 113] أي: يقرؤون أو يتبعون ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 113] أي: من القرآن ﴿ءَانَّهُ أَتِلَّ﴾ [الآية: 113] الظاهر استيعاب ساعاته وأجزائه ويراد استيعاب المجموع لا من كل واحد في أثناءه ولعله لم يذكر آناء النهار للاكتفاء أو للإيماء بأنه الوقت الأولى والأصفي للتلاوة والعبادة ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [الآية: 113] أي: والحال أنهم يصلون ويتلون القرآن في تهجدهم أو أنهم يصلون صلاة العشاء المختصة بالمسلمين لما روى أحمد في «مسنده» أنه عليه السلام أخر صلاة العشاء ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم⁽¹⁾ ثم قرأ ﴿لَيْسُوا سَوَاءٌ مِّنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 113] الآية ولا يبعد أن يقال المعنى وهم ينقادون لحكم ربهم فيما يتعلق بأمرهم ونهيهم ثم مدحهم سبحانه بأوصاف جمّة من مختصات هذه الأمة بقوله:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 114] أي: كإيمان المسلمين ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الآية: 114] كأكابر المؤمنين ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 114] أي: الموصوفين بالأوصاف المذكورة ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا ثناؤه ورضاه أو المراد بالصالحين القائمون بحقوق الله وحقوق ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما غير بين النور والظلام مغايرة تضاد فكذلك أثبت منافاة بين أحوال الأولياء وأحوال الأعداء ومتى يستوي الضياء والظلمة واليقين والتهمة والوصلة والفرقة والبعد والإلفة والمعتكف على بساط الأدب والمنصرف عن الباب والمتصف بالولاء والمنصرف عن الوفاء

(1)- أخرجه النسائي في السنن الكبرى (313/6) رقم (11073)، وأبو يعلى في المسند (9/206) رقم (5306)، وأحمد في المسند (1/396) رقم (3760).

هيهات لا يلتقيان وكيف يتفقان أو يستويان.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [الآية: 115] بالغيبة قرأه حفص وحمزة والكسائي فلن يحرموه ولن يضيع عند الله ثوابه وسمي ذلك كفراناً كما سمي جزاء الثواب شكراً ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ / بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 115] أي: بشاره لهم وإشارة 134/أ إلى أن التقوى مبدأ خبرهم وقال الأستاذ لن يخيب عن بابه قاصد ولن يخسر عليه تاجر ولن يستوحش معه مصاحب ولن يذل له طالب ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِىَ﴾ [الآية: 116] أي: لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً [الآية: 116] أي: من العذاب فيكون مفعولاً به أو لن تنفعهم ولا تكفيهم شيئاً من الغنا بمعنى الكفاية فيكون مفعولاً مطلقاً ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية: 116] أي: ملازموها في دار البوار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 116] أي: مخلدون مع الأغيار وقال الأستاذ لا في الحال لهم بدل ولا في المال عنهم خلف فهم في عاجلهم في نقص وخسر وفي آجلهم في قطع وهجر وبلاء وضر وعذاب وفكر.

تبدلت وتبدلنا فأخسرنا من ابتغى عوضاً يُسلي فلم يجد⁽¹⁾

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ [الآية: 117] أي: صفة ما ينفق الكفرة قربة صورية أو مفاخرة جاهلية أو المنافقون رياء وسمعة ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 117] أي: الأزمنة الفانية أو في أمور الدنيا الدنية ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ [الآية: 117] فيه نوع من اللطافة الممكنة ﴿فِيهَا صُرٌّ﴾ [الآية: 117] أي: صوت شديد وبرد أكيد ﴿أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ﴾ [الآية: 117] أي: زراعة جماعة من الأمور الحسية ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 117] أي: بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية: 117] أي: عقوبة لأفعالهم السيئة بحيث لم يبق لهم منفعة دنيوية ولا أخروية ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 117] أي: بضياح نفقاتهم وإهلاك زراعاتهم لأن أفعاله سبحانه إما عدل وإما فضل لا باطل ولا هزل ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 117] بارتكاب الظلم الموجب للظلمة المانعة عن رؤية نور المعرفة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما وجدوا ميراث ما بذلوا لغير الله إلا حسرات

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 345).

متابعة وما حصل من حساباناتهم إلا على محن مترادفة وذلك جزاء من أعرض وتولى أي عن طريق محبة المولى إلى متابعة الهوى.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [الآية: 118] أي: نفساً أجنبية وليجة دخالة في أموركم وأخباركم مطلعة على أسراركم وأفعالكم كالبطانة المتصلة بأبدانكم كائنة من غير طريقكم وأديانكم ﴿لَا يَأْتُونَكُمُ حَبَالًا﴾ [الآية: 118] أي: لا يقصرون لكم في فساد أحوالكم ﴿وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: 118] أي: أحبوا عنتكم وتمنوا مضرتكم ومشقتكم ﴿قَدْ هَدَّتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 118] أي: ظهرت العداوة الكامنة في قلوبكم من ألسنتهم 134/ ب وكلامهم/ حيث لا يتمالكون ضبط أنفسهم لفرط بغضهم وعداوتهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 118] أي: أظهرنا لكم العلامات الدالة على موالة المؤمنين الموافقين ومعاداة الكافرين والمنافقين ﴿إِن كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الآية: 118] أمر الدين على وجه اليقين.

وأفاد الأستاذ: أن الركون إلى الصد بعد تبين المشاقة إعانة على الحال بما لا يبلغه كيد العدو في المآل وأشار الحق سبحانه على المسلمين الأبرار بالتحرز عن الاغترار وإظهار البراءة عن الأغيار ودوام الخلوص للحق سبحانه بالقلوب والأسرار وأخبر أن مضارة القوم للرسول ﷺ أصلية غير طارئة وكيف لا وهو عليه السلام محل الإقبال وهم في محل الإعراض والإدبار ومتى يجتمع الليل والنهار.

﴿هَآئِنْتُمْ أُولَآءِ﴾ [الآية: 119] المخاطبون في موالة الكفار ﴿يُحِبُّوهُمْ﴾ [الآية: 119] أي: بالاغترار ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمُ﴾ [الآية: 119] أي: في الإسرار الدال عليها بعض الإظهار ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [الآية: 119] أي: بجنس الكتب جميعه وهم لا يؤمنون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية: 119] بآياتكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ [الآية: 119] أي: مضوا إلى شياطينهم أو اختلوا في مساكنهم ﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 119] أي: على عداوتكم ﴿الْأَنَابِلِ﴾ [الآية: 119] أي: أنامل

أصابهم ﴿مِنَ الْفِتْطِ﴾ [الآية: 119] أي: من أجله تأسفاً وتحسراً حيث لم يجدوا سبيلاً إليكم في الشففي والغلبة عليكم ﴿قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية: 119] أي: بالحالات المضمرة في قلوبكم كما هو عالم بالأمور المظهرة في أفواهكم.

وقال الأستاذ: أنتم بقضية كرمكم تصفو عن الكدورات قلوبكم فتغلبكم الشفقة عليهم والرحمة إليهم وهم لعتوهم وحنقهم يكيدون لكم ما استطاعوا ولفرط وحشتهم لا يترشح منهم إلا قطرات غيظهم ففرغ يا محمد قلبك منهم ﴿قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [الآية: 119] دعهم ينفردوا بمقاساة ما يتداخلهم من الغيظ بهم واستريحوا بقلوبكم عما يحل بهم فإن الله أولى بعباده يوصل إلى من يشاء ما يشاء من مراده ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 120] أي: تصبكم أدنى منفعة ﴿تَسُوْهُمْ﴾ [الآية: 120] أي: تحزنهم ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 120] أي: مضرة ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [الآية: 120] والتغاير بين فعلي الشرطية بعد اعتبار التفتن في الصنعة التعبيرية للإيماء بأن فرحهم إنما يكون بإصابة المصيبة/العظيمة ﴿وَإِنْ تُصِيبُوا﴾ [الآية: 120] على عداوتهم وأذياتهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ [الآية: 120] موالاتهم ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [الآية: 120] أي: من ضرر مكيداتهم وقرأ نافع وحمزة وابن كثير وأبو عمر ولا يضركم من ضاره يضيره بمعنى يضره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 120] أي: بأعمالهم ﴿مُحِيطٌ﴾ [الآية: 120] فيجازيهم على وفق أحوالهم وفي قراءة شاذة بالخطاب على التقليل.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى المنصرفين عن طريق الإرادة الراجعين إلى أحوال العادة لا يعجبهم أن يكون لمريد نفاذ وإذا رأوا فترة لفاصد استروحوا إلى ذلك وأن الله تعالى بفضله ومنته يتم نوره على أهل عنايته ويذر الظالمين الزائفين عن سبيله في عقوبة بعادهم لا يبالي بما يستقبلهم.

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ﴾ [الآية: 121] أي ذهبت ﴿مِنَ أَهْلِكَ﴾ [الآية: 121] أي: من حجرة عائشة رضي الله عنها حال كونك ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 121] أي:

تنزلهم أو تسوي وتهيء لهم ﴿مَقْلَعَدَ لِقَاتِ﴾ [الآية: 121] أماكن ومصاف لقتال المشركين يوم أحد ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 121] بأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 121] بأحوالكم وفيه تنبيه على مباشرة الأسباب والتوكل على رب الأرباب في النصره وفتح جميع الأبواب.

قال الأستاذ: وإقامة النبي ﷺ بتوجيه الأماكن للقتال فانتدب لذلك بأمره ثم أظهر في ذلك الباب مكتوبات سره فالمدار على قضائه وقدره والاعتبار بإجرائه واختياره.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ﴾ [الآية: 122] أي: جماعتان ﴿وَمِنْكُمْ﴾ [الآية: 122] وكانتا جناحي العسكر فيكم ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ [الآية: 122] أي: تجنبنا وتضعفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [الآية: 122] أي: حافظهما عن اتباع خواطر مما ترك ما يجب عليهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 122] لا على غيره من الأسباب لا سيما في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبرز الجميع في صدار الاختيار كان الأمر إليهم في نفيهم وإتيانهم وفعلهم وتركهم وفي الحقيقة لا يتقلبون إلا بتصرف القبضة وتقلب القدرة.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 123] أي: قبل ذلك ﴿بِذَرٍ﴾ [الآية: 123] وهذا تذكير ببعض ما أفادهم التوكل للنصر ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الآية: 123] أي: حال كونهم قليلين ذليلين في العدة والعدة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 123] أي: في الثبات وطلب النصره ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 123] ما أنعمنا عليكم من النعمة.

وفي «الحقائق» ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِذَرٍ﴾ [الآية: 123] لضعفكم وصحة 135/ ب توكلكم على ربكم وانقطاعكم عن حولكم وقوتكم وردكم الأمر بالكلية/ إليه ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الآية: 123] عند أنفسكم لقلتكم وما كان بدو عز قط إلا بتذليل النفس في الطاعات ومنعها عن الشهوات واللّهوات.

وقال الأستاذ: تذكر ما سلف من الإتيان فتح باب التملق في اقتضاء أمثاله في مستأنف الأيام وما أحسن قول الشاطبي: إليك يدي منك الأيادي تمدها.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾ [الآية: 124] وبالتشديد للشامي.

﴿بَلَى﴾ [الآية: 125] أي: يكفيكم بل زيادة المدد بزيادة العدد يأتيكم ﴿إِنْ تَصَبَّرُوا﴾ [الآية: 125] على المقاتلة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ [الآية: 125] المخالفة ﴿وَيَأْتُواكُمْ﴾ [الآية: 125] أعداؤكم ﴿مِنْ قَوَرِهِمْ﴾ [الآية: 125] وحالهم ﴿هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [الآية: 125] معلمين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء كقوله ﷺ سوموا فإن الملائكة سومت أي⁽¹⁾: بالعمامة وقيل: مع العذبة وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو وقال الأستاذ كان تسكين الحق سبحانه لقلب المصطفى ﷺ بلا واسطة من الله تعالى والربط على قلوب المؤمنين بواسطة الرسول عليه السلام فلولا بقية بقيت عليهم وإلا ما ردهم في حديث النصره إلى إنزال الملائكة وأنى بحديث الملك والأمر كله بيد الملك.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 126] أي: إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ [الآية: 126] أي: بشارة للنصرة لكم لتستبشروا ﴿وَلِيُظْمِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ [الآية: 126] ولتسكن نفوسكم من الخوف إليه ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 126] لا من العدة ولا من العدد في جميع المدة وإنما بشارة المدد من حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر ليتكلموا أو لا يبالوا بمن تقدم وتأخر ﴿الْمَغِيرِ﴾ [الآية: 126] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمِ﴾ [الآية: 126] في تدبير أمر عباده.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته مع أوليائه أنه إذا ضعفت نياتهم أو تناقضت إراداتهم أو أشرفت قلوبهم على بعض فتراتهم أراهم من صنوف عناياته وفنون كراماته ما يقوي به أسباب عرفانهم ويتأكد حقائق إيقانهم فعلى هذه السُنَّة أنزل هذا الخطاب إلى الجملة ثم قطع قلوبهم وأسرارهم عن الأغيار بالكلية فقال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 126] قلت فهذا

(1) انظر: السنن لسعيد بن منصور (459/6) رقم (2675)، وتفسير الرازي (4/376).

تدريج للتوحيد الصرف الذي لا يرى في الكون سواه.

﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 127] أي ينصركم يوم بدر ليهلك
136/ أجمعاً من أعدائكم بقتل سبعين ﴿أَوْ يَكْتُنُهُمُ﴾ [الآية: 127] أي: يخزيهم/ بأسر
سبعين فالتنوع في مقام التبيين ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ [الآية: 127] أي: فينهزم الباقون منهم
﴿خَائِبِينَ﴾ [الآية: 127] منقطعي الآمال خاسرين.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه لا يشمت بأوليائه عدواً فالمؤمن وإن
إصابته نكبة فعدوه لا محالة يكبه الله في الفتنة والعقوبة يعني في الآية تسلية
لقلوب الأمة مما أصابهم في أحد من الغمة.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 128] أي: من أمر النصر وغيره شيء من
التصرف في فعله وتركه والجملة اعتراضية بين المتعاطفين وهو يكتبهم وقوله ﴿أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 128] أو يعذبهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم
أو يكتبهم إن قاتلوا أو يتوب عليهم إن أسلموا ﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ [الآية: 128] إن
أصروا ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [الآية: 128] أي: كاملون في ظلمهم حيث أصروا على
كفرهم.

ومن «نفائس العرائس» أراد السيد عليه السلام تقديس حضرة الجلال عن
أنفاس المجرمين في قولهم بما لا يليق بجلال الله من الشرك والكفر لثلا يبقى
في ساحة الكبرياء في قلبه غير الله في جمال وجهه تعالى ومن سرعة حبه
وشدة إرادته لم يطالع أمر القدم الذي جرى بالعناية في حق المستورين من
بينهم بأستار عوارض الامتحان فعاتبه أين أنت من مشاهدة سبق عنايتي لهم
أنعم نظرك في ديوان الأزل فإنهم سواء وليس لك في هذه الغيرة من أمر
القدم ومشية الأزل في وقتك حين احتجبت بغيرتك على أمرهم شيء وإن
صرفت منك أي: رأيت المشيئة واستغنيت بالدعاء عليهم وتصديق ذلك قوله
أو يتوب عليهم أو يعذبهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإله من له النهي والأمر فلما لم يكن له تعالى في

الإلهية نظير لم يكن إليه ﷺ عليه من الأمر والنهي شيء ويقال جرده بما عرفه وخاطبه عن كل غير ونصيب ودعوى حيث أخبر أنه ليس له من الأمر شيء فإنه إذا لم يجز أن يكون سيد الأولين والآخرين شيء من الأمر فمن نزلت رتبته عن منزلته فمن يكون له شيء من الأمر ويقال استأثر بسر عباده في حكمه فقال أنا الذي أتوب على من أشاء من عبادي وأعذب من أشاء والعواقب عليك مستورة وإنك يا محمد لا تدري فيهم سري ويقال أقامه في وقت مقاماً رمى بقبضته من التراب فأصاب جميع الوجوه/ وقال ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17] وقال في وقت آخر ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 128] ثم زاد في البيان فقال:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 129] وإذا كان الملك ملكه والأمر أمره والحكم حكمه فمن شاء عذبه ومن شاء قربه ومن شاء هداه ومن شاء أغواه كما قال ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 129] يعني الأمر كله لله وليس الأمر لأحد سواه وإن الأمر تابع لمشيئته على وفق قضائه وحكمته فالمعنى يغفر لمن يشاء تائباً كان أو غير تائب ويعذب من يشاء ظالماً كان أو غير ظالم لحكم ومصالح لا يحيط بها إلا هو وحده سبحانه ولا يجب عليه تعذيب ولا إثابة في أمر عباده لأنه الغني المطلق الذي لا يسأل عما يفعل وأن أفعاله لا تخلوا عن العدل أو الفضل بلا فصل إلا أن غالب وصفه الكرم والرحمة ولذا قال ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 129] أي: يغفر ذنوب العاصين ويرحم على المطيعين ﴿فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَاَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [الآية: 130] وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة أي: زيادة مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع عند نزول الآية وإلا فأنواع الربا بأجمعها منهيّة سواء كانت قليلة أو كثيرة ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 130] أي: مخالفته أو معاقبته بترك الفساد وفعل الصلاح ﴿لَكُمْ تَفْجُوهٌ﴾ [الآية: 130] راجين الفلاح ومتوقعين النجاح.

﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 131] أي: بالتجاوز عن متابعتهم

والاجتناب عن مشابهتهم وفيه تنبيه على أن النار معدة للكفار بالذات وبالعرض للعصاة.

وقد أفاد الأستاذ: في هذا الباب أن دليل الخطاب يقتضي أن المؤمن لا يعذب بها وإن عُدَّ بها مدة فلا يخلد فيها.

ومن «دقائق الحقائق» قال ابن عطاء أمر العوام باتقاء النار لخوفهم منها وتركهم المعاصي لأجلها وأمر الخواص بأن يتقوه وينظروا إليه دون غيره من الأسباب حيث قال ﴿وَأَتَقُونَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197] [الآية: 131] قلت وكذا قال في الآية السالفة ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 130] فكان الآية الأولى خطاب للسابقين والأخرى عتاب اللاحقين.

ومن «نفائس العرائس» أن في الآية الشريفة إشارة عجيبة لطيفة في وضوح عيان الحق سبحانه حقائق الآية أن النار لم تعد للمؤمنين ولم تخلق لهم لقوله 137/أ ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 131] فإذا كانت للكافرين لم تخلق للمؤمنين/ لكن خوف المؤمنين بها زجراً وعظة كالأب البار المشفق على ولده الذي خوف ولده بالأسد أو بالسيف وأنه لا يضربه بالسيف ولا يلقيه عند الأسد فبقي أن هذه الآية تلطف وشفقة على عباده المؤمنين الصادقين وأعجب من ذلك أن الله تعالى خوفهم بالنار والنار للغير ومقصوده تجلي القهر من عظمته للنار وعظمة النار من تجلي عظمته أي اتقوني في النار لأنني أخوف النار وأعذبها بي وهذا سر عين الجمع.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 132] أتبع الوعيد السابق بالوعد اللاحق ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الموافقة ولعل في مثل ذلك ذل على عزة التوصل إلى ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قرن طاعة الرسول بطاعة نفسه تشريعاً لقدره وتخفيفاً على الأمة في أمره حيث ردهم إلى شخص من أنفسهم بل وإلى ذات من أنفسهم فإن الجنس إلى الجنس أسكن إلى غير جنسهم.

﴿وَسَارِعُوا﴾ [الآية: 133] عطف على ما قبله وفي قراءة نافع وابن عامر

باستثناؤه أي: بادروا وسابقوا أو اقبلوا أو توجهوا ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 133] إلى ما يوجب لكم المغفرة كالإسلام والإخلاص والتوبة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [الآية: 133] أي: كعرضهما كما جاء في آية أخرى عرضها كعرض السماء والأرض وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ثم إذا كان هذا عرضها فما ظنك بطولها ففيه دليل على أنها خارجة عن هذا العالم لأنه لا يسعها ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 133] هيئت بالذات لكامل المتقين وبالعرض لفساق المؤمنين وفيه وفي ما قبله دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان رداً على المعتزلة.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في المسارعة على أقسام فالعابدون يسارعون بقدمهم في الطاعات والعارفون يسارعون بهمهم في القربات والعاصون يسارعون بندمهم إلى تجرع الحشرات فمن سارع بقدمه وجد مثوبته ومن سارع بهممه وجد قربه ومن سارع بندمه وجد رحمته.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [الآية: 134] أي: في حالتي النعمة والشدة الناشئة منهما المسرة والمضرة أو في الأحوال كلها إذ السالك لا يخلو عن منحة ومحنة أي: لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه/ من قليل أو كثير من 137/ ب المال أو بذل جاه وعلم وحال نافعة في المال.

ومن «دقائق الحقائق» قيل أن الذين يتبرون من الأملاك والنفوس والقلوب وينفقونها في مرضات الله ولا يبخلون بشيء مما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يدخرون عن الله شيئاً من المال ويؤثرونه على الأشياء في كل حال ينفقون أبدانهم في الطاعات وفنون الأوراد والاجتهاد بالرياضات وأموالهم في اقتناء الخيرات وابتغاء الخيرات لوجوه الصدقات وقلوبهم في الطلب ثم دوام المراعاة وأرواحهم على صفاء المحاب والوفاء على عموم الحالات وأسرارهم على المشاهدات في جميع الأوقات منتظرين إشارات المطالبات مشمرين للبدار إلى دقيق المطلوبات ﴿وَالْكَظِيمِينَ الْقَيْطَ﴾ [الآية: 134] أي: الحابسين له الكافين عن إمضائه مع القدرة على إجرائه ففي

الحديث من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن أقواماً يتجاوزون عن الخلق لملاحظتهم إياهم بعين النسبة وأقوام يحلمون عن الخلق علماً بأن ذلك يسبب جرمهم فيشهدونهم بعين التسليط وآخرون يكظمون الغيظ تحقّقاً بأن الحق سبحانه يعلم ما يقاسون فالتحمل عنهم حينئذ يهون وآخرون فنوا عن أحكام البشرية فوجدوا صافي الراحة في المذلة لأنّ نفوسهم ساقطة فانية وآخرون لم يشهدوا ذرة من الأغيار من الإنشاء والأجراء فعلموا أن المنشئ الله فزالت خصوماتهم ومنازعاتهم مع غير الله فلما أفردوه بالإبداع انقادوا لحكمه فلم يروا معه وجهاً غير التسليم لأمره وأكرمهم الحق سبحانه ببرد الرضا فقاموا له بشرط الموافقة وعهد الوفاء ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [الآية: 134] أي: المتجاوزين عنهم التاركين عقوبة من يستحقها منهم وفي الحديث أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت ذكره الثعلبي⁽²⁾ عن مقاتل ابن حيان.

ولعل وجه حكمته في تقدير صحته ما رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً الحدة تعتري خيار أمتي⁽³⁾ وفي رواية ابن عدي عن معاذ مرفوعاً الحدة تعتري حملة القرآن لعزة القرآن في أجوافهم⁽⁴⁾.

فالمعنى أنهم لا يعفون عن الخلق في مخالفتهم للحق لأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من غير مراعاة الاستئناس لقوله سبحانه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة، الآية: 54] / 138 أ

(1) أخرجه أبو داود في السنن (4/ 394) رقم (4779)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 372) رقم (2021)، وابن ماجه في السنن (2/ 1400) رقم (4186)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (415).

(2) الكشف (1/ 324)، تفسير ابن أبي حاتم (3/ 179)، تفسير أبي السعود (2/ 86)، وتفسير البيضاوي (1/ 93).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 151) رقم (11332)، وأبو يعلى في المسند (4/ 327) رقم (2450)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 228) رقم (617).

(4) كشف الخفا (1/ 354) رقم (1120)، وكنز العمال (3/ 127) رقم (5802).

الحاصل أن حدتهم من الغيرة الإلهية لا من الحمية الجاهلية وهذا فيما يكون متعلقاً بحق الله أو العباد وأما إذا تعلق بأنفسهم فأروا عفوهم عنهم فرضاً على أنفسهم لا فضلاً منهم عليهم كما قال قائلهم:

رب رام لي بأحجار الأذى لم أجد بداً من العطف عليه⁽¹⁾

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 134] أي: إلى أنفسهم فإن مال إحسانهم لغيرهم أيضاً إليهم قال الله تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ﴾ [الإسراء: 7].

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا في معاملة الحق وأما في معاملة الخلق فالإحسان أن تدع جميع حقك بالكلية كم كان على من كان وتقبل بقبوله منه ولا تقلده في ذلك منه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾ [الآية: 135] أي: فعلة قبيحة من أفراد الكبيرة ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 135] بارتكاب بعض أصناف الصغيرة أو هذا تخصيص بعد تعميم أو الأولى في المعصية المتقدمة والثانية في السيئة القاصرة.

وفي «الحقائق» قيل الظلم متابعة النفس ما تشتهيها قلت وهي الفاحشة الجامعة الصادرة من أم الخبائث الشاملة للمعاصي بأجمعها ما قيل:

وجودك ذنب لا يقاس له ذنب⁽²⁾

وأفاد الأستاذ: أن فاحشة كل أحد على حسب حاله ومقامه وكذلك ظلمهم وأن خطورهم المخالفات بهال الأكابر كفعلها من الأغيار وقال قائلهم:

أنت عيني وليس من حق عيني غرض أجفانها على الأقداء⁽³⁾

(1) نسب إلى بهلول. انظر: عقلاء المجانين (1/ 25)، وغرر الخصائص الواضحة (1/ 128).

(2) هذا عجز البيت، وصدرة: وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني نسب إلى عبد الغني النابلسي. انظر: داوود الشعر العربي (85/ 203).

(3) نسب إلى ابن الرومي. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 24)، والتذكرة الحمدونية (2/ 37).

وليس الجرم على البساط كالذنب على الباب قلت ولذا قال العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي⁽¹⁾

ثم قال الأستاذ: وقد أوحى الله إلى موسى عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكروني فإني أوحيت أن أذكر من ذكرني وذكري للظلمة اللعنة وقيل للظلمة هذه الأمة أو ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 135] انتهى والظاهر أن المراد بالنهي عن الذكر هو الذكر الناشئ عن الغفلة الموجب للطرد واللعنة والمراد بإثباته هاهنا ذكر عذابه وتذكر عقابه أو حكمه الكريم أو حقه 138/ ب العظيم المقتضي للندامة والتوبة ولذا رتب عليه المغفرة/ والجنة ويقال كما أفاد الأستاذ أنهم إذا فعلوا فاحشة بركونهم إلى أفعالهم أو ظلموا أنفسهم بملاحظة أحوالهم فاستغفروا لذنوبهم وسيئاتهم بالتبري عن حركاتهم وسكناتهم على حلماً منهم بأنهم لا وسيلة لهم إليه إلا به فخلصهم من ظلمات نفوسهم وأن رؤية الأحوال والأفعال ظلمات عند ظهور أنوار الحقائق ومن طهره الله بنور العناية الأزلية صانه عن التورط في مغاليط البشرية ﴿وَمَنْ يَفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية: 135] أي: لا يغفرها سواه والجملة معترضة بين المتعاطفين للإيماء بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ [الآية: 135] أي: ولم يقيموا على ذنوبهم ولم يديموا على عيوبهم غير ذاكرين ولا مستغفرين بل كل ما صدر عنهم معصية أتبعوها توبة فلم يكونوا فاسقين لعدم صيرورتهم مصرين لما في الحديث: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»⁽²⁾ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 135] قبح أعمالهم الموجبة لنقص أحوالهم وأن ربهم يغفر الذنب ويقبل التوب عن عباده بفضلته ورحمته.

ومن «نفائس العرائس» أن هذه الآية إشارة إلى قوم أخطؤوا في السماع ومجالستهم مع حظوظ أنفسهم وبقايا صفات البشرية فيهم حيث جلسوا بغير

(1) تزيين العشاق (10/1) رقم (114/1).

(2) أخرجه أبو داود في السنن (1/559) رقم (1516)، وأبو يعلى في المسند (1/124) رقم (139)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/409) رقم (7099).

حضور ولا شهود ولا مراقبة ولا محاسبة ولا تقديس الأسرار في طلب الأنوار فالفاحشة منهم سماع القول وإظهار الوجد مع حظوظ النفس والأهوية البشرية والظلم منهم دعوى المقامات والولايات وهم يعلمون أنهم ليسوا على التحقيق في السماع وإظهار الوجد فأدركهم الله بفيض رحمته حيث تعرفهم فضائح أنفسهم عنده ويلقنهم في رؤية التعيير والعتاب وتضييق صدرهم بتلك الفاحشة والظلم فيذكرون الله بشرط الندم ورؤية التقصير والخجل بين يديه وسقوطهم عن عيون المشايخ فيستغفرون الله من كذب دعواهم بنية الصدق في التبري عن دعوى ما ليس لهم وإذا كان الأمر كذلك ولم يصروا على ما فعلوا يغفر الله لهم ما سبق منهم بإيوائهم إلى قربه فإنه مولاهم وصاحبهم لا غير وذلك قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله وأيضاً فيها إشارة إلى عشاق الله الذين استغرقوا/ في بحار العشق والشوق واحترقوا بلوائح نيران الكبرياء وبغته 139/أ سطوات العظمة فيطلبون روح الإنس بالاستراحة في مشاهدة المستحسنات ويرتادون مشاهدة عروس القدم في مقام الالتباس وعين الجمع الذي فيه رؤية الحق في مرآة الخلق وذلك الالتباس فاحشة منهم لأنهم في طلب القدم مع رؤية الحدث وليس هذا شرط تجريد حقيقة العشق وإذا كانوا محترقين بنيران التوحيد والتفريد في رؤية الأزل والأبد والقدم والبقاء يطلبون النزول في مقام التوحيد إلى مقام العشق وهذا ظلم منهم على أنفسهم لأنهم نقضوا حظ التوحيد بفرارهم من الفناء في التوحيد إلى بقائهم في العشق والتجريد.

وقال الجزيري: الفاحشة النزول من الربوبية إلى العبودية يعني الانتقال من المواجيد والأحوال والمكاشفات إلى السلوك في مقام المعاملات من الطاعات والرياضات.

وقال الواسطي: الطاعات فواحش.

قال البقلي: وهذا تفسير بلسان الشطح قلت الظاهر أن مراده هو أن رؤية الطاعات من فواحش السيئات أو الطاعات من أصحاب الغفلات الذين لم يصلوا إلى مقام الجمع ولم يترقوا عن التفرقة في الحالات بمنزلة الفواحش

من أرباب المقامات فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين في الاعتبار أو إيماء إلى توهم الأثنية من المطيع والمطاع له وهو شرك في مرتبة صرف الوحدة الربوبية ورتبة العبودية، ولذا قيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تفرقة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جمع والله الموفق والمعين.

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم﴾ [الآية: 136] لسيئاتهم ﴿وَجَنَّتْ تَجَرَّى مِن تَحْتِهَا الْأَنتَارُ﴾ [الآية: 136] في مقابلة حسناتهم على مقدار درجاتهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 136] لتخليص نياتهم وتصحيح طوياتهم.

وقال الأستاذ: مغفرة من ربهم يردهم إلى شهود الربوبية وما سبق لهم من الحسنى في سابق القسمة الأزلية وجنات مؤجلة في فراديس الأنس ومعلقة في روح المناجاة وتمام الأنس ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [الآية: 136] ما ذكر من المغفرة من فضله والجنة من عدله.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [الآية: 137] أي: مضت وقائع سننها الله تعالى 139/ ب في/ الأمم الماضية من المكذبة والمصدقة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 137] أي: بسفر الظاهر أو بسير الباطن ﴿فَانظُرُوا﴾ [الآية: 137] أي: بنظر الاعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية: 137] للرسول الأخيار على ما ورد به الآثار والأخبار.

وقال الأستاذ: يعني اعتبروا بمن سلف وانظروا كيف فعلنا بمن وإلى وكيف انتقمنا ممن عادى.

﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 138] الإشارة إلى القرآن أو إلى ما ذكر قبله من البيان والمعنى أنه حجة بينة لعموم العالمين وبسبب هداية ومحل عظمة لخصوص المخلصين من العالمين العاملين.

وأفاد الأستاذ: أنه بيان لقوم من حيث أدلة العقول ولآخرين من حيث مكاشفات القلوب ولآخرين من حيث تجلي الحق في الأسرار.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [الآية: 139] أي: لا تضعفوا عن المجاهدة في الأمور الدنيوية ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية: 139] على ما فاتكم من النعم الدنيوية ولا على ما أصابكم

من الرياضات البدنية النافعة في الأيام الأخروية ﴿وَأَنْتُمْ أَلَعَلَّوْنَ﴾ [الآية: 139] والحال أنكم الأغلبون شأنًا والأظهرون برهانًا فإنكم على الحق الواضح وغيركم على البطلان اللائح ومجاهدتكم لله ومعالجة غيركم لما سواه والعبرة بالغلبة في العاقبة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 139] أي: كاملي الإيمان فلا يخفى عليكم هذا البيان.

وقال الأستاذ: إذا قلتُم بالله ووصلتُم بالله فلا تخافوا من غير الله فإن النصر من عند الله والغالب الله ومن سوى الله فليس بهم ذرة ولا منهم سينة فينبغي للمؤمن أن لا يظله من غير الله مهابة.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [الآية: 140] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بضم القاف والمعنى إن أصابوا منكم يوم أحد قتل بعض وجرحه فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ثم إنهم لم يجبنوا فأنتم أحق بأن لا تهنوا لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: 104] ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ [الآية: 140] أي: الأوقات الدنيوية والوقائع الكونية ﴿تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 140] نصرفها بين عمومهم وخصوصهم كما قيل:

فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر⁽¹⁾

بخلاف الأيام الأخروية فإنها بالنسبة إلى المؤمنين أوقات النعم الأبدية/ 140/ أ وبالنسبة إلى الكافرين أزمنة المحن السرمدية ولذا قال بعض الأبرار وما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى إن نالكم فيه مشقة فالذين تقدمكم لقوا مثل ما لقيتم ومسوا بمثل ما به مستم فمن صبر منهم ظفر ومن ضجر من تحمل ما لقي خسر والأيام نوب والحالات دول ولا يخفى على الحق سبحانه شيء أي لا من الآخر ولا من الأول وكأنه أشار إلى قوله سبحانه ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 140] إيماناً يتعلق به الجزاء فإنه لا يجازي بمجرد التقدير والقضاء

(1) نسب إلى النمر بن تولب. انظر: نهاية الأرب (1/ 269).

بل لا بد من شهور كسب العبد في دار الفناء ليرتب عليه الجزاء في دار البقاء ﴿وَيَجِدْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [الآية: 140] جماعة في مرتبة الشهداء وأرباب الشهود في مقام المشاهدة ورؤية اللقاء ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 140] أي: الكافرين والمنافقين والفاجرين وإنما يجعلهم أحياناً غاليين استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين ليميز المخلصين من المخلصين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 141] أي: بتمحيص ذنوبهم وتطهير عيوبهم وتنظيف قلوبهم إن وقعت الغلبة عليهم ﴿وَيَمَحِّقَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 141] بهلاكهم إن كانت الدولة عليهم والحاصل أن أحوال المؤمنين دائرة بين الصبر والشكر المرتب على كل منهما الثواب والأجر كما هو مقتضى هذه الدار بتكليف النهي والأمر.

وأفاد الأستاذ: أن اختبارات الغيب سبك للعبد وباختلاف الأطوار يخلصه عن المشائب فيصير كالذهب الخالص لا خبث فيه كذلك يصفو عن العلل فيخلص لله ويمحق الكافرين في أودية التفرقة ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَابَ جُفَاءً﴾ [الرعد: 17] قلت بل هم ﴿كَرَارِمٍ يَفِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ [النور: 39] .

﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الآية: 142] أي: بلا ابتلاء من المنحة والمحنة ﴿وَلَمَّا يَبْلُغِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [الآية: 142] أي: ولم يميز بعد في عالم الوجود ومقام الشهود بين مرتبة المجاهدين ورتبة القاعدين ﴿وَيَعْلَمُ الْقَادِرِينَ﴾ [الآية: 142] أي: ولم يميز الصابرين والشاكرين حالة الجزعين والفرغين وهو نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع والمعنى ولم يكن العلم التنجيزي متعلقاً بالمجاهدين والصابرين من المؤمنين المخلصين وفيه إيماء إلى قول بعض الشعراء:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال⁽¹⁾

140/ ب وقد قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات⁽²⁾ وفي

(1) نسب إلى المتنبي انظر: زهر الآداب (1/ 413)، وغرر الخصائص (1/ 142).

(2) سبق تخريجه.

الحديث أن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن من ظن أن يصل إلى محل عظيم من دون مقامات الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الهلاك وأن من عرف قدر مطلوبه ومقصوده سهل عليه بذل مجهوده وموجوده متى جاد دهر بلذاته على من يضمن بخلع العذار قال قائلهم:

إذا شام الفتى برق المعالي فأهون فائت طيب الرقاد⁽²⁾
انتهى. وشام بمعنى أبصر وفي رواية إذا رام الفتى نيل المعالي لكن الأول هو المعول فتأمل.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ [الآية: 143] أي: الشهادة أو الحرب المؤدي إلى الموت فإنها من أسباب السعادة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ [الآية: 143] أي: تشاهدوا شدته وتعرفوا حدته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوْهُ وَأَنْتُمْ لَنْظُرُونَ﴾ [الآية: 143] معانين له حتى قتل دونكم من قتل من إخوانكم ولعل من هنا ورد النهي في الحديث عن تمني⁽³⁾ الموت ولقاء العدو⁽⁴⁾.

وأفاد الأستاذ: إن طوارق التمني بعد الصبر على احتمال للمشاق ولكن.

إذا اشتبكت دموع في حدود تبين من بكى ممن تباكى⁽⁵⁾

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [الآية: 144] أي: ليس غاية مدحته ونهاية محمده إلا كونه موصوفاً برسائلته لا بأمر آخر خاص من بين خليقته بامتداد مدته ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [الآية: 144] أي: فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل والفوت

(1) سبق تخريجه.

(2) نسب إلى أبي القاسم السعدي. انظر: يتيمة الدهر (2/ 140)، وقرى الضيف (5/ 29).

(3) واللفظ «لا يتمنين أحدكم الموت...» انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (6351)، ومسلم في الصحيح (2680/ 10).

(4) واللفظ «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية...» انظر: ما أخرجه البخاري في الصحيح (2966)، والحاكم في المستدرک (2/ 87) رقم (2413).

(5) نسب إلى المتنبي. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 362)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 400).

﴿أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [الآية: 144] إنكاراً لارتدادهم بعد إسماعدهم وإدبارهم بعد إقبالهم وانقلابهم على أعقابهم بموت رسولهم بعد وصولهم إلى معرفة ربهم وحصول محصولهم ورضي الله عن الصديق الأكبر حيث قرأ هذه الآية على المنبر بعد موت النبي عليه السلام واضطرب الأصحاب الكرام وقال بعد الحمد والثناء ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ [الآية: 144] بارتداده بل يضر نفسه بإبعاده عن مقام إسماعده ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: 144] أي: يشيهم بالثبات على الدين من المؤمنين الصابرين ويعاقب المرتدين وسائر الكافرين أو المراد بالآية التوبيخ على من أراد الفرار من الكفار حين تفوه بعض الفجار أنه قتل النبي المختار فقال أنس بن النضر من أكابر الأنصار يا قوم إن كان/ قتل محمداً فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يفعلون وشد بسيفه فقاتل حتى قتل⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه.

وأفاد الأستاذ: أنه لما توفي ﷺ سقمت البصائر إلا بصيرة الصديق رضي الله عنه فأمدّه الله بقوة السكينة وأفرغ عليه قوة التولي في رتبة الولاية فقال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات فصار الكل مقهورين تحت سلطان قائلته لما انبسط عليهم من نور حالته كالشمس بطلوعها يندرج في شعاعها أنوار الكواكب فيستتر فيها مقادير مضارح شعاع كلّ نجم وإنما قال ﴿أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [الآية: 144] لأنه ﷺ مات وقتل أيضاً لأنه قال ما زالت أكلة جبر تعاودوني فهذا أوان قطعت أبهري⁽²⁾ انتهى فأو للتنويع ولعل الحكمة في الجمع بينهما له ﷺ حصول مرتبة شهادة السعادة مع الشهداء من الأنبياء ووصول رتبة الحفظ والعصمة من الإصابة الظاهرة والغلبة الباهرة للأعداء.

(1) الحاكم في المستدرك (3/ 252) رقم (5006)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 264) رقم (769)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 430) رقم (11403).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 323)، وتفسير القرطبي (5/ 163)، وتفسير البغوي (7/ 312)، وتفسير الرازي (2/ 212).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ [الآية: 145] أي: لذات نفس ولو نفيسة ﴿أَنْ تَمُوتَ﴾ [الآية: 145] أي: على المفروضة أو المعركة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 145] أي: بمشيئته وقضائه أو بأمره لملك الموت في قبض روحه ﴿كِتَابًا﴾ [الآية: 145] أي: إذناً مكتوباً في اللوح أو مفروضاً على الروح بالتعب أو الروح ﴿مُؤَجَّلًا﴾ [الآية: 145] مؤقَّتاً لا يتقدم ساعة ولا يتأخر أجلاً فإن الأنفاس محصورة لا زيادة فيها ولا نقصان منها ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 145] أي: النتيجة العاجلة لمجاهدته العاملة ﴿ثَوَاتِهِ مِنْهَا﴾ [الآية: 145] أي: بعضها من الغنيمة ونحوها.

وقال الأستاذ: للصالحين العافية وللآخرين الغفلة ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 145] أي: المثوبة الآجلة بالصبر على المحن العاجلة ﴿ثَوَاتِهِ مِنْهَا﴾ [الآية: 145] أي: من ثوابها في الدنيا ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: 145] جزاء كاملاً في العقبى كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: 20] أي: بأن نجمع له بين خيرى الدنيا والأخرى.

وأفاد الأستاذ: أن ثواب الآخرة أولها الغفران ثم الجنان ثم الرضوان وجزاء الشكر يعني وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

﴿وَكَايْنٍ﴾ [الآية: 146] وقرأ ابن كثير وكأين وهما لغتان بمعنى وكم ﴿مِنْ نَّبِيٍّ﴾ [الآية: 146] وهو بيان له ﴿فَقَتَلَ مَعَهُ رِيتُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية: 146] / أي: 141/ ب ربايون من العلماء الأتقياء وعابدون لربهم من الأولياء الأصفياء.

وقال أبو محمد الحريري: أي منقطون إلى ربهم فانون عن أوصافهم وإراداتهم مطلعون إلى إرادة الله فيهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو قتل بصيغة المجهول إشارة إلى أنهم جمعوا بين وصول القتال مع الأعداء وفي حصول مراتب الشهداء ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ [الآية: 146] أي: ما فتروا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 146] من الشدة والمحنة ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ [الآية: 146] أي: ما جنبوا عن المقاتلة والمجاهدة وما ضعفوا عن تحمل أمانة الديانة ﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ [الآية: 146] أي: لم يخضعوا للأعداء ولم يظهروا لهم المذلة والمهانة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 146] على المحنة والمشقة في دار البلية.

قال الواسطي: كانوا كأبي بكر لما كانت نسبته إلى الحق أتم لم يؤثر عليه فقدان السبب ولما ضعف نسبة عمر قال من قال مات محمد ضربت عنقه وأبو بكر نظر إلى ما دله عليه المصطفى فقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [الآية: 144] الآية.

وأفاد الأستاذ: إن الذين درجوا على الوفاء وقاموا بحق الصفاء ولم يرجعوا عن الطريق وطالبوا نفوسهم بالتحقيق وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق وجدوا محنة الحق سبحانه ميراث صبرهم وكان الخلف عنهم عند نهاية أمرهم فما زاغوا في شرط الجهد ولا زاغوا عن حفظ العهد وسلموا تسليماً وخرجوا عن الدنيا وكان كل منهم للعهد مقيماً مستديماً وعلى شرط الخدمة والوداد مستقيماً.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [الآية: 147] أي: صغائرنا ﴿وَأَسْرَفْنَا فِي أُمُورِنَا﴾ [الآية: 147] أي: كبائرنا والمراد بالذنوب المعاصي القاصرة وبالإسراف المظالم المتعدية ﴿وَوَيْتَنَّا أَقْدَامَنَا﴾ [الآية: 147] في مقام العبادة والمجاهدة ودعوى مرتبة المحبة ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 147] أي: بالحجة والغلبة وأفاد الأستاذ أنهم تحققوا بحقائق المعنى ثم تحرصوا عن إظهار الدعوى ثم نطقوا بلسان الاستغفار ووقفوا في مواقيت الاستحياء والاستصغار كما قيل:

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام⁽¹⁾

قلت وهذا بيان كما قال قائلهم:

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه⁽²⁾ ذنوب⁽³⁾

﴿فَقَالَهُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 148] أي: أعطاهم بسبب التجائهم إلى مولاهم ﴿تَوَكَّبَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 148] أي: النصر والغنيمة والثناء الجميل والمعزة ﴿وَحَسَنَ تَوَكَّبَ

(1) نسب إلى أبي تمام. انظر: المثل السائر (2/ 81)، ودواوين الشعر العربي (11/ 288).

(2) في المخطوطة طاهاته.

(3) نسب إلى الشبلي. انظر: (1/ 204)، والطبوريات (14/ 35).

الْآخِرَةُ ﴿[الآية: 148] أَيْ: الجنة والقربة والوصلة وخص بالحسن إشعاراً/ بفضله 142/أ وأن عنده هو المعتمد به ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 148] فيحسن إلى من قام في مقام الإحسان في مراتب الإيقان وأعلاه أن يغفل عن ما سواه ويعبد الله كأنه يراه. وأفاد الأستاذ أن ثواب الدنيا أقله القناعة ثم الرضا ثم العيش معه ثم الأنس في جلوسه بين يديه ثم كمال الفرح ببقائه ثم استقلال السر لوجوده وحسن ثواب الآخرة دخولهم الجنة وهم محررون عنها غير داخلين في سرها ويقال ثواب الدنيا والآخرة الغيبة عن الدارين برؤية خالقهما وخص ثواب الآخرة بالحسن لمزية دوامها وتمامها وأن لا يشوبها ما ينافيها.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 149] في إضلالهم لكم ﴿بِرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [الآية: 149] من إيمانكم وأعمالكم ﴿فَتَقَلِّبُوا خَاسِرِينَ﴾ [الآية: 149] أي: فترجعوا عن حسن أحوالكم حال كونكم خاسرين في مآلكم وخائبين في آمالكم.

﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانَكُمْ﴾ [الآية: 150] ناصركم ومعينكم وسيدكم ومصلح أموركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [الآية: 150] فاستغنوا بنصره عن ولاية غيره.

وقال ابن عطاء: بل الله مولاكم معينكم على ما حملكم من أوامره ونواهيه إياكم وهو خير الناصرين على أنفسكم وهواكم.

وزاد الأستاذ: حيث أفاد أنه يعينكم على أنفسكم فيكم فيكم شرها ومن سواه يزيد في بلائكم إذا نصرركم لأنهم يعينون أنفسهم عليكم وهو خير الناصرين لأن من سواه يمن عليك بنصرته إياك وهو يجازيك عن استنصارك به ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن تعطيه شيئاً من كرائمك ثم قد ينصر وقد لا ينصر فإذا استنصرت سبحانه يعطيك كل لطيفة ولا يرضى بأن لا ينصر.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الآية: 151] قرأ الشامي والكسائي بضم العين وهما لغتان بمعنى الخوف من الغير والمراد به ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب إلا تغير

البال ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت تدارك الحال فقال عليه السلام إن شاء الله الملك المتعال ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية: 151] سبب إشراكهم به ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الآية: 151] أي: آلهة ليس على إشراكها حجة ولا شبهة ﴿وَمَا أَوْلَهُمْ النَّكَارُ﴾ [الآية: 151] في دار البوار ﴿وَيُنَسِّسُ مَتَوَى الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 151] أي: مأوى الكفار والفجار.

وأفاد الأستاذ: إن الله سبحانه خص نبينا ﷺ بإلقاء الرعب في قلوب 143/ ب أعدائه/ قال: عليه السلام نصرت بالرعب وكذلك أجرى هذه السنة مع أوليائه بطرح الهيبة منهم في قلوب أعدائه فلا يكاد يكون محق إلا ومنه على المبطلين وأصحاب الدعوى والتمويه هيبة في صدورهم ومخافة في قلوبهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعَدَهُ﴾ [الآية: 152] أي: وعده إياكم بالنصر على شرط التقوى والصبر حتى خالف الرماة يوم أُحُد للاشتغال بالغنيمة كل أحد وذلك أن المشركين لما أقبلوا جعلوا الرماة يرشقونهم والباقون بالسيف يضربونهم حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ليقتلوا ويأسروا وهذا معنى قوله سبحانه ﴿إِذَا تَحُشُّونَهُمْ يَأْذِنَهُ﴾ [الآية: 152] أي: يقتلونهم بأمره على وفق قضائه وقدره ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ [الآية: 152] أي: جبتم لضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة والأكل فإن الحرص من ضعف العقل ولذا قيل السخاوة والشجاعة ليس بينهما فصل ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [الآية: 152] أي: واختلفتم في أمر القتال أو أمره ﷺ للرماة بحفظ مركزهم وحراسة منزلهم فقال بعضهم فما موقفنا هنا بعد انهزام المشركين واغتنام المؤمنين وقال آخرون لا تخالف أمره عليه السلام في ثبات المقام فوقف أميرهم مع نفر دون العشرة ونفر الباقيون لأخذ الغنيمة وهو المعنى لقوله: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ﴾ [الآية: 152] أي: أظهر لكم ما تمنون من الغنيمة والنصرة وجواب إذا محذوف وهو منعكم النصر أو امتحنكم بالكسرة بتبين المؤمن والمنافق وتعين المرائي والموافق وطالب الدنيا من طالب العقبى وصاحب المولى كما قال تعالى: ﴿مِّنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] وهم التاركون المركز للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الآية: 152] وهم الثابتون على موافقة الأمر مخافة المخالفة قال بعض العارفين يعني منكم من

يريد الدنيا ليستعين به على أمر العقبي ومنكم من يريد الآخرة بترك الدنيا لفنائها وقلة غنائها وكثرة عناؤها وخسة شركائها وعملاً بقول عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا أبر ولقوله عليه السلام: لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها أو آخر يذكر الله لكان ذاكر الله أفضل⁽¹⁾.

ومن «دقائق الحقائق» قيل: قرأ هذه الآية بين يدي الشبلي فقال: أوه قطع الطريق الخلق ورد الأشباح إلى قيمتها وقال أيضاً: أسقط العظمتين/ فقد 144/أ وصلت قيل وما العظمتان فقال: الكونين انتهى وقال غيره: خطوتان وقد وصلت وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: 12] إشارة إلى هذا المعنى وقال بعضهم: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد العقبي فأين من يريد المولى فقلت: الجواب بلسان العبارة أن من يريد المولى داخل فيمن يريد العقبي شمول العموم للخصوص في المبنى لأن لقاء المولى لا يحصل إلا في جنة المأوى فهم ما يريدون العقبي إلا لما فيه من زيادة الحسنى والحالة الأسنى وأما الجواب ببيان الإشارة فإن يقال منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد العقبي ومن يريدنا فهو منا لا يغيب عنا في الدنيا والأخرى لأنهم فانون عن أنفسهم باقون بنا كالعرائس مستورون تحت حجابنا وساكنون تحت قبابنا لا يعرفهم غيرنا بل لا فرق في مقام الجمع بينهم وبيننا كما قال قائلهم:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا⁽²⁾

ولم يذكر الصراع الثاني لتوهم الحلول والاتحاد المنزه عنه رب العباد ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 152] أي: كفكم عن قتالهم بتقوية بالهم وإعانة حالهم وردكم بالهزيمة بعد أخذ الغنيمة حتى غلبوكم وأهلكوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [الآية: 152] على المصائب ويمتحن ثباتكم في جميع المراتب.

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 116) رقم (5969)، وانظر: مجمع الزوائد (72/ 10) رقم (16751).

(2) هذا صدر البيت وعجزه:

فإذا أبصرته أبصرتنا

نسب إلى الحلاج: انظر: حياة الحيوان الكبرى (1/ 245)، وغرر الخصاص (1/ 251).

وقال محمد بن علي: صرف المريدين له عما دونه كذا في «الحقائق» والمعنى أنه يصرفهم الله عما سواه من حولهم وقوتهم ورؤية شوكتهم وحالة نصرتهم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [الآية: 152] أي: ما صدر منكم لما علم من ندمكم أو تفضلاً عليكم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 152] أي: منكم ومن غيركم في جميع أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدُهُ﴾ [الآية: 152] الآية الإشارة منه أن الحق سبحانه أقام أولياءه بحق حقه وأقعدهم عن تحصيل حظوظهم وقام سبحانه بكفائيتهم من كل وجه فمن لازم طريق الاستقامة ولم يزعج عن حده ولم يزعج في عهده فإنه سبحانه يصدق وعده له بجميل الكفاية وداومها ومن ضل عن الاستقامة ولو خطوة عثرت في مشيته واضطربت عليه بمقدار جرمه حاله وكفائته فمن زاد زيد له ومن نقص نقص له وفي قوله جلّ جلاله: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] الآية قيمة كل أحد إرادته فمن كانت همته الدنيا فقيمته خسيصة حقيرة كالدنيا ومن كانت همته الآخرة فشراف 143/ب خطره ومن كانت له همة ربانية فهو سيد وقته ويقال من صفا عن إرادته/ وصل إليه وأقبل بلطفه عليه وأزلفه بمحل الخصوصية لديه وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ مَكَنَّاكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 152] الإشارة منه أنه صرف قوماً عنه فشغلهم بغيره منه وآخرون صرفهم عن كل غير فأفردهم له بكل خير فالزاهدون صرفهم عن الدنيا والعابدون صرفهم عن اتباع الهوى والمريدون صرفهم عن المني والموحدون صرفهم عن ما هو غير وسوى.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [الآية: 153] أي: تذهبون في الأرض وتبعدون ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ [الآية: 153] أي: لا تلتفتون إلى أحد حين شاع أنه ﷺ قتل في حرب أحد ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ﴾ [الآية: 153] أي: في ساقطكم وجماعتكم الأخرى منكم يقول إليّ عباد الله إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكره فله الجنة ﴿فَأَتَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: 153] عطف على صرّفكم أي: فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم ﴿عَمَاءَ﴾ [الآية: 153] متصلاً ﴿يَقَرُّ﴾ [الآية: 153] من غم ذنبكم وظنكم قتل نبيكم وخوفكم من عدوكم وظفر المشركين عليكم على ما هو

منقول عن كثير من السلف واختاره بعض الخلف ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ﴾ [الآية: 153] أي: لتتمرنوا على الصبر في ابتلائكم فلا تحزنوا على نفع فائت سابق ولا على إصابة خيرات لاحق ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 153] أي: عالم بأعمالكم حتى جزئيات أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية لا قوام يقع لهم فترة ودواعي الحق سبحانه من أنفسهم ومن جميع الأقطار حتى كان الأحجار من الشوارع واللبن من الجدران يناديه لا تفعل يا عبد الله وهو مصر في ليه مقيم على غيه جاحد لما يعلم أنه هو الأحق والأولى من حاله فإذا قضى وطره واستوفى نهيمته فلا محالة يمسك من إرسال عنانه ويقف عن ركضه في ميدانه فلا يحصل إلا على أنفاس متصاعدة وحسرات متواترة فأثره الحق سبحانه وحشة على وحشة حتى إذا طال في التحسر مقامه تداركه الحق سبحانه بجميل لطفه وأقبل عليه بحسن عطفه وأنفذه عن ضيق أسره ونقله إلى سعة عفوه وفضله وكثير من هؤلاء يصلون إلى محل الأكابر ثم يقفون بالله الله حتى عدموا المقام والإكرام فقاموا بالله الله بلا انتظار وتقريب ولا ملاحظة ترحيب.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾ [الآية: 154] أي: الحال الذي يغم النفس من الهم الأهم والحزن الأتم ﴿أَمْنَةً تُعَاسَا﴾ [الآية: 154] أي: أمناً ذا نعاس حتى قال أبو طلحة غشيناً نعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط/ من يد أحدها فيأخذه 144/أ ثم يسقط فيأخذه ﴿يَغْشَى﴾ [الآية: 154] أي: الفأس وقرأ حمزة والكسائي بالتأنيث أي: يأخذ الأمانة ﴿طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 154] وهو جماعة المؤمنين ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ [الآية: 154] أي: من المنافقين ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: أوقعتهم في الهموم الفاسدة ﴿يَطُؤُونَ بِاللَّهِ عِزَّ الْحَقِّ﴾ [الآية: 154] أي: غير الظن الحق وهو الظن الباطل ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾ [الآية: 154] أي: من الظنون الكاسدة ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية: 154] بناءً على ظنهم واستبعاداً في حقيقة أمرهم وإنكاراً لوعده نصرهم ﴿هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 154] أي: هل لنا مما أمر الله وحكم ووعده بالنصر والظفر نصيب قط فمن زائدة للمبالغة في تأكيد النفي.

وأفاد الأستاذ: إن أهل التوحيد يصلون بعد فتراتهم وتجرع حسراتهم إلى القول بترك أنفسهم وغسل أيديهم منهم ورفع قلوبهم عنهم فيعيشون بالله الله بلا ملاحظة طمع وطلبه بل على عقيدة اليأس عن كل شيء من غيره عليه أكدوا العهد وبذلوا به الجهد وتركوا كل نصيب وحظ، هذه صفة من أنزل عليه الأمانة فأما الطائفة التي أهتمهم أنفسهم فبقوا في وحشة نفوسهم ومن عاجل عقوبتهم سوء عقيدتهم في الطريقة بعد إيمانهم بها قال الله تعالى: ﴿وَنَقْلِبُ أَمْرَهُمْ وَانْصِرْهُمْ كَمَا لَهُ يَوْمُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 110] والإشارة من قوله سبحانه: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 154] لهؤلاء أنهم يتحIRON في أمرهم فلا إقبال لهم على الصواب بالحقيقة ولا إعراض عن الجنب بالكلية يحيلون فترتهم على سوء اختيارهم ويضيفون صفوة لو كانت لقلوبهم إلى اجتهدهم فينسون في الحاليين ربهم ولا يبصرون تقدير الحق جارياً عليهم ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 154] أي: أمر النصر وغيره من النفع والضرر جميعه له سبحانه يفعل ما يشاء فينقص ويزيد ويحكم ما يريد في حق المريد وقرأ أبو عمرو كله بالرفع على الابتداء وخبره ما بعده والجملة خبر الأول وجملة القول ومقوله معترضة بين السابق واللاحق لأن قوله: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم﴾ [الآية: 154] من النفاق ﴿مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [الآية: 154] وقت الوفاق حال من ضمير يقولون أي: يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر عازمون على الصبر مبطينين التكذيب والكفر والنكر ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية: 154] أي: بعضهم لبعض أو في أنفسهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 154] أي: كما وعد محمد ﷺ أن الأمر كله ب/144 لله وأوليائه يقولون: ألا إن حزب الله/ هم الغالبون ﴿مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [الآية: 154] أي: لما غلبنا ولما قتل في المعركة من قتل منا ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية: 154] أي: مقيمين ومتحصنين ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [الآية: 154] أي: لخرج الذين قدر عليهم القتل إلى مضاجعهم بسبب من الأسباب لبروزهم وظهورهم فإنه سبحانه قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه ولا معقب لحكمه في ابتدائه لمصالح جمّة ولو كانت الحكمة عند الخلق مجهولة ﴿وَلَيَبْتَغِيَنَّ اللَّهُ﴾ [الآية: 154] ليبين لكم ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 154] من الإخلاص

والنفاق والوفاق والشقاق ﴿وَلِيَمَّحَصَّ﴾ [الآية: 154] أي: ويخلص ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 154] من أصناف الوسوس وأنواع الخطور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية: 154] أي: بخفياتها قبل ظهور جلياتها وفيه وعد للمخلصين ووعد للمخلفين وتنبيه نبيه على أنه غني عن ابتلاء المكلفين وإنما هو لظهور حال المنافقين وتمرير أمر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: عند قوله: ﴿قُلْ إِنْ أُلْمَزْتُ كُلُّهُمُ﴾ [الآية: 154] إن من عرف أن المنشئ الله في أمر الدنيا والدين انسلخ من اختياره وأحواله انسلخ الشعر من العجين وسلم أموره إلى الله بالكلية على طريق اليقين وإمارة من تحقق بذلك أن يستريح من كد تدبيره ويسعى في سعة شهود تقديره وقوله: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [الآية: 154] يشير إلى أنهم لم يخلصوا في عقائدهم وأضمرُوا خلاف ما أظهروا وأعلنوا غير ما استسروا وأحالوا بالكائنات على أسباب ما توهموا في قوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ﴾ [الآية: 154] أخبر أن التقدير لا يزاحم والأزل لا يكابر وأن الكائنات محتومة وأن الله غالب على أمره قضية معلومة وفي قوله: ﴿وَلِيَنْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية: 154] أما أهل الحقائق فإنه تعالى ينتزع من قلوبهم كل آفة وحجة ويستخلص أسرارهم للإقبال والزلفة قلوبهم خالصة عن الشوائب صافية عن العلائق منفردة للحق مجردة عن الخلق محررة عن النفس والحظ ظاهرة عليها آثار الإقبال والتدلي غالبية عليها حسن التولي بادية فيها أنوار التجلي ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 155] أي: انهزموا ﴿مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الآية: 155] يوم أحد ﴿إِنَّمَا أَسْرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 155] أي أوقعهم في الزلة وطلب منهم زلل المذلة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية: 155] من المعصية المتقدمة بترك المركز للحرص على الغنيمة فمنعوا التأييد وقوة القلب وحصول النصره فإن المعاصي تجر بعضها إلى بعض كالطاعة ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 155] لا اعتذارهم وتوبتهم عن قرارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ [الآية: 155] لمن تاب عن السيئات ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 155] لا يعجل بالعقوبة ليتوب من وفق للتوبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى أحوال من سقمت إرادتهم

وضعت نياتهم وقادتهم الهوى وملكتهم الفترة فيقابل لهم أنصح الناصحين ودعوة المنى أو وساوس الشياطين وركنوا إلى الغيبة وآثروا الهوى على التقوى فبقوا عنه لم يتهنوا بما آثروا عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 156] أي: فيما فعلوا فإن التشبه بالكفار من صنيع الفجار ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [الآية: 156] أي: لأجلهم وفي حقهم ومعنى إختوتهم اتفاقهم في نسبتهم وجلدتهم أو مذهبهم وملتهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 156] سافر إخوانهم فيها للتجارة وغيرها ﴿أَوْ كَانُوا عُزَّى﴾ [الآية: 156] أي: صار إخوانهم غزاة في طريق الآخرة صورة لا حقيقة ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾ [الآية: 156] أي: لو ثبتوا أو أقاموا ولم يسافروا ولم يقاتلوا ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [الآية: 156] والجملة مقول قالوا: ويتعلق به أيضاً قوله: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 156] على أن اللام للعاقبة كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرْنَا﴾ [القصص: 8] وكقول القائل:

لدوا للموت وابنوا للخراب⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن من تعود أن يتلهف على ماضيه وسالفه أو يدبر في مستقبله وآفقه فأقل عقوبة له ضيق قلبه في تفرقة همومه وحالته وامتحاء الحياة الطيبة عن قلبه لغفلته وقالته ليت كذا ولو كان كذا لكان كذا وثمره الفكرة في ليت ولعل الوحشة والحسرة وضيق القلب والتفرقة انتهى وفي الحديث إياك واللو فإن لو من الشيطان⁽²⁾ ورحم الله الشاطبي حيث قال: تفضلاً وكم لو وليت تورث القلب أنصلاً ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الآية: 156] أي: على وفق قضائه وقدره بحيث لا يتصور تغير في أمره سواء كان العبد في حضره أو سفره لأنه هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر وسائر الحالات فقد يحيي الله

(1) هذا صدر البيت أما عجزه:

فكلكم يصير إلى تباب

نسب إلى أبي العتاهية. انظر: بهجة المجالس (1/246)، والازدهار في ما عقده الشعراء (1/18).

(2) جامع الأحاديث (10/330) رقم (9732)، والمقاصد الحسنة (1/546)، وكشف الخفا (2/155) رقم (2098).

القارىء والمسافر ويميت المقيم والقاعد المجاور ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَمْلُونَ بِصَيْرٍ﴾ [الآية: 156] قرأ ابن كثير حمزة والكسائي بالغيبة ففيه وعيد للكافرين كما أن في الخطاب تهديد للمؤمنين عن مماثلة المنافقين.

﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [الآية: 157] في طريق رضاه وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات/ والباقون بالضم من مات يموت 145/ ب وتلطف أبو عمر وفي القضية بقوله: إن مت لم أقل مت لاختياره اللغة الجلية ﴿لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 157] على السيئة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 157] بتوفيق الطاعة وحسن الخاتمة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية: 157] من حطام الدنيا بالغفلة والعيشة على الجيفة بالمذلة والمعنى أن السفر والغزوة ليس مما يجلب الموت والمحنة ولا تقديم الأجل ولو ساعة ومع ذلك فلو وقع موت أو قتل في سبيل المولى المرتب عليه نيل المغفرة والرحمة في العقبى خير مما يجمعون من الدنيا لو فرض أن لكم البقاء فإن الفناء في طريق المولى خير من البقاء مع وجود الهوى والسكون مع السوى وقرأ حفص بالغيبة على أن الخطاب للمؤمنين إعرافاً عن الكافرين المعارضين المعارضين.

وأفاد الأستاذ: أن بذل الروح في الله خير من الحياة بغير الله والرجوع إلى الله خير لمن عرف الله من البقاء مع غير الله وما يؤثره العبد على المولى فغير مبارك إن شئت الدنيا وإن شئت العقبى.

﴿وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ [الآية: 158] على أي وجه اتفق هلاككم وبانتقالكم ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 158] فيجازيكم على أعمالكم وأحوالكم.

قال الأستاذ: إذا كان المصير إلى الله طاب المسير إلى الله وإن سفره إليه محط رحالها لمن العسل أجلى مقاساة حالها.

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْهُنَّ﴾ [الآية: 159] أي: ما مزيدة للمبالغة أي: فنعمة عظيمة ورحمة وسيمة كائنة منه سبحانه تليق للمنافقين وتلطفت للمؤمنين وهي عبارة عن ربطة على قلبه وتوفيق الرفق من ربه وفيه إيماء إلى أنه كان مستغرقاً في بحر الشهود مع الله فانياً عن شهود وجود ما سواه في خلوة لي مع الله وقت

لا يسعني ملك مقرب ولا نبي مرسل مشير إلى جبريل ونفسه الجليل حيث لا يتصور الغير في حضرة الخليل فيإنعام من الله إلى الخلق صرف حبيبه الحق عن مقام الجمع الحقيقي إلى حالة الفرق الصوري ترقية إلى مرتبة جمع الجمع بحيث لا يمنعه شهود الوحدة من الكثرة ولا يحجبه مطالعة الكثرة عن وجود الوحدة مع النفع التام للخاص والعام وبهذا يندفع قول من قال من الأكابر الفخام الولاية خير من النبوة لأن الأولى هي الاستفاضة من الحق والثانية حالة الإفاضة على الخلق ولا شبهة أن التوجه إلى الحق أولى من الإقبال على الخلق لأننا نقول هذا إنما يكون بالنسبة إلى من لم/ يصل إلى مقام جمع الجمع الذي ليس فيه الدفع 146/أ والمنع.

ولذا قال الشبلي: ما أقول إلا لله ولا أسمع إلا من الله وأنا أقول لا والله بل القائل والسامع هو الله حيث يقول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172].

كما قال بعض الأبرار ليس في الدار غيره ديار وقال بعض الأرباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وزاد أبو يزيد حيث قال في نفي ما سواه ليس في جبتي سوى الله.

ويؤيد هذا المعنى ما أظهر لبيد اللبيب في المعنى بقوله: ألا كل شيء ما خلا الله باطل⁽¹⁾ وأشار إليه سبحانه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] لكن هنا مزلة القدم لبعض الجهلة من الصوفية وهم الطائفة الوجودية القائلة بالعينية فهم شر من الطائفة النصرانية لأنهم يحصرون القضية بعيسى ابن مريم وهؤلاء يدعون الأعم فهم يعمّون ويعمون وفي طغيانهم يعمهون.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه جرده عن الأوصاف البشرية وأفرده بما ألبسه من نعت الربوبية وأخبر أنما يلوح إليه لمن أنوار التولي لا من آثار الوفاق والتبري ولولا أنه استخلصه بما ألبسه من الرحمة وإلا متى كان بهذه الصفة ويقال: إن خصائص رحمته سبحانه عليه وعلى أمته أن قواه حتى

(1) سبق تخريجه.

صحابهم وصبر على تبليغ الرسالة إليهم مع الذي كان يقاسيه من اختلافهم مع سلطان ما كان مستغرقاً له ولجميع أوقاته من استيلاء الحق عليه فلولا قوة إلهية استأثره الحق بها وإلا متى أطاق صحبتهم ألا ترى إلى موسى عليه السلام لما كان قريب العهد بسماع كلامه كيف لم يصبر على مخاطبة أخيه فأخذ برأس أخيه يجره إليه ويقال لولا أنه ﷺ شاهدتهم محوفاً فيما كان يجري عليهم من أحكام التصريف وتحقق أن منشأها الله لما أطاق صحبتهم.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ [الآية: 159] سبى الخلق في معاشره الخلق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ [الآية: 159] قاسياً وجافياً متجافياً ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ﴾ [الآية: 159] أي: لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك فلم يهتدوا بك ولم ينتفعوا منك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] في تقصيراتهم ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] أي: في سيئاتهم ﴿وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [الآية: 159] أي: أمور مهماتهم تطيباً لنفوسهم وتسكيناً لحالاتهم وزيادة إلفة في تحصيل جمعياتهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ [الآية: 159] أي: قصدت بالاستشارة ووافقت معهم في الاستشارة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 159] لا على ما سواه في إمضاء أمرك على وفق ما قضاه لحديث ما خاب من استخار وما ندم من استشار ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الآية: 159] على الله في أمر ديناه وعقباه.

قال الواسطي: جميع أوصافك وما يخرج من أنفاسك رحمة مني عليك وعلى من اتبعك ثم أمره بإقامة العبودية/ كما اقتضاه حقوق الربوبية في حسن 146/ب المعاشرة مع أوليائه وتقريب منزلتهم والمشورة معهم في محاربة أعدائه ثم قال فإذا عزمتم فانقطع منهم جملة وانقطع إلى سيدك كلية وارجع إليه وتوكل عليه وعاشرهم ظاهراً وطالعه ربك سرّاً.

وأفاد الأستاذ في قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ [الآية: 159] الآية لو سقيتهم صرف شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لهم حظ لتفرقوا عنك هائمين على وجوههم غير مطيقين للوقوف معك لحظة ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] فيما يكون تقصيراً منهم في حقك وتوقيرك وما عثرت عليهم من تفریطهم في خدمتنا فانتصب لهم شافعاً في حضرتنا ويقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] فإن حكمتك

حكمتنا ولا تعفو إلا وقد عفونا ثم رده عن هذه الصفة بما أثبتته في مقام العبودية ونقله إلى وصف التفرقة فقال: ثم قف في محل التذلل مبتهلاً إلينا في استغفارهم وكذلك سُنَّته سبحانه مع أنبيائه وأوليائه يردهم من جمع إلى فرق ومن فرق إلى جمع فقوله ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] جمع ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] فرق أقول والأظهر أن يقال إن قوله ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 159] هو الفرق لتوجهه إلى الخلق ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 159] هو الجمع للإقبال على الحق بل هو مقام جمع الجمع الذي ليس فرق بالمنع كما قالوا في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5] فرق ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] جمع وأنا أقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: 2] جمع و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] فرق ثم قال: ويقال تجنسوا في أحوالهم فمن مقصر في حقه أمر بالعفو عنه ومن مرتكب لذنوب أمر بالاستغفار له ومن مطيع غير مقصر وبمشاورته ثم قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾ [الآية: 159] على الله أي: لا تتكل على أي مخلوق ولا تعتمد على ما سواه وكل الأمور إلي بالكلية فإننا لا نخليك على تصريف القبضة في كل قضية من عطية وبلية وحقيقة التوكل شهود التقدير واستراحة القلب عن كد التدبير ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الآية: 159] يذيقهم برد الكفاية ليزول عنهم كل تعب ونصب يوجب الغواية وأنه يعامل كلاً بما يستوجبه في البداية والنهاية من الرعاية والحماية فقوم يغنيهم عند توكلهم بعبائهم وآخرون يكفيهم عند توكلهم ببقائه وقوم يرضيهم في عموم أحوالهم حتى يكتفوا ببقائه ويقفوا معه به له على تكوينات قدره وقضائه.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 160] على وفق قضائه وقدره ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ 147/أ [الآية: 160] أحدهما/مما سواه ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ [الآية: 160] بغلبة العدو عليكم ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ بَعْدِي﴾ [الآية: 160] أي: بعد خذلانه إياكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 160] لا على ما عداه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 160] أي: فيما يأتون ويذرون وقيل: إنما يدرك نصر الله على عدوه من تبرأ من حوله وقوته واعتمد في جميع أسبابه على ربه كذا في «دقائق الحقائق».

—وأفاد الأستاذ: أن نصرته بالتوفيق للأشباح ثم بالتحقيق للأرواح ويقال: ينصركم الله بتأييد الظواهر وتسديد السرائر ويقال النصره إنما تكون على

العدو «وأعدى أعداؤك نفسك التي بين جنبيك»⁽¹⁾ والنصرة على النفس بأن تهزم دواعي منتها بعواصم رحمته حتى تنقضي جنود الشهوات بهجوم وفود المنازل فتبقى الولاية لله خالصة من شبهات الدواعي التي هي أوصاف البشرية وشهوات النفوس الدنيئة وأمانيتها التي هي آثار الحجة ومواقع القرية فإن الخذلان التخلي مع المعاصي والغفلة والعترة ومن نصره قبض على يديه في تعاطي المكروه من فعله وكسبه ومن خذله ألقى حبله على غاربه ووكله إلى سوء اختياره من وقعه وجلبه فيفترق عليه الحالات في أودية المباعدا فمرة يشرق غير محتشم وتارة يقرب غير محترم إلا ومن سببه الحق فلا أخذ بيده ولا مجير له في حقه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 160] في وجدان الأمان عند صدق الابتهال وتصديق الإيمان وتحقيق الإيقان ويقال: لما كان حديث النصره قال: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [الآية: 160] جزماً ولما كان حديث الخذلان لم يقل فلا ناصر لكم بل قال بالتلويع والرمز ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ﴾ [الآية: 160] من بعده وفي هذا لطيفة شريفة لأولي الألباب في مراعاة دقائق أحكام الخطاب في هذا الكتاب.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [الآية: 161] أي: يخون في شيء من الوحي المنزل وقرأ نافع والشامي وحمزة والكسائي بصيغة المفعول أي: وما صح له أن يوجد غالاً أو ينسب إلى الخيانة أصلاً ﴿وَمَنْ يَغُلَّ﴾ [الآية: 161] أي: يخن في غنيمة وغيرها من أنواع الخيانة وأصناف الجناية ﴿يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 161] أي: يحضر بالذي غله يحمل على عنقه وقت الندامة كما جاء في الرواية أو بما احتمل من وبال إثمه فيما يستحقه من العقوبة ﴿ثُمَّ تَوَلَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 161] يعطى جزاءً وافياً بسبب ما عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 161] بنقص ثواب وزيادة عقاب/.

ب/147

ومن «دقائق الحقائق» للسلمي قال يحيى العلوي: ما كان لنبي أن يضع أسرار المكنونة إلا عند الأمانة من أمته المصونة.

وتوضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله: تنزه أحوال الأنبياء عن التدنس بالخيانات فما حملناه من الرسالة إلى عبادنا يوصلها إلى مستحقيها واجباً ولا يعتني بشأن حميم له من دون أمرنا ولا يمنع نصيب أحد أمرناه بإيصاله إليه وحقد ينطوي عليه ألا ترى كيف قال: اذهب فواره لأبي طالب لما قال له علي رضي الله تعالى عنه مات عمك الضال وكيف قبل الوحشي قاتل حمزة لما أسلم في ثاني الحال ويقال: ما كان يضع نبي من الأنبياء أسرارنا في غير أهلها بل ينزلون كل أحد عند ما يستوجه كما في الأثر: أمرنا أن ننزل الناس منازلهم.

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ [الآية: 162] بالطاعة ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 162] أي: كمن رجع بغضب منه بالمعصية ﴿وَمَا وَلَهُ جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 162] أي: مسكنه دار الحرق والفرقة ﴿وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 162] مصيرهم الذي أوجه مسيرهم والمعنى أنهما لا يستويان بل بينهما في المراتب شتان فأولهما في أعلى عليين من درج الرضوان وآخرها في أسفل سافلين من درك النيران فآه من تفاوت خلق الله حيث لا يسأل عما قدره وقضاه.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يستوي من رضي عنه في آزاله ومن سخط عليه فخذله في أحواله وجعله متكللاً على أعماله ناسياً لشهود أفضاله ثم اتباع الرضوان بمفارقة ما زجر عنه ومعاينة ما أمر به فمن تجود عن المزجور وتجلد في اعتناق المأمور فقد اتبع الرضوان واستوجب الجنان.

﴿هُمْ﴾ [الآية: 163] أهل خيرهم وشرهم ﴿دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: 163] أي: ذوو طبقات مختلفات ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 163] أي: حكمه المقدر لهم من مراتب المقامات ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 163] من الحسنات والسيئات.

وأفاد الأستاذ: أنهم أصحاب درجات في حكم الله أي: السابق في الأزل المطابق للأبد فمن سعيد مقرب ومن شقي مبعد.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 164] خصوصاً بالذكر لزيادة انتفاعهم مما بين المكلفين أو لأنهم المقصودون بالذات في أنعام بعث المرسلين ﴿إِذْ بَكَتْ

فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ» [الآية: 164] أي: من جنسهم البشري أو من نوعهم العربي ليتبعوه في أمره ونهيه ويقتدوا بفعله وتركه أو ليفهموا كلامه ويقتفوا مرامه وقرأ بفتح الفاء أي: من أشرفهم لأنه ﷺ/ كان من أفضل قبائل العرب وبطونهم أو لأنه أفضل جميع المؤمنين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين كما يشير إليه المقام المحمود والمرتبة العظمى من الشفاعة وحديث آدم ومن ذريته تحت لواء يوم القيامة بل فيه إيماء إلى أنه مبعوث إلى الخلق كافة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ [الآية: 164] القرآنية ﴿وَرُكَّعِهِمْ﴾ [الآية: 164] أي: يظهرهم من الطباع والأخلاق الدنيئة وينميهم بالعقائد والأعمال والأحوال البهية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 164] أي: يبين مبانيه ويعين معانيه ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 164] أي: الوحي المختص بالسنة الدالة على المواعظة الحسنة والحكم المستحسنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 164] أي: قبل نبوته وظهور بعثته ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 164] أي: ضلالة مبينة وجهالة معينة ففي إرساله مئة عظيمة ومحنة وسيمة لأرباب الهداية وأصحاب العناية في البداية والنهاية.

وفي «دقائق الحقائق» قيل أكبر منته سبحانه على الخلق وسائط الأنبياء عليهم السلام إليهم ليصلوا بهم إليه ويطلعوا ببركتهم عليه لأنه تعالى لو أظهر بغير واسطة عليهم من صفاته ذرة لأحرقتهم جميعاً ولم تترك منهم بقية وأضلوا عن الطريق بالكلية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجزل لديهم العارفة العظمى وأحسن إليهم النعمى حيث أرسل إليهم المصطفى سيد الورى وعرفهم دينهم وأوضح لهم براهينهم وكان لهم بكل وجه معينهم فلا نعمته شكروا ولا حقه وقروا ولا بما أرشدهم استبصروا ولا عن ضلالتهم أقصروا هذا وصف أعدائه الذين جحدوا واستكبروا وأما المؤمنون فتقلدوا المئة في الاختيار وقابلوا الأمر بالسمع والطاعة عن كنه الاقتدار فسعدوا في الدنيا والعقبى واستوجبوا من الله الكرامة والنزلى انتهى ويشير إلى هذا المعنى التخصيص الواقع في المبني حيث قال جلّت عظمتة وعظمت منته لقد منّ الله على المؤمنين حيث لم يقل على المكلفين لأنه حجة على الكافرين لا نعمة على المنكرين وفيه إيماء إلى أنه

تعالى ليس له نعمة حقيقة بالنسبة إلى غير المطيعين بل كل نعمة صورية دنيوية سبب نقمة أخروية للعاصين أو موجب منقصة عطية لدرجة الكاملين وأما 148/ب المصيبة والبلية فتعكس هذه القضية ولذا قال/ابن عطاء ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك.

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾ [الآية: 165] أي: حين حصلت لكم بلية عظيمة قوية وهي قتل سبعين في أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ [الآية: 165] يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين والجملة صفة لمصيبة وجواب لما قوله ﴿قُلْتُمْ أَنَّ هَذَا﴾ [الآية: 165] من أين هذا أصابنا وقد وعد الله سبحانه النصر لنا ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 165] باختياركم النداء قبل أن يأذن الله لكم أو بترك بعضكم المركز للميل إلى الغنمة وعدم ملاحظة المخالفة وفقد الموافقة الموحية للنصرة الكاملة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 165] من النصر وإيصال الضر وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم.

وأفاد الأستاذ: أن عادة الخلق نسيان ما منهم من الخطأ والعصيان والرجوع بالتهمة فيما يتصل بهم من المعن والخسران وفنون المكاره والافتتان وأن من تعاطى صنوف الإجرام فحقيق بأن لا ينسى حلول الانتقام.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الآية: 166] أي: جميع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد ﴿فَيَاذِنْ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 166] أي: فبقضائه وقدره لتؤمنوا به.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [الآية: 167] ليميز المنافقين من المؤمنين المخلصين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 167] أي: والحال أنه قيل للمنافقين ﴿تَعَالَوْا﴾ [الآية: 167] أي: احضروا في المعركة أو ارتفعوا عن حالة الحجة إلى مرتبة الوصلة والقربة ﴿فَتَبَتَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 167] أي: الكفرة ﴿أَوْ أَدْعَوْا﴾ [الآية: 167] أي: ادفعوهم عن الضعفة أو بتكثير سواد المقاتلة فإنه يقوي قلوب أرباب المجاهدة ويكسر شوكة الأعداء المقاتلة قيل: قاتلوا أنفسهم على ملازمة الأوامر والنواهي وادفعوها عن طريق الشرك الجلي والخفي والظاهري والباطني كذا في «دقائق الحقائق» ﴿قَالُوا﴾

لَوْ نَفَلْنَاهُ قِتَالًا لَّاتَّبَعَنَّكُمْ ﴿[الآية: 167] أي: لو نحس قتالاً لاتبعناكم في المقاتلة ووافقناكم في المدافعة وإنما قالوه للدغل والمداخلة لقوله تعالى: ﴿هُم لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الآية: 167] لا نخزلهم وكلامهم هذا فإنه أول إمارات ظهرت منهم معلمة بكفرهم ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 167] أي: بالسنتهم فيه مجاز يذكر المحل وإرادة الحال وتأكيد لما ذكره بعض أرباب القول والمعنى يتفوهون من غير ما يتفهمون ويظهرون خلاف ما يضمرون ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 167] من المؤمنين فيما يبينون فإنه سبحانه يعلم الأشياء جليها وخفيها مفصلة وغيره/ يعلم بعضها مجمعة.

149/أ

وأفاد الأستاذ: أن الله تعالى هون على المؤمنين وأصحاب البصائر من أرباب اليقين ما لقوا من عظيم الفتنة يوم أُحد في شهادة المسلمين بغلبة الكافرين بأن قال أن ذلك أجمع كان بإذن الله وأن بلاء يصيب بإذن الله لمن العسل أحلى ومن كل نعيم أشهى انتهى وكما قيل ضرب الحبيب أحلى من الزبيب وكما قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد⁽¹⁾

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ [الآية: 167] الآية أخبر أن الذين لم يكن لهم في الصحبة خلوص كيف تعللوا وتكاسلوا وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال: كان وكانا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فلا جرم سقوا العسل ودس لهم فيه الحنظل ﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾ [آل عمران: 54].

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [الآية: 168] قالوا أيضاً لأجل أشباههم أو أتباعهم وأشياعهم في نفاقهم وشقاقهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ [الآية: 168] أي: والحال أنهم قعدوا بأنفسهم في المقاتلة عن وفاقهم ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ [الآية: 168] أي: قائلين لو أطاعنا إخواننا في قعودنا أو انصرافنا ﴿مَا قُتِلُوا﴾ [الآية: 168] كما لم يقتل من كان معنا وقرأ هشام بالتشديد للتكثير ﴿قُلْ فَأَدْرَأُ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الآية: 168] أي:

(1) سبق التعليق عليه.

ادفعوه وأسبابه عنها في مأواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 168] في دعواكم ومقتضى فحواكم أنكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه بعدم خروجكم ولزوم منازلهم بولوجكم والمعنى أن القعود ليس بالدافع والمانع فإن أسباب الموت كثيرة بحسب الوقائع فربما يكون القتال سبباً للهلاك والقعود سبباً للخلاص من المهالك وربما يكون الأمر بخلاف ذلك فلا تغيير لشيء مما قدر هنالك وهذا جواب لكلامهم وقد سبق رد آخر لمرامهم.

وأفاد الأستاذ: إن الذين ركنوا إلى ما سولت لهم نفوسهم من إيثار الهوى المشبه بالهواء والبهاء ثم اعترضوا على من صرفهم أحكام القضاء وقالوا لو تحرزوا عن البروز للقتال لم يسقطوا عن درجة السلامة في الحال والمآل لمذمومة تلك الظنون ولذا هبة عن شهود التحقيق تلك القلوب في جميع الفنون قل لهم يا محمد استديموا لأنفسكم الحياة وادفعوا عنها هجوم 149/ ب الوفاة ومتى يقدر/ على ذلك هيهات هيهات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [الآية: 169] قرأ الشامي بالتشديد وهشام بالغيبة ولا يحسبن حاسب كما أن الخطاب عام لكل حاسب والمراد بالنهي للحاضر والغائب من جميع الجوانب عن حساب أن القتلى كالموتى في كل المراتب فإن قتلهم شهادة دالة على سعادة موحية لحياة أبدية ونجاة سرمدية كما قال ابن عطاء المقتول على المشاهدة باقي برؤية شاهده ومولاه والميت من عاش على رؤية نفسه ومتابعة هواه فكانه أشار إلى ما قيل:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء⁽¹⁾

وقد قال قائلهم:

اقتلونني يا ثقاتي إن في موتي حياتي⁽²⁾

لأن أولياء الله لا يموتون ولكن من دار إلى دار ينتقلون كما قال تعالى:

(1) نسب إلى عدي بن الرعلاء الغساني انظر: خزانة الأدب (3/ 446)، ومضاهاة أمثال كليله ودمنة (1/ 14)، وزهر الأكم (1/ 65).

(2) نسب إلى الحلاج، انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (1/ 66).

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [الآية: 169] أي: بل أحياء وغيرهم أموات لكونهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 169] أي: في دار كرامته وقرب مكانته ﴿يَرْزُقُونَ﴾ [الآية: 169] من نعيم جنته في هياكل طيور خضر تسرح في سقيها تأكل من ثمرتها وتأوي إلى فناديل معلقة تحت العرش للاستقرار إلى يوم القرار كما ورد في الأخبار والآثار حال كونهم.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 170] وهو شرف الشهادة الذي هو أسباب السعادة والفوز بالحياة الأبدية والظفر بالمشاهدة الصمدية في المرتبة العندية التي هي غاية منى المقاصد العبدية.

وأفاد الأستاذ: أن الحياة بذكر الحق بعد ما تلت النفس في مقام الصدق أتم من البقاء ببعث الخلق مع الحجة عن الحق ويقال أن الذي وارثه الحي الذي لم يزل ليس بميت وإن قتل:

فإن كانت الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ في الله لا شك أفضل⁽¹⁾

﴿وَسَيُشْرُونَ﴾ [الآية: 170] أي: يسرون بقلوبهم ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الآية: 170] وهم إخوانهم الذين لم يقتلوا فيتصلوا بهم كائنين ﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الآية: 170] زمناً أو رتبة في شأنهم ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 170] ي: لكون الخوف منفي عنهم والحزن لا يتصور منهم.

وأفاد الأستاذ: أن من علم أن أحباءه ينتظرونه وهم الترفه والنعمة في حالهم ومآلهم لا يتهنأ بعيش دون التأهب والإلمام بهم والنزول عليهم قلت في هذه الحال قال بلال: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه⁽²⁾ ما أفلح من ندم.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ [الآية: 171] أي بمثوبة عظيمة لأعمالهم ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ [النبا: 26] بمقتضى العدل ﴿وَفَضْلٍ﴾ [الآية: 171] أي: زيادة على ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (417/1).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (92/5) رقم (8352)، وابن حبان في الصحيح (16/164) رقم (7192)، وأحمد في المسند (105/3) رقم (12045)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/386) رقم (32257).

150/ أ اقتضاه/ بطريق الفضل كقوله تعالى: في حق أرباب السعادة الذين هم أعم من أصحاب الشهادة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] وتكثيرهما للتعظيم في الإفادة ومشيراً إلى ما قاله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] وبينه السُّنة مجملة بقوله في الحديث القدسي والكلام الأنسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر⁽¹⁾ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 171] أي: وبهذا أيضاً يكونون مستبشرين وأراد عموم المؤمنين لاقتضائه الأولوية بخصوص الشهداء المخلصين وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف تسلياً لسائر المسلمين.

وفي «دقائق الحقائق» قيل يستبشرون بما أنعم عليهم من فضله القديم حيث جعلهم أهلاً لنعمته وفضله الكريم.

وأفاد الأستاذ: أن علة استبشارهم وموجبه فضل من الله ونعمة منه لولا فضله عليهم ونعمته بهم وإلا لما استبشروا وليس استبشارهم بالنعمة وإنما استبشارهم بأنهم عباده وأنه مولاهم ولولا فضله ونعمته عليهم لما كانت هذه الحالة لهم.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] أي: بالوحدانية ﴿وَالرَّسُولِ﴾ [الآية: 172] بالم تابعة ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [الآية: 172] أي أنواع من الجرح.

وأفاد الأستاذ: أن للاستجابة مزية على الإجابة من حيث الإشارة لا من مقتضى العربية أقول ولا بعد أن يوجه له وجه أيضاً في اصطلاح العلوم الأدبية بأن يقال أن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى ولذا قال تعالى في مقام العموم: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة: 186] وفي مرتبة الخصوص فاستجاب لهم ثم قال وهو أنهم استجابوا طوعاً لا كرهاً ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] من غير نظر على تحمل مشقة بل بإشارة القلب ومحبة الفؤاد واختيار الروح واستجلاء تحمل الحكم فاستجابة الحق تعالى بالتحقق بوجوده واستجابة

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (4/2824).

الرسول عليه السلام بالتخلق بما شرع من حدوده واستجابة الحق بالصفاء في حق الربوبية واستجابة الرسول عليه السلام بالوفاء في إقامة العبودية من بعد ما أصابهم القرع في ابتداء معاملاتهم قبل ظهور أنوار التجلي على قلوبهم وابتسام الحقائق في أسرارهم ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] أي: بالإيمان ﴿وَأَتَّقُوا﴾ [الآية: 172] أي: احترسوا من العصيان ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60].

ب/150

ومن دقائق ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] في أداء الشرائع ﴿وَأَتَّقُوا﴾ [الآية: 172] في التوحيد أن يألفوا بشرى جلي أو خفي ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] هو حفظ أسرارهم وأوقاتهم عليهم من كل شاغل يشغلهم عنا لحق وقيل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 172] في إجابة المصطفى ﷺ ﴿وَأَتَّقُوا﴾ [الآية: 172] مخالفة وعلانية ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] هو البلوغ إلى المحل العظيم من مجاورة الحق ومشاهدته.

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهو المشاهدة فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو المراقبة في حال المجاهدة فلاصحابهما وأربابهما ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 172] لأهل البداية مؤجلاً ولأهل النار معجلاً هذا وروي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال: لا يخرجن معنا إلا من حضر يومناً بالأمس فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة وكان أصحابه [أصابعهم] القرع فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فترلت⁽¹⁾.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [الآية: 173] أي: بعض منهم ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ [الآية: 173] أي: أبا سفيان وأتباعه ﴿قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ﴾ [الآية: 173] أي: جيوشاً واجتمعوا لقتالكم ﴿فَأَخَشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾ [الآية: 173] أي: مقولهم للصحابه ﴿إِيمَانًا﴾ [الآية: 173]

(1) المعجم الكبير (247/11) رقم (11632)، السنن الكبرى (317/6) رقم (11083)، تفسير البغوي (2/136)، وتفسير الرازي (4/474).

[173] أي: إيقاناً فأخلصوا النية وأظهروا الحمية الإسلامية ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [الآية: 173] أي: كافينا ليس سواه ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [الآية: 173] أي: الله الموكول إليه أمرنا في ما قدره وقضاه.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يتلبس على ظواهرهم شيء من أحوال الدنيا إلا انفتح في أسرارهم طواع من الكشوفات فازدادوا يقيناً على يقين ومن إمارات اليقين استقلال القلوب بالله عند انقطاع المنى من الخلق في توهم الإمداد والإعانة هذا وروي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام: إن شاء الله فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل الله الرعب في قلبه فرجع هو وأشياؤه بنعمة من الله⁽¹⁾.

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ [الآية: 174] أي: فانصرف النبي ﷺ وأتباعه ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ 151/أ [الآية: 174] أي: مصحوبين بعافية وسلامة وزيادة معرفة/﴿وَفَضِّلَ﴾ [الآية: 174] أي: ربح تجارة صورية في ضمن تجارة معنوية ﴿لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ﴾ [الآية: 174] إساءة جراحة وشدة مشقة ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ [الآية: 174] أي: لا بطراً ولا أشراً ورياء وسمعة ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 174] على العالمين عموماً وعلى المؤمنين خصوصاً.

قال الأستاذ: وكذا سُنَّةُ الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه أن يمهد مقله في ظل كفايته فلا البلاء يمسّه ولا العناء يصيبه ولا النصب يظله.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [الآية: 175] أي: قائل أن الناس قد جمعوا لكم يصد أولياء الله عن أعدائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [الآية: 175] أي: الناس بأسرهم ﴿وَتَخَافُونَ﴾ [الآية: 175] أي: وخافوني كما قرأ به أبو عمرو والمعنى واخشوني وحدي واتقوا مخالفة أمري واجاهدوا مع رسولي ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 175] بوعدى ووعدى.

(1) تفسير البضاوي (1/116).

وقال سهل: أي مصدقين أنه لا دافع ولا نافع غيري.

وقال جنيد: يتوقع العذاب مع كل نفس في كل باب.

وقال الواسطي: الخوف من شرط الإيمان والخشية من شرط العلم كذا في «حقائق السلمي» وكأنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] وإلى ما ورد أنا أعلمكم بالله وأخشاكم⁽¹⁾ لله.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في تسليط دواعي الشيطان على قلوب الأولياء صدق فرارهم إلى الله كالصبي الذي فيه غرامة يخوف بشيء يفرغ به الصبيان فإذا خاف لم يهتد إلى غير حجر أمه فإذا التجأ إليها آوته إلى نفسها وضمته إلى نحرها وألصقت خده بخدها كذلك العبد إذا صدق في ابتهاله إلى الله ومرجوعه إليه في مخاوفه آواه إلى كنف قربه وتداركه بحسن لطفه ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْتَرْغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [الآية: 176] يقعون سريعاً فيه حرصاً عليه وغفلة عما ينافيه وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي وحزنه وأحزنه لغتان والمعنى لا يوقعوك في الحزن مخافة أن يضروك ويعينون عليك ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ [الآية: 176] أي: أولياءه ﴿شَيْئاً﴾ [الآية: 176] أي: بشيء أو شيئاً من الضر بمسارعته في الكفر وإنما يضرون به أنفسهم بالخسارة في التجارة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 176] ومعه حجاب جسيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زاد في قوة قلبه بما جدد له من تأكيد عهده بأنه لا يشمت به عدواً ولا يوصل إليهم من قبله سوءاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [الآية: 177] أي: استبدلوه به واختاروه عليه/ ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ [الآية: 177] بمخالفتهم كما أنهم لن ينفعوه سبحانه 151/ب بموافقتهم فإنه سبحانه غني عن الخلق وطاعتهم وعبادتهم وإنما يرجع نفع أعمالهم وضرر أحوالهم إليهم بالإقبال والوبال عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 177] أي: مؤلم بوصف الدوام فيفيد الكمية كما أن ما قبله يفيد بيان الكيفية فلا

(1) المسند الجامع (8/166) رقم (2427)، ومسند عبد بن حميد (1/435) رقم (1502).

تكرار في الآية الأولى يختصون بالمشركين والمنافقين من هذه الأمة وفي الآية الثانية للحكم على كفار سائر أهل الملة وعظم عذاب الأولين على وفق عظم ثواب أضدادهم من المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أنهم إن أصروا فما أضروا إلا بأنفسهم وإن أضروا فما أصروا إلا على خسranهم:

فما نحن عذبنا بعد ديارهم ولا نحن ساقطنا إليهم نوازع⁽¹⁾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 178] قرأ حمزة فيه وفيما بعده بالخطاب والباقون بالغيبة فيهما أي: لا يحسبن حاسب ولا مخاطب ولا غائب من الكفار والفجار أن إملأنا لهم خير لأنفسهم وإمهالنا بإطلة عمرهم نفع لوجودهم ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [الآية: 178] وزيادة الإثم موجبة لزيادة وبالهم وسوء حالهم ومآلهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية: 178] أي: ذو إهانة في العقبي وحجاب متين في الدنيا وهذا في حق الكفار بخلاف حال الأبرار فإنهم كما ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله⁽²⁾ فلهم جنة معجلة في الدنيا وجنة مؤجلة في الأخرى كما أشار إليه قوله سبحانه في سورة الرحمن ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: 46].

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن من تمام المكر بهم والمبالغة في عقوبتهم أن تعذيبهم وهم لا يشعرون ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] نملي لهم فيظنون ذلك إنعاماً ولا يحسبونه انتقاماً فإذا برز لهم كوامن التقدير عن مجاراتها علموا أنهم لفي خسran مبين ولقد اتضح لكل ذي بصيرة أنما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من جملة الإنعام والإحسان.

﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 179] أي: من الاختلاط والمعنى لا يتركهم مختلطين معكم لا يعرف حال مخلصكم ومواقفكم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (424/1).

(2) مسند أبي الجعد (1/492) رقم (3431).

من مرئيككم ومنافقكم ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الآية: 178] قرأ حمزة والكسائي بالتشديد من التمييز والباقون من الميز وهما لغتان والمعنى حتى يبين المنافق من الموافق والمرائي الخالط من المخلص الضابط بالوحي إلى نبيكم وإخباره بأحوالكم أو بالتكاليف/ الشاقة من بذل أموالكم وأرواحكم.

152/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جمعهم من حيث الأشخاص والمباني ولكنه فرقهم في الحقائق والمعاني فمن طيب سجيته ومن خبيث طينته وإنهم وإن كانوا في رأي عين العوام مختلطون ففي بصيرة الخواص هم ممتازون ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِقَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [الآية: 179] لتطلعوا على ما في القلب من اليقين والريب ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَنْتَبِهُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 179] أي ولكن يختار من يشاء لرسالته فيخبره ببعض مغيباته.

زاد الأستاذ فإن أسرار الغيب لا يظهر للمتلوئين بأدناس البشرية وأرجاس النفسية وأن الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جل وقل من الأخبار فيخص من يشاء من أنبيائه بمعرفة بعض الأسرار قلت وكذا لأوليائه ببركة متابعة أنبيائه ولعل وجه الاختصار على الرسول إيماء إلى الأصالة ومشييراً إلى ما يحصل لغيرهم إنما هو بطريق التبعية والنيابة لقول النبي الأجل ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل⁽¹⁾ ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 179] أي: بصفة الإخلاص الموجبة للإخلاص ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا وَتَنَقَّبُوا﴾ [الآية: 179] على وفق الوفاق وتركوا عمل أهل النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 179] ونعيم مقيم.

﴿وَلَا يَخْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 180] أي: بخلهم ﴿هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ [الآية: 180] لاستجلاب العقاب عليهم واستيجاب الحجاب لديهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 180] فيندمون على بخل مالهم وسوء مآلهم حيث لا ينفعهم الندامة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 180] فيرث منهم ما يبخلونه ويمسكونه عن سبيله ولا

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 102) رقم (7497)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 298) رقم (3127).

ينفقونه وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والندامة يوم القيامة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 180] من المنع والعطاء والبخل والكرم ﴿حَيِّرٌ﴾ [الآية: 180] أي: عالم بصير فيجازيهم على وفق أعمالهم وتفاوت أحوالهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من أثر شيئاً على الله ولم يبارك له فيه فلا يدوم له في الدنيا بذلك استماع ولا للعقوبة عليه في الآخرة عنه دفاع والبخل على لسان العلم منع الواجب وعلى مقتضى الإشارة إبقاء شيء ولو ذرة من المال أو نفس من الأحوال.

ومن «دقائق الحقائق» قال ابن عطاء السلوك في طريق الحق على السخاء واجتناب البخل وهو بذل النفس والمال والسر والروح والكل فمن نظر في طريق الحق إلى غير لوازم أسرار الرب وسواطع أنوار القرب فهو نحيل روي عن سيد الأنبياء الأصفياء ما جبل ولي الله إلا على السخاء⁽¹⁾.

152/ ب ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ / قَالُوا﴾ [الآية: 181] أي: من اليهود لكونهم أغنياء ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [الآية: 181] حين نزل من ذا الذي يقرض الله في الترغيب والتحريض بالتصدق على الفقراء وهذا من جهلهم بالله سبحانه وصفاته وأحكامه وحكمه في مخلوقاته من فقير وغني وصالح وكافر ونعمة ومعصية وطاعة ومنحة وصورية ومحنة معنوية ونحو ذلك حيث يحتقرون الفقراء من الأولياء والأصفياء ويفتخرون بكثرة الأموال وسعة الجاه وإن كانتا موجبتين للبعد عن الله والاشتغال بما سواه مع ما فيهما من الحساب والعقاب والحجاب والطرده عن الباب.

وأفاد الأستاذ: إن هذا الخطاب لو كان بين المخلوقين لكان شكوى أي: بالكتاب والعقاب والشكوى إلى الأولياء من الأعداء سنة الأحزاب ويقال علم الله سبحانه أن في المؤمنين من يغتاب الناس وذلك قبيح من

(1) جامع الأحاديث (1/19) رقم (2007)، تخريج أحاديث الإحياء (346/7) رقم (3271)، الموضوعات لابن الجوزي (2/179).

مقاتلهم فأظهر قبحاً فوق ذلك من حالتهم ليتصاغر قبح قول الأبرار بالإضافة إلى قول الكفار وفيه أيضاً إشارة إلى دعاء الخلق إلى حسن الخلق بالتجاوز عن الخصم فإن الله سبحانه لم يسلبهم ما أولاهم مع قبيح ما ارتكبه من التقصير في حق مولاهم ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [الآية: 181] وهي تلك القولة وغيرها من هذه المقولة ﴿وَقَتَلَهُمُ الْاَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 181] أي: بلا جريمة ولا حاجة ومنفعة بل لمجرد كونهم ذوي شوكة وقوة والسين لتأكيد القضية والكتابة بمعنى إثبات القصة أو للتقرير في صحائف الكتب ﴿وَنَقُولُ﴾ [الآية: 181] أي: على لسان الحزنة ﴿ذُوْقُوا عَذَابَ الْاَحْرِيقِ﴾ [الآية: 181] أي: المحرق للأعضاء الظاهرة الموصول إلى الأجزاء الباطنة وقرأ حمزة سيكتب بالتحية المفهومة والفوقية المفتوحة وقتلهم بالرفع عن النيابة ويقول بياء الغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الكلمة من موجبات الخجلة لأهل التقصير بأدق إشارة يعني أنهم وإن نسوا أحوالهم وأقوالهم فإننا ننشر لهم ما كتبنا عليهم من قبيح أفعالهم كما قيل:

صحائف عندي للعتاب طويتها ستنشر يوماً والعتاب يطول
سأصبر حتى يجمع الله بيننا فإن نلتق يوماً فسوف أقول⁽¹⁾

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 182] أي: العذاب المقترن بالحجاب ﴿يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 182] من قتل الأنبياء أو بما عملت أنفسكم من احتقار الفقراء واستعظام الأغنياء وسائر الأسواء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 182] أي: بذي 153/أ ظلم لعباده مع أنه مالك لملكه ومملك في ملكه ولا معقب لحكمه بل ولا يتصور وقوع ظلم في حقه لأن أفعاله كلها إما عدل وإما فضل ليس بينهما فصل.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ [الآية: 183] أي: هم الذين قالوا أيضاً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ [الآية: 183] أي: أمرنا في التوراة وأكد علينا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ بِرُسُولِهِ﴾ [الآية: 183] أي: ممن يأتي بعد موسى ﴿حَقَّ يَأْتِينَا بِغُرَبَانِ تَأْكُلُ النَّارُ﴾ [الآية: 183] أي: بأن لا نؤمن لرسول حين يأتينا بهذه المعجزة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل

(1) نسب إلى ابن الأحنف. انظر: أدب الكتاب (1/ 25)، ودواوين الشعر العربي (33/ 308).

عليه السلام خاصة وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي عنده فيدعو فتتزل ناراً سماوية فتأكله وهذا من مفترياتهم ليعللوا به عن إيمانهم ومتابعتهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات مستوفي هذه القضية ومع هذا رده سبحانه عليهم بالحجة الإلزامية حيث قال ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 183] بالمعجزات الواضحات ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ [الآية: 183] من خصوص الآيات الموحية لمتابعة من أتى بها من الرسل كزكريا ويحيى عليهما السلام بالوجه المبين ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 183] أي: في هذه الدعوى فإن قتلهم إياهم مناقض للدعى.

وأفاد الأستاذ: أنهم يقولون على الله سبحانه فيما تعللوا به [من ترك] الإيمان بنبي آخر الزمان فقالوا لقد أمرنا أن لا نصدق أحداً إلا إذا أتانا بقربان يتقرب به فتتزل نار من السماء فتأخذ القربان عياناً ببصر قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم من الأنبياء عليهم السلام أتوكم بما اقترحتم علي من القربان ثم لم تؤمنوا فلو أجبتكم إليه لم تؤمنوا بي أيضاً فإن من قصته السوابق فلو خاطبته الشمس بلسان فصيح أو سجد له الجبال فرآها بلحظ صحيح لم يلج العرفان في قلبه وما ازداد إلا شكاً على شكه انتهى ولعل الحكمة في عدم هذه المعجزة مع أن مثل هذه الكرامة قد تجري على بعض أولياء الأمة لأن سنة الله سبحانه أن الإتيان بالمعجزة المقترحة موجب لاستئصال أهلها بالعقوبة وقد علم الله في بعضهم ولو في أصلاب جماعة منهم حصول الإيمان والمعرفة فأنزل الله تعالى لنبيه على وجه التسلية.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 184] المعجزات الواضحات التي من جملتها الآيات المقترحات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ [الآية: 184] أي: وبالزبر كما هو قراءة الشامي ﴿وَالكِتَابِ﴾ [الآية: 184] قوله أي: وبالكتاب كما قرأ به هشام ﴿الْمُنِيرِ﴾ [الآية: 184] المبين للمخلوق طريق الحق 153/ ب بالوجه الصدق والزبر جمع زبور/ وهو الكتاب الذي بيانه على الحكم والمواعظ مقصور دون الأحكام المبينة للنهي والمأمور بخلاف الكتاب فإنه في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام والمراد بالكتاب جنسه الشامل لأرباب الخطاب.

وأفاد الأستاذ: إن عادة الفجار تكذيب الأبرار وعلى هذا النحو درج سلفهم ويهديهم يقتدي خلفهم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الآية: 185] أي: مرارة كأس سكراته وحرارة بأس غمراته وهذا وعد للمصدق ووعد للمكذب ﴿وَلِنَّمَا تُوَفَّوْا أَجُورَكُمْ﴾ [الآية: 185] أي: تعطون جزاء أعمالكم وافيأ كان أو شراً بحسب أحوالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 185] أي: يوم قيامكم من القبور ووقوفكم بين يدي عالم ما في الصدور ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الثَّكَارِ﴾ [الآية: 185] أي: أبعد عنها أو أخرج منها ﴿وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ [الآية: 185] أي: التي هي محل الوصلة والقربة ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ [الآية: 185] أي: نجا وظفر بكل نعمة وبغية ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 185] أي: تمتعاتها ولذاتها ﴿إِلَّا مَتَّعُ الْفُرُورِ﴾ [الآية: 185] أي: ما ينتفع به المغرور وما أحسن ما قال أرباب الحال.

أضغاث نوم أو كطل زائل إن الليب بمثلها لا يخدع⁽¹⁾

وعن حيدر الكرار أنت نعم الدار لمن لم يرض بك داراً وكأنه رضي الله عنه وكرّم وجهه تبع في هذا المقال ما قال ﷺ نعم المال الصالح للرجل الصالح⁽²⁾ ونعم ما قال بعض العارفين الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وتوضيحه ما قاله سبحانه ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: 11] أي: نفساً فكل نفس يتخيل أن يكون آخر الأنفاس فيجب على السالك أن يراعيه ولا يضيعه بالاستئناس مع الناس فإنه موجب لحصول الإفلاس.

وأفاد الأستاذ: أن كأس الموت توضع على كف كل حي مخلوق فمن تحساها طيبة النفس أورثته سكر الوجد ومن تجرعها على وجه التعبيس وقع في هذه الرد ووسم بكى البعد يوم القيامة فمن أجير من النار وصل إلى

(1) نسب إلى أبي حصينة. انظر: معجم الأدباء (1/ 420)، ونسب إلى سليمان بن يزيد العدوي. انظر: حماسة الظرفاء (9/ 1).

(2) أخرجه ابن حبان في الصحيح (6/ 8) رقم (3210)، وأحمد في المسند (4/ 197) رقم (17798)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 91).

الراحة الكبرى ومن صلى بالسعي وقع في المحنة العظمى.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [الآية: 186] أي: والله لتختبرن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [الآية: 186] بتكليف إنفاقها في جهات الخيرات وبما يصيبها من الآفاق ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 186] بالجهاد والقتل والجراحات وبالقيام في الصلاة والصيام وسائر العبادات ربما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب وتغيير الحالات ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ 154/أ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 186] / من المخالفين ﴿وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا﴾ [الآية: 186] أي: من الطعن في الدين وإهانة المسلمين وقد أخبرهم الله سبحانه أولاً بهذا الابتلاء ليوطنوا أنفسهم على الصبر والتحمل في البلاء ولا يرهقهم نزولها بغتة فلا يكونن مستعدين للقاء ﴿وَلِإِنْ نَضْرِبُوا﴾ [الآية: 186] على أنواع البلاء ﴿وَتَتَّقُوا﴾ [الآية: 186] بتحمل أصناف الوفاء ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية: 186] ما ذكر من الصبر والتقوى من طريق مرضاة المولى ﴿مَنْ عَزَمِ الْأُمُورَ﴾ [الآية: 186] أي: من معزوماتها ولزوماتها التي يجب العزم عليها لتحقيق الأجور.

ومن «دقائق الحقائق» ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [الآية: 186] بحبها ومنع حقوقها وفي ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 186] برؤية أعمالها والاعتماد عليها.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 187] أي: علمائهم القائلين للخطاب على لسان أنبيائهم أو بما بين الكتاب من أنبائهم ﴿لَتُؤْتِيَنَّهُ لِنَاسٍ وَلَا تَكْفُرُونَهُ﴾ [الآية: 187] بالتاء الفوقية حكاية للمخاطبة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشيبة بياء الغيبة واللام جواب القسم الدال عليه الأخذ المرسم والضمير للكتاب ﴿فَتَبَدَّلُوهُ﴾ [الآية: 187] أي: الميثاق والكتاب ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [الآية: 187] بعدم الالتفات إليه وترك الاعتماد عليه ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ [الآية: 187] أي: أخذوا بدله أو اختاروا على حصوله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 187] من حطام الدنيا الدنية وأعراضها الفانية ﴿فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [الآية: 187] ما اختاروه لأنفسهم من الخسارة في الدنيا والآخرة بترك العمل في العلم إلى الإيمان والإحسان ومنعه عن أهله بالبخل والكتمان وفي الحديث من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة بلجام من

نار⁽¹⁾ وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا⁽²⁾ وقيل أخذ الله الموائيق على عامة أوليائه أن لا يخففوا إكرامات الله عندهم لمن لا يفتتن بذلك ولا يتخذوه دعوى وأن يعلموا من قصدهم من المريدين الطريق إلى الحق كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عنهم أنهم أبرموا عهودهم ألا يزالوا عن وفائه ولكنهم نقضوا أسباب الدمام بما صاروا إليه من الكفران ثم تبين أنما اعتاضوا من ذهاب الدين بأعراض يسيرة وأعراض حقيرة لم يبارك لهم فيه.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاؤُكُمْ﴾ [الآية: 188] أي: فعلوا وقرئ بما أتوا وبما آتوا أي: أعطوا من أنفسهم وبذلوا من أموالهم ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [الآية: 188] مع أن من المذموم مجمة الحمد على ما فعلوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَقَارِقٍ﴾ [الآية: 188] بمنجاة ﴿بَيْنَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 188] ومخلص من الحجاب وقرأ الكوفيون بالخطاب في الأول وفي الثاني ابن كثير وأبو عمرو وكل على 154/ب أصله في فتح السين أو كسرهما وباقي الخلافات في الآية من وجوها والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون أنفسهم أو لا تحسب حاسب مخاطب أو غائب الفارحين بما فعلوا من نحو كتمان الحق ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [الآية: 188] من نحو إظهار الصدق فائزين بالنجاة مع المؤمنين فإنهم معذبون مع المشركين لقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 188] وحجاب عظيم بوجود كتمانهم وعدهم إيمانهم. وأفاد الأستاذ: أن من باشر رؤية الخلق قلبه ولا حظهم سره ولبه فلا تظن أن عقوبتهم مؤخرة إلى يوم القيامة بل ليسوا من العذاب ﴿بِمَقَارِقٍ﴾ وأي عذاب أشد من الرد إلى الخلق والحجاب عن الحق.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 189] أي: يملكهما وما فيهما ومنه اقتداره على حجابهم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 189] فيقدر على عقابهم.

(1) كنز العمال (10/191) رقم (29002)، وكشف الخفا (2/255) رقم (2505)، والعلل المتناهية (1/97) رقم (117).

(2) فيض القدير (3/187) رقم (2965).

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية هاهنا إلى غناه عن من في الكون وأنهم محتاجون إليه إيجاداً أو إمداداً بالعون وأنهم لا يجدون عنه خلفاً ولا عليه بدلاً ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 190] أي: أنفسهما أو نفوس من فيهما ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية: 190] أي: ينقص أولهما وزيادة آخرهما وعكسهما أو اختلافهما نوراً وظلمة وحرارة وبرودة ﴿لَا يَنْتَرِ لِأُولَى الْأَلْبَتِ﴾ [الآية: 190] لدلالات واضحة لأصحاب العقول السليمة المجلوة الخالصة عن شوائب الوهم والغفلة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وفي الحديث ويل لمن قرأها ولم يتفكر⁽¹⁾.

أفاد الأستاذ: أن الآيات التي تعرف الحق سبحانه بها إلى العوام هي الآيات التي في الأقطار من العبر والآثار وأما الآيات التي تعرف بها إلى الخواص فالتى في أنفسهم قال سبحانه ﴿سَرُّهُمْ عَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53] فالآيات الظاهرة توجب علم اليقين والآيات الباطنة توجب عين اليقين والإشارة من اختلاف الليل والنهار إلى اختلاف ليالي العباد فليالي أهل الوصال قصيرة وليالي أهل الفراق طويلة فهذا يقول:

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار⁽²⁾
ويقول:

صباحك سكر والمساء خمار نعمت وأيام السرور قصار⁽³⁾
والثاني يقول:

ليالٍ بعد الطاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل⁽⁴⁾

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 386) رقم (620).

(2) نسب إلى أبي عمرو الجلي. انظر: الرسائل (1/ 163)، وأيضاً نسب إلى جعدة بن معاوية العقيلي. انظر: (1/ 151).

(3) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 342).

(4) نسب إلى المثنى. انظر: يتيمة الدهر (1/ 46)، ومحاضرات الأدباء (1/ 366).

وثالث ليس له خبر/ عن طول الليل ولا عن قصره فهو لما غلب عليه كما 155/أ
قال:

لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعي النجوم كنت مخلى⁽¹⁾

قلت ولا يبعد أن يكون اختلاف الليل والنهار مشيراً إلى أثر صفة
الجلال والجمال وما يترتب من الفناء والبقاء والغيبة والحضور والمراقبة
والمشاهدة والبسط والقبض لأرباب كما أشار إليه القطب الرباني الشيخ
عبد القادر الجيلاني بقوله في «فتوح الغيب» ما أعظم تسخطك على ربك
وتهمتك له عز وجل وإعراضك عليه واستبطاؤك له في الرزق والغنى وكشف
الكرب والبلوى أما تعلم أن لكل أجل كتاباً ولكل بلية وكربة غاية ونفاذ ألا
يتأخر ذلك ولا يتقدم أبداً أوقات البلايا لا تتقلب فصير عوفاً ووقت البؤس
لا تتقلب نعمة وحالة الفقراء لا تستحيل غنى فأحسن الأدب والزم الصمت
والصبر والرضا والموافقة لربك عز وجل لأنه سبحانه خلق الأشياء وخلق
مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وعاقبتها وانقضاءها وانتظار
الفرج إن عجزت عن موافقته بالرضا والغنى في فعله إلى أن يبلغ الكتاب أجله
فتسفر الحالة عن ضدها بروز الزمان وانقضاء الآجال كما ينقضي الشتاء
فيسفر عن الصيف وينقضي الليل فيسفر عن النهار فإذا طلبت ضوء النهار
ونوره بين العشائين لم تعطه بل تزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة
غايبتها وطلع الفجر جاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته أوسكت عنه وكرهته
فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعط لأنك طلبت الشيء في
غير حينه ووقته انتهى ولعل هذا المعنى هو المراد بقوله الصوفي ابن الوقت
أو أبو الوقت بالفرق الرقيق بينهما في تحقيق أرباب الطريق.

قال الأستاذ: وأولو الألباب هم الذين صحت خمر عقولهم عن سكر

(1) نسب إلى ابن سهل اللغوي العسكري. انظر: معجم الأدباء (1/362)، وإلى أبي نؤاس.
انظر: الكشكول (1/207)، وإلى خالد الكاتب. انظر: ديوان المعاني (1/145)،
ومحاضرات الأدباء (1/366).

الغفلة عن الحضرة ولو لحظة وأماره من كان كذلك أن يكون نظره بالحق فإذا نظر من الحق إلى الخلق استقام نظره وإذا نظر من الخلق إلى الحق انتكست نعمته وآثاره وانقلبت أفكاره انتهى لا يخفى أن هذا هو المقام الأعلى وإلا فإلصاك المجذوب مقبول وإن كان المجذوب السالك في حال الاعتبار هو 155/ب الأولى/ وبالنظر إلى الأمرين اختلاف القولين حيث قال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا وأريت الله قبله وقال آخرون بعده وإنما رجح المقام الأول لأنه ينبئ عن العيان والمشاهدة والثاني يخبر عن الاستدلال والمجاهدة والحاصل أن أولى الأبواب ما بينه الله في الكتاب بقوله.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 191] في جميع أحوال الخطاب ﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 191] أي؛ قائمين وجالسين ومضطجعين.

قال الأستاذ: استغرق الذكر جميع أوقاتهم فإن قاموا فبذكره قاموا كما إن فقدوا وقاموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر فيقومون بحق ذكره ويقعدون عن خلاف أمره ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها بعين الكمال وعن الدعوى فيها في مقام الدلال ويذكرون قياماً على بساط الخدمة ثم قعوداً على بساط القربة ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التقصير لم يسلم له قعوده في نهايته بوصف الحضور وذكر طريق الحق سبحانه ما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق الذكر وإن لم يكن فيه سوى قوله أنا جليس من ذكرني⁽¹⁾ لكان ذلك كافياً والذاكرون على أقسام وذلك لبيان أحوالهم فذكر يوجب قبض الذاكر لما يذكره من تقصير سلف له أو قبض حصل منه فيمنعه خجله ذلك عن ذكره فذلك ذكر قبض وذكر يوجب بسط الذاكر لما يحب من لذات الذكر ثم من تقريب الحق إياه بجميل إقباله عليه وذاكر هو محو في شهود مذكوره فالذكر يجري على لسانه عادة وقلبه مضطرب في ما بدا له وذاكر هو في محل الإجلال يأنف من ذكره ويستقذر وصفه فكأنه لتصاغره عنده لا يزيد أن يكون له في الدنيا والآخرة ثناء وبقاء

(1) سبق تخريجه .

ولا كون ولا بهاء قال قائلهم:

ما إن ذكرتك إلا همّ يلعنني قلبي وروحي وسرى عند ذكراكا
حتى كأنّ رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكّار إياكاً⁽¹⁾

قلت: وقد يحصل هذا الحال في مقام الجمع الأول المعبر عنه بصرف التوحيد لإشعار التذكّار بالاثنيّة من الذّاكر والمذكور ومقصود أهل الجمع هو الفناء في عين المذكور بحيث لا يكون لهم عن فنائهم أيضاً شعور لاستغراقهم في بحر/المشاهدة والحضور ولعل رابعة العدوية قالت في هذه الحالة 156/أ استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال آخر: أذنبت في مقام الاعتراف والإقرار لأجل الاستغفار وهذا الاعتذار أعظم ذنباً من الإصدار لاشتماله على دعوى الوجود والفعل والاقتدار ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الجبار ثم قال والذاكر عنوان الولاية وبيان الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء في جميع الخصال المحمودّة راجعة إلى الذكر ومنشئة عن الذكر قلت ولذا قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرٍ﴾ [طه: 14] مشيراً إلى أن المقصود من أمر العبادات وجميع الطاعات هو الذكر بجميع الهيئات في كل الحالات إلا أن ذكر الله للعبد أتم من ذكر العبد إياه لأن ذكره قديم كسائر صفاته وذكر العبد حادث في حالاته ولأن ذكره للعبد هو الباعث لذكر العبد له كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدر: 56] ويومئ إليه قوله سبحانه إنه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54] قوله عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45] أي: من ذكركم إياه ثم أفضل ذكر العبد إياه أن ينسى حال ذكره ما سواه كما يشعر إليه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: 24] ويدل عليه قوله ﷺ أفضل الذكر لا إله إلا الله⁽²⁾ ﴿وَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 191] استدلالاً واعتباراً وتذكّاراً لصفاته المتوقفة عليها الخلقة من الوجود والحياة والعلم والقدرة والإرادة ولعل

(1) ذكره القشيري في تفسيره (436/1).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (676/1) رقم (1834)، والترمذي في الجامع الصحيح (462/5) رقم (3383)، وابن حبان في الصحيح (126/3) رقم (846).

في الآية إشعاراً بما ورد تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات⁽¹⁾ الله لأن الخلق كلهم لا يحيطون به علماً.

وأفاد الأستاذ: أن التفكير نعت كل طالب وثمرته الوصول بكل مطالب لكن بشرط العلم المقرون بالحلم فإذا سلم الفكر عن شوائب التعلق والتعليق ورد صاحبه على مناهل التحقيق وإذا حصل الشهود والحضور سما صاحبه عن الفكر والفكر إلى حد والذكر سرمد ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها وكثرة عنائها وخسة شركائها فيزدادون بالفكرة زهداً فيها وفكر العابدين في جميل المآب وجزيل الثواب فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة إليه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً﴾ [الآية: 191] أي: يتفكرون 156/ ب قائلين ذلك وهذا إشارة إلى المتفكر فيه أو إلى الخلق على أنه/ أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملة أن يكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه في الأبدان ودليلاً يدل على الإيمان بوحدانيتك ويحثه على القيام بطاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية وقد قال فارس الحكمة في إظهار الكون إظهار حقائق حكمته بالعقل الحكمي ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [الآية: 191] أي: أنزهك تنزيهاً لك من العبث في فعلك من إظهار خلقك ﴿فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الآية: 191] أي: ما يوجب العذاب وما يجر إلى الحجاب.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾ [الآية: 192] أي: مخلداً ﴿فَقَدْ أَخْرَيْتُمْ﴾ [الآية: 192] لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: 8] مع أن المؤمن العاصي أيضاً سواء دخلها أم لا لا يخلو عن نوع خزي وفضيحة ومحنة ومشتقة لما روى الحافظ أبو يعلى الموصلي أن العاروا والخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار⁽²⁾ وفي الآية إيماؤه إلى أن

(1) تفسير ابن كثير (7/ 466)، والدر المنثور (2/ 411)، والمطالب العالية (13/ 62) رقم (4673).

(2) تفسير ابن كثير (2/ 187)، الدر المنثور (2/ 411)، والمطالب العالية (13/ 62) رقم (4673).

العذاب الروحاني أبلغ من العقاب الجسماني حيث جعل حصول الأول مرتباً على وصول الثاني ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [الآية: 192] أي: ينصرونهم بالمنع عن دخولهم أو بالإقدام على إخراجهم من النار وأما الشفاعة لعصاة المؤمنين فلا يقال لها نصرة لأن النصرة دفع بالغلبة والشفاعة بطريق المسألة

وقال الأستاذ: من ابتليته في الأجل بالحرقة فقد أخزيتة ومن ابتليته بالفرقة في العاجل فقد أشقيته ومن أوليته بيمين الوصلة فقد آوئته وأدنيته.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ﴾ [الآية: 193] وهو الرسول أو القرآن ﴿أَنْ آمِنُوا﴾ [الآية: 193] أي: بأن آمنوا أو أي آمنوا ﴿بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [الآية: 193] فامثلنا.

وقال الأستاذ: يعني أجبنا الداعي ولكن أنت الهادي فلا تكلنا إلينا ولا ترفع ظل عنايتك عنا ولا تسلط غيرك علينا والأمان الدخول في موجبات الإيمان وإنما يؤمن بالحق من أمنه الحق فإيمان الحق للعبد الذي هو إجارته يوجب إيمان العبد بالحق الذي هو تصديقه ومعرفته ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [الآية: 193] جمع بر أو بار والمعنى أختم لنا بالخير وأمتنا مخصصين بصحبته معدودين في زمرة محشورين في جملتهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم المختصون/بحقائق التوحيد القائمون لله بشرائط 157/أ التفريد الواقفون مع الله بخصائص التجريد.

﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [الآية: 194] أي: تصديقهم من الثواب أو على ألسنتهم من حسن المآب ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ [الآية: 194] أي: لا تفضحنا بسوء أعمالنا وقبح أحوالنا ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 194] أي: حيث لا تنفع الندامة ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [الآية: 194] أي: وعد العباد بإثابة المؤمن العاصي وإجابة الداعي وتكرير ربنا للمبالغة بالتضرع في مقام الشاء وللإيماء إلى الاستقلال كل من أفراد الدعاء وفي الآثار من حزه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف⁽¹⁾.

(1) وهو قول جعفر الصادق. انظر: تفسير القرطبي (4/318)، وتفسير الرازي (5/26).

وقال الأستاذ: حقق لنا ما وعدتنا على السنة الوسائط من إكمال النعمى وتكفير السوأى وغفران كل ما سبق منا من متابعات الهوى وفي دقائق الحقائق قيل لا تخزنا بأعمالنا وعد بفضلك ورحمتك علينا ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ أَلِيمًا﴾ [الآية: 194] بقولك سبقت رحمتي غضبي.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الآية: 195] أي: طلبتهم وحصول بغيتهم واستجاب أخص من أجب ﴿إِنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَمِلَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 195] أي: بأنني وقوله: ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى﴾ [الآية: 195] بيان عامل ليكون الحكم بوصف شامل ﴿بِمَضْنُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [الآية: 195] جملة حالية معترضة واستثنائية مبينة لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر أو لفرط الاتصال والاتفاق في الدين المعتبر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كيف لا يستجيب لهم وهو الذي لقن لهم الدعاء والثناء وهو الذي ضمن لهم الإجابة ووعدهم جميل الثواب على الدعاء زائداً على ما يدعون لأجله الحوائج من جلب النعماء أو دفع البلاء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [الآية: 195] الشرك أو الأوطان أو الشعائر للدين باختيارهم ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الآية: 195] بالإلجاء إلى خروجهم لاضطرارهم ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِ﴾ [الآية: 195] بسبب إيمانهم وإظهار إقرارهم ﴿وَقَتْلُوا﴾ [الآية: 195] الكفار أولاً ﴿وَقَتْلُوا﴾ [الآية: 195] في الجهاد آخرأً وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا توجب ترتيباً أو لأن المراد لما قتل منهم قاتل الباقون ولم يضعفوا حيناً وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية: 195] أي: لأمحونها وأغفرنها ﴿وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّةٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 195] أي: من تحت أشجار أثمارها أو من تحت تصرف أهلها ﴿ثَوَابًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ/ ب 157﴾ [الآية: 195] أي: أثيبهم بذلك إثابة تفضلاً منه لا واجباً عليه ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ/ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [الآية: 195] أي: الجزاء الحسن ومستحسن المآب.

وقال الأستاذ: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [الآية: 195] يعني الديار والمزار وجميع المخالفين والموافقين من الأغيار ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الآية: 195] أي أخرجوا إلى مفارقة معاهدهم من مألوفاتهم ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِ﴾ [الآية: 195] بالفقر والملام

وفتنوا بفنون المحن والآلام ﴿وَقَتَّلُوا وَقَتَّلُوا﴾ [الآية: 195] ذاقوا من اختلاف الأطوار الحر والمز والحلو والقر والنفع والضرر ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية: 195] الآية يعني لتعطينهم فوق آمالهم وأكثر ما استوجبوه بأعمالهم وأحوالهم.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [الآية: 196] الخطاب عام لجميع العباد والنهي للمخاطب للمبالغة وجعل التقلب تنزيلاً للسبب منزلة المسبب والمعنى لا ينظر إلى ما للكفرة عليه من السعة وكذا لإخوانهم من الفجرة والظلمة وهذا لأن ذلك التقلب ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ [الآية: 197] يسير زمانه لقصر مدة الدنيا بالنسبة إلى العقبي أو حقير شأنه في جنب أعداء الله لأهل التقوى في الأخرى كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: 77] وكما ورد في الحديث ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ⁽¹⁾ ﴿ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 197] أي: مثواهم ومنقلبهم ﴿وَبُئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الآية: 197] أي: ما مهدوه لأنفسهم واختاروهم لعاقبة أمرهم قال بعضهم لا يفتننك الدنيا لوقوع الجهال عليها والاعتزاز بما فيها والتكثر بنعيمها فإنها زادهم إلى النار ومعادهم في دار البوار.

وقال الأستاذ: لا يتداخلنك تهمة أن لهم عندنا قدراً وقيمة إنما هي أيام قلائل وأنفاس معدودة ثم بعدها حسرات مترادفة وأحزان متضاعفة.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ [الآية: 198] أي: الشرك الجلي والخفي وسائر أنواع المعاصي ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 198] مشتملة على القصور وأشجار الأثمار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 198] مقدرين الخلود فيها مؤيدين آمين بها ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 198] حال كونهم نازلين بها من عنده ومن فضله وجوده ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 198] لكثرت ودوامه وخيرته ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [الآية: 198] مما يتقلب فيه الفجار لقلة بقائه وسرعة فناءه وكثرة عنائه وخسة شركائه.

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 561) رقم (2323)، وابن ماجه في السنن (2/ 1376) رقم (4108)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 303) رقم (722)، وابن حبان في الصحيح (10/ 173) رقم (14330).

وفي الصحيح عن عمر رضي الله عنه قال جئت فإذا رسول الله ﷺ في سرية وأنه لعلى/ حصير ما بينه وبينها شيء وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ﷺ فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة.

ومن «دقائق الحقائق» قيل: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ﴾ [الآية: 198] فما يطلبونه بأفعالهم ولعل المعنى ما عندهم من الفضل خير للأبرار ما يطلبونه بأعمالهم من الأجر بطريق العدل.

وأفاد الأستاذ: أن المراد الذين وسمناهم بذل الفرقة بثست حالتهم المورثة للحرقة والذين رفعوا قدماً لأجلنا فنعمة الحالة والزلفة وصلوا إلى الثواب المقيم وبقوا في الوصال والنعيم وما عند الله مما ادخرنا لهم حال اضرارهم خير مما أملوه باختيارهم.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 199] أي: من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين دخلوا في الإسلام ﴿لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 199] أي: بوجوده ووحدته ذاته وسائر صفاته ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 199] من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 199] من الكتابين ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 199] حال من فاعل يؤمن وجمع باعتبار المعنى وأفرد في يؤمن باعتبار المبنى ﴿لَا يَسْتَرْوْنَ بِعَايِدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 199] أي: لا يأخذون بدلها ولا يختارون عليها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 199] من الرشوة وغيرها كما يفعل المحرفون من أحبارهم في تغييرها مبنى وتعبيرها معنى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 199] زيادة على قدر كسبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الآية: 199] لعلمه بالأعمال وما يستوجبه العمال.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ [الآية: 200] على مشاق الطاعة ﴿وَصَابِرُوا﴾ [الآية: 200] غالبوا أعداء الله في الصبر على شدة المجاهدة وأعدى عدوكم في الصبر عن الهوى بالمخالفة ﴿وَرَابِطُوا﴾ [الآية: 200] أبدانكم وخيولكم في ثغور

المجاهدين مخافة هجوم أعداء الدين وفي الحديث أن من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 200] بالتبري عما سواه ﴿لَكُمْ تَقِيحُونَ﴾ [الآية: 200] لكي تفوزوا بمقام رضائه وحصول لقائه وقال بعض أرباب اللسان وأصحاب البيان اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء وأبطؤا في دار الأعداء واتقوا الله إله الأرض والسمااء ﴿لَكُمْ تَقِيحُونَ﴾ [الآية: 200] في دار البقاء.

وفي الجنيد ﴿وَصَابِرُوا﴾ [الآية: 200] أمرهم/ بالصبر على الصبر ثم قال 158/ب ﴿وَرَابِطُوا﴾ [الآية: 200] وهو ارتباط السر مع الله سرّاً والوقوف مع البلاء جهراً. وقال ابن عطاء الصبر ألماس الله في أرضه والمتقين سيف النفس وأن الشيطان ليتعوذ من الصبر كما يتعوذ من الشيطان.

وقال الخلدي: خير الدنيا والآخرة صبر ساعة أي: بتحصيل طاعة.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر فيما يتفرد به العبد والمصابرة مع العدو والرباط نوع صبر ولكن على وجه مخصوص ويقال أول الصبر التصبر ثم المصابرة ثم الاضطبار وهو نهايته ويقال ﴿أَصْبِرُوا﴾ [الآية: 200] على الطاعات وعن المخالفات ﴿وَصَابِرُوا﴾ [الآية: 200] في ترك الهوى والشهوات وقطع المنى والعلاقات ﴿وَرَابِطُوا﴾ [الآية: 200] بالاستقامة في الصلابة في عموم الأوقات ويقال ﴿أَصْبِرُوا﴾ بنفوسكم ﴿وَصَابِرُوا﴾ بقلوبكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ بأسراركم ويقال ﴿أَصْبِرُوا﴾ [الآية: 200] على ملاحظة المثوبة ﴿وَصَابِرُوا﴾ [الآية: 200] على ابتغاء القربة ﴿وَرَابِطُوا﴾ [الآية: 200] في محل الدنو والزلفة على شهود الجمال والعزة والصبر مر مذاقته إذا كان العبد يتحساه على الغيبة وهو لذيد طعمه إذا شربه على الشهود والرؤية.



مدنيّة وهي مائة وخمسين وسبعون آية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أنّ العلماء العارفين اختلفوا في الاسم عن ما إذا اشتق فممنهم من قال اشتق من السمة وهي الكية ومنهم من قال أنه مشتق من السمو وهو العلو وكلاهما فيه الإشارة فمن قال من السمو فهو اسم من ذكره سمت رتبته ومن عرفه سمت حالته ومن صحبه سمت همته فسمو الرتبة يوجب وفور المثوبة والمبار وسمو الحال يوجب ظهور الأنوار في الأسرار وسمو الهمة يوجب التحرز عن رق الأغيار ومن قال أصله من السمة فهو اسم من قصدة وسم بسمّة العبادة ومن صحبه وسم بسمّة الإرادة ومن أحبه وسم بسمّة الخواص ومن عرفه وسم بسمّة الاختصاص فسمّة العبادة توجب هيبة النيران أن ترمي صاحبها بشررها وسمّة الإرادة توجب حشمة الجنات أن يطمع في استرقاق صاحبها مع شرف خطرهما وسمّة الخواص توجب سقوط التعجب من استحقاق القربة للماء والطينة على الجملة وسمّة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة ويقال اسم من واصله سما عن الأوهام قدره/ ومن فاصله وسم بكى الفرقة قلبه على هذه الجملة يدل اسمه انتهى وبرحمته العام أنعم على العوام كالإنعام بأنواع الإنعام في هذا المقام وبرحمته الخاص أكرم الأنبياء والأصفياء من ذوي الاختصاص بإيصالهم إلى مقام الإخلاص من الموجب للخلاص عما سواه يوم لا مفر فيه ولا مناص.

159/أ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء، الآية 1] خطاب يعم بني آدم من الموجودين ومن سيوجد في العالم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [الآية: 1] أوجدكم من العدم ﴿وَمِنْ نَفْسٍ

(١) كذا في الأصل المخطوط.

وَجَدَ ﴿[الآية: 1] وهي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ [الآية: 1] من ضلع من أضلاعها ﴿زَوْجَهَا﴾ [الآية: 1] أي حواء ﴿وَبَنَتْ مِنْهَا﴾ [الآية: 1] أي: نشر بواسطة ازدواجها واجتماعها ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [الآية: 1] أي ذكوراً كثيراً وإناثاً كثيراً واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر بجواز أن يكون لرجل واحد أربع منهن وتذكير كثيراً حمل على الجمع دون الجماعة وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة الكبرى لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة المولى.

وقال الأستاذ: يا من أظهرتكم عن كتم العدم بحكم تكلفي ثم خصصت من شئت منكم بتشريفي وحرمت من شئت منكم هدايتي وتشريفي ونقلتكم إلى ما شئت بل أوصلتكم إلى ما شئت بحكم تصريفي اتقوني وأطيعوني فالتقوى جماع الطاعات وأوله ترك الشرك وآخره اتقاء كل غير وأول الأغيار لك نفسك ومن اتقى نفسه وقف مع الله بلا مقام ولا شهود حال الله لا لحظ في الدنيا والعقبى ثم حكم الحق سبحانه بمساكنة الخلق مع الخلق لبقاء النسل وإلى رد المثل للمثل فربط الشكل بالشكل وتفرق إلى العقلاء على كمال القدرة بما لاح من براهين الربوبية ودلالات لحكمة الألوهية حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد على اختلاف هيئتهم وتفاوت صورهم وتباين أخلاقهم وأن اثنين منهم لا يتشابهان بكل وجه في الصورة والخلق والهمة والحالة فسبحان من لا مدى لقدراته ولا غاية لمعلوماته ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 1] بتشديد السين على أن أصله تتساءلون فأذغمت الثانية بعد قلبها سيناً في السين وقرأ الكوفيون بتخفيفها على حذف إحدى التائين والمعنى يسأل بعضكم بعضاً فيقول أسألك بالله ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ [الآية: 1] / بالجر 159/ ب والظاهر كما قرأ به حمزة وهذا على عادة العرب أنهم كانوا يتوسلون بالأرحام ويتوصلون إلى ذوي القربى على وجه العام والباقون بالنصب واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها ففي الحديث الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [الآية: 1] حافظاً مطلعاً فاتقوه ولا تخالفوه أو فاذكروه ولا تنسوه أو راقبوه وشاهدوه فإن من نسي الحق فلا

شيء أخس منه ومن نسي الخلق فلا أحد أخص منه ومن نسي الحق فلا نهاية لمحتته ومن نسي غيره فلا غاية لمحبتة وعلو حالته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول للمذنبين يا من نسيت عهدي ورفضت ودي وتجاوزت حدي حان لك أن ترجع إلى بابي فتستحق لطفي وإيجابي ويقول للعارفين يا من نسيت فينا حظك وصنت [عن] غيرنا لحظك ولفظك لقد عظم علينا حقك ووجب علينا نصرك وجل عندنا قدرك فأنا شهيد على حالك وانتقالك أعد عليك أنفاسك وأرى حواسك وأنا متولي خطراتك ومنشئ حركاتك وسكناتك انتهى والحاصل أنكم راقبوا من هو الرقيب عليكم.

﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمْوَالُكُمْ﴾ [الآية: 2] أي: التي بأيديكم إذا بلغوا وظهر رشدهم إليكم ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَلْبَسِ﴾ [الآية: 2] لا تستبدلوا الحرام لكم من أموالهم بالحلال من أموالكم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ [الآية: 2] منضممة ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [الآية: 2] من غير تسوية وتفرقة في انتفاعهما ﴿وَأَنْتُمْ﴾ [الآية: 2] أي: الأكل على هذا المنوال والانتفاع من الأموال من غير تفصيل الأحوال ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [الآية: 2] أي: ذنباً عظيماً وإثمًا مبیناً.

وأفاد الأستاذ: أن من أقيم بمحل الرعاية فجاء على رعيته فخصم رعيته ربه فإنه لينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه فولي اليتيم إن أنصف وأحسن فحقه على الله وإن أساء وتعدى فخصمه الله انتهى وكأنه إشارة إلى ما روي كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته⁽¹⁾ وإيماء إلى قوله سبحانه:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36] ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [الآية: 3] توقعتم وظننتم أن لا تعدلوا في أمر يتامى النساء إذا تزوجتم بهن ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الآية: 3] فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن وسهل عليكم من أمرهن ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبُعَ﴾ [الآية: 3] أي: ثنتين

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2554)، ومسلم في الصحيح (20/1829).

160/أ

ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أباح للرجال الأحرار التزوج بأربع في حالة واحدة وأوجب العدل بينهم في مراعاة القسمة وحقوق النفقة والكسوة فيجب على العبد أن يراعي الواجب فإن علم أنه يقوم بحق هذا الواجب أثر هذا المباح وإن علم أنه يقصر في الواجب فلا يتعرض لهذا المباح فإن الواجب مسؤول عنه وعما يترتب عليه من الجناح ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [الآية: 3] أي: فاختاروا واحدة واتركوا الجماعة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الآية: 3] فإنهم أيسر عليكم لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 3] التقليل منهن ﴿أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [الآية: 3] أقرب أن لا تميلوا عن الحق فيهن.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ﴾ [الآية: 4] مهرهن ﴿مِثْلَةً﴾ [الآية: 4] عطية عن صفاء طوية ﴿إِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [الآية: 3] أي: تمييز لبيان الجنس والأصل فيه الأفراد والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من صداقهن عن طيب أنفسهن ﴿فَكُلُّهُنَّ مِثْلًا مِّثْلًا﴾ [الآية: 4] فخذوه وانتفعوا به حلالاً بلا تبعة في الدنيا ولا ملزمة في العقبى وفي الحديث هنيئاً ما لا إثم فيه ومريئاً لا داء فيه.

وأفاد الأستاذ: إن هذا دل على أن طعام الفتيان والأسخياء مريء لأنهم لا يطعمون إلا عن طيبة أنفسهم وطعام البخلاء رديء لأنهم يرون أنفسهم وإنما ينفقون عن تكلف لا عن طيبة نفس قال ﷺ طعام السخي دواء وطعام البخيل (1) داء انتهى.

وعن علي رضي الله عنه من أراد الشفاء والدواء فعليه بأربعة أشياء مهر المرأة والعسل والقرآن وماء السماء.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ [الآية: 5] الجهال من العيال والأولاد المبذرين للأموال المفسدين في الأحوال ﴿أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [الآية: 5] وقرأ نافع وابن عامر قِيَمًا بمعناه أي: ما تقومون بها وتنتعشون فيها ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 5] أي:

(1) جامع الأحاديث (14/116)، والمقاصد الحسنة (1/426) رقم (653)، وكشف الخفا (2/38) رقم (1653).

منها ﴿وَأَكْثُوهُمْ وَوَلُّوا لَهُمْ قَوْلًا مِّمَّوًى﴾ [الآية: 5] يعرفه الشرع ويستحسنه الطبع والمراد تأديبهم بآداب الديانة وزجرهم عن الخيانة في الأمانة.

قال سهل: أسفه السفهاء نفسك فإن زجرتها بالعلم والخوف والورع وإلا حجزك عن طريق نجاتك من الخروج عن الدنيا والآخرة كذا في «حقائق الدقائق».

وأفاد الأستاذ: أن السفية من يمنعك عن الحق ويشغلك عن الرب 160/ ب والسفيه/ من العيال والأولاد من يؤثر حظوظهم عن حقوق الله ثم قال وحفظ التجمل في الحال أجدى عليكم من أن تتعرضوا للتبذل والسؤال والكدية والاحتياي وإنما يكون البذل خيراً من الإمساك عند تجرد القلب والثقة بالرب وتقويته بالصبر وتأييده بالشكر فأما على نية الكدية ولا تجعل نفسك وعيالك كلاً على الناس فحفظك ما جعله الله كفاية لنفسك أولى ثم الجود لفاضل كفايتك أخرى.

﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ﴾ [الآية: 6] اختبروهم قبل بلوغهم بتتبع أحوالهم في أمر دينهم وضبط مآلهم وحسن تصرفهم في بعض ما يدفع إليهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [الآية: 6] أي: حد البلوغ فإنه يصلح للنكاح عنده ﴿فَإِنْ عَاسَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [الآية: 6] أبصرتهم منهم رشاداً وسداداً يصلح أحوالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية: 6].

وأفاد الأستاذ: أن إيناس الرشد العفة والديانة والسخاء والصيانة وصحبة الشيوخ والحرص على مشاهدة الخير وأداء العبادات على قضية الأمر ويقال الرشد من اهتدى إلى ربه عند من يسبح له من حوائجه لا من يتكل على حوله وقوته وتدبيره واختياره.

﴿وَلَا تَاْكُلُوْهَا﴾ [الآية: 6] أي: أموال اليتامى ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا﴾ [الآية: 6] أي: مسوفين ومبادرين كبرهم ولا مفهوم لهما في أمرهم لقوله ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْفِفْ﴾ [الآية: 6] من أكلها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 6] أي: بقدر أجرة سعيه فيها وعند حاجته واضطراره بها ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية: 6] أي: بعد بلوغهم ورشد بين أحوالهم ﴿فَاشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] بقبضهم فإنه

أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الآية: 6] أي: محاسباً رقيباً.

﴿لِّلرِّجَالِ﴾ [الآية: 7] أي: الذكور ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [الآية: 7] أي: من العصبه وذوي الأرحام ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ﴾ [الآية: 7] بدل مما ترك بإعادة العامل ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [الآية: 7] نصب نصيباً على أنه مصدر مؤكد كقوله ﴿فَرِيضَةً مِّنْ أَلْفٍ﴾ [النساء: 11] أو على الاختصاص بمعنى نصيباً مقطوعاً واجباً.

وأفاد الأستاذ: أن حكم الميراث لا يختلف بالفضل والمنقبة ولا يتفاوت بالذنب والعيب والمنقصة فلو مات رجل وخلف ابنين تساوى في استحقاق القسمة وإن كان أحدهما برأ تقياً والآخر فاجراً عصياً فلا للتقي زيادة لتقواه ولا للفاجر بخس لفجوره/ والمعنى فيه أن الميراث ابتداء عطاء من قبل الله 161/أ فتساوى فيه البر والفاجر وكذلك حكم الإيمان ابتداء عطية للمسلمين قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32] ثم قال فيهم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: 32] .

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [الآية: 8] أي: قسمة الميراث ﴿أُولُوا الْقَرْبَى﴾ [الآية: 8] ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ﴾ [الآية: 8] أي: من الأجانب ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [الآية: 8] فأعطوهم شيئاً من المقسوم تطيباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل: أمر وجوب على خلاف نسخه ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّقْرُوفًا﴾ [الآية: 8] أمر لهم بأن يدعوا لهم ويستقلون ما أعطوهم ولا يمنعوا عليهم ويلطفوا في العبارة معهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا إشارة لطيفة للمذنبين إذا حضروا العرصة غداً والحق سبحانه يغفر للمطيعين ويعطيهم ثواب أعمالهم فمن كان من فقراء المسلمين لا يحرمهم الغفران إن شاء الله الرحمن بعد ما كانوا من أهل الإيمان وكذلك يوم القسمة لم تكن حاضراً ولا لك استحقاق ثابت فيفضله أهلك لمعرفته مع علمه بما يحصل منك في مستأنف أحوالك من زلتك .

﴿وَلِيَحْشُرَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 9]

أمر للأوصياء بأن تخشوا الله وتتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم الضعاف بعد موتهم ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية: 9] أمرهم بالتقوى الذي هو غاية خشية المولى بعدما أمرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الثاني في العقبي ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب والخصال الحسنی.

وفي «دقائق الحقائق» قيل استعينوا على كثرة العيال وقلة ذات اليد بالتقوى فإنه الذي يجبر الكسير ويغني الفقير.

قال جعفر الصادق: التقوى تزيد في الرزق وتوسع في المعيشة قال عز وجل ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية: 9].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين في هذه الآية أن الذي ينبغي للمسلم أن يدخر لعياله التقوى والصلاح لا المال لأنه لم يقل فليجمعوا المال وليكثروا لهم العقار والأسباب وليخلفوا العقد والأثاث بل قال ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 9] فإنه يتولى الصالحين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتَنَ ظُلْمًا﴾ [الآية: 10] أي: يأخذونها على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الآية: 10] أي: ملئها ﴿نَارًا﴾ [الآية: 10] أي: ما يجر إلى دخولها وما يؤول إلى حصولها ﴿وَسَيُفْلَنُ سَوِيرًا﴾ [الآية: 10] قرأ 161/ ب ابن عامر/ وأبو بكر بضم الياء أي: يدخلون ناراً تتسعر بهم وتتوقد منهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما تولى خصيصة اليتيم لأنه لا أحد لليتيم غيره فكل من وكل أمره إليه وتبرأ من حوله وقوته واعتمد عليه فالحق سبحانه ينتقم له بما لا ينتقم لنفسه.

﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [الآية: 11] أي: يعد كل ذكر بأنثيين، حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه لحكمة إلهية يعجز عنها الأوهام العقلية ولا يبعد أن يكون وجهها أن الذكر يحتاج إلى نفقته ونفقة الأنثى والأنثى ينفق عليها الذكر بأمر المولى فهو بالمضاعفة أخرى ويندفع به ما قال بعضهم من أن الأمر لو كان بالقياس لكانت الأنثى بالتفضيل أولى لضعفها

وعجزها عن الحراك على أنه روعي عجزها بإعطاء البعض لعدم دوام استغنائها أو لضعف قلبها ومحبة دنياها وفيه رد على أهل الجاهلية حيث كانوا يحرمون الإناث بالكلية ويقولون إنما يحتاج إلى المال أرباب الإنفاق من الرجال ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً﴾ [الآية: 11] أي: إن كان الأولاد نساء خلصاً ليس معهن ذكر فإن الخلط قد ذكر وأنت الضمير باعتبار الخبر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 11] أي: نساء زائدة على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [الآية: 11] أي: المتوفى منكم ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ [الآية: 11] أي: المولودة ﴿وَحَدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [الآية: 11] وقرأ نافع بالرفع على كان التامة، قال ابن عباس حكم البنتين حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقها وهو ظاهر وقال الجمهور حكمها حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن حظهما الثلثان ثم لما أمرهم ذلك أن يزداد النصيب بزيادة العدد رد ذلك الوهم بقوله ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 11] ولحديث عطاء نزلت بسبب سعد بن الربيع أحد النقباء استشهد بأحد عن بنتين وزوجة وأخ فأخذ الأخ المال فشكت امرأة سعد إلى رسول الله ﷺ فقال عليه السلام للأخ أعط لبنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثمن فما بقي فهو لك رواه الترمذي بسنده عن عطاء عن جابر وكذا أخرجه أحمد وأبو داود والطيالسي وابن حبان في صحيحه والحاكم وغيرهم⁽¹⁾ ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [الآية: 11] ولوالدي الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [الآية: 11] بدل مما 162/أ قبله بتكرير العامل وفائدة التخصيص على أن استحقاق كل منهما ﴿السُّدُسُ وَمِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾ [الآية: 11] له للميت ﴿وَلَدٌ﴾ [الآية: 11] ذكراً وأنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض أيضاً بالعصية ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [الآية: 11] والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [الآية: 11] وقرأ حمزة والكسائي فلاؤه بكسر الهمزة فيهما اتباعاً للكسرة التي قبلها ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾ [الآية: 11] متعلق بما تقدمه من قسمة الموارث كلها أي: هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 414) رقم (2092)، وأبو داود في السنن (3/ 80) رقم (2893)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 229) رقم (12091).

وصية أو دين وإنما أتى بأو التي للإباحة للدلالة على أنهما متساويان في وجوب التأدية متعديان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم اهتماماً بشأنها لثلاثاً يتسامح في أمرها فإنها مشبهة بالميراث من حيث أنها توجد بعد الموت وهي شاقّة على الورثة والدين إنما يكون مقرراً عندهم لا سيما والمطالب غالباً موجود لديهم وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: هم ورثتكم غالباً فيكم ومن جانبهما لكم ﴿لَا تَذَرُونَهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْسًا﴾ [الآية: 11] أي: لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيه ما وصاكم الله به في شأنه ولا تقصدوا إلى تفضيل بعض أو حرمانه قيل ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ ببرهم ﴿وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ بالشفقة عليهم والتأديب لهم هما محلّ النفع كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أن الأبناء ينفعونكم بالخدمة والآباء بالرحمة والآباء في حال ضعفك في بداية عمرك والأبناء في حال ضعفك في نهاية أمرك ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 11] مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 11] بما رتب ودبر ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 11] بما قضى وقدر.

﴿وَلَكُمْ يَصِفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: نساؤكم ﴿إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [الآية: 12] ذكر أو أنثى ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [الآية: 12] أي: وارث من بطنها أو من صلب بنيتها أو بني بنيتها وإن سفل ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم ﴿فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَتْ بِهِمَا أَوْ دِينَ﴾ 162/ ب ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ / فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ / فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ تَوْصَوْتُ بِهِمَا أَوْ دِينَ﴾ [الآية: 12] فرض للرجل ضعف ما للمرأة كما في النسب ويستوي الواحدة والأكثر منهن في الربع والثلث ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلًا﴾ [الآية: 12] أي: ميت من نعته أنه ﴿يُورَثُ﴾ [الآية: 12] أي: يورث منه ﴿كَأَنَّكَ﴾ [الآية: 12] وهو خبر كان وهو من لم يخلف ولداً ولا والدأ أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ﴿أَوْ أُمْرَأَةً﴾ [الآية: 12] عطف على رجل ﴿وَلَهُ﴾ [الآية: 12] أي: وللرجل واكتفى بحكمه عن حكمها لدلالة العطف على تشاركهما ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [الآية: 12]

أي: من الأم إجماعاً ويدل عليه قراءة سعد بن مالك وقراءة أبي من الأم ﴿فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّ فَإِنْ كَانُوا﴾ [الآية: 12] الأخوة ﴿أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ [الآية: 12] أي: مما ذكر من أخ أو أخت ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [الآية: 12] سوى بين الذكر والأنثى في القسم لأن الإدلاء بمحض الأنوثة ﴿مِنْ بَيْدٍ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [الآية: 12] وافق حفص أبا بكر هنا في فتح الصاد ﴿غَيْرَ مُضْكَزٍ﴾ [الآية: 12] أي: قاصد للضرر للورثة بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين ليس له في الذمة وهو حال من فاعل يوصي المذكور على قراءة البناء للفاعل أو المدلول عليه على قراءة البناء للمفعول فإنه الفاعل المتروك ﴿وَصِيَّةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 12] مصدر مؤكد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 12] بالموصي وقصد مضرته ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 12] لا يعجل في عقوبته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في ثبوت الميراث للأقربين من الورثة بالنسب والسبب أن الميت إذا مات تحمل القريب أحزانه فعوض الله الموارث على ما يقاسيه ويخامر قلبه من التوجع للميت مال المورث وكذا سنته سبحانه وتعالى التعويض على مقاساة الأدنى جوداً لا وجوباً عليه كما توهمه قوم وكل من كان أقرب نسباً أو أقوى سبباً من الميت كان أكثر استحقاقاً لميراثه.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية: 13] الأحكام المتقدمة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ [الآية: 13] شرائع التي كالحدود المحدودة لا يجوز مجاوزتها البتة.

وأفاد الأستاذ: أن حدوده وأوامره ونواهيه وما تعبد به عباده وأصل العبودية حفظ الحدود وصون العهود ومن حفظ حده لم يصبه مكروه ولا آفة في الوجود وأصل كل بلاء مجاوزة الحدود قلت: وكذا أصل كل عطاء ملازمة الحدود كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 13] / 163/أ فالوقوف على العهود ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 13] أي: مقدرين الخلود وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون فيه وفيما بعده ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية: 13] لما يترتب عليه من النعيم المقيم باتصال الجنة المعجلة وإيصال إلى الجنة المؤجلة لما يقترب بها من عزة

الطاعة ولذة العبادة التي فوق رقبتة.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقْ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَارًا كَلِيدًا فِيهَا﴾
[الآية: 14] ولعل المغايرة بالجمع والوحدة في الجمل الجزئية من باب التفنن في العبادة ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الآية: 14] لاستهانتة في أمر الدين المستتين.

وقال الأستاذ: إنما هما عقوبتان معجلة ومؤجلة ويقترن بهما جميعاً الذل الإهانة ولو اجتهد الخلائق على إذلال العاصي بمثل الذي يلحقه بارتكاب معصيته لم يقدروا عليه ولذا قال قائلهم:

من بات ملماً بذنب أصبح وعليه مذلتة⁽¹⁾

فقلت:

ومن أصبح مبرأً ببر ظل وعليه مهابتة⁽²⁾

قلت: لو قال معزته لكان أنسب مبنى ومعنى في مقابلته.

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحْشَاءُ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [الآية: 15] أي: يفعلن الزنا وسمي فاحشة لزيادة قباحتها ومزية شناعتها ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ [الآية: 15] واطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين يشهدون عليهن ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ [الآية: 15] فأجلسوهن في بيوتهن واجعلها سجناً عليهن ﴿حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ﴾ [الآية: 15] إلى ملك الموت أو يأخذهن الموت قيل وكان ذلك عقوبتهن في صدر الإسلام فنسخ بالحد وفيه تسامح لقوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: 15] كتعيين الحد المخلص عن الحبس وقد صح في حديث مسلم عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: خذوا عني، خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم قال البغوي: في نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/458).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/458).

وعن علي: أنه يجمع بينهما ودليل الجمهور أنه ﷺ رجم ماعزاً⁽¹⁾ والغامدية⁽²⁾ ولم يجلدهما ثم التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر عند أبي حنيفة أو محمول على الزجر والسياسة وثابت عند غيره.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما اعتبر في ثبوت/ الفاحشة التي هي الزنا 163/ بزيادة الشهوة إسبألاً لستر الكرم والجود على إجرام العباد فإن إقامة الشهادة على الوجه الذي في الشرع في إثبات تلك الحالة كالمتعذر في قوله ﷺ: لماعز لما قال يا رسول الله إني زنيت فطهرني فقال: لعلك لامست لعلك قبلت ثم قال: في بعض المرات استنكهوه⁽³⁾ ففي هذا أقوى دليل لما ذكر من إسبأله الستر على الأعمال القبيحة.

﴿وَالَّذَانِ﴾ [الآية: 16] بتشديد النون لابن كثير ﴿يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ﴾ [الآية: 16] أي: يفعلها الفاحشة من الزاني والزانية ﴿فَكَادُوهُمَا﴾ [الآية: 16] بالتوبيخ والتقريع قبل ثبوت أمرهما عند الحاكم الشرعي ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ [الآية: 16] عن فعلهما ﴿وَأَصْلَحَا﴾ [الآية: 16] في حالهما ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [الآية: 16] فاقطعوا عن إيذائهما أو أعرضوا بالإغماض والستر عنهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [الآية: 16] لهما أو لغيرها وقيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى في السحاقات بقرينة صيغة الإناث وهذه في اللواتين بقرينة صيغة الذكرين والزاني والزانية في الزناة بكرة وآية الرجم فيهم ثباً.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بفنون العقوبات لهم على فعل ذلك أبلغ شيء

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6824)، والطبراني في المعجم الكبير (202/22) رقم (531).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (22/1695)، وأبو داود في السنن (275/4) رقم (4436)، والنسائي في السنن الكبرى (283/4) رقم (7186)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/542) رقم (28807).

(3) انظر: تخريج الحديث قبل السابق.

في الردع والمنع منه بالرفق الأتم لعل العبد يحذر ذلك فلا يستحق التعذيب العظيم.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 17] أي: قبولها كالواجب عليه سبحانه بمقتضى وعده ﴿لِلَّذِينَ يَصِلُونَ أَلْسِنَهُمْ بِحَقِّهَا﴾ [الآية: 17] متلبسين بها سفاهة وقد أطبق السلف والخلف على أن من عصى الله فهو جاهل ولو كان يزعم أنه عالم كامل ﴿ثُمَّ يَتُوبُكَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [الآية: 17] أي: من زمان قريب وهو قبل حلول الموت لقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180].

وقوله عليه السلام: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر⁽¹⁾ وسماء قريباً لأن أمد الحياة غير بعيد لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77] أي: زماناً وشأناً كمية وكيفية وقيل: هم الذين يتقربون بالطاعة إلى من لا يتقرب إليه إلا به والمعنى قبل أن يشرب في قلوبهم حب السوء فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع بها ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 17] أي: يقبل توبتهم ويغفر حوبتهم وفاءً بما وعد به وأداءً بما كتب على نفسه بقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ 164/أ [الآية: 17] لا على غيره وسواه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 17] / بنياتهم ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 17] في معاملاتهم.

وأفاد الأستاذ: أن الاستغفار مع الإصرار فإن التوبة مع غير إقلاع سمة الكذابين وقوله: ﴿أَلْسِنَهُمْ بِحَقِّهَا﴾ [الآية: 17] يعني عمل عمل الجهال وذنب كل أحد يليق بحاله فالخواص ذنوبهم حسبانهم أنهم بطاعاتهم يستوجبون محلاً وكرامة وهذا وهن في المكان إذ لا وسيلة إليه إلا به وقوله ﴿ثُمَّ يَتُوبُكَ﴾ [الآية: 17] من قريب على لسان العلم قبل الموت وعلى لسان المعاملة قبل أن تتعود النفس ذلك فيصير له عادة قال قائلهم:

قلت للنفس إن أردت رجوعاً فارجعي قبل أن يسد الطريق⁽²⁾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 286) رقم (7659)، وابن حبان في الصحيح (2/ 394) رقم (628)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 395) رقم (7062).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 461) و(3/ 483) و(4/ 49) و(5/ 289).

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ
النِّسَاءَ﴾ [الآية: 18] أي: التوبة منفي قبولها ﴿لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ
النِّسَاءَ﴾ [الآية: 18] أي: يرتكبونها في كل زمان ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [الآية: 18] سوى بين
مسوف التوبة إلى حضور الموت من الفجار وبين من مات من غير توبة من
المنافقين والكفار في انتفاء قبول التوبة وعدم الاعتداد بها في تلك الحالة وقيل:
المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون
لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار فعلى هذا قيل المراد
القريب زمن الدنيا وأن توبة اليأس من المؤمن مقبولة كما ذهب إليه بعض الأئمة
﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 18] وحجاباً عظيماً.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كشف الغطاء وصارت المعارف ضرورية أغلق
باب التوبة فإن من شرط التكليف أن يكون الإيمان غيبياً ثم إن في هذه
الطريقة إذا عرف بالخيانة لا يشم بعد حقيقة الصدق والأمانة قال داوود عليه
السلام في آخر بكائه لما قال له ولم تبكي يا داوود وقد غفرت لك وأرضيت
خصمك وقبلت توبتك؟ فقال: إلهي الوقت الذي كان لي رده إليّ فقال
هيهات يا داوود ذاك ودّ قد مضى في معناه أنشدوا:

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع⁽¹⁾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ [الآية: 19] أي: ذواتهن
﴿كَرْهًا﴾ [الآية: 19] وبالضم حمزة والكسائي كان الرجل في الجاهلية إذا مات
وله عصة ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها
الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها/ وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت 164/ب
من زوجها أو منعها من الأزواج لتموت فيرثها فنهوا عن ذلك بما سبق ولحق
بقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْنَهُنَّ﴾ [الآية: 19] عطف على لا يحل
أو على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي ويؤيده أن قرىء ولا أن تعضلوهن وقيل:
الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 462) و(6/ 317) و(7/ 246).

أو يختلعن بمهرهن ويؤيده قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الآية: 19] أي: ظاهرة وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالفتح وهي كالنشوز والمخالفة وسوء العشرة وعدم العفة.

وأفاد الأستاذ: أن التلبس على المستضعفين والتدليس على أهل السلامة من المسلمين غير محمود عند الله تعالى فمن تعاطى ذلك انتقم الله منه ولم يبارك له فيما يختزل من أموال الناس بالباطل والاحتيال ومن استصغر خصمه في الله فأهون ما يعاقبه الله به أن يحرمه الوصول إلى ما يأمله من محبوبه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 19] بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول.

وقال الأستاذ: أي بتعليم الدين والتأديب بأخلاق المسلمين وحسن الصحبة على كراهة النفس وأن تحتمل أذاهم ولا تحملهم كلفة خدمتك وتتحامى عن مواضع خجلتهم ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية: 19] فاصبروا عليهن ولا تفارقوهن ﴿فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية: 19] مثل أن يرزق منهما ولد كبير ويكون فيه خير كثير والحاصل عدم متابعة كراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً وقد تحب ما هو بخلافه فليكن النظر إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير أو التفويض والتسليم إلى ما قدر له من الأمر.

وقد حكي أن امرأة جميلة كانت تحت رجل قبيح الصورة فقيل لها كيف رضيت بهذه الحالة فقالت لعلي أذنبت ذنباً جوزيت بعملتي أو هو عمل صالحاً كوفئ بي.

وفي «حقائق السلمي» قيل غيَّب عنك العواقب لئلا تسكن إلى مألوف ولا تفر من مكروه وقيل: السكون إلى كراهية النفس جعل فيه خير الدارين إذ الخير الكثير ما يتصل بالعقبى لأنه لا كثير في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما كان على نفسك أشق كانت عاقبته أهناً وأمرأ

واعلم بأن الحق سبحانه لم يطلع أحداً على غيبه فأكثر ما يعافه الإنسان تكون

165/ أ الخيرة فيه أتم وقد حكم الله سبحانه/ بأن مخالفة النفس توصل صاحبها إلى

أعلى المنازل وبعكس ذلك موافقتها كما أن مخالفة القلب توجب عمى البصيرة وبعكس ذلك موافقتها انتهى ولعل من هذا المقام ما ورد عنه عليه السلام أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك يوماً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما⁽¹⁾ إيماءً إلى أن محبة غير المولى وما يتعلق به من السوى لا عبرة بوجود حصولها ولا بفقد وصولها.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٌ﴾ [الآية: 20] بتطليق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَمَا تَنْتُمْ إِحْدَهُنَّ قَنْطَارًا﴾ [الآية: 20] مالا كثيراً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ [الآية: 20] من القنطار ﴿شَيْئًا﴾ [الآية: 20] قليلاً ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا﴾ [الآية: 20] ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 20] ذنباً ظاهراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلمهم حسن العهد في المحبة ونعت الكرم في العشرة بقول لا تجمع الفرقة واسترداد المال عليها فإن ذلك ترك الكرم وإن خولت واحدة مالا كثيراً ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسير في جنب ما أذقتها من الفراق.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ [الآية: 21] أي: المهر منهن ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 21] أي: وصل إليهن بالجماع أو الخلوة الصحيحة وتقرر المهر لهن ﴿وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ يَمِينًا غَلِيظًا﴾ [الآية: 21] عقداً وثيقاً وعهداً أكيداً وهو حق الصلبة والممازحة المستفادة من قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: 229] أو ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: أخذتموهن بأمانة الله⁽²⁾ أي: بالرفق بهن والشفقة عليهن واستحللتم فروجهن بكلمة الله أو بأمره وحكمه.

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (360/4) رقم (1997)، والبيهقي في شعب الإيمان (260/5) رقم (6593)، والطبراني في المعجم الأوسط (214/5) رقم (5120).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (421/2) رقم (4001)، وابن أبي شبة في المصنف (463/3) رقم (16028)، وعبد الرزاق في المصنف (195/10) رقم (18805)، وأبو داود في السنن (122/2) رقم (1907).

وأفاد الأستاذ: أن للصحبة السالفة حرمة أكيدة فقفوا عند مراعاة الزمام وأوفوا بموجب الميثاق كالكرام.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الآية: 22] بالعقد أو الوطء
 ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 22] لكن ما قد سلف فإن الله تجاوز عنه ﴿إِنْ تُمْرُوا﴾
 [الآية: 22] أي: نكاحهن ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ [الآية: 22] عند الله وفي أحكام
 الرسالات ﴿وَمَقْتًا﴾ [الآية: 22] ممقوتاً عند ذوي المروءات ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
 [الآية: 22] سبيل من يراه ويفعله على وفق هواه.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى حفظ الذمام والوقوف على حد
 الاحترام فإن السجية يتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره فنهي الأبناء عن
 تخطي حقوق الآباء في استفراش منكوحة الأب.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [الآية: 23] أي: نكاحهن وهن من ولدتك أو
 ولدت من ولدك وإن علت ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ [الآية: 23] أي: من ولدتها أو ولدت من
 ب/ولدها وإن سفلت/ ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ [الآية: 23] من الأب والأم أو الأم وكذا
 حكم الباقية في الوجوه الثلاثة ﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾ [الآية: 23] وهي كل أنثى ولدها من
 ولد ذكراً ولدك بعيداً أو قريباً ﴿وَحَلَائِكُمْ﴾ [الآية: 23] وهي كل أنثى ولدها من
 ولد أنثى ولدتك كذلك ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ [الآية: 23] تتناول القربى
 والبعدى ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ﴾ [الآية: 23] نزل الله
 سبحانه الرضاعة منزلة النسب في النسبة حتى سمي المرضعة أمّاً والمراضعة أختاً
 وفي الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب⁽¹⁾.

واستثنوا مسألتين إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من
 النسب ويجوز أن يتجاوز أخت ابنه من الرضاعة لأن المانع في النسب وطء
 أمها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم
 أخيه من النسب ويجوز في الرضاع لأن المانع في النسب وطء الأب إياها

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2645)، ومسلم في الصحيح (13/1446).

وهذا المعنى غير موجود في الرضاع ﴿وَأَمَّهَتْ نِسَائِكُمْ وَرَبَّيْكُم﴾ [الآية: 23] بنات نساكم ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [الآية: 23] في بيتكم وتربيتكم وهذا القيد بناءً على الغالب لا أنه تقييد للحرمة خلافاً لما روي عن علي كرم الله وجهه أنه جعله شرطاً وإليه ذهب داوود الظاهري وابن حزم ونقل عن الإمام مالك.

﴿مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [الآية: 23] أي: دخلتم معهن في السرير وهو كناية عن الجماع وفي معناه الخلوة الصحيحة وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول وفي الترمذي أنه ﷺ قال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء غير أنه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ثم الأمهات والربائب يتناولان القربى والبعدى ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 23] في نكاحهن وهو تصريح بالمقصود دفعاً للقياس على الأمهات ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ [الآية: 23] أي: مواطناتهم ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [الآية: 23] احترازاً عن المتبنى لا عن أبناء الولد نسباً ورضاعاً ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ [الآية: 23] أي: وحرّم عليكم الجمع بينهما والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في ملك النكاح فهي محرمة/ في ملك اليمين وطناً ولذا قال عثمان وعلي رضي الله 166/أ عنهما: حرمتها آية وأحلتها آية يعنيان هذه الآية وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 3] في أول السورة فرجع علي التحريم احتياطاً وعثمان التحليل بناءً على الأصل والجمهور مع علي كرم الله وجهه ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 23] لكن ما مضى مغفور لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الآية: 23].

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الآية: 24] أي: ذوات الأزواج أحصنهن التزويج ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الآية: 24] يريد ما ملكت إيمانكم من اللاتي سيبن ولهن أزواج كفار فهن حلال للسايبين بعد الاستبراء والنكاح مرتفع بتباين الدارين عندنا وبمجرد السبي عند الشافعي ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 24] أي: ما سوى ما ذكر من المحرمات وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات

الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وقرأ حمزة والكسائي وحفص أحل بصيغة المفعول عطفاً على حرمت ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ [الآية: 24] أي: لا تطلبوا النساء مما وراءه ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [الآية: 24] سبب صرفها في مهرهن أو أثمانهن وإنفاقهن حال كونكم ﴿مُحْصِنِينَ﴾ [الآية: 24] مريدين الإحصان والعفة بالنكاح وملك اليمين ﴿غَيْرَ مُسْفَحِينَ﴾ [الآية: 24] أي: زانين وفيه دليل على أن المهر لا بد أن يكون مالاً كما قاله أبو حنيفة ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ [الآية: 24] فمن تمتعت به من المنكوحات ﴿فَعَلَاوُهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ [الآية: 24] أي: مهورهن ﴿وَرِيشَهُنَّ﴾ [الآية: 24] مفروضة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا قَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ [الآية: 24] فيما يزداد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 24] بمصالح العباد ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 24] فيما قضى وأراد.

وأفاد الأستاذ: أن تكلف انتزاع المعاني التي لأجلها حصل هذا التحريم محال من الأمر لأن الشرع غير معلل بل الحق تعالى حرم ما يشاء على من شاء وكذلك الإباحة ولا علة للشرائع بحال ولو كانت المحرمات من هؤلاء محللات والمحللات محرمات لكان ذلك سائغاً وكذا قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الآية: 24] الآية فإذا حفظت الحد وراعت العهد وحصل التراضي بحكم الشرع فلا يكون للخلق فيه خصيصة ولا من الحق سبحانه فيه تبعة فذلك مباح طلق.

166/ ب ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ [الآية: 25] غنى واعتلاء بالقدرة/ على مهر النساء ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [الآية: 25] أي: يتزوج التي أحصنهن أزواجهن وقرأ الكسائي بكسر الصاد أي: أحصن أنفسهن بالعفة ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: 25] أي: الحرائر دون العفائف والمتزوجات لقوله: ﴿فَإِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: 25] وظاهر الآية مع الشافعي في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقاً وأول أبو حنيفة وأصحابه طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله: من فتياتكم المؤمنات على الإرشاد بالأفضل كما حمل عليه قوله: ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: 25] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ [الآية: 25] أي: بتفاضل

ما بينكم في الإيمان قرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان والحسب لا فضيلة النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الأمة ومنهم عن الاستنكاف والأنفة على ما كانوا عليه في الجاهلية ويؤيده قوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [الآية: 25] أي: أنتم وأرقاؤكم متناسبون في الالتئام نسبكم من آدم وحسبكم الإسلام فلا تستنكفوا عنهن عند الحاجة لهن ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [الآية: 25] أي: مواليهن ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 25] أي: مهورهن بإذن أهلهن أو المعنى آتوا مواليهن وذهب مالك إلى ظاهر الآية وجوز إعطاء المهر للأمة وهو خلاف جمهور الأمة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 25] أي: من غير مطل واستهانة بهن ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ [الآية: 25] حال كونهن عفاف ﴿غَيْرِ مُسَفِّحَاتٍ﴾ [الآية: 25] أي: مجاهرات بالسفاح وهو الزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ [الآية: 25] أخلاء وأحابيب يزنون بهن في السر وكانت العرب تحرم الأولى دون الثانية ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتِ﴾ [الآية: 25] بالتزويج وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتحيتين أي: حفظن فروجهن ﴿فَإِنْ أَتَيْتِ بِفَحِشَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: زنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ [الآية: 25] يعني الحرائر الأبكار ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 25] أي: الحد لقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2] وهو يدل على أن حد العبد نصف حد الحر وأنه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 25] أي: نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 25] أي: لمن خاف الوقوع في الزنا بغلبة الشهوة وأصل العنت المشقة وسمي الزنا عنناً لأنه سبب المشقة في الدنيا والآخرة وخوف/ العنت شرط نكاح الأمة عند الشافعي وهو 167/أ ليس شرط عند أبي حنيفة وإنما هو بيان الأفضل كقوله: ﴿وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَّكُمْ﴾ [الآية: 25] لئلا يصير ولدكم عبداً لغيركم أو المعنى صبركم عن نكاح الإماء متعيفين خير لكم لما ورد الحرائر صلاح البيت والإماء فسادهن وقال بعض العارفين الصبر عنهن أيسر من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ [الآية: 25] لمن يصبر منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 25] بأن رخص لهم.

وأفاد: الأستاذ أن الرخص جعلت للمستضعفين فأما الأقوياء فأمرهم

الجد والأخذ بالاحتياط والتضييق إذ لا شغل لهم سوى القيام بحق الحق بأن كان أمر بالظاهر يشغلهم عن مراعاة القلوب فالأخذ في الأمور الظاهرة بالسهولة والأخف واليسر أولى من الاستقصاء فيما يمنع من مراعاة السر لأنه ترك بعض الأمور لما هو الأهم والأجل فمن نزلت درجته عن الأخذ بالأوثق والأحوط فمباح له الانحدار إلى وصف الترخص ثم قال في آخر الآية ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 25] يعني على مقاساة ما فيه الشدة وفي هذا نوع استمالة للعبيد حيث قال ﴿وَأَصْبِرُوا﴾ بل قال ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ انتهى.

وقال الجنيد: الصبر مفتاح كل خير.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ كُلَّهَا وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ كُلَّهَا وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ كُلَّهَا﴾ [الآية: 26] ما خفي عليكم من مصالح أفعالكم ومحاسن أعمالكم واللام مؤكدة لإرادة التبيين لا في اللام من معنى الإرداة نحو جئتكم لإكرامكم ﴿وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 26] مناهج من تقدمكم من أهل الرشد كملة إبراهيم عليه السلام وسائر مكارم أخلاق الأنبياء عليهم السلام لتسلخوا طريقهم وتدرخوا حقيقتهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 26] يعفو عنكم من المآثم والمحارم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 26] بها ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 26] في وصفها.

ومن «دقائق الحقائق» ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ كُلَّهَا﴾ [الآية: 26] فتبينوا ولا تكونوا عمياً عما بين لكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريد أن يكشفكم بأسراره فيكم ليظهر لكم ما خفي على غيركم ويهديكم طريق الأنبياء والأولياء وهو التفويض والرضا والاستسلام للحكم والقضاء.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 27] إن وقع تقصير منكم بتوفيق التوبة لكم وبرجوع الرحمة إليكم ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ [الآية: 27] أي: حظوظ النفس والهوى والركون إلى السوى بالغفلة عن المولى ﴿أَنْ يَقِيلُوا﴾ 167/ب [الآية: 27] عن الحق ﴿مَيْلًا﴾ [الآية: 27] بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ﴿عَظِيمًا﴾ [الآية: 27] بالإضافة إلى من اقترف خطيئة على

ندرة غير مستحل للخطيئات.

وأفاد الأستاذ: أن إرادتهم منكوسة معبودة وهي عند إرادة الحق سبحانه ضائعة مردودة فعزل بهذا الحديث المبين حديث الأولين والآخرين فمن أراد الله توبته وهدايته ورحمته وحمايته فلا يشمت به عدو ولا يناله في الدارين سوء ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [الآية: 28] فلذا شرع الشريعة الحنيفية السمحة السهلة لكم ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 28] لا يصبر على حر ولا برد من أمور الكائنات ولا عن ارتكاب الشهوات ولا في تحمل مشاق الطاعات مع قبول حمله بظلمه وجهله.

ومن «دقائق الحقائق» أي: ضعيف الرأي ضعيف العقل لا من أيد بنور اليقين.

وقال الأستاذ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [الآية: 28] ثقل الأوزار بمواترة الأوراد إلى قلوبكم أو إتعاب الخدمة بحلاوات الطاعة أو مقاساة المجاهدات بما يليح لقلوبكم من أنوار المشاهدات أو كلف الأمانات بحملها عنكم وإتعاب الطلب بروح الوصال والطرب ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 28] وصف بهذا فقرهم وخسرهم ولم ييسط بها عذرهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ [الآية: 29] أي: أموال بعضكم ﴿بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية: 29] أي: بأنواعه ما لم يبيحه الحق في شرع الأنبياء كالغصب والربا والسمعة والرياء وقيل يشمل مال غيره ومال نفسه من غير وجهه الذي شرع له ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِحُكْمٍ﴾ [الآية: 29] أي: تقع مبادلة وقرأ الكوفيون بالنصب أي: إلا أن تكون المعاملة ﴿بِحُكْمٍ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 29] وهو استثناء منقطع أي: لكن اقصدوا كون تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين منكم والمتعاطين فيما بينكم والمراد بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه وبالتجارة صرفه فيما يحبه الله.

وأفاد الأستاذ: أن كل نفقة كانت لغير الله فهي أكل مال بالباطل ويقال: القبض إذا كان على غفلة والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة فكل ذلك باطل

انتهى ويشير إليه ما ورد من أعطى الله ومنع الله وأحب الله وأبغض الله فقد استكمل إيمانه⁽¹⁾ والحاصل أن الدنيا كالحية فمن أمسكها بغير رقبة أهلكتها وهي أن يأخذها من محلها ويضعها في محلها ويعلم أن كل ما يمنعه عن مولاه فهو شؤم عليه في دنياه وأخراه ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 29] كما يفعله جهلة/ الهند وبعض الحبشة أو بإلقاء النفس إلى التهلكة أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يردبها فإنه القتل الحقيقي للنفس عند العارفين بها أو لا يقتل بعضكم بعضاً والمراد بالأنفس من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس واحدة في حقيقة يقينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الآية: 29] فأمره بمنافعكم ونهاه عن مضاركم لفرط رحمته بكم أو معناه كان بكم يا أمة محمد بخصوصكم رحيماً لما أمر بني إسرائيل بقتل النفس ونهاكم عنه.

وقال الأستاذ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 29] بارتكاب الذنوب ويقال: بتعريضها لمساخطته سبحانه ويقال: بنظركم إليها وملاحظتكم إياها واستحسانكم شيئاً منها وبإيثارها دون رضى الحق عنها.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا﴾ [الآية: 30] تعدياً على الغير ﴿وْظُلْمًا﴾ [الآية: 30] على نفسه بترك الخير ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [الآية: 30] أي: ندخله إياها.

وقال الأستاذ: فإننا لا نخليه من عقوبة شديدة وهي أن نكله إلى صاحبه ونلقي حبله على غاربه ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية: 30] لا عسر فيه ولا صارف عنه.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الآية: 31] أي: كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الآية: 31] نغفر لكم صغائركم ونمنحها بسبب طاعاتكم والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حداً أو بين فيه وعيداً وقيل: ما علم حرمة بدليل قاطع وعنه عليه السلام أنها سبع الإشراك بالله

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 178) رقم (2694)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (412)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 670) رقم (2521)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 47) رقم (15).

وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعقوق الوالدين⁽¹⁾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر إلى سبع مائة منها إلى سبع⁽²⁾ والأظهر أن يراد بها هاهنا أنواع الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن جبير كبير ما تتهون عنه بالإفراد على إرادة الجنس ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [الآية: 31] الجنة وما وعد من المثوبة أو إدخالاً مع الكرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر فتدبر.

وأفاد الأستاذ: أن الكبائر على لسان العلم هاهنا الشرك يعني فالجمع لمقابلة أصحابه أو إرادة أنواعه وعلى بيان الإشارة أيضاً الشرك الخفي ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستجلاء قبولهم والتودد إليهم والإغماض على الله سبحانه بسببهم/ وندخلهم في أموالكم وأحوالكم مدخلاً كريماً إدخالاً حسناً لا ترون منكم دخولكم ولا خروجكم وإنما ترون المصروف لكم.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 32] من الأمور الدنيوية كالجاء الوسيط والأموال الكثيرة فلعل عدمه خير من وجوده لكم والمقتضى للمنع عن النهي كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي ومعربة عن عدم الرضا بما جرى من القضاء وأنه مجرد تشبه لحصول الشيء من غير طلب له واجتهاد لأجله وهو مذموم وصاحبه معلوم لأن تمني ما لم يقدر معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب وجد وكد بطلالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب في الحال ضياع في المال بل معدود من الحال.

وأفاد الأستاذ: أن لسان المعاملة أن الأمر بالعقبي لا بالتمني ولسان التوحيد أن الأمر بالحكم والقضاء لا بالإرادة والمنى ويقال اسلكوا سبيل من تقدمكم في قيامهم بحق الله ولا تتعرضوا لنيل ما خصوا به من فضل الله

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 552) رقم (1447)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ 48) رقم (102)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 265) رقم (284).

(2) تفسير الطبري (8/ 245)، وتفسير ابن كثير (2/ 283)، وتفسير الكشاف (1/ 402)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/ 129) رقم (5259).

قوموا بحق مولاكم ولا تقوموا بمتابعة هواكم واختيار مناكم ويقال كن طالب حقوقك لا طالب حظوظك فإنك إذا قمت لطلب نصيبك على أي وجه شئت دنيا وأخرى أشركته في توحيدك من حيث لا شعور لك بك ويقال خمودك تحت جريان حكمه على ما سبق له اختياره أحظى لك من تعرضك لوجود مناك إذ قد يكون بغيتك في أمنيته ويقال من لم يؤدب ظاهره بفنون المعاملات ولم يهذب باطنه بوجوه المنازلات فلا ينبغي أن يتصدى لنيل المواصلات وهيهات متى يكون ذلك هيهات ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [الآية: 32] بيان لما سبق والمعنى لكل من الرجال والنساء نصيب من الفضل بحسب ما كتب له من الكسب وسبب ما قدر له من القضاء على طريق العدل فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني والأمل كما قال عليه السلام ليس الإيمان بالتمني⁽¹⁾ وكما صرح به سبحانه في قوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: 123] الآية وقيل: المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض منه.

وأفاد الأستاذ بقوله: لا يتمنوا مقام السادة دون أن تسلكوا سبيلهم 169/أ وتلازموا سيرهم وتعملوا عملهم فإن ذلك جور من الظن/ ويقال لا تتمنى مقامات الرجال فإن لكل مقام أهلاً عند الله وهم معدودون فما لم يمت واحد منهم لا يورث مكانه غيره قال تعالى: ﴿جَمَلَكُمْ خَلِيفٌ﴾ [الأنعام 156] والخليفة من يخلف من تقدمه فإذا تمنيت مقام ولي من الأولياء فكأنك استعجلت وفاته على ما قدر له من القضاء ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 32] قرأ المكي والكسائي بالنقل والباقون بالأصل أي: وادعوه فاطلبوه ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 32] أن يسوقه إليكم ويسهله عليكم فإن الغبطة محمودة وخصلة الحسد مذمومة مردودة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية: 32] وعباده رحيماً فيعلم ما يستحقه كل إنسان ويتفضل به عن علم وتبيان فينبغي الرضاء بالقضاء والتسليم في جميع مراتب الإحسان.

(1) جامع الأحاديث (18/244) رقم (19318).

وأفاد الأستاذ: أن الفرق بين التمني والسؤال من فضله من وجوه منها كون التمني للشيء مع غفلتك عن ربك فتمنى بقلبك وجود ذلك الشيء من غير توقعه من الله فإذا سألت الله فلا محالة تذكره ومنها إن السائل لا يرى استحقاق نفسه فيحمله صدق الإرادة على التملق والتضرع والمسألة والتمني لا يخلو عن هذه الجملة ومنها أن الله نهى عن تمني ما فضل الله به غيرك ومعناه أن يسلب صاحبك ما أعطاه ويعطيك إياه وأباح السؤال من فضله بأن يعطيك مثل ما أعطى صاحبك ويقال لا تتمنّ العطاء واسألوا الله أن يعطيك من فضله [الرضا] بفقد العطاء وذلك أتم من العطاء وأن التحرر عن رق الأشياء أم من تملكها عند الأصفياء.

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [الآية: 33] ولكل تركه جعلنا وارثاً يلونها ويحزونها ومما ترك بيان لكل مع الفضل بالعامل وفي ترك ضمير كل والوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالي ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ [الآية: 33] والكوفيون عقدت ﴿أَيَّمْنُكُم﴾ [الآية: 33] أي: بالموالاة ﴿فَكَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [الآية: 33] كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75] ذكره القاضي.

وقال التفتازاني: فيه نظر لأنه لا دلالة على نفي إرث الحليف لا سيما والعاملون به إنما يرثونه عند عدم العصبات وأولي الأرحام انتهى وصورة مولى الموالاة عندنا على ما ذكره السيد الجرجاني شخص مجهول النسب قال الآخر: أنت مولاي ترثني إذا مت ويعقل/عني إذا جنيت وقال الآخر: قبلت 169/ب فعندنا يصح هذا العقد ويصير القابل وارثاً عاقلاً ويسمى مولى الموالاة وإذا كان الآخر مجهول النسب وقال للأول مثل ذلك وقبله ورث كل منهما صاحبه وعقل عنه.

وكان الشعبي يقول: لا ولاء إلا ولاء العتاقة وبه أخذ الشافعي وهو مذهب زيد بن ثابت وما ذهبنا إليه مذهب عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الآية: 33] أي: عالماً مطلعاً فلا

تتجاوزوا عن أمره ولا تبعدوا عن حكمه وفيه وعد بالعطاء على الوفاء ووعد على منع النصيب بالجفاء.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [الآية: 34] كقيام الولاة على الرعية والرعاة على الماشية بأمرين أحدهما وهبي وثانيهما كسبي كما بينهما فقال ﴿يَمَّا فَصَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 34] من كمال العقل والدين وحسن التدبير ومزيد اليقين ولذا خصوا بالنبوة والأمانة ووجوب الجهاد وإمامة الجمعة والجماعة ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [الآية: 34] في نكاحهن كالمهر والنفقة والكسوة وسائر مطالبهن.

وقال الأستاذ: خص الرجال بالقوة فزيد في الحمل عليهم على حسب القوة والعبرة بالقلوب والهمم لا بالنفوس والجثث انتهى والمعنى أن هذا الجنس خير من جنس النساء لوجود هذه الفضائل في بعض أفرادهم دون غيرهم وإلا فكم من امرأة فضلت رجلاً في مراتب الفضيلة ﴿وَالْفُضُولُ أَحْسَنُ قَنِينْتُ﴾ [الآية: 34] مطيعات لله في أوامرهن قائمات بحقوق أزواجهن ﴿حَفِظْتُ لِنَفْسِي﴾ [الآية: 34] أي: لموجبات الغيبة كحفظهن في حال الحضرة ما يجب حفظه في النفس وفي المال والأسرار الخفية ﴿يَمَّا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [الآية: 34] أي: بسبب حفظه سبحانه إياهن بالعصمة فإن المحفوظ من حفظه الحفيظ في الحقيقة.

قال السلمي: قيل بحفظ الله لهن صرن حافظات للغيب ولو وكلهن إلى أنفسهن لتهكن ستورهن وفي الحديث خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها⁽¹⁾ وتلا الآية والمراد بماله مالها في تصرفها فالإضافة لأدنى الملابس ولزيادة البعث على المحافظة فكان ماله مالها أو للمبالغة فإنها إذا راعته في مالها فبالأولى أن تراعي ماله بعدم صرفها في غير ضرورة حالها ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ سُوءَ بَعْثٍ﴾ [الآية: 34] عن إطاعة أزواجهن/ ﴿فَعُطُوهُنَّ﴾ انصحوهن وذكرنهن بعقاب الله إياهن في

(1) - جامع الأحاديث (12/365) رقم (12105)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/139) رقم (5285).

عصيانهن ﴿وَأَهْبُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [الآية: 34] أي: مرادهن بأن لا تدخلوا تحت اللحف معهن وقيل: لا تأتوهن أو لا تجامعهوهن ﴿وَأَصْرِيوهُنَّ﴾ [الآية: 34] أي: ضرباً غير مبرح لهن والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن تقع مدرجة فالآية تتضمن آداب الخلطة وحسن العشرة ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: 34] أي: بالتوبيخ لهن وأزيلوا التعرض عنهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فيهن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له منهن ومن غيرهن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [الآية: 34] برهانه فهو أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم.

وأفاد الأستاذ تبعاً للمسلمي: إن لك عليها الطاعة بالبدن والقلب فأما المحبة والميل إليك بالقلب فذلك إلى الرب فلا تكلفها ما لم يرزقك الله فيها فإن القلوب بقدره الله يحبب إليها من يشاء ويبغض إليها من يشاء وقال: لا تنسى وفاءها بالماضي بنادر جفاء يبدو في الحال فربما يعود الأمر إلى الجميل في الاستقبال والاستحسان في المال.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [الآية: 35] أي: ظننتم أو توقعتم خلافاً فيما بين الزوج والمرأة لدلالة السياق عليهما ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية: 35] إذا اشتبه عليكم حالهما لتبيين أمرهما من إصلاح ذات بينهما بجمعهما أو تفرقهما وخص أقاربهما لأنهما أعرف ببواطن أحوالهما وأقرب إلى طلب صلاح أمرهما وهذا على وجه الاستحباب فلو نصّب من الأجانب جاز أيضاً في هذا الباب والخطاب للحكام وللولاة أو للأزواج والزوجات قيل واستدل به على جواز التحكيم في الخصومات لكن ليس لهما ولاية التفريق عندنا على ما ذكره صاحب «المدارك» إلا إن فوض إليهما وقال مالك لهما: كان يتخالعا إن وجدا فيه صلاح حكمهما ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ [الآية: 35] أي: الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [الآية: 35] بين الزوجين والمعنى إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين بإصلاح حالهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية: 35] بظواهركم ﴿حَبِيرًا﴾ [الآية: 35] بسرائركم فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 36] أي: وحدوه وأطيعوه ﴿وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الآية: 36] من مخلوقاته أو شيئاً من إشراكه جليلة أو خفية.

وقال ابن عطاء: الشرك أن تطالع غيره أو ترى ممن سواه ضره أو خيره وقال أيضاً: العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة والافتقار كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أن العبودية معانقة الأمر ومفارقة الزجر والشرك جليلة اعتقاد معبود سوى الله وخفيه ملاحظة موجود مما عداه والتوحيد أن تعرف أن الحادثات كلها حاصلة بالله قائمة به فهو منشئه ومجريه ومبقيه وليس بأحد ذرة ولا شظية ولا سنية ولا شتمة من الإيجاد والإبداع في كل عضيه ودقائق الرياء وخفايا المصانعات وكوامن الإعجاب والعمل على رؤية الخلق واستحلاء مدحهم والذبول تحت ردهم وذمهم كل ذلك من الشرك الخفي.

ومن «نفائس العرائس» ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 36] لله لا على رؤية العوض والعبادة فإنهما شرك العابدين وعبدوه على رؤية التقصير فإنه عبادة الموحدين وأيضاً شغلهم به منه ولو أحبهم الحب البالغ لأسكرهم بشارب القرب والمشاهدة وأوقعهم في بحار القدم بعد خروجهم من العدم.

قال أبو يزيد: إن الله سبحانه نظر في هذا العالم فلم ير أهلاً لمعرفته فشغلهم بعبادته أقول ولعل معناه أنه لما كان هذا العالم مكان الفناء ولم يحمل دوام المشاهدة واللقاء فأشغلهم بعبادته ليكون وسيلة إلى مشاهدته ولذا قال بعضهم العبودية فناؤك عن مشاهدتك في مشاهدة من تعبده ﴿وَيَا لَوْلَا دَيْنٌ﴾ [الآية: 36] أي: وأحسنوا بهما ﴿إِحْسَنًا﴾ [الآية: 36].

قال صاحب «العرائس»: المراد بالوالدين مشايخ المعرفة وإحسان المريدين إليهم بوضع أعناقهم عند ساحاتهم بنعت ترك مخالفاتهم مع نشر فضائلهم عند الخلق والدعاء لهم بمزيد القرب إلى الحق.

قال الجنيد: أمرني أبي أمراً وأمرني السري أمراً فقدمت أمر السري على أمر أبي وكل ما وجدت فهو من بركاته ﴿وَيَذَى الْقُرْبَى﴾ [الآية: 36] وبصاحب القرابة أو إخوان المعبة من أهل القرية ﴿وَالْيَتَامَى﴾ [الآية: 36] من الأقارب والأجانب في «العرائس» اليتامى أهل فرقة الله الذي وقعوا في النفرة وآفة الشهوة

واحتجوا بها عن المشاهد فإحسانهم ترغيبهم إلى طاعة مولاهم وتشويقهم إلى مشاهدة/ سيدهم مع التلطف والظرافة في دعائهم إلى الله ومن مات أستاذه قبل 171/أ بلوغه إلى درجة القوم فهو يتم المعرفة والإحسان إليه تربيته بأداب القوم لئلا ينقطع عن الطريق ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ [الآية: 36] أي: الفقراء والضعفاء المعسرين.

قال البقلي: أراد بالمساكين السالكين غير المجذوبين فإن المساكين سلكوا طريق المقامات بالمجاهدات وإحسانهم كشف أسرار المشاهدات عندهم ليقع آثار المحبة في قلوبهم فيسكنون عن المجاهدات الظاهرة ويطلبون الحق بالقلوب الحاضرة والأسرار الظاهرة ليصلوا بطرفة عين المقام لا يصلون إليه بألف سنة بالمجاهدة والرياضة ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [الآية: 36] الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار قرب واتصال بدين أو نسب ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [الآية: 36] البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشترك من أهل الكتاب⁽¹⁾.

وفي «العرائس» الجار القريب من كان مقامه موافقاً لمقاماتكم لأنه في طريق المعرفة جار قربه الله وهو قرابتكم في معرفة الله والجار الجنب هو المؤيد المبتدئ فإحسانك إليه أن ترغبه إلى سلوك مدارج الصديقين وتيسر له مطويات أسرار المحبين وفضائل أحوال المشتاقين وأيضاً الجار الجنب صورتك التي هي حاملة الروح والإحسان إليها أن تعظم جوارحها من حفظ المعاصي والشهوات.

وأفاد الأستاذ: أن من جيرائك ملكاك فلا تؤذهما بعصيانك وراع حقهما بما تملي عليهما من إحسانك فإذا كان جار دارك مستوجباً للإحسان إليه ومراعاة حقه فجار نفسك وهو قلبك أولى أن لا تضيعه ولا تغفل عنه فلا تمكن حلول الخواطر الردية بها وإذا كان جار نفسك هذا حكمه فجار قلبك

(1) جامع الأحاديث (1/ 264) رقم (410) و(12/ 86) رقم (11491)، (37/ 21) رقم (39933)، وشعب الإيمان (7/ 83) رقم (9560).

وهو معرفتك أولى أن تحامي على حقها فلا تمكّن ما يخالفها في مساكنتها ومجاورتها وجار روحك وهو شرك أولى أن تراعي حقه فلا تمكنه من الغيبة عن أوطان الشهود على دوام الساعات ثم الإشارة من قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4] غير ملتبسين على قلوب ذوي التحقيق والله ولي التوفيق.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [الآية: 36] أي: الرفيق في أمر حسن أو مباح كتعلم 171/ب وصناعة ومرافقة فإن صحبتك وحصل بجنبك أو المرأة وهو/ قول علي وابن مسعود وابن عباس وعكرمة.

وقال البقلي: هو قلبك وإحسانك إليه أن تفرده من الحدثن وتشوقه إلى جمال الرحمن وأيضاً هي النفس الأمار لما ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك⁽¹⁾ وإحسانك إليها أن تحبسها في سجن العبودية وتميتها عن الشهوة وتحرقها بنيران المحبة وتذرو ترابها بريح المعرفة حتى لا يبقى في دار الله غير الله.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 36] أي: المسافر والضيف وقال البقلي: أراد بابن السبيل غريب الله في بلاد الله حيث لا يعرفه سوى الله الذي يتطرق من نور الأفعال إلى نور الصفات ومن نور الصفات إلى نور الذات وهو في غربة الأزل والأبد لا يسكن روعته ولا يطفئ حرقة ويزيد تحيره وتغربه لا يعرفه أحد يؤانسه قال عليه السلام إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا⁽²⁾ لا يفتح لهم السدد ولا يزوجهم المنعمات أنوار قلوبهم من نور الشمس والإحسان إليهم بذل المهجة بين أيديهم وزيادة الاستطابة في أوقاتهم ودفع الأغيار عن صحبتهم حتى لا يطلع عليهم أحد يمنعهم ساعة من حالاتهم.

وقال السهل الجاذري: القربى وهو القلب والجار الجنب هو النفس والصاحب بالجنب العقل الذي ظهر على فقه السنة والشرع ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (44/1) رقم (4) و(303/3) رقم (5182)، والطبراني في المعجم الأوسط (163/5) رقم (4950)، وابن ماجه في السنن (1320/2) رقم (3989)، والبيهقي في شعب الإيمان (328/5) رقم (6812).

[الآية: 36] الجوارح المطيعة لله.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الآية: 36] من العبيد والإماء وسائر الأشياء.

وفي «العرائس» هم يريدوكم الذي هم أرقاء الإرادة والإحسان إليهم تربيتهم في طريق الله بآداب الله ونشر كرامة الله عندهم ودعائهم إلى طريق الرجاء لأن الراحي طيار والخائف سيار وتعليمهم طريق المشاهدة بلزوم المراقبة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [الآية: 36] متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ومماليكه يتفاخر عليهم أو يفترخ بهم على غيرهم مع عدم إحسانه إليهم.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [الآية: 37] في أموالهم أن ينفقوها في مرضاة مولاهم عموماً وفيما أمرهم الله به من بر الوالدين والأقربين وغيرهم خصوصاً وقرأ حمزة والكسائي البخل بفتحيتين.

وأفاد الأستاذ: أن البخل على لسان العلم منع الواجب وعلى بيان الإشارة ترك الإيثار في زمان الاضطرار وأمر الناس بالبخل منعهم من مطالبات الحقائق في معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع/ وبيان هذا أن يقع 172/أ لسالك الانسلاخ عن العلائق وحذف فضولات حاله فينصح به بأن يقول ربما لا تقوى على هذا ولأن تكون مع معلومك الحلال أولى بك أن تصير مكدياً إذ ربما تخرج إلى سؤال الناس وأن تكون كلاً على المسلمين ويروى له في هذا الباب الأخبار والآثار وأمثال هذا من حكايات الأبرار ولولا بخله المستكن في قلبه لإعانة بهمته فيما سنع لقلب ذلك المسكين بدل ما يمنعه بقول في معرض النصيح ومن كان هذا صفته أدركه عاجل المقت حين أطفأ شراره ذلك المستضعف بما هو عند نفسه أنه نصيحة وشفقة في الشريعة ﴿وَيَكْفُرُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 37] أي: المال والعلم والحال فإن البخيل يستر نعمة الله ويجعلها في المآل وقد ورد أن الله إذا أنعم على عبد وأحسن إليه أحب أن يظهر أثرها عليه⁽¹⁾ وقيل: لا يشكرون نعمة العافية عليهم

(1) تفسير ابن كثير (2/303).

ويلائمه قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية: 37] كما هانوا النعمة بالبخل ولم يجعلوا آثارها مبيناً والآية نزلت في طائفة من اليهود وكانوا يقولون للأنصار تنصحباً لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى الفقر عليكم وعن ابن عباس وغيره أنها نزلت في الذين كنتموا نعمة محمد ﷺ وهو من أفضل النعم.

وأفاد الأستاذ: أن بخل الأغنياء يمنع النعمة وبخل الفقراء يمنع الهمة.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا نَّالًا﴾ [الآية: 38] أي: لا لوجه الله ولا فيما يحبه ويرضاه ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 38] ليتحركوا بالإنفاق ثوابه ويتحرزوا بترك البخل عقابه ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَكُمْ قَرِينًا قَبِيلاً﴾ [الآية: 38] أي: إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة في الدنيا بالوسوسة وفي العقبي بالمشاركة في العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أدخل هؤلاء أيضاً تحت قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36] فعقوبتهم في العاجل أنهم ليسوا من أهل المحبة وكفى بذلك من المحنة والمختال هو الذي ينظر إلى نفسه والمرائي الذي ينظر إلى أبناء جنسه وكلاهما موسومان بالشرك الخفي وكذلك الذي يرى من نفسه حالاً ورتبة وهو في ذلك المدعي.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 39] أي: أي شيء من الضرر عليهم وأي تبعة راجعة إليهم لو استقاموا على صحيح 172/ ب الاعتقاد/ وقاموا بالإنفاق على وجه السداد ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ [الآية: 39] أو باختلاف حالهم حكيماً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الآية: 40] أي: لا ينقص من الثواب ولا يزيد في العقاب مقدار أصغر شيء من الأشياء كالذرة التي هي عبارة عن جزء من أجزاء الهباء، بل لا يتصور الظلم مطلقاً في حقه فإنه عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه أو عن التعدي في غير ملكه وكلاهما محال في فعله لأنه إما عدل في أمره وإما فضل في حكمه كما بينه بقوله: ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ [الآية: 40] أي: الذرة من العمل ﴿حَسَنَةً﴾ [الآية: 40] وقرأ الحرميان بالرفع أي: وأن تقع حسنة واحدة في مقام العدل ﴿يُضَاعَفْهَا﴾ [الآية: 40] في مرتبة الفضل

وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعفها ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ﴾ [الآية: 40] أي: يعطى من عنده على سبيل الفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل بالعدل ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 40] أي: عطاءً جسيماً.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 41] حال هؤلاء الخلق في معرض الحق ﴿إِذَا حُشِّنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [الآية: 41] أي: نبي يشهد على صدق أحوالهم أو قبح أفعالهم ﴿وَحُشِّنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 41] من المشهودين والشهداء ﴿شَهِيدًا﴾ [الآية: 41] يشهد على الشهداء بصدق مقالهم وتزكية أحوالهم وعلى المشهودين بما يستحقون من سوء وبالهم وقبح مآلهم على وفق أعمالهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [الآية: 42] أي: أن يدفنوا فيسوى بهم التراب ليخلصوا من العقاب والحجاب وقرأ نافع بفتح التاء وتشديد السين وحمزة والكسائي بتحقيقها مع فتح التاء والباقون بالضم والتخفيف والكل على تشديد الواو ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [الآية: 42] أي: ولا يقدرون على كتمانهم لما عرفوا من علو شأنه وظهور برهانه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 43] أي مواضعها فضلاً عن صنعها ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [الآية: 43] حال من فاعلها ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [الآية: 43] أي: تعرفوا قراءتكم وتفهموا عبادتكم وتتركوا عاداتكم روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة أي: ضيافة ودعا نفراً من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا أو شربوا حتى ثملوا أي: سكروا وجاؤوا صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم وهو علي أو عبد الرحمن أو غيرهما فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت⁽¹⁾ وقيل: غلبه النوم في معنى الخمر وبه ورد الخبر وفي الأحياء قيل سكارى من حب الدنيا وقيل من كثرة الهموم المتعلقة بالسوى.

وقال الواسطي: لا تقرب/ إلى مواصليتي إلا وأنت منفصل عن جميع 173/أ كائنتي.

(1) تفسير الطبري (8/ 376)، تفسير الرازي (5/ 212)، والكشاف (1/ 412).

أفاد الأستاذ: أن النهي عن موجب السكر من الشراب لا من الصلاة أي: لا تصادفكم الصلاة وأنتم بصفة السكر أي: امتنعوا من شرب ما يسكر فإنكم إن شربتم سكرتم ثم إذا صادفكم الصلاة على تلك الحالة لا يقبل منكم صلاتكم والسكر ذهاب العقل والاستشعار ولا يصح معه المناجاة مع الحق والمصلي مناجي ربه فكل ما أوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملتحق بهذا من حيث الإشارة ولأجل هذه الجملة حصل السكر على أقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء الدنيا وأصعب السكر من نفسك وهو الذي يلقيك في الفرقة عنه فإن من سكر من الخمر فقصاراهُ الحرقة إن لم يغفر ومن سكر من نفسه فحاله الفرقة في الوقت عن الحق فأما السكر الذي يشير إليه القوم فصاحبه محفوظ عليه وقته حتى يصلي والأمر مخفف عليه فإذا خرج عن الصلاة يهجم عليه وغالبه فاخطفه عنه ومن لم يكن محفوظاً عليه أحكام الشرع فمسيب فتان ﴿وَلَا جُنْبًا﴾ [الآية: 43] عطف على قوله: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [الآية: 43] إذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب هو الذي أصابه الجنابة ويستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه يجري مجرى المصدر وهو الإجناب والمعنى ولا مجنبن ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ [الآية: 43] استثناء من أعم الأحوال أي: لا تقربوا المساجد التي هي مواضع الصلاة تعظيماً لها إلا حال كونكم مجتازين فيها غير لابثين بها إذا كان فيه الماء أو الطريق منحصر إليها وقوله: ﴿حَتَّى تَفْتَشِلُوا﴾ [الآية: 43] أي: من الجنابة وهو غاية للنهي عن القربان للصلاة حال الجنابة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أذن للمضطر أن يترخص في عبور المسجد وهو على وصف الجنابة فإذا عرج زائراً على قدر الضرورة فمعاتب غير معذور كذلك فما يحصل من معاذير الوقت في القيام بشرائط الوقت فموضوع على صاحبه المطالبة ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْهُقَاتٍ﴾ [الآية: 43] أي: مرضاً يخاف معه الضرر باستعمال الماء الواجد له حينئذ كالفارق ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [الآية: 43] أي: على جناح سفر والمعنى مسافرين ولا تجدون الماء فيه ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ [الآية: 43] كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الآية: 43]

أي: جامعتموهن كما فسر به علي وابن عباس/ وأكثر الصحابة والتابعين وقرأ 173/ب حمزة والكسائي لمستم وهو كناية عن الحدث الأكبر ﴿فَلَمْ يَحْدُوا مَاءً﴾ [الآية: 43] أي: فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود له ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [الآية: 43] أي: شيئاً من وجه الأرض طاهراً أو حلالاً وما روي أنه ﷺ تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه⁽¹⁾ والقياس على الوضوء دليل على أن المراد هاهنا ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6] خلافاً للإمام أحمد بن حنبل فكأنه حمل الزيادة على الاستحباب كما ورد عن ابن الخطاب أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ كما رواه ابن جرير⁽²⁾ وتارة يتوضأ ويصلي كما رواه الدارقطني⁽³⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [الآية: 43] فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص في الحكم لكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بفضله جعل التيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند إعواز الماء كذلك النزول إلى ساحات الفرق عن ارتقاء ذروة الجمع بقدر ما يحصل من الضعف بدل لأهل الحقائق ثم إن التيمم الذي هو بدل الماء أعم وجوداً من الماء وأحل استعمالاً من الأصل فإن كل من كان أقرب كانت المطالبة عليه أصعب ثم في الظاهر أمرنا باستعمال التراب وفي الباطن باستشعار الخضوع واستدامة الذبول ورد التيمم إلى التقليل وراعى فيه صيانة لرأسك من التراب ولقدملك فإن العز بالمؤمن ومولاه باستحقاق الجلال أولى من الذل لما هو مفلس فيه من الحال ولئن كان إفلاسه عن أعماله يوجب له التذلل فعرفانه بجلال سيده يوجب كامل التعزز والتجمل.

ومن «نفائس العرائس» هذا خطاب لأهل العشق والمحبة والشوق الذين أسكرتهم أنوار القدسية وسبحات السبوحية وهم حيارى سكارى مبهوتون في

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (1/ 211) رقم (817)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 146) رقم (1673)، والدارقطني في السنن (1/ 182) رقم (25).

(2) تفسير ابن كثير (2/ 315)، وأما ما ذكره الطبري في تفسيره (8/ 396) و(8/ 397) فإنه روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(3) لم يرد عند الدارقطني في سننه أنه توضأ.

نهبه الأحوال تائهون في مشاهد الجلال والجمال فغالب أحوالهم العبرات والغلبات والزعقات والشهقات والهيجان والهيمن لا يعرفون الأوقات ولا يعرفون الليل من النهار ولا النهار من الليل لا يقدرون في حال سكرهم أن يأتوا على شرائط الصلاة من القيام والقراءة والركوع والسجود وكهشام بن عبدان وبهلول وسعدان وجميع عقلاء المجانين أي أيها العارفون بذاتي وصفاتي وأسمائي ونعوتي السكارى من شراب محبتي وسلسبيل إنسي وتسليم أقدس/174 وزنجبيل قربي وخمر عشقي وعقار/ مشاهدتي إذا كشفت لكم جمالي وأوقعتكم في مقام ربوبيتي فلا تكلفوا أنفسكم أمر صورة الظاهر لأنكم في جناب مشاهدتي وليس في جنة جلالي تعبد حتى إذا سكنتم في سكركم وصرتم صاحبين على نعت التمكين فإن جنود العشق ترفع قلم التكليف عن جنون محبتي فإذا تصلون وتفرقون مقام البدايات على حد الصحو وإن كنتم مضطرين في خمار ذلك السكر لأن السكران والصاحي يذهبان عن صورة العقل إلى عالم العشق عند طلوع جلال عظمتي من مطالع قدمي في عيون إِبصار سرائرهم فعند ذلك يستوى حالهما:

إذا طلع الصباح لنجم راحي تساوى فيه سكران وصاحي

وإذا بقي العقل الإلهي في إشراق أنوار سلطان المشاهدة ذرة فينبغي أن يصلي ويؤدي حق أوقات فإن بعض مشايخنا لما حان عليهم وقت الصلاة وهم في وجد وحالة قاموا إلى الصلاة ومريدوهم عدوا ركعاتهم وسجاداتهم وركعاتهم فإذا سهوا عن شيء ذكروهم ذلك وهذا من كمال ظرفاتهم في المعرفة وأيضاً خاطب أهل الغفلة وسكارى الجهل من شراب الهوى والشهوة أن لا يأتوا إلى مقام مناجاته وقربه ومشاهدته حتى يخرجوا منها فإن الفاعل لا يؤدي فرائضه على شرائط السُنَّة.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية: 44] أي: ألم تنظر نظر تعجب أو لم ينته علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 44] أي: حظاً يسيراً من علم التوراة ونحوه بحسب لفظ مبناء أو فهم معناه ﴿يَشْتَرُونَ الْأَصْلَكَ﴾ [الآية: 44] أي: يختارونها عن الهداية بنحو التحريف وأخذ الرشوة ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَقُولُوا السَّبِيلَ﴾ [الآية: 44] أي:

سبيل الحق لافتدائكم بهم في طريق باطلهم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ [الآية: 45] أي: منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ [الآية: 45] وقد أخبركم بعداوتهم إياكم فاحذروهم فيما يريدون بكم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ [الآية: 45] يلي أمركم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [الآية: 45] يعينكم فاكتفوا به عن غيره والتجؤا إليه واعتمدوا عليه والباء تزداد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وقد يزداد في مفعوله كقول حسان:

وكفى بنا فضلاً من غيرنا حب النبي محمد إيانا⁽¹⁾

يعني الأنصار.

وأفاد الأستاذ: أنهم مكروا ولم يشعروا وجهة مكرهم إن/ أعطوا الكتاب 174/ ب ثم حرموا بركات الفهم من الخطاب حتى حرفوا وأصروا ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الآية: 46] أي: من اليهود ومن تبعهم من أهل الجحود ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [الآية: 46] أي: قوم يميلونها ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [الآية: 46] التي وضعها الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيرها مكانها أو يؤدونها على ما يشتهون فيها ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 46] قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ [الآية: 46] أمرك سراً أو غيرك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [الآية: 46] أي: غير مجاب إلى ما تدعو إليه ﴿وَرَاعِنَا﴾ [الآية: 46] انظرنا نكلمك أو نفهم قولك ﴿لِيَأْخُذَ بِأَسْنَنِهِمْ﴾ [الآية: 46] أي: فتلاً بها وصرفاً عن ظاهرها بما تظهرون من الدعاء والتوقيف إلى ما تضمرون من السب والتحقير حيث وضعوا ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [الآية: 46] موضع لا أسمعت مكروهاً ﴿وَرَاعِنَا﴾ [الآية: 46] المشابه لما يتسابون به موضع وانظرنا ﴿وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ﴾ [الآية: 46] استهزاء وسخرية بالأمر اليقين ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 46] بدل عصينا ﴿وَأَسْمَعُ﴾ [الآية: 46] من غير مسمع ﴿وَأَنْظَرْنَا﴾ [الآية: 46] بدل راعنا ﴿لَكَانَ﴾ [الآية: 46] ما ذكر ﴿خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [الآية: 46] أي: أعدل بهم ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَهْتَفِ بِهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 46] أبعدهم الله عن رحمته بسبب كفرهم واستحقاق نقمته ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 46] منهم آمنوا أو سيؤمنون.

(1) نسب إلى أبي القاسم. انظر: الحلال في شرح أبيات الجمل (1/ 71).

وأفاد الأستاذ: أنهم تركوا حشمة الرسول ﷺ ورفضوا حرمة قدره، فعوقبوا بالشك في أمره وكذلك لم يترك أحد حشمة محتشم إلا حيل بينه وبين بركات صحبته وزوائد خدمته ولو أنهم عاجلوا في نفي ما داخلهم من الحسد وقابلوا حاله عليه السلام بالتبجيل والإعظام لوجدوا بركات المتابعة فأسعدوا به في الدنيا والآخرة لكن أقصتهم السوابق فأقعدتهم القسمة عن بساط الخدمة وأن من قعدت به الأقدار لم ينهض به الاختيار.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ [الآية: 47] من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 47] من التوراة والإنجيل والزبور في التبيان ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ﴾ [الآية: 47] أي: نمحو تخطيط صورها ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ [الآية: 47] أي: ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو العقبى ﴿أَوْ نُلْقِيَهُمْ﴾ [الآية: 47] على لسانك المحمود ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [الآية: 47] على لسان داود فنجعلهم قردة وخنازير وكلاباً من أصحاب السعير ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الآية: 47] بما حكم وقضاء/ ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية: 47] نافذاً كائناً فيما أمضاه. 175/أ

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى صرف القلوب عن الإرادة إلى أحوال أهل العادة حتى كانت دواعيه تتوفر في رفض الدنيا فصار لا يصبر على جمعها ومنعها بمقتضى الهوى.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [الآية: 48] أي: لعبد لقيه مشركاً به لحكمه عن خلود عذابه عدلاً ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 48] أي: ما عدا الشرك صغيراً كان أو كبيراً هنالك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 48] إحساناً وفضلاً وهذا كله في حق من لم يتب عن فعله وإلا فالتائب من الذين كمن لا ذنب له من أصله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 48] أي: ارتكب ما يستحققر دونه الآثام فإن الشرك لظلم عظيم وصاحبه مقيم في عذاب اليم.

وأفاد الأستاذ: أن العوام طولبوا بترك الشرك الجلي والخواص طولبوا بترك الشرك الخفي فمن توسل إليه بعمله وبظنه منه أو توهم أن أحكامه سبحانه معلولة بحركاته وسكناته أو رأى خلقاً أو لاحظ نفساً فوطنه الشرك

عند أهل الحقائق والله لا يغفر أن يشرك به وكذلك من توهم أن مخالفاته حصلت من غير تقديره فهو ملتحق بهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 49] من أهل الكتاب حيث قالوا ﴿حَسْبُ آبَتُنَا اللَّهُ وَأَجَبْتُوهُمْ﴾ [المائدة: 18] وفي معنائهم من زكى نفسه ومدح علمه وعمله قيل ليست النفس بمحل التزكية فمن استحسّن من نفسه شيئاً فقد أسقط من باطنه أنوار اليقين كذا في «دقائق الحقائق» ولعل معناه أن الأحوال المستحسنة والأفعال الحسنة كلها وقعت بسبب الإعانة الإلهية وإلا فالنفس لو خلّيت بطبعها فهي منبع الحالات الرديئة والخيالات الدنيئة ولذا ورد اللّهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين⁽¹⁾ ولا أقل من ذلك فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة⁽²⁾ ولا حول ولا قوة إلا بالله يشير إلى ما ذكرناه في مبناه ومعناه.

﴿بَلَى اللَّهُ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 49] و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾ [الشمس: 9] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: 10] وفي الحديث اللّهم آت نفسي تقواها وزكّاها أنت خير من زكّاها⁽³⁾ وفيه تنبيه نبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإن العالم بما ينطوي عليه الإنسان من القبح والإحسان ﴿وَلَا يَطْلُبُونَ فِتْيَلًا﴾ [الآية: 49] أدنى ظلم وأصغره ولو/ قليلاً والفتيل هو الخيط الذي في شق النواة أو ما فتلت من أصابعك من الوسخ يضرب به المثل في الحقارة والمعنى ينقص من ثواب أعمالهم المحمودة ولا من عقاب أفعالهم المردودة شيئاً قليلاً ولو كان فتيلاً.

وأفاد الأستاذ: أن من ركن إلى تزكية الناس له واستحلى قبول الخواص حاله فهو مزكي نفسه جاهل بيومه وأمسّه أن رؤية النفس أعظم حجاب ومن

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 730) رقم (2000)، والطبراني في المعجم الأوسط (43/ 4) رقم (3565)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 147) رقم (10405).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 119) رقم (4803) و(5/ 157) رقم (4932).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (5/ 201) رقم (5085)، والنسائي في السنن الكبرى (443/ 4) رقم (7864)، ومسلم في الصحيح (73/ 2722).

توهم أن بتكلفه يزكي نفسه بأوراده واجتهاده أو حركاته أو سكناته فهو في غطاء حجابيه.

ومن «نفائس العرائس» شكى سبحانه وتعالى عن أهل الدعاوي الباطلة الذين يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً بالغفلة سمعوا كلام الأولياء وباعوا في سوق السالوس على الفقراء وأضافوا حقائق الصديقين إلى أنفسهم وأشاروا إلى مقام الرياضات والمجاهدات بغير علمهم وعملهم ولم يشموا رائحة الصدق في حالهم ومع هذه العيوب يشنون على أنفسهم فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 49] يلبس أنوار تنزيهه أولياءه وتقديسه عن كل سوء صفائه وعن كل خاطر غير سبيل الحق أحباؤه.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرُونُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية: 50] بتزكيتهم أنفسهم في زعمهم أنهم أبناءه ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ [الآية: 50] أي: بافترائهم ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 50] ظاهراً من بين آثامهم.

أفاد الأستاذ: أن من أطلق لسان الدعوى من غير تحقيق في المعنى والمفترى في قالته في هذا الأمر لا ينطق بشيء إلا محبته الأذان وانزجر له قلوب الأعيان فإذا سكت عاد إلى قلب خراب في البنيان.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 51] حظاً قليلاً من مواضع الخطاب وكشفاً يسيراً من وراء الحجاب ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّنُوتِ﴾ [الآية: 51] وهو كل ما عبد من دون الله في كل باب ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 51] أي: لأجل مشركي مكة وفي حقهم ﴿هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 51] إشارة إليهم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [الآية: 51] أقوم ديناً وأعظم يقيناً وذلك حين سأل قريش عن أخبار اليهود أديننا خير أم دين محمد عليه السلام فقالوا: دينكم خير وأنتم أهدى على ما رواه ابن عباس وعكرمة وجماعة من السلف⁽¹⁾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 51] أبعدهم من رحمته وأدخلهم في نقمته.

﴿وَمَنْ يَلْعَنِ/ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [الآية: 52] بمنعه من العذاب ويدفع عنه 176/أ
الحجاب ويقربه إلى الباب.

وأفاد الأستاذ: أن طاغوت كل أحد نفسه وهواه وجبته مقصوده من الأغيار وما سواه فمن لاحظ شخصاً أو طالع سبباً أو عرج على علة أو تابع هوى من بدعة فذلك جبته وطاغوته وأصحاب الجبته والطاغوت يستوجبون اللعن وهو الطرد عن بساط العبودية والحجاب عن شهود الربوبية.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ [الآية: 53] زعمت اليهود أن الملك إليهم يعود والمعنى بل ألهم حظ من ملك المولى نصيباً كثيراً أو من ملك الدنيا قليلاً يسيراً ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [الآية: 53] أي: لو كان لهم نصيب من الملك تقديراً فإذا لا يوتون أحداً ما يوازي نقيراً وهو النقرة في ظهر النواة وهذا بيان لغاية شحهم ونهاية بخلهم فإنهم إذا بخلوا بالنقير وهم ملوك مع الجاه العريض والمال الكثير فما ظنك بهم إذا كانوا فقراء مهانين إذلاء متفاقرين.

وأفاد الأستاذ: أن من جبل على الشح لا يزداد بسعة ذات يده إلا تأسفاً على راحة تنال الخلق به كأنه شرب قطرة ماء من حياضه تحسى بل ترشف من ماء حياته.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [الآية: 54] أي: بل أychسدون رسول الله ﷺ وأصحابه وأتباعه وأحبابه ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [الآية: 54] يعني الكتاب والنبوة والعزة والنصرة ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 54] أسلاف محمد وأبناء عنه الكريم ﴿الْكِتَابَ﴾ [الآية: 54] أي: صحف إبراهيم الخليل والتوراة والإنجيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 54] النبوة ﴿وَعَزَّيْنَاهُمْ مِّثْلَ مَا عَزَّيْنَاهُمْ﴾ [الآية: 54] كداوود وسليمان فلا يستنكر أن يؤتیه مثل ما آتاهم أو زيادة على ما أعطاهم والحاصل أنه سبحانه ذمهم على صفتي البخل والحسد وهما شر الرذائل في الجسد.

﴿فَمِنْهُمْ﴾ [الآية: 55] أي: من اليهود وغيرهم ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ [الآية: 55] أي: بربه أو بمحمد عليه السلام أو بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ [الآية: 55] أعرض ولم يؤمن بقلبه ﴿وَكَفَىٰ يَمْحَقُكُمْ سَجِيرًا﴾ [الآية: 55] لمن كفر كما أنه

كفي بالجنة ملكاً كبيراً لمن آمن به.

ومن «دقائق الحقائق» في قوله: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 54] هو الكرامات والولايات والمشاهدات فيكذبهم أهل الزمان ولا يطيعون أهل العرفان فإن ذلك كان الأولياء وأصحاب الإيقان قبل ذلك بين مكذب لهم ومصدق في التبيان.

176/ب وأفاد الأستاذ: أن الملك العظيم/ معرفة الملك الكريم ويقال هو الملك على النفس أي: بعدم تضييع النفس ويقال: الإشراف على أسرار المملكة ويقال: الاطلاع على الخلق باطلاع أنوار الحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 56] أي: الأفاقية والأنفسية أو الأدلة النقلية والفعلية أو المعجزات الفرقانية أو الآيات القرآنية ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [الآية: 56] أي: ندخلهم ناراً عظيمة وقودها الناس والحجارة ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ [الآية: 56] احترقت وخربت حدودهم ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [الآية: 56] بل تعاد تلك الجلود بعينها أو بأن يزال أثر الإحراق عنها ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [الآية: 56] ويدركوا ألم الحجاب ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ [الآية: 56] أي: غير منيع عن إرادته ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 56] يعاقب على وفق حكمته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى الجاحدين لآيات الأولياء الكبار يقيمهم بوصف الصغار ويبقيهم في وحشة الأفكار كلما لاح لقلوبهم شيء من هذه القصة جرهم أفكارهم بالغصة إلى ترك الإيمان بها والإضرار بأهلها على وجه الاستبعاد فمنهم مؤبد عقوبتهم أبد الآباد.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية: 57] من المتقين الأبرار ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية: 57] مقدرين الخلود في دار القرار ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ مَطَهَّرٌ﴾ [الآية: 57] أي: من الأوزار والأقدار ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [الآية: 57] أي: دائماً لا تنسخه الشمس كثيراً ولا قليلاً.

وفي «حقائق السلمي» قيل: المتراد بالظل التفويض وهو محل الراحة والأمن في الدارين.

وأفاد الأستاذ: أنهم اليوم في ظل الرعاية وغداً في ظل الحماية والكفاية بل هم في الدنيا والعقبى في ظل العناية والناس في هذه الجملة متفاوتون فمنهم من هو في ظل رحمته ومنهم من هو في ظل رعايته ومنهم من هو في ظل كرامته ومنهم من هو في ظل عنايته ومنهم من هو في ظل قربته .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [الآية: 58] خطاب يعم المكلفين والأمانات كما قاله السلف وإن نزلت في رد مفتاح الكعبة إلى الحجة فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص مورد الآية ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [الآية: 58] أي: بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ﴾ [الآية: 58] أي: نعم شيئاً ﴿يَعْظُمُ بِهِ﴾ [الآية: 58] وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات/ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ [الآية: 177/أ 58] بأقوالكم ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية: 58] بأحوالكم فيجازيكم عن وفق أعمالكم.

وأفاد الأستاذ: أن رد الأمانات إلى أهلها تسليم أحوال الخلق لهم بعد إشرافك عليها بحيث لا تفسد عليهم ويقال لله سبحانه أمانات وضعها عندك فرد الأمانات إلى أهلها تسليمها إلى الله سبحانه سالمة من خيانتك فيها فالخيانة في أمانة القلب إدعائك فيها والخيانة في أمانة السر ملاحظتك إياها والحكم بين الناس بالعدل تسوية القريب والبعيد في العطاء والبذل وأن لا تحملك مخامرة حقد على انتقام لنفس أحد.

ومن «نفائس العرائس» أن الأمانة عهد الله الأزلي الذي عاهد به أرواح أهل القرب في مشاهدة جمال الرب حيث قبلت الأرواح من الربوبية سمات العبودية ومن المشاهد لطائف المحبة ووجدت أسرار الملك والملكوت عند سراق الجبروت فكتمها عن الأغيار لأن صدور الأحرار قبور الأسرار فلما تلبست الرواح بقوالب الأشباح كادت أن يغشاها للضعف عن حملها فأمر الله بكتمانها عن الخلق حتى يؤديها إلى الحق عند كشف جماله في الآخرة لأنه تعالى أهل تلك الأمانة وذلك قوله لنا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72] الآية أيضاً أمرهم الله بإظهار ما كوشف لهم من أحكام الغيب

عند العارفين وكتمانها عن الجاهلين.

قال الجريري: أفضل الأمانات أمانة الأسرار فلا تظهرها ولا تكشفها إلا لأهلها لأنهم أهل الأمانة العظمى وقال بعضهم: الأمانة أسرار الله وأهل الأمانة هم العارفون بالله والعالمون بأسرار الله وهم الناظرون إلى القلوب بأنوار الغيوب فيحكمون عليها فحقق الله أحكامهم وهو الذي قال تعالى فيهم: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 59] أي: بما في كتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [الآية: 59] بما في خطابه ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 59] في اجتهاد صوابه ويندرج فيهم الخلفاء والأمراء والعلماء والأولياء فإنهم أولو الأمر على المريدين الأصفياء ولا يبعد أن يستدل على صحة حجة الإجماع عند عدم النزاع.

177/ب وأفاد الأستاذ: أن الولي هو أولى بالمريد من/المريد بالمريد ثم النكتة في إعادة ﴿أَطِيعُوا﴾ [الآية: 59] في جانب الرسول وعدمها في جانب أولي الأمر للإيمان إلى أن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله وأما غيره فقد يأمر بغيرها ولذا قال عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق⁽¹⁾ وقال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: 59] أي: أنتم وأولو الأمر منكم ﴿فَرُدُّوهُ﴾ [الآية: 59] فارجعوا فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 59] أي: كتابه وتبيناه ﴿وَأَرْسُولِي﴾ [الآية: 59] بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعد أوانه واستدل به منكر القياس والأظهر أن هذا حجة عليهم بلا التباس فإن رد المختلف إلى المنصوص عليه من الكتاب والسنة إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه في طريق المقايسة فالآية تدل على أن الأحكام ثلاثة آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة كما جاء في السنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 59] فإن الإيمان بما هنالك يقتضي ذلك ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 59] أي: الرد المقبول ﴿حَيْرٌ﴾ [الآية: 59] لكم وأفضل لأحوالكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (18/170) رقم (381)، وأحمد في المسند (1/131) رقم (1095).

[الآية: 59] عاقبة لمآلكم.

وحكي عن العالم الرباني أبي سليمان الداراني: كل ما عرض لي من الخواطر الحسنة عرضته على الكتاب والسنة فإن وافقهما قبلته وإلا تركته فهما ميزان العدل والتبيان الفضل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية: 60] أي: من الكتاب وهم المنافقون وأهل الحجب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [الآية: 60] أي: كثير الطغيان ظاهر العصيان وهو من يحكم بغير الكتاب والسنة ويؤثر الباطل على الحق لأخذ الرشوة ونحوه من المقاصد السيئة وقال أبو عثمان إلى آرائهم وأهوائهم وأمثالهم وأشكالهم ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [الآية: 60] أي: يرفضوه ويتركوه بالكلية حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالظُّلُمَاتِ فَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 256] الآية ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 60] عن طريق المعرفة وسلوك الحجة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ [الآية: 61] أي: ارتفعوا عن حضيض ظلمات غيار أغيار الغواية إلى أوج علويات أنوار الهداية ﴿رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ﴾ [الآية: 61] أي: المذبذبين في الدين المتحيرين في أمر اليقين ﴿يُضِلُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [الآية: 61] أي: يعرضون إعراضاً مبعوداً ويحجبون بذلك عن بابنا حجاباً مردوداً.

﴿فَكَيْفَ﴾ [الآية: 62] أي: حالهم ومآلهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ [الآية:

62] أي: نقمة أو محنة ﴿يَمَّا قَدَّمْتُ / أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 62] بسبب شؤم ما عملته 178/أ أنفسهم من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضا بحكمك قيل أعظم المصائب اشتغالك عن الله وأعظم الغنائم اشتغالك بالله ذكره السلمي.

﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ [الآية: 62] عطف على إصابتهم ثم أتوك حين أصابتهم للاعتذار عن قباحتهم حال كونهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [الآية: 62] أي: ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين بالصلح المستحسن روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما عن

ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهود إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب الملقب بالأشرف ثم أنهما احتكما إليه ﷺ فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال تتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر: قد قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق: كذلك قال نعم فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال: إن عمر فرق بين الحق والباطل⁽¹⁾ فسمي الفاروق.

وأفاد الأستاذ: أن تضرع غير المخلص عند هجوم الضرورة به لا أصل له فلا ينبغي أن يكون به اعتبار لأن بقاءه إلى زوال المحنة والمصيبة العظمى ترك المبالاة بالمعصية ومن المصائب تمحيق وقتك فيما لا يجدي عليك نفعك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 63] من النفاق والشقاق وسوء الأخلاق فلا ينفعهم الكتمان والحلف الكذب وإظهار الوفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 63] عن جفائهم وإفنائهم لمصلحة استبقائهم ﴿وَعَظَّمْ﴾ [الآية: 63] انصحهم بلسانك لعله ينفعهم ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 63] أي: في حقها الخالص بهم أو سراً حيث ليس معهم غيرهم ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [الآية: 63] يبلغ المراد ويؤثر فيهم وهذا كله لكونه نبي الرحمة لجميع الأمة خاصهم وعامهم.

وقال الواسطي: فأعرض عن جهالهم وعظ أوساطهم من عقلائهم يعني وقل لعلمائهم.

وقال جنيد: كلمهم على مقادير عقولهم.

وقال الأستاذ: أبسط لهم لسان الوعظ بمقتضى الشفقة عليهم ولكن انقبض بقلبك على المبالاة بهم أو السكوت إليهم واعلم أن من لا يكون نحن 178/ ب له لا يغني عن بقيته شيئاً/ .

(1) تفسير القرطبي (5/ 264).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [الآية: 64] فيما يحكم به لا ليطلب الحكم من غيره ﴿يَاذِينَ اللَّهَ﴾ [الآية: 64] أي: بسبب إذنه في طاعته وأمره أو بتوفيقه وتيسيره ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 64] بالمخالفة ثم ﴿جَاءُواكَ﴾ [الآية: 64] بالمراجعة إلى الموافقة ﴿فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 64] عما صدر عنهم من المعصية والغفلة ﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [الآية: 64] بالمسألة والشفاعة ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [الآية: 64] ليعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بإعادة الرحمة إليهم.

﴿فَلَا﴾ [الآية: 65] أي: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بك وهم مخالفون لحكمك ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 65] أي: حقيقة الإيمان ﴿حَقِّ يُحْكَمُوكَ﴾ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ [الآية: 65] حتى يجعلوك حكماً لهم في جميع أعمالهم ويقبلوا حكمك فيما اختلفوا من مقالهم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ [الآية: 65] أي: مما حكمت به أو شاكاً من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره ﴿وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [الآية: 65] وينقادوا لك انقياداً بظاهرهم وباطنهم.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 66] بتعرضها للقتل بالجهاد أو كما قتل بنو إسرائيل من جملة العباد ﴿أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [الآية: 66] بترك أوطانكم من البلاد ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ [الآية: 66] أي: المكتوب من القتل والخروج عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 66] وهم المخلصون فيهم ورفع قليل على البدلية من ضميرهم وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ [الآية: 66] من المبايعات مع المطاوعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الآية: 66] في عاجلهم وآجلهم ﴿وَأَشَدَّ تَنَبُّيًا﴾ [الآية: 66] في دينهم وحسن حالهم ومآلهم أو تنبيهاً لثواب أعمالهم.

﴿وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 67] في العقبى.

﴿وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 68] إلى المولى قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69] وفي الحديث من عمل بما علم أورثه

الله علم ما لم يعلم⁽¹⁾.

قال محمد بن الفضل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبَا عَلَيْهِمَ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 66] بمخالفة هواها و﴿أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [الآية: 66] بإخراج حب الدنيا من قلوبكم ما فعلوه إلا قليل منهم في عدد المباني كثير في المعاني وهم أهل التوفيق في طريق التحقيق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن سقم إخلاصهم وقوة إفلاسهم ثم أخبر أنه لعلمه بتقصيرهم خلاهم عن كثير من الامتحانات في أمر تدبيرهم ثم قال ولو أنهم جنحوا للخدمة وشدوا نطاق الطاقة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الآية: 66] من إصرارهم على كفرهم واستكبارهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ [الآية: 66] ذلك لآتيناهم/ من عندنا ثواباً عظيماً ولأرشدناهم صراطاً مستقيماً ولأوليناهم عطاءً مقيماً والأمر بقتل النفس على بيان الإشارة يرجع إلى مخالفة الهوى وذبح النفوس بمنعها عن المألوفات الشاغلة عن المولى والخروج من الديار مفارقة أوطان إرادة الدنيا.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الآية: 69] في الفرائض والسنن الواصلة إليهم ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 69] بسبب الموافقة المقتضية للمرافقة مع كرام المخلوقين ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 69] بيان للذين وقسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم علماء وعملاً في الدين وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم في مراتب اليقين فالأنبياء هم الفائزون بكمال العلم والعمل الواصلون إلى مرتبة التكميل لأجل الأمل ثم الصديقون الذين بالغوا في التصديق المتعلق باليقينيات وفي الصدق بالقول والفعل في العلميات ثم الشهداء الذين أدى لهم المبالغة في الطاعة حتى بذلوا المهجة في إعلاء الكلمة ثم الصالحين الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في محبته وقاموا بحقوق الله وحقوق عباده ابتغاء لمرضاته ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [الآية: 69] أي: رفقاء في جنته وقد ثبت بطرق متكاثرة كادت متواترة أنه ﷺ سئل عن الرجل

(1) كشف الخفا (2/ 220) رقم (2346).

يحب القوم ولا يلحق بهم فقال المرء مع من أحب⁽¹⁾ قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث⁽²⁾.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 70] أي: من لطفه وكرمه وإحسانه ونعمه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ [الآية: 70] باستحقاق أهله وسائر أحوال خلقه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد عليهم محلهم عن كل علة واستحقاق وسبب فإن ما لاح لهم وأصابهم صرف فضله وابتداء كرمه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوءًا حِذْرَكُمْ﴾ [الآية: 71] ما يحذر به من عدوكم ويعد من سلاحكم ﴿فَأَنْفِرُوا﴾ [الآية: 71] أي: اخرجوا مسرعين متنفرين عن أهليكم لجهادكم مع مخالفيكم ﴿ثَبَاتٍ﴾ [الآية: 71] جماعات متفرقة ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [الآية: 71] أي: مجتمعين كوكبة واحدة والمعنى بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الخيرات في جميع الأوقات والحالات قبل أو إن الفوات وزمان الحسرات والندامات قال تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: 50] ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8] ﴿كَلَّا لَا وَدَّ ۖ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: 11 - 12].

179/ب

وأفاد الأستاذ: أن الفرار إلى الله من صفات القاصدين والفرار مع الله من صفات الواصلين فلا يجد الفرار مع الله إلا من صدق في الفرار إلى الله والفرار من كل غير شأن كل موحد لا غير.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِّلْمَنَافِقِينَ ۖ الْمَرَائِنَ﴾ [الآية: 72] أي: صورة للمنافقين والمرائين ﴿لَمَنْ لِّيُبْتَغِ﴾ [الآية: 72] أي: ليثقلنكم في تحمل الدين وليمنعكم عن الخروج مع المجاهدين ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ ۖ﴾ [الآية: 72] كقتل وهزيمة ﴿قَالَ﴾ [الآية: 72] أي: المبطىء ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [الآية: 72] حاضراً في القضية فيصيبني ما أصابهم من المحنة والبلية.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ ۖ﴾ [الآية: 73] كنصرة وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [الآية:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (2640/165).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/595) رقم (2385).

[73] أكدّه تنبيهاً على فرط الحسرة ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ يَنْتَكُمُ وَيُنَادِي مُوَدَّةً﴾ [الآية: 73] أي: أدنى محبة وأقل مواصلة والجملة معترضة بين الفعل ومفعوله وهو ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ [الآية: 73] في المقاتلة ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 73] فأخذ نصيباً وافراً من الغنيمة وكان مخففة من المثقلة وقرأ ابن كثير وحفص يكن لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني كنت محذوف أي: يا قوم وأفوز نصب على جواز التمني.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 74] أي: يبيعونها بها وهم المخلصون الباذلون أنفسهم في سبيل المولى وطريق العقبى ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 74] بأن يموت على الشهادة أو يغلب بالفتح والنصرة فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ومكاناً كريماً ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ [الآية: 75] مبتدأ وخبر.

﴿لَا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 75] جملة حالية والمراد تحريضهم على أمر الجهاد بتأكيد القضية ﴿وَالْمُتَضَعِّفِينَ﴾ [الآية: 75] أي: وفي سبيل الله المأسورين بتخليصهم عن أيدي أعداء الدين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [الآية: 75] بيان للمستضعفين ويريد بهم المسلمين الذين بقوا بمكة لصدهم المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتهنين ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [الآية: 75] أرادوا مشركي مكة شر العباد في خير البلاد ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [الآية: 75] يرى أمر ديننا ودينانا ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [الآية: 75] ينصرنا على أعدائنا وقد استجاب الله دعاءهم بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خيراً من تولي الولاية والنصرة بفتح مكة على أيدي 180/ الحاضرة النبوية فتولاهاهم ونصرهم أولاً ثم استعمل عليهم عتاب/ بن أسيد رضي الله عنه بعد فتحها فحماهم ورعاهم حتى صاروا أعزة أهلها ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 76] أي: فيما يصلون به إلى رضاه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [الآية: 76] أي: فيما يبلغ بهم الشيطان إلى طغيانه وهواه ﴿فَقَاتِلُوا﴾ [الآية: 76] أي: يا أولياء الله ﴿أُولَئِكَ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 76] ممن تبع هواه.

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية: 76] أي: بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ [الآية: 76] بالإضافة إلى كيده سبحانه للكافرين ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

وقال سهل: المؤمنون خصماء الله على أنفسهم والمنافقون خصماء أنفسهم على ربهم يبدرون إلى اختيارهم ولا يرضوا بما اختار الله مولاهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 77] أي: من ضعفاء المسلمين ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [الآية: 77] عن قتال المشركين.

وقال الأستاذ: أخرجوا أيديكم عن أموركم وكلوا أحوالكم إلى معبودكم ويقال قصروها عن أخذ الحرام والتصرف فيه كالعوام ويقال كفوا أيديكم إلا عن رفعها إلى الله في السؤال بوصف الابتغال ويقال امتنعوا عن الشهوات ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 77] أي: وسائر العبادات وخصتا لأنهما من أمهات الطاعات ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 77] من المنافقين أو من الضعفاء في اليقين ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ [الآية: 77] أي: المشركين أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الآية: 77] أي: كما يخشون أن ينزل عليهم بأسه فيهلكهم ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [الآية: 77] معطوف على اسم الله أي كخشية الله أو كخشية أشد خشية منه على الفرض أو بناء على زعمهم وقيل: أو بمعنى بل مبالغة في تزييف أمرهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ﴾ [الآية: 77] في هذا الحال ﴿لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية: 77] وهو استزاده في مدة الكف عن القتال حذراً عن الموت وصرف المال.

وأفاد الأستاذ: أنهم استثقلوا أمره واستعجلوا لطفه والعبودية ترك الاستثقال ونفي الاستعجال والتباعد عن التبرم في الانتقال من الحال إلى الحال ﴿قُلْ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 77] يسير المنال سريع الزوال ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [الآية: 77] أي: خاف المولى في جميع الأحوال ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَيَلًا﴾ [الآية: 77] أي: ولا يتقصون أدنى شيء من جزاء الأعمال وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بصيغة الغيبة وفيه تغليب على كل قراءة.

180/ب قال محمد بن الفضل: متاع الدنيا/ قليل وأقل قيمة منها من يطلبها ويفرح بها ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [الآية: 77] الدنيا وأهلها والركون إليها.

وقال الأستاذ مكنك من الدنيا ثم قال لنبية: ﴿قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 77] فلم يعدها شيئاً لك ثم لو تقصّدت منها بشق ثمرة لتخلصت من النار وحظيت بالجنة وهذا غاية الكرم واستقلال الكثير من نفسك لأجل حبّيك أقوى أمارات محبتك ويقال لما زهدهم في الدنيا قللها في أعينهم ليهون عليهم تركها ويقال ﴿قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ بجملته قليل والذي هو نصيبك منها أقل من القليل لو سلم عهدك من التبدّل وإذا كانت قيمة الدنيا قليلة فأخس من الخسيس من رضي بالخسيس بدلاً عن النفس وقد اختدع المؤمن من الكون بالتدريج فقال أولاً ﴿قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [الآية: 77] فاخطفهم عن الدنيا بالعقبى ثم سلبهم عن الكونين بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 73].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ [الآية: 78] بلا تصور الموت ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسْتَكْبِرَةٍ﴾ [الآية: 78] أي: قصور مرتفعة أو حصون مجصصة.

وفي «نفائس العرائس» إن ظاهره تخويف للمخالفين وباطنة تجزية للمشتاقين أي: لا تحزنوا أيا المشتاقون إلى لقائي فإني آتيكم بأحسن ما تظنون في فأريحكم من سجن الدنيا وأوصلكم إلى مجلس وصلتي في العقبى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ [الآية: 78] أنا معكم فإذا حان وقت القرية أسلبكم من أيدي المنية وموتكم خروج أرواحكم بمشاهدتي كحجر المغناطيس حيث يظهر ينجذب الحديد إليه وبشر أحبائي أن الموت راحتهم والموت وصلتهم والموت تقرب ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ﴾ [الآية: 78] أي: الكفرة ﴿حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 78] أي: نعمة كخصب وسعة ﴿يَقُولُوا هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 78] أي: بلا شبهة ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 78] كقحط وبلية ﴿يَقُولُوا هَٰذَا مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الآية: 78] أي: أضافوها إليك على وجه السببية وقالوا: ما هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود منذ محمد دخل المدينة نقصت أثمارها وغلت أسعارها كما قال قوم لنبية: كما أخبره سبحانه عنهم بقوله: قالوا تطيرنا بك وبمن معك ولا يبعد أن يكون الآية نظير قوله

سبحانه ﴿مَنْ النَّاسُ مَنْ يَبْغِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْفِلْتَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحج: 11] ﴿قُلْ كُلٌّ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ﴾ ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 78] حاصلة وواصلة يبسط أو يقبض على 181/أ وفق الإرادة والمشئمة.

وأفاد الأستاذ: أن الموت فرح للمؤمن فالخبر عن قربهِ بشارة له لأنه سبب يوصله إلى الحق ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ويقال: إذا كان الموت لا بد منه فالاستسلام لحكمه طوعاً خير لك من أن تحمل كرهاً ثم أخبر أنهم لضعف بصائرهم ومرض عقائدهم إذا أصابتهم حسنة فرحوا بها وأظهروا الشكر لها وإن أصابتهم سيئة يهتدوا إلى خلافها فتحرك معهم العرق المجوسي فأضافوه إلى المخلوق فرد الله عليهم بقوله قل يا محمد ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 78] خلقاً وابتداعاً وإنشاء واختراعاً وتقديراً وتيسيراً ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ﴾ [الآية: 78] الغافلين كأنهم في النوم ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [الآية: 78] ولا يستنبهون عن نوم غفلتهم حيثاً فيتعظون بما يوعظون به من كتاب الله وكلام رسوله فإنهم لو فهموا مبانيه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل منه بل يتيقنوا أن غيره ليس في الوجود كما هو عند نظر أرباب الشهود.

﴿مَا أَصَابَكَ﴾ [الآية: 79] أيها المخاطب المعائب في كل قضية ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ [الآية: 79] أي: نعمة ومنحة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ [الآية: 79] إذ لا منعم سواه ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ [الآية: 79] أي: بلية ومحنة ﴿فَإِنَّ نَفْسِكَ﴾ [الآية: 79] الدنية لأنها السبب فيها باستجلاب الأعمال الردية وهو لا ينافي قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 78] فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة وقعت امتحاناً وإحساناً وإفضالاً والسيئة حصلت مجازاة لما كسبت أعمالاً فالآية نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: 17] خلقاً ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: 17] كسباً ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17] إيجاداً أو إمداداً وهو في الحقيقة مقام الجمع المنتهي إليه حال أهل الطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن ما أصابك من حسنة فمن الله فضلاً وما أصابك من سيئة فمن نفسك كسباً وكلاهما من الله سبحانه خلقاً وفي قراءة شاذة عن ابن عباس بعد قوله فمن نفسك وأنا كتبته عليك ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [الآية: 79] يوجب لهم إلينا

وصولاً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية: 79] أي شاهداً أو مشهوداً وخالقاً ومعبوداً.
 ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [الآية: 80] لأنه مبلغ عن مولاه ولا يأمرهم إلا بما يرضاه.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية تشير إلى الجمع الأتم لحال الرسول ﷺ فقال طاعته طاعتنا فمن تقرب منه تقرب منا ومقبوله مقبولنا ومردوده مردودنا 181/ب ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ [الآية: 80] عن طاعته/ وأعرض عن محبته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ [الآية: 80] أي: تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم أحوالهم إنما عليك البلاغ في كل باب وعلينا الحساب بالثواب والعقاب.

﴿وَيَتَوَلَّوْا﴾ [الآية: 81] أي: المتولون وهم المنافقون والمراؤون إذا أمرتهم بأمر وبادر إليه المؤمنون ﴿طَاعَةً﴾ [الآية: 81] أي: أمرنا وشأننا طاعة وهذا حالهم في صحبتك ﴿فَإِذَا بَرَّرُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الآية: 81] أي: خرجوا من خدمتك ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [الآية: 81] زورت خلاف ما قلت لها من أمر الوصول أو عكس ما قالت لك من القبول.

قال الأستاذ: يعني إذا حضروك استسلموا في مشاهدتك فإذا خرجوا انقطع عنهم نور إقبالك فعادوا إلى ظلمات نفاقهم كما قالوا:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضنى عاد إلى نكسه
 والشيخ لا يترك أخلاقه وإن توارى في ثرى رمسه⁽¹⁾

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [الآية: 81] أي: يثبت ما يزورون من الويل وما يصورون في الليل ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 81] بالتجافي منهم وقلة المبالاة بهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 81] في الأمور كلها لا سيما في أمرهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 81] موكولاً إليه ومعتمداً عليه.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَفَرَأَنَّهُ﴾ [الآية: 82] أي: لا يتأملون في مبانيه ولا يتفكرون في معانيه ولا يتبصرون ما فيه ليعلموا حال موافقيه ومخالفيه وأنه ليس فيه شيء

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

يعارضه وينافيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [الآية: 82] تعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴿لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [الآية: 82] من تفاوت المبنى وتناقض المعنى لنقصان القوة البشرية وكمال القدرة الإلهية.

ومن «دقائق الحقائق» أنه سبحانه جزاك على تلاوته ولولا ذلك لكنت الألسن عن قراءته.

وأفاد الأستاذ: أن التدبر إثارة المباني بغوص الأفكار واستخراج المعاني بدقائق الاستنباط لإظهار الأسرار ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ [الآية: 83] أي: ما يوجب أحدهما بسببه ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ [الآية: 83] أفشوه وأخبروا به وقد قيل من اطلعوه على سر أذاع به لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من يبشوا إليه أسرارهم فأظهر السر بعضهم لبعض فأما المؤمنون فعالم أسرارهم مولاهم وما يسنح لهم خاطبوه فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السر لمخلوق فسامع نجواهم الله/وعالم خطاياهم الله ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ [الآية: 83] أي: ذلك الخبر قبل 182/أ إظهار الأثر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ [الآية: 83] أي: إذا كان فيهم ﴿وَأَلَّتْ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 83] أي: ذوي الرأي من علمائهم أو أمرائهم ﴿لَكَلِمَةٍ﴾ [الآية: 83] أي: وجه إظهاره أو إسراره ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 83] يستخرجون تدبيره لهم.

قال الواسطي: لو أخذوا طريق السُّنة وسبيل أكابر الأمة في إرادتهم الخفية لأوصلهم ذلك إلى المقامات الجليلة والحالات العلية من منازل الإيمان ومراتب الإيقان التي هي محل الاستنباط وطرق المكاشفات.

وقال الحسن: استنباط القرآن على قدر تقوى العبد في ظاهره وباطنه ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [الآية: 83] بإنزال الكتاب وإرسال الرسول ليهتدي به أمته ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ [الآية: 83] بأنواع الضلالة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 83] من الأزمنة النادرة أو قليلاً منكم ممن تفضل الله عليه وهداه إليه من غير كتاب ورسول وبيان بل بعقل اهتدى به إلى صوب الصواب وطريق الإحسان

وعصمة من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما من أرباب هذا الشأن.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو بثوا أسرارهم عند من هو محرم بأخبارهم ومن هو من أهل القصة وشريك في هذه القصة لأزالوا عنهم الأشكال وأمدوهم بنور الهداية والإرشاد عن الوقوع في الغواية والضلال ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ [الآية: 83] مع أوليائه لهاموا في كل وادٍ من التفرقة كإشكالهم في الوقت.

﴿فَقِنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 84] أي؛ أنت وحدك ولو لم يقاتل أحد معك ﴿لَا تُكَلِّفْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: 84] إلا فعل نفسك إذ ترك غيرك لا يضرك وقال الأستاذ استقم معنا بتسليم الكل منك إلى أمرنا فإنك كما لا يقارنك أحد في رتبك لعلوك على الكل في مرتبتك لا يكلف غيرك بمثل ما تكلف ولا يحمل غيرك ما تحمل لانفرادك عن أشكالك في قدرك ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 84] على القتال فإن حثك يبعثهم على جميل الفعال ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 84] أي: كن على رجاء أن يمنع الله سبحانه شدة المخالفين على الموافقين إصلاح الحال ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ [الآية: 84] أي: أظهر صولة وشدة وقوة وقدره ﴿وَأَشَدُّ تَنَكُّلًا﴾ [الآية: 84] أي: أكثر عقوبة ونقمة.

182/ب ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً﴾ [الآية: 85] أي: مقبولة في الشريعة ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا﴾ [الآية: 85] وهو ثواب الشفاعة وجزع الدلالة على الخير والطاعة ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً﴾ أي مردود في الكتاب والسنة ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا﴾ [الآية: 85] نصيب من وزرها مساوٍ لها في قدرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا﴾ [الآية: 85] مقتدرًا من أقات إذا قدر فهو من القوة أو حافظًا ورازقًا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه من ضعف البنية.

﴿وَإِذَا حُيِّمٌ بِنَحِيَّةٍ﴾ [الآية: 86] أي: من أنواع تحية السلام عند ملاقة الكرام ﴿فَحَيَّوْا بِأَحْسَنِ مِمَّا﴾ [الآية: 86] أي: أجيبوا الجواب الحسن ﴿أَوْ رُدُّوهُآ﴾ [الآية: 86] بالجواب المستحسن فالجواب من فروض الكفاية عند وجود الجماعة وقيل المراد بالتحية العطية وواجب المثوبة أورد الهدية وعن علي كرم الله وجهه سلم

على أهل الدنيا بترك السلام عليهم وعدم الإقبال والتوجه إليهم ولعل مقصوده مقام الغناء لاستغراق في بحر البقاء لمشاهدة اللقاء.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تعليم لهم في حسن العشرة وآداب الصحبة وأن من حملك فضلاً صار ذلك له في ذمتك قرضاً فإن زدت على فعله وإلا فلا تنقص عن مثله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [الآية: 86] أي: محاسباً على التحية والهدية والعطية وغيرها من الأمور الحسية والمعنوية ومجازفاً على وفق ما صدر عن صاحبها من تصحيح البنية.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 87] مبتدأ أو خبر وقال هذا الخطاب يتضمن نفياً وإثباتاً فالنفي يعود إلى الأعيار ويستحيل لغيره ما نفاه والإثبات له بالإلهية ويستحيل له النفي فيما أثبتته ﴿لِيَجْمَعَنَّهُمْ﴾ [الآية: 87] في قبوركم ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 87] يوم يقوم الناس لرب العالمين في المحاسبة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 87] أي: في ذلك الجمع ولا في ذلك المجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [الآية: 87] أي: وعداً ووعداً ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ [الآية: 88] أيها المؤمنون صرتم متفرقين ﴿فِي التَّفَقُّيْنَ﴾ [الآية: 88] أي: في شأنهم ﴿فَتَتَيْنِ﴾ [الآية: 88] أي: جماعتين متفرقتين في أنهم هل داخلون معكم في إيمانكم أم خارجون عن حقيقة إيمانكم ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ﴾ [الآية: 88] ردهم إلى حكم الكفرة من ضلالتهم وطغيانهم ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ [الآية: 88] من نفاقهم وعصيانهم ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ [الآية: 88] أيها المؤمنون ﴿أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الآية: 88] وتجعلوه من المهتدين إلى سبيل مولاه ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية: 88] بمتابعة هواه ﴿فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 88] / 183 أ إلى هدها لعدم تخلف إرادة الله.

وأفاد الأستاذ: أنهم أفردوا العهد فيهم أنهم أعدائي لا ينالون مني في الدنيا والعقبى رضائي وأنكم لا تنقذون بهمكم من إقاماته وإخزاته بقسمتي فإن المدار على القسم دون الهمم قلت نعم الهمم إذا طابقت القسم ثم النعم وإن كان الهمم أيضاً من القسم.

﴿وَدُّوا﴾ [الآية: 89] أي: تمنى المنافقون ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 89] أيها

المؤمنون ﴿كَمَا كَفَرُوا﴾ [الآية: 89] أي: ككفرهم في سرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ [الآية: 89] أي أنتم وهم ﴿سَوَاءٌ﴾ [الآية: 89] مستويين معهم في غيهم ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية: 89] ولا تعتدوا عليهم في أمر دينهم لأنهم أعداء ﴿حَقَّ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 89] بمتاركة أفعال الكفرة ومفارقة بلدان الفجرة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 89] أعرضوا عن المهاجرة المعتبرة ﴿فَقُذِّبُوا﴾ [الآية: 89] بالقهر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 89] بالنحر ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 89] من البر والبحر ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ [الآية: 89] في جلب النفع ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية: 89] في أمر الدفع.

وأفاد الأستاذ: أن الآية فيها الإشارة إلى أرباب التخليط والأحوال السقيمة يتمنون أن يكون الصديقون منهم وهيئات أن يكون لمانهم تحقيق وما دام المخالفون لكم غير موافقين فباينوهم وخالفوهم ولا تطابقوهم ولا تعاشرهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِثَّةٌ﴾ [الآية: 90] أو يتصلون إلى قوم في معاهدتكم بأن دخلوا في مصالحتكم وفارقوا أمر محاربتكم أو ﴿أَوْ جَاءَكُمْ﴾ [الآية: 90] أي: أو الذين أتوكم كافين عن قتالكم ممتنعين عن قتال قومهم ﴿حَصَرْتُمْ صُدُّوا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 90] أي: ضاقت قلوبهم وحارت عليهم أمورهم كراهة ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: 90] فإنهم حينئذ لا يضطرونهم وترك اختيارهم يستحقون الشفقة عليهم والرحمة إليهم شكراً لنعمة الغلبة منكم لديهم بمشيئة الله تعالى ضعفهم وعجزهم فيكم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 90] بأن قوى قلوبهم وأزال الرعب عنهم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] ولم يكفوا عنكم ولم يبالوا بكم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أن عند الأعذار إذن في معاشرة الأغيار بحسب الظاهر لا على وجه الإسرار رفقاً بالمستضعفين لنصيب الغير أي: ليحصل له الخير ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ﴾ [الآية: 90] أي: عن منازلكم ولم يخالطوكم ﴿فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ﴾ [الآية: 90] لم يتعرضوا لكم ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ [الآية: 90]

90 الاستسلام والانقياد لديكم ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 90]
بالإذن لكم في أخذهم وقتلهم دليلاً.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى أنه إذا عاشركم من ليس من أهل 183/ب
القصة معرجين في أوطان نصيبهم فلا تدعوهم إلى طريققتكم وسلموا لهم
أحوالهم فإن أمكنكم أن تلاحظوهم بعين الرحمة بحيث يؤثر فيه هممكم وإلا
فسلموا لهم أحوالهم.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: 91] أي: بالمكر
والحيلة ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ [الآية: 91] دعوا إلى الكفر والضلالة ﴿أُرْكَبُوا
فِيهَا﴾ [الآية: 91] رجعوا إليها أفبح رجعة وأشنعها ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوا عَنْهَا وَلَبِقُوا إِيَّتَكُمْ
أَسْلَمُوا﴾ [الآية: 91] ولم يمتنعوا عن قتالكم ﴿فَخَذُواهُمْ وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [الآية:
91] أي: وجدتموهم وتمكنتم منهم ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [الآية:
91] حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل لظهور غدرهم ووضوح كفرهم
والمعنى جعلنا لكم عليهم سبيلاً حيث بينا لكم دليلاً.

وأفاد الأستاذ: أن من رام الجمع بين الضدين خاب سعيه ولم يرتفع
عرضه فكما لا يكون شخص واحد منافقاً مسلماً لا يكون شخص واحد مريداً
للحق مقيماً على أحكام العادة فإن الإرادة والعادة ضدان فالواجب مباينة
الأضداد ومجانبة الأجانب في طريق الرشاد ومن كلام السادة الإرادة ترك
العادة ولعل معناه إن عادة النفس الغفلة فالإرادة إحضارها إلى الحضرة ومن
عاداتها تعلقها بالخلق وهو أضر عليها من تشنّفها بالخلق فالإرادة تعلقها
بمتعلقات الحق ومقامات الصدق ومن عاداتها متابعة الهوى فإرادتها موافقة
الهدى ومن عاداتها السمعة والرياء فإرادتها تصحيح النية وإبغاء الرضاء ومن
عاداتها إرادة بقاءها فالإرادة إرادتها فناؤها فإن في موتها حياتها وحصول
لقائها.

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ [الآية: 92] أي: ما صح

لمؤمن كامل أن يقتل مؤمناً بغير حق في حال من الأحوال إلا حال الخطأ وهو ما لا يصاحبه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً والأظهر أن الاستثناء منقطع لثلا يوجب إذن الشرع بالقتل الخطأ لأن جهة الحرمة ثابتة فيه بناءً على ترك التروي ولهذا تجب فيه الكفارة إذ لو كان مباحاً محضاً لما وجب الكفارة ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] أي: فعليه/إعتاق نسمة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة فكأنه إحياء مؤمن بدل من إفناء مؤمن ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [الآية: 92] مؤداة إلى ورثته جبراً لكسر خواطرهم يقتسمونها كسائر الموارث خلافاً لمالك في الزوجين وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال فإن لم يكن ففي ماله ودية المرأة نصف دية الرجل وإذا بلغ قيمة العبد المقتول خطأ عشرة آلاف درهم مثلاً فإنه ينقص عن ديته عشرة دراهم ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [الآية: 92] يتصدقوا عليه بالدية بأن يعفوا عنها فقد ورد كل معروف صدقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خفف أمر الخطأ على فاعله حتى حمل موجب قتل الخطأ على العاقلة والخواص عاقلة المستضعفين من الأمة وأهل المعرفة عاقلة المريدين والشيوخ عاقلة الفقراء فسبيلهم أن يحملوا أثقال المستضعفين فيما ينوبهم ﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾ [الآية: 92] المؤمن المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية: 92] كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم القاتل إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] أي: فعلى قاتله الكفارة دون الدية للورثة إذ لا وراثة بينهم وبينهم بالكلية ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [الآية: 92] أي: من جماعة كفره معاهدين أو أهل الذمة ﴿فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: 92] ولعل تقديم الجملة الأولى هنا للمبالغة فيما يتعلق بحقوق أهل العهود والذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ [الآية: 92] دية لا عينها ولا ثمنها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [الآية: 92] فعليه صيام شهرين ﴿مُسْتَايَعَيْنِ﴾ [الآية: 92] متوالين ﴿تَوْبَةً﴾ [الآية: 92] ذا توبة كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 92] بحال العباد ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 92] فيما دبر وأراد.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [الآية: 93] حال من ضمير يقتل ﴿فَجَزَاءُ مِنْهُمْ جِزَاءُ حَيْلِهِمْ فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 93] فيه غاية المبالغة في التهديد ونهاية التشديد الأكيد واستدل بظاهره المعترلة أن صاحب الكبيرة مخلد في العقوبة وعند أهل السنة والجماعة مخصوص بالمستحل له ويؤيده سبب ورود الآية وإن لم يظهر بين العمد والخطأ حسن مناسبة المقابلة وقال بعضهم المراد بالخلود المكث الطويل كما في أصل اللغة فإن الدلائل على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم متظاهرة إلى أنه لا بد من قيد إن شاء الله جزاؤه لقوله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْضَحُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَنْفَرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] ولو بغير توبة من بعض عباده.

وقال الأستاذ: كما يحرم قتل غيرك عليك يحرم قتل نفسك عليك ومن اتبع هواه سعى/ في دم نفسه ومن لم ينصح مريداً بحسن موعظته ولم يعنه بهمته 184/ب فقد سعى في دمه فهو مأخوذ بحاله وحقيق بأن يكون عقوبته الأبدية إن لا يستمتع بما ضنّ به على المريدين من أحواله ولقد قال يا داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له جسراً قلت: هو أبلغ من رواية فكن له خادماً.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 94] سافرتهم وذهبتهم إلى الغزو الذي هو طريق رضاه ﴿فَتَيَسَّرُوا﴾ [الآية: 94] من البيان وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من الثبات أي: فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه بتحقيق مقدماته ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾ [الآية: 94] لمن حياكم بتحية الإسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بفتحيتين أي: أظهر الانقياد والاستسلام بإظهار كلمة الإسلام وهي قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله عند العلماء الأعلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية: 94] أي: ظناً وإنما فعلت ذلك للتعوذ ظاهراً ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 94] حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاذ في مآله وفيه إشعار بأن هذا الحال هو الحامل لهم على ترك التثبت وتحقق الاستعجال ولا يبعد أن يكون الهمزة الإنكارية في الجملة مقدرة ويلائمه قوله سبحانه ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَكَانٌ كَثِيرٌ﴾ [الآية: 94] يغنيكم عن قتل أمثاله طمعاً لما عنده من أمواله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾

[الآية: 94] أي: أول ما دخلتم في هذه السعادة حيث تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم وأموالكم من غير أن يعلم أحد أحوالكم ﴿فَمَنْ بَكَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 94] بالاشتغال في إيمانكم والاستقرار في إيقانكم والاستقامة في مراتب إحسانكم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [الآية: 94] فافعلوا بالداخلين في الإسلام من الأحكام ما فعل الله بكم في أوائل الأيام ولا ينادوا إلى قتل أحد ظناً أنه دخل فيه خوفاً واتقاءً أو سمعة ورياءً فإن إبقاء ألف كافر أهون من إفتاء مسلم واحد عنده سبحانه وكرر قوله فتبينوا لتأكيد الحكم وتعظيم الأمر وترتيبه ما ذكر من حالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية: 94] عالماً بأفعالكم وبصيراً بأعمالكم فاحذروه فإنه لا يخفى عليه شيء من أحوالكم روي أن سرية لرسول الله ﷺ غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرادس ثقة بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل/ وصعد خوفاً أن يكونوا من أصحاب النبي ﷺ 185/ أ فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزلت وروي عن أسامة أنه قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها أم⁽¹⁾ لا وفيه دليل على أن المجتهد قد يخطئ وإن خطأه مغتفر لما ورد أن أسامة قال: يا رسول الله استغفر لي فقال: فكيف بلا إله إلا الله فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ثم استغفر له وقال له أعتق رقبة.

وقال الأستاذ: عاشروا الناس على ما يظهرون من أحوالهم ولا تتفروا فيهم بطائن أعمالهم فإن متولي الأسرار هو الله العزيز الغفار هذا إذا كان غرض فاسد يحملكم عليه من أحكام النفس فأما من كان نظره بالله ولم يستتر عليه شيء فليحفظ سر الله فيما كوشف به ولا يظهرن لصاحبه ما أراه الله فيه انتهى ولا يخفى أنه ليس لأرباب الكشف أن يعملوا بموجبه إذا كان على خلاف ظاهر الشريعة الغراء أما قضية الخضر فمحمولة على أنه من جملة الأنبياء.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (96/158).

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ﴾ [الآية: 95] أي: عن القتال ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 95] أي: موضع الحال ﴿غَيْرِ أُولِ الْقَرَبَرِ﴾ [الآية: 95] بالرفع بدل من القاعدين أو صفة له وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال أو الاستثناء ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 95] لا مساواة بين من قعد عن الجهاد وبين من قام بأمره من العباد والمراد الحث على المجاهدة لرفعه المرتبة الآتية عن حط المنزلة ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاتِلِينَ دَرَجَةً﴾ [الآية: 95] أي: بدرجة عظيمة تندرج تحت درجات وسيمة ﴿وَكُلًّا﴾ [الآية: 95] من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَّ اللَّهُ السُّفَى﴾ [الآية: 95] الشاء الجميل والجزاء الجميل بحسن عقيدتهم وخلوص طويتهم وتحسين نيتهم وإنما التفاوت في زيادة الدرجات المترتبة على زيادة الحسنات ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاتِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 95] ومقاماً كريماً.

﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَنْفَرَةٍ وَرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 96] بدل تفصيل عن أجزاء باعتبار كل واحدة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية: 96] لما فرط منهم ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية: 96] بما وعد لهم وقيل: فضل الله المجاهدين أي الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر على القاعدين أي: التاركين أجراً عظيماً/ كذا في «حقائق السلمي» ولا يبعد أن يقال 185/ ب فضل الله المجاهدين في طلب العلم وتحصيل المعرفة على القاعدين أجراً عظيماً كما قيل:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي⁽¹⁾
والحاصل أن الجهاد الأكبر والأصغر سواء في عدم تسوية من قام به ومن قعد عنه فلا بد من العمل إلا أنه لا يعلق به الأمل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 97] يحتمل الماضي والمضارع ويؤيد الآخر قراءة البزي بتشديد التاء وصللاً ﴿ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 97] في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة ومساكنة الكفرة فإنها نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة أو ركناً في أول الوهلة ﴿فَقَاتِلُوا﴾ [الآية: 97] أي:

(1) نسب إلى الحطيطه. انظر: العقد الفريد (2/ 324)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 16).

الملائكة توبيخاً لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [الآية: 97] في أي شيء كنتم في أمر دينكم حيث ما هاجرتهم وما أظهرتم إسلامكم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 97] بعدم القدرة على الهجرة وإظهار الملة وإعلاء الكلمة ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 97] أي: الملائكة تكذيباً لهم أو تبكيتاً بهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [الآية: 97] أي: إلى محل آخر تأمنون بها كما خرج المهاجرون من مكة إلى الحبشة والمدينة ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 97] لتركهم واجب الهجرة وتكثيرهم سواد الكفرة ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية: 97] أي: مصيرهم إلى العقوبة أو مرجعهم إلى الحرقة والفرقة.

قال عبد الله بن المبارك: المقام في عرصات الشرك والعصيان من أوائل الخذلان وقد أمر الله تعالى بالفرار منها بقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها.

وقال عثمان: أرض الفتنة لا تنبت فيها إلا الفتنة وأرض الرحمة تصيب الإنسان رحمته ولو بعد حين كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى من أدركه الأجل وهو في أسر نفسه وفي رق شهوته ليس له عذر حيث لم يهاجروا إلى ظل قربته وعزته ليتخلص من هوان نفسه وذلته إذ لا حجاب بينك وبين هذا الحديث إلا هواك انتهى والمعنى هداك يمنعك عن هواك ومولاك يغنيك عن سواك وهذا معنى ما قال بعض أهل الحال دع نفسك وتعال.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [الآية: 98] أي: المماليك أو الصبيان ففيه مبالغة من أمر الهجرة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ [الآية: 98] من وجدان أسباب الهجرة من المال والقوة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 98] إذ لا يعرفون الطريق ولا يجدون دليلاً ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ [الآية: 99] يتوقع من فضله أن يتجاوز في التقصير منهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [الآية: 99] بمحو العيوب ﴿غَفُورًا﴾ [الآية: 99] بستر الذنوب.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 100] ابتغاء لمرضاة مولاه ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

﴿مَرْغَمًا﴾ [الآية: 100] يصادف منها متحولاً وطريقاً يسيراً ومنزلاً ﴿كثيراً وسعة﴾ [الآية: 100] وسعة في الرزق وإظهار الديانة ومخلصاً من الضلالة ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ [الآية: 100] في سبيله ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 100] بسبب وعده على مقتضى فضله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية: 100] لما سلف عنه ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية: 100] بما خلف منه.

وأفاد الأستاذ: أن من هاجر في الله عما سوى الله وجد فسحة في ساحة القرب ووسعة في كنف الحب والمهاجر في الحقيقة من هجر نفسه وهواه واتبع سبيل مولاه فيما هداه ومن قصده ثم أدركه الأجل قبل وصوله فلا ينزل إلا بغفوة وصله ولا يكون محط روحه إلا أوطان قربه.

ومن «نفائس العرائس» أن من هجر من أوطان نفسه إلى قضاء ولاية التفريد وأتلف مهجته في طريق محبة الله وسبيل التوحيد ولم يبق له مسكن يسكن قلبه فيه من العرش إلى الثرى يجد في الأرض المشرقة بنور وجه الله سبحانه مواطن الأنس ومساكن القدس وسعة أنوار قربته وسناء أسرار وصلته ويستثنى عن كل موطن ومرقد ومسكن ومقعد وعن كل مألوف سوى الأحد وفي أرض القدم وقضاء الأزل للعارفين المهاجرين منهم إليه مراغم وطنات الصفات ومشارب صوافي الحلل والجمال في بحار الذات وأيضاً من هاجر لله في سبيل الله وصار غريب الله في بلاد الله مستوحشاً مما دون الله يجد في أكناف أطراف الأرض مراغم صحبة أوليائه التي هناك سعة أنوار مشاهدة الله وسعة كنوز أزل الآزال ومشاهدة أبد الآباد ومن يخرج من طبيعته وهوى نفسه وحوله وقوته وإشارته وعبارته وعلمه ورسمه إلى الله في طلب مشاهدته وإلى الرسول في متابعتة بنعت المحبة ويدركه الموت في تضاعيف السر بعد الامتحان والمحنة ويقع في منزلة العبرة بعد المجاهدة فقد وقع له أجر الوصلة لأن الله تعالى يجاريه لصدقه بقدم الأول قبل أن يهاجر عما دون الله تعالى وقبل أن يخرج عن جميع مراداته متبعاً لأمر الله ومبتغياً ما يوصله إلى مرضاة 186/ب مولاه.

﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 101] شرعتم بالسفر فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [الآية: 101] أي: التي أطولها وهي الرباعية فمن تبعية واللام عهدية ونفي الجناح للتسلية لأن القصر مظنة المنقصة ونظيره في هذا الشأن قوله ﷺ شهرا عيد لا ينقصان⁽¹⁾ ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 101] شريطة باعتبار الغالب فإن أكثر أسفارهم في مبدأ الإسلام كان مخوفاً ولذا ﷺ قصر في سفر حال الأمن وقد قال عليه السلام لما سأل عمر رضي الله عنه عن القصر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته⁽²⁾ رواه مسلم ولذا قال أبو حنيفة القصر واجب وقال غيره رخصة ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الآية: 101] ولعل وجه إبقاء بعض الأفعال مع ارتفاع أسبابها بالإجماع كقصر الصلاة والرمل والاضطباع تنبيهاً للمتأخرين لللاحقين من الأمة على ما قاساه الأئمة السابقون من المحنة والمشقة فيه حفظ الوفاء وتحقيق معنى الولاء.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 102] إماماً ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 102] أي: أمرتهم بإقامتها تماماً ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ [الآية: 102] أي: فاجعلهم طائفتين لإدراك فضيلة الجماعة خلفك فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقم الطائفة الأخرى تجاه العدو يحرسون ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: المصلون أو الباقون أو كلهم أجمعون ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ [الآية: 102] يعني المصلين ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ [الآية: 102] أي: غير المصلين ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: خلفكم أو قدامكم يحرسونكم والخطاب له وللمن يصلي معه تغليباً لشرفه ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ [الآية: 102] لإشعارهم بالحراسة ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا﴾ [الآية: 102] أي: الذين أتوا ثانياً للصلاة ﴿جِذْرَهُمْ﴾ [الآية: 102] وهو ما يتحصن به الغزاة كالدرع والجنة ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ كالسيف وسائر العدة

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (75/3) رقم (692)، والبيهقي في السنن الكبرى (250/4) رقم (7992)، والبخاري في الصحيح (1912)، ومسلم في الصحيح (31/1089).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (686)، وأبو داود في السنن (464/1) رقم (1201)، والترمذي في الجامع الصحيح (242/5) رقم (3034)، والنسائي في السنن الكبرى (1/583) رقم (1891).

والأمر بالأخذ عند الجمهور سنة مؤكدة وتفصيل صلاة الخوف محلّه كتب الفقه على اختلاف الأئمة في الكيفية وفيه إشارة إلى أن العبودية لا ترتفع عن كل أفراد البشرية لا في الخوف ولا في الأمانة ولا حال وصف التفرقة ولا عند سلطان استيلاء الحقيقة ولو كان في عين الجمعية فإن الصلاة معراج للمؤمن إلى مقام القربة وحضور الحضرة ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَقْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: بترك تعلقكم/ بأسباب التوكل وتهيبته العدة مع قوله تعالى: ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَظَعْتُمْ 187/أ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحِيدَةً﴾ [الآية: 102] والمعنى أنهم تمنوا أن ينالوا منكم في حال صلاتكم غرة فيشدون عليكم شدة وحملة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: على قدر استطاعتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الآية: 102] وعيد متضمن للوعد بأن يكون للمؤمنين فتحاً مبيناً.

﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ﴾ [الآية: 103] أي: أدتكم صلاة الخوف وفرغتم ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقُودًا وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ﴾ [الآية: 103] فداوموا على الذكر في جميع أحوالكم ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ [الآية: 103] برجوعكم إلى وطنكم أو بسكون قلوبكم عن رعبكم ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 103] أي: الطريقة المعهودة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [الآية: 103] مفروضاً محدود الأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في جميع الحالات.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَّةِ﴾ [الآية: 104] أي: لا تضعفوا ولا تجنبوا في طلب قتال الذين يكفرون ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [الآية: 104] والآية نزلت في بدر الصغرى امتحاناً للمؤمنين الذين يقاتلون ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 104] أي: ليس شيء عليه يخفى ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 104] فيما يأمر وينهى.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْكِتَابِ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بِهِ نَاسٌ﴾ [الآية: 105] بالصدق ﴿يَمَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الآية: 105] بسبب ما عرفك وأوحى به إليك ﴿وَلَا تَكُنْ لِلظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 105] أي: لأجلهم وللذب عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ [الآية: 105]

مجادلاً للبراء من غيرهم.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ [الآية: 106] أي: لتقصيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ [الآية: 106] لمن يستغفره ﴿رَجِيمًا﴾ [الآية: 106] بمن تشفع له وقيل واستغفر الله مما هممت به لما روي أنها نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة ابن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتصت الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له علم بها فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال: دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك 187/ ب وافتضح وبريء اليهود فهم رسول الله ﷺ أن يفعل فنزلت ولعل هذا الهم من الخواطر البشرية والعوارض النفسية التي لا تخلو عنها الأنفس القدسية من غير استقرار في المواطن القلبية فإنهم في أعلى مراتب الجمعية.

قال ابن عطاء: لتحكم فإنك ترى بنا وتنطق عنا وأنت بمراى منا ومسمع في حضرتنا.

وقال الأستاذ: لا تناضل عن أرباب الحظوظ وكن مع أبناء الحقوق ومن جنح إلى الهوى خان فيما أودع نفسه من التقوى ومن ركن إلى نوازع المني خان فيما طولب به من الحياء لا اطلاع المولى.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 107] أي: يخونونها بالمعصية وكسب الخطيئة فإن وبال خيانتها راجع إليها في عقوبتها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ ذا خيانة ﴿أَثِيمًا﴾ [الآية: 107] ذا إثم وسيئة قيل خيانة النفس اتباع مرادها وترك نصيحتها.

وأفاد الأستاذ: أنهم المؤثرون حظوظهم على حقوق مولاهم والراضون بالتعريض في أوطان هواهم دون التقاء إلى منازل رضاهم.

﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 108] يستترون حياء منهم وحقاً عنهم ﴿وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 108] وهو أحق بأن يستحي منه ويحذر عنه ﴿وَهُوَ

مَعَهُمْ ﴿الآية: 108﴾ لا يخفى عليه سرهم ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾ [الآية: 108] يدبرون ويزورون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الآية: 108] فيما يخاصمون من رمي البريء واليمين الكاذبة وشهادة الزور ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَصْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [الآية: 108] يحيط علمه بالكليات والجزئيات.

وأفاد الأستاذ: أن الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون أن الحق مطلع عليهم وناظر إليهم أولئك الذين وسم الله على قلوبهم بوسم الفرقة ليدوقوا في الآخرة ألم الحرق.

وفي «دقائق الحقائق» عن محمد بن الفضل من لم يكن ربه أعظم شيء في قلبه كان جاهلاً به.

﴿هَآأَنَّمْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 109] مبتدأ وخبر ﴿جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 109] خاضتم عن طعمة وقومه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 109] جملة مبينة لما قبله ﴿فَمَنْ يُجَدِّدْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 109] إذا أخذهم بالعقوبة ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الآية: 109] يدفع عنهم الفضيحة.

﴿وَمَنْ يَمْلَأُ سُوَاءًا﴾ [الآية: 110] قبيحاً يسوء به غيره ﴿أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾ [الآية: 110] لم يتعداه وخصه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ [الآية: 110] بالتوبة عن سوءه وظلمه ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ﴾ [الآية: 110] لذنبه ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية: 110] بمحو عيوبه.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ [الآية: 111] قاصراً ومتعدياً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الآية: 111] أي لا يتعدى وباله إلى غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية: 111] بفعله 188/أ ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 111] في جزائه.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ [الآية: 112] صغيرة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ [الآية: 112] كبيرة ﴿ثُمَّ يَرَمْ يَدَهُ﴾ [الآية: 112] بأحدهما ﴿بِرِيَاءٍ﴾ [الآية: 112] عن فعله ﴿فَقَدْ أَحْصَلَ﴾ [الآية: 112] تكلف في حمله أو اكتسب بجهله ﴿مُهْتَنًا﴾ [الآية: 112] افتراءً ظاهراً ﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [الآية: 112] ذنباً باهراً.

وأفاد الأستاذ: أن من نسب إلى البريء ما هو صفته من مخازيه عكس

الله عليه الحال فيما ينافيه وألبس ذلك البريء ثوب محنة من راميه وسحب ذيل العفو عن مساوئه وقلب الحال على المتعدي عن منواله بما يفضحه بين أشكاله في عامة أحواله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ [الآية: 113] بإعطاء رسالته ونبوته وتثبيت حفظه وعصمته ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [الآية: 113] أي: لأثر همهم فيك حين أرادوا أن يخدعوك ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ [الآية: 113] فإن وباله عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 113] لعصمتك عن موافقة قصدهم ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 113] القرآن والسنة بالوحي الجلي والخفي في كل قضية ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [الآية: 113] قبل ذلك من خفيات الأمور لك ولغيرك ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [الآية: 113] لأنه أعظم مظهر الفضل والفضيلة من أفراد المملكة من الأنبياء والملائكة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما عصمه عن ترك حقه عصمه بأن كف عنه كيد خلقه والمحفوظ منا محروس عن غيرنا وأن الله تعالى قد اختصك بإنزال الكتاب واستخلصك بوجوه الاختصاص والإيجاب ولم يمنّ عليه بشيء مثل ما منّ عليه بما خصه به من العلم ويحتمل أنه أراد به علمه بالله وبجلاله وعلمه بعبودية نفسه ومقدار حاله في استحقاق عزه وجماله ويقال علمك ما لم تكن تعلم من آداب الخدمة إذ لم يكن متلبساً عليك معرفة الحقيقة ويقال: أغناك عن تعليم غيرك حتى لا يكون لأحد نوراً إلا مقتبساً من نورك ومن لم يمش تحت رأيك لا يصل إلى جميل برنا ولا يحظى بقرينا ووصلنا وكان فضل الله عليك في الآباد عظيمًا لأنك كنت لنا بشرف العزة وكرم الرتبة في الآزال معلوماً ويقال وعلمك ما لم تكن تعلم من علو ربتك على كافة أبناء جنسك ويقال علمك ما لم تكن تعلم أن أحداً لا يقدر قدرنا إلا بمقدار موافقته لأمرنا.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ [الآية: 114] مصدر بمعنى الفاعل أي:

188/ب من متناجيهم/ ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [الآية: 114] فإن الدال على الخير كفاعله

﴿أَوْ مَصْرُوفٍ﴾ [الآية: 114] كالقرض وإغاثة الملهوف ونحوهما مما يستحسنه الشرع أو لا ينكره العرف من أهل استقامة الطبع ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 114] بتعهدهم وتفقدهم ودفع النزاع عنهم.

وأفاد الأستاذ: أن صدقتك على نفسك حملها على ما ينفعها ومنعها عن ما يضرها وأما صدقتك على الغير فصدقة بالمال من إنفاق النعمة وصدقة بالبدن بالقيام لهم بالخدمة وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة ثم الصدقة على الفقراء ظاهرة والصدقة على الأغنياء أن تجود عليهم بهم فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع منهم ومن المعروف إسعاد المسلمين فيما لهم فيه قرينة إلى الله وزلفى وأعلاه التواصي بالطاعة ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ولم يخرج بالانتقام لنفسه وحث الخلق على ما فيه نجاتهم بالهداية ولو بدعائه وسؤاله أو أصلح بين الناس بصدقة في حاله فإن لسان فعله أبلغ من بيان نطقه فهو الصديق في وقته ومن لم يهذب نفسه ولم يؤدب غيره ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ [الآية: 114] ما ذكر من الأمور الثلاثة ﴿أَتَتَعَا مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 114] أي: لا لسمعة ورياء ومتابعة هواه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ [الآية: 114] بعظمتنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 114] في دنياه وآخره وقرأ أبو عمر وحمزة بالياء أي: يؤتيه الله إذ لا معطي سواه.

﴿وَمَنْ يُسَاقِ الرَّسُولَ﴾ [الآية: 115] يخالفه ولم يوافقه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ [الآية: 115] أي: غير سبيل الهدى عن طريق الهوى بإتيان رسول المولى وكتابه الأعلى ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 115] أي: مما هم عليه من اعتقاد اليقين وأعمال الصالحين ﴿تَوَلَّوْا مَا تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 115] نجعله والياً لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره من تحمل وبال الأثقال ﴿وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 115] ندخله في مكان الحرقه ومقام الفرقة أزل الأزل ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية: 115] أي: مرجعاً من سوء المآل على ضد ما لهم من الآمال.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [الآية: 116] أي: لمن لقيه مشركاً من غير توبته ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 116] من معصيته ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 116]

لمن تعلقت مشيئته بمغفرته ولو كان مصراً على سيئته وفيه الوعد والوعيد فتكراره لدفع توهم النسخ أو للتأكيد ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 116] أ/189 عن الحق والهداية فإن الشرك أعظم/أنواع الضلالة وأبعدها عن صوب الصواب وطريق الاستقامة.

وأفاد الأستاذ: أن إثبات الغير في توهم ذرة من الإبداع عين الشرك وما دون الشرك فللعفو فيه مساغ ومن توسل إليه سبحانه بما توهمه من نفسه فقد أشرك من حيث لم يعلم كلا بل هو الواحد وما أحسن قول بعض أرباب الإشارة أخذاً من هذه العبارة كل ذنب لك مغفور سوى الإعراض عنا.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية: 117] ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّا إِنْثَاء﴾ [الآية: 117] من اللات والعزى ومناة والشمس والقمر والكواكب وسائر الجمادات ونحوها من جميع الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أنهم أوقعوا على الجمادات التسمية وانخرطوا في سلك التوهم من عدم المعرفة وركنوا إلى مغاليط الحساب بالغفلة فضلوا عن الحقيقة ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ﴾ [الآية: 117] ما يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [الآية: 117] لأنه الذي أمرهم بها وأمالهم إليها وأغواهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادته والمريد هو الخارج بالكلية عن الخير والحامل على الضلالة للغير.

﴿لَسَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 118] وأبعده عن رحمته مولاه ﴿وَقَالَ﴾ [الآية: 118] أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ [الآية: 118] بأن أغويهم وأضلهم ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [الآية: 118] مقداراً مقدراً معيناً معلوماً.

وقال مقاتل بن حيان: من كل ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

قال الواسطي: إن كان إليك شيء من القدرة والقوة فأغو أحد سوى ما جعل لك من النصيب المفروض فمن هنا يظهر عجزه ويتبين ضعفه. - - -

وأفاد الأستاذ: أن ما إبليس إلا مقلب في القبض على ما يريده المنشئ

ولو كان به ذرة من الإثبات لكان به شريكاً في الإلهية وكلا إنما يجري الحق سبحانه على الخلق أحوالاً ويخلق عقيب وساوسه للخلق ضلالاً فهو الهادي والمضل وهو سبحانه المصرف للكل فيخلق تعالى في قلوبهم عقيب وساوسه إليهم طول الأمل ويحسن في أعينهم قبيح العمل ثم لا يجعل لأمانيتهم تحقيقاً ولا يعقب لما أملوه تصديقاً فهو تعالى موجد تلك الآثار جملة ويضيفها إلى الشيطان مرة وإلى الكافر مرة فهذا معنى قوله:

﴿وَلَا تُضِلَّهُمْ﴾ [الآية: 119] أي: عن طريق الصواب وسبيل الثواب
 ﴿وَلَا تُمَيِّنْهُمْ﴾ [الآية: 119] الأمانى الباطلة بأن لا بعث ولا عقاب ولا حشر ولا حساب ويأمرهم/ بالتسويق في التوبة والتأخير عن الطاعة وبتزنيهم طول الحياة 189/ب وإدراك الآخرة من غير العباداة وبدون ترك المعصية وأمثال ذلك من أنواع الوسوسة ﴿وَلَا مُرْتَهُمْ﴾ [الآية: 119] بالأمور التي بلا منفعة للأنام أو فيه الآثام ﴿فَلْيَبْتَكَنْ أَذَاتُ الْأَنْعَامِ﴾ [الآية: 119] يشققونها لتحريم ما أحل الله من البحيرة ﴿وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيَغْرِزْكَ خَلْقُ اللَّهِ﴾ [الآية: 119] عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما فسر به من فقى عين الحامي والخصاء والوشم والوشر واللواط والسحق واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمال من الهدي ولا يوجب لها من الله الزلفى ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 119] بإيثار ما يدعوه إليه على ما دعاه إليه مولاه وبمجاوزته عن طاعة الله إلى طاعة من سواه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 119] لأنه ضيع رأس ماله وبدل حسن حاله بسوء مآله.

﴿يَعِدُّهُمْ﴾ [الآية: 120] ما لا يدركون ﴿وَيُمَيِّنُهُمْ﴾ [الآية: 120] ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية: 120] ما يغترّ به الغافل ويذهل عنه العاقل بإظهار الخير فيما فيه الشر لا غير وهذا الوعد إما للخواطر الفاسدة بإلغائه وإما بلسان أوليائه وقيل يعدهم طول العمر والموت غايتهم ويمنيهم الغنى والفقر سيبلهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إلا ما يقربهم من الدنيا ويبعدهم الأخرى.

﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ﴾ [الآية: 121] مرجعهم ومسكنهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ [الآية: 121] أي: نارها وخزيرها وعارها ﴿وَلَا يَحْذُونَ عَنْهَا حِصًّا﴾ [الآية: 121] معدلاً ومهرباً للخلاص منها.

وأفاد الأستاذ: إن الذين قسم لهم الضلالة في الحال حكم عليهم بالعقوبة في المال ولولا أنه أظهر ما أظهر بقدرته وإلا متى كانت شظية من الضلالة والهداية لأربابها والوقوف على صدق التوحيد عزيز، وأرباب التوحيد قليل كالإبريز.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية: 122] أي: حال كونهم مقدرين الخلود فيها سرمداً ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [الآية: 122] ثابتاً وصدقاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [الآية: 122] أي: قولاً وعداً كان أو وعيداً والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرائه بوعده الله الصادق لأوليائه والمبالغة في توكيده مرغبة للعباد في تحصيله 190/ أ وابتغاء/ تأييده.

وقال الأستاذ: أي الذين أسعدناهم حكماً وقولاً أنجدناهم حتى أوجدناهم كرمًا وطولاً ثم إما نحقق لهم الموعود من الثواب بما يكرمهم به من حسن المآب.

﴿لَيْسَ﴾ [الآية: 123] أي: حصول الدين ووصول اليقين أو ما وعد الله من الثواب ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾ [الآية: 123] بمجرد تمنياتكم أيها المؤمنون من أهل الخطاب ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 123] بل لا بد في الطاعة من الاكتساب وفي المعصية من الاجتناب ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ [الآية: 123] صغيراً أو كبيراً قليلاً أو كثيراً زمناً طويلاً أو يسيراً ﴿يُجْزَ بِهِ﴾ [الآية: 123] عاجلاً أو آجلاً وقد صح أن المصائب والأمراض في الدنيا جزاء كما رواه الترمذي وابن جرير وروى أحمد وابن حبان أنه لما أنزل قال أبو بكر: كيف الصلاح بعد هذه الآية يا رسول الله فقال عليه السلام غفر لك يا أبا بكر ألسنت تمرض ألسنت تصيبك اللاؤاء أي:

الشدة قال بلى يا رسول الله قال: فهو ما تجزون به⁽¹⁾ ﴿وَلَا يَجِدْ﴾ [الآية: 123] أي: لا يصادف عامل السوء قبل جزائه والعفو عن بلائه ﴿لَهُ﴾ [الآية: 123] أي: لنفسه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 123] من غيره ﴿وَلَيْتَا﴾ [الآية: 123] من يلي أمره فيما ينفعه ﴿وَلَا نَصِيرَا﴾ [الآية: 123] من يلي نصره في دفع ما يضره.

وأفاد الأستاذ: أن من زرع الحنظل لم يجتن الورد والعنبر ومن شرب السم الزعاف لم يجد طعم العسل كذلك من ضيع حق الخدمة لم يستمكن على بساط القرية ومن وسم بالشقوة لم يرزق الصفوة ومن نفتة القضية فلا ناصر له من البرية.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية: 124] بعضها أو شيئاً منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَذْرٍ﴾ [الآية: 124] بيان لمن الشرطية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية: 124] حال مقيدة إذ لا اعتداد بالعمل دون الإيمان والمعرفة ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الآية: 124] قرأ ابن كثير وأبو عمر وشعبة بصيغة المفعول ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [الآية: 124] مقدار نقير وهو النقرة التي في ظهر النواة والمعنى لا ينقص ثواب أعمالهم ولا يوضع عليهم من غيرهم أثقالهم.

وأفاد الأستاذ: أن من تعنى في خدمتنا لم يبق عن نيل نعمتنا بل من عنيانه في طلبتنا أكرمناه بوجودنا بل من جرعناه كأس اشتياقنا نولناه أنس لقائنا.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ [الآية: 125] أخلص نفسه أو قصده أو انقاد ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية: 125] ولا يعرف رباً سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية: 125] أتى بالحسنات تاركاً للسيئات ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 125] الموافقة لدين / 190 ب الإسلام المتفق على صحتها جميع الأنام ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 125] مائلاً عن الأديان

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (78/3) رقم (4450)، وابن حبان في الصحيح (170/7) رقم (2910)، وأبو يعلى في المسند (97/1) رقم (98)، وأحمد في المسند (11/1) رقم (68).

الباطلة إلى دين الحق الذي هو التوحيد الناشئ عن كمال المعرفة ﴿وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [الآية: 125] صفيّاً خالصاً ليس في محبته خلل أصلاً.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى لا أحد أحسن ديناً ممن أفرد قصده إلى الله وخلص عقده لله عما سوى الله ثم استسلم في عموم أحواله لله وبالله ولم يدخر شيئاً عن الله لا من ماله ولا من جسده ولا من روحه ولا من خلد له ولا من أهله ولا من ولده وكذلك كان حال إبراهيم عليه السلام والإحسان بشهادة الشرع أن تعبد الله كأنك تراه ولا بد للعبد من بقية من عين الفرق حتى يصح قيامه بحقوقه سبحانه لأنه إذا حصل مستوفي بالحقيقة لم يصح إسلامه ولا إحسانه وهذا اتباع إبراهيم عليه السلام الحنيف الذي لم يبق له منه شيء على وصف الدوام ثم جرد الحديث عن كل سعي وكد وطلب وجهه حيث قال ﴿وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [الآية: 125] فعلم أن الخلّة لبسة يلبسها الحق لا صفة يكتسبها العبد ويقال الخليل المحتاج بالكلية إلى الحق وكل نفس ليس له شيء منه بل هو بالله الله في جميع أنفاسه وأحواله اشتقاقاً من الخلّة التي هي الخصاصة وهي الحاجة ويقال أنه من الخلّة التي هي المحبة والخلّة أن تباشر المحبة جميع أجزائه ويتخلل سره حتى لا مساغ فيه للغير.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 126] ملكاً وخلقاً وملكاً يختار منهما من شاء ويبعد عن رحمته منهما من أساء ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [الآية: 126] إحاطة علم وقدرة بهم فكان عالماً بأعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها في مآلهم.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [الآية: 127] في ميراثهن أو في حسن المعاشرة مع اليتامى ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [الآية: 127] يبين لكم حكمه في حقهن ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [الآية: 127] عطف على اسم الله فالافتاء مسنداً إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: ﴿يُؤْمِرُكُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: 11] ونحوه باعتبارين

مختلفين ونظيره أغناني زيد وعطاؤه في أن المسند إليه بالحقيقة شيء واحد هو المعطوف عليه باعتبار المعطوف في ﴿فِي يَتَمَكَّى النِّسَاءِ﴾ [الآية: 127] أي: في

شأنهن ﴿الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [الآية: 127] أي: فرض لهن من ميراثهن وأوجب لهن من حسن معاشرتهن/ وإعطاء صدقاتهن ﴿وَرَعْبُونَ أَنْ تَكْهُوْهُنَّ﴾ 191/أ [الآية: 127] أي: في نكاحهن بجمالهن ومالهن ولا تعطون مهورهن وتأكلون مالهن أو عن نكاحهن لدمايتهن فنهاهم عن عضلهن ﴿وَالْمُسْتَضْعَيْنَ مِنْ أَوْلَادِنَ﴾ [الآية: 127] عطف على يتامى النساء إذ العرب ما كانوا يورثونهم كما لا يرثون الإناث منهم ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 127] أي: ويفتيكم في أن تقوموا لهم بالعدل في حقهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية: 127] أي: العلمي أو العملي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [الآية: 127] فيجازيكم على الجلي والخفي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نهاهم عن الطمع الذي يحملهم على الحيف والظلم على المستضعفين من النسوان واليتامى ويبين أن المنتقم لهم الله فمن راقب الله فيهم لم يخسر على الله بل يجد جميل الجزاء ومن تجاسر عليهم قاسى لذلك أليم البلاء.

﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ [الآية: 128] أي: علمت وتوقعت من زوجها لما ظهر لها من المخائل بعبوسة الوجه ونحوها ﴿شُؤْرًا﴾ [الآية: 128] ترفعاً عن صحبتها وتجافياً عن عشرتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [الآية: 128] بتقليل مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [الآية: 128] أي: على المرأة والزوج ﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾ [الآية: 128] بتشديد الصاد أي: يتصالحا ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [الآية: 128] بأن تحط بعض المهر أو القسم أو النفقة أو تهب له شيئاً تستميله به على طريقة الرفعة وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 128] أي: من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [الآية: 128] أي: جعلت حاضرة لخصلة البخل مطبوعة عليها فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقها بحط شيء من مهرها وقسمها ولا الرجل يسمح أن يمسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها.

قال الثوري: ألزمت الأشباح مخالفة الحق في جميع الأحوال وشحها ما

يضرها من طلب الدنيا وطول الآمال ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ [الآية: 128] العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ [الآية: 128] ما يوجب النفرة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 128] من الإحسان والخصومة ﴿حَيِّرًا﴾ [الآية: 128] به وبالغرض وسببه فيجازيكم على وفقه.

وأفاد الأستاذ: أن صحبة الخلق بعضهم مع بعض إذا تجردت عن حديث الحق فإنها بعرض الوحشة والملامة وممازجة النفرة والسامة فمن أعرض عن الله بقلبه أعرض الخلق عن مراعاة حقه وخرج الكافة عليه باستصغار أمره 191/ب واستحقار قدره/ ومن رجع إلى الله بقلبه استوى له في الجملة والتفصيل أمره واتسع لاحتمال ما يستقبله من سوء خلق الخلق صدره وهو يسحب ذيل العفو على هنات جميعهم وآثر الصلح بترك نصيبه وتسليم نصيبهم قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 128] أي: واتضاعك في نفسك عن منافرة من يخاصمك أجدى عليك وأحرى بك من تطاولك على خصمك بإيثار الانتقام وشهود مالك في مزية المقام وأكثر الناس في أثر هذه المحبة وشح النفس قيام العبد لحظه فلا محالة من حجب عن شهود الحق رد إلى شهود النفس.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [الآية: 129] أي: لن تطيقوا أن تساوا ﴿يِنَّ النِّسَاءِ﴾ [الآية: 129] أي: من جميع الوجوه لأن العدل هو أن لا يقع ميل البتة وهو متعذر على وجه الحقيقة لأنه لا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والتفات حسن العشرة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [الآية: 129] أي: ولو بالغتم غاية المبالغة في جهة العدالة ولذا كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ [الآية: 129] أي: إلى واحدة منها بترك المستطاع وبالجور على المرغوب عنها فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ [الآية: 129] أي الواحدة الأخرى ﴿كَالْمُحْلَقَةِ﴾ [الآية: 129] أي: التي ليست مزوجة ولا مطلقة فعنه ﷺ من كانت له امرأتان يميل مع إحدهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ [الآية: 129] ما أفسدتم من الأمر ﴿وَتَتَّقُوا﴾ [الآية: 129] ما ترتب عليه الوزر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الآية: 129] يغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم ويرحمكم بالحفظ عن

الوقوع في عيوبكم.

وأفاد الأستاذ: في معنى الآية من الإشارة أنكم إذا انتصبتُم في أموركم انعكس الحال عليكم وانعكس صلاح ذات بينكم فساداً لكم فإذا قمتم بالله في أموركم استوى العيش لكم وصفا عن الكدر وقتكم فلا تزيغوا عن نهج الأمر قفوا حيث ما وقفتُم وانفذوا فيما أمرتم.

وقوله: ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [الآية: 129] يعني أنكم إذا منعمتموهن عن صحبة أغياركم ثم قطعتم عنهن ما هو حظوظهن منكم أضررتم بهن من الوجهين لا منكم نصيب ولا إلى غيركم سبيل إلى حبيب وأن هذا الحيف عظيم عند كل لبيب والإشارة من هذا أنه إذا انسد عليك طريق حظوظك منك فتح عليك شهود حقه ووجود/ لطفه فإن من كان في الله تلفه فالحق سبحانه له خلفه وأن تصلحوا 192/أ ما بينكم وبين الخلق وتتقوا فيها بينكم وبين الحق فإن الله كان غفوراً لعبوبكم رحيماً بالعفو عن ذنوبكم.

﴿وَإِنْ يَنْفَرَا﴾ [الآية: 130] أي: وأن يتفارقا كما قرئ بها يعني وأن يفارق كل منهما صاحبه بقبول الفراق ووقوع الطلاق ﴿يُعْنِ اللَّهُ كِلَا﴾ [الآية: 130] أي: من الزوجين عن الآخر ببدل أو ما يتسلى به ﴿وَمِنْ سَعَتِهِ﴾ [الآية: 130] من فضله الواسع وغناه الشامل الشائع ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ [الآية: 130] في فضله ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 130] حكمة في حكمه وإتقاناً في فعله.

وأفاد الأستاذ: أن الصحبة التي لا بد منها صحبة القلب مع دوام الافتقار إلى الرب إذ الحق لا بد منه في الأول والآخر فلا حاجة لبعضهم إلى بعض إلا من حيث الظاهر وذلك في ظنون أصحاب التفرقة فأما أهل التحقيق والمعرفة فيعلمون أن حاجة الخلق بجملتها إنما هي إلى الله سبحانه بلا مزية ولا شبهة.

﴿وَلِلَّهِ مَكَانٌ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 131] تنبيه على كمال سعته وقدر في خلق العلويات والسفليات من جهة الطول والعرض ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 131] يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم من

العلماء وغيرهم والكتاب لجنس الخطاب ﴿وَإِنَّاكُمْ﴾ [الآية: 131] أي: ووصيناكم أيضاً يا أولي الألباب ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 131] أي: في جميع الأبواب ﴿وَأَن تَكْفُرُوا﴾ [الآية: 131] أي: بالبعد عن هذا الباب وقبول الطرد والحجاب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 131] أي: فاعلموا أن الله مالك الملك كله لا يتضرر بمعاصيكم وكفركم كما لا ينتفع بتقواكم وشكركم وإنما وصاكم لرحمته بكم وإصلاح أمركم لا لحاجته بعبادتكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ [الآية: 131] عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ [الآية: 131] في ذاته وصفاته حمداً لم يحمده أحد من مخلوقاته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كلف الكافة بالرجوع إلى الله ومجانبة من سواه والوقوف على حد أمره على وفق ما يرضاه وطبق ما قضاه ولكن فريقاً وفق وهدي وفريقاً خذل وأردى ثم عرف أهل التحقيق أنه غني عن طاعة كل ولي وبريء عن زلة كل غوي.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 132] كرهه تأكيداً للدلالة على كونه غنياً حميداً ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 132] فكلوا أمركم إليه وتوكلوا في جميع أموركم عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى قطع الأسرار عن التعلق بالأغيار بأن عرفهم 192/ ب انفرادهم بملك/ ما في السموات والأرض مع الطول والعرض ثم أطمعهم في حسن توليه ورعاية الحماية وقيامه بما يحتاجون إليه بجميل اللطف وحسن الكفاية بقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 132] وكيلاً يصلح بملكه حالك ولا يختزل مالك.

﴿إِن يَشَأْ﴾ [الآية: 133] أي: إذهابكم ﴿بِذَهَابِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [الآية: 133] بإفنائكم ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ [الآية: 133] أي: ويوجد قوماً آخرين مكانكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ [الآية: 133] أي: من إعدامكم وإيجاد غيركم ﴿قَدِيرًا﴾ [الآية: 133] تام القدرة كامل القوة والخطاب لمن عادى نبيه ﷺ من العرب فمعناه معنى قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: 38] لما رواه

الطبراني أنه لما أنزل ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِكُمْ﴾ [الآية: 133] ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمان وقال: إنهم قوم هذا⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن من استغنى عنه في آزاله فلا حاجة له في آباده ويقال لا نهاية للمقدورات فإن لم يكن عمرو فزيد وإن لم يكن عبد فعبيد والذي لا بدّ عنه ولا خلف فهو الواحد الأحد.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 134] كالمجاهد يجاهد للغنيمة والعابد يجتهد للرياء والسمعة ﴿فَوَسَدَ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 134] أي: فما له يطلب أحسهما فليطلبهما أو أنفسهما فإن من جاهد مخلصاً لم تخطئه الغنيمة ولم تفته رئاسة الولاية وله ما هي في جنبه كلا شيء في الآخرة والمعنى فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد من الأمرين كقوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: 20] فليختر العاقل اللبيب ما يعجبه من إعطاء الحبيب ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الآية: 134] عليمًا بأغراض عباده فيجازي كلاً بحسب مقاصده ومراده.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما علّقوا قلوبهم بالعاجل من الدنيا ذكرهم الله حديث العقبي فقال فعند الله ثواب الدنيا والآخرة تعريفاً لهم أن فوق همهم من هذه الخسيسة ما هو أعلى منها من نعيم الآخرة النفيسة فلما سمت قصودهم إلى العقبي قطعهم عن كل مرسوم ومخلوق بقوله ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾ [طه: 73].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُوتًا فَوَمِنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 135] أي: مبالغين في القيام بالعدل مواظبين على إقامته مجتهدين في إدامته/ ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 135] أي: 193/ أ مقيمين شهادتكم لا ابتغاء رضاه ﴿وَلَوْ﴾ [الآية: 135] أي: وإن كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 135] أي: بأن تقروا عليها وتعترفوا بها ولا يبعد أن يكون المراد بأنفسكم أولادكم ﴿أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية: 135] تعميم بعد تخصيص ﴿إِنْ

(1) تفسير الطبري (9/ 299)، وتفسير القرطبي (5/ 409).

يَكُنْ ﴿[الآية: 135] أَي المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ [الآية: 135] فكلوا أمره إلى الله ولا ترحموا فقره ولا ترهبوا غناه ﴿فَاللَّهُ أَوَّلَىٰ بِمَهْمَا﴾ [الآية: 135] أي: بالغني والفقير وحسن حالهما ومآلهما.

قال الجنيد: لن يصل إلى قلبك روح التوحيد وله عندك حق لم تقضه أو لم تؤده من حق العبيد ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [الآية: 135] أي: كراهة أن تعدلوا عن الحق والهدى وقيل: اتركوا الهوى لأجل أن تصيروا موصوفين بالعدل والهدى ﴿وَإِنْ تَلَوُا﴾ [الآية: 135] ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل والصدق بتحريفها وتغييرها من اللّي وقرأ ابن عامر وحمزة وإن تلوا من الولاية أي: لا تقبلوا على إقامة الشهادة والحكومة ﴿أَوْ تُقْرَضُوا﴾ [الآية: 135] عن أدائها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية: 135] فيجازيكم عليه قليلاً أو كثيراً صغيراً أو كبيراً.

وأفاد الأستاذ: إن أصل الدين إيثار حق الحق على حق الخلق فمن أثر على الله سبحانه إما ولداً وإما والدأ أو قريباً أو ادخر عنه نصيباً فهو بمعزل عن القسط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ [الآية: 136] أي: دوموا على الإيمان وأثبتوا على الإيقان لتصلوا إلى مقام الإحسان والعرفان ﴿بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُلِهِ﴾ [الآية: 136] وهو القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 136] أي: وجنس الكتب التي أنزلت من قبل ذلك المشتملة على الإيمان بجميع أنبيائه ورسله.

وقال الأستاذ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 136] من حيث البرهان آمنوا من حيث البيان إلى أن تؤمنوا من حيث الكشف والعيان ويقال آمنوا أنه وراء كل وصل وفصل ووجد وفقد ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 136] عن باب المقصود طريداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا﴾ [الآية: 137] أي: الذين تكرر منهم الارتداد وتركوا القرب واختاروا البعاد واستمروا عليه حتى

دخلوا طريق الميعاد ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 137] في تقصيرهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 137] لمقصدهم ومصيرهم في سيرهم.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 138] فيه إشارة إلى أن الآية السابقة في المنافقين والمتردددين/ والمرائين آمنوا في الظواهر وكفروا بالسرائر 193/ ب وماتوا على الكفر في الأواخر.

وأفاد الأستاذ: أن الذين تبدلت بهم الأحوال فقاموا وسقطوا ثم انتعشوا ثم عشروا ثم ختم بالسوء أحوالهم أولئك الذين قصمتهم سطوات العزة حكماً وأدركتهم شقاوة القسمة خاتمة وحالاً فالحق تعالى لا يهديهم لقصد ولا يدلهم على رشد فبشرهم بالفرقة الأبدية وأخبرهم بالحرقة السرمدية.

﴿الَّذِينَ يَخِذُّونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 139].

أفاد الأستاذ: أن من اعتصم بمخلوق فقد التجأ إلى غير مجير واستند إلى غير كهف وسقط في مهواة من الغلط بعيد قعرها شديد مكرها ﴿أَيَّبْنُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ﴾ [الآية: 139] أي: يتعززون بمموالاتهم ويتوقعون لهم الغلبة ﴿فَإِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 139] أي: له القدرة والقوة فلا يتعزز إلا من أعزه وقد كتب الله العزة لأوليائه والذلة لأعدائه بقوله والله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا يؤبُّه عزة غيرهم الصورية المجازية الفانية بالإضافة إلى عزتهم المعنوية الحقيقية الباقية.

قال الحسين: من اعترز بغير الحق فعزه الذل المحقق.

وأفاد الأستاذ: إن الذي أصابه ذل التكوين متى يكون له عز على التحقيق والتبيين ومن لا عز له يلزمه فكيف يكون له عز يتعدى إلى غيره ويقال لا يدري أي حالهم أقبح؟ طلب العز وهم في ذل القهر وأسر قبضة الله أو حسابان ذلك وتوهمه مما سواه ويقال لو هودوا بوجودان العز لما صرفت قصودهم إلى من ليس بيده شيء من الأمر ﴿فَإِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 139] والعز على قسمين عز قديم فهو لله وصفاء وعز حادث يختص سبحانه به من يشاء من عباده فهو له تعالى ملكاً ومنه لطفاً.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾
 [الآية: 140] أي: جادين فيها أو هازلين منها ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [الآية: 140] أي:
 لثلا يكونوا سبباً لكفرهم أو شريكاً في وزرهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
 [الآية: 140] أي: حتى يشرعوا في كلام على غير ذلك النظام.

وقال الأستاذ: لا تجاوروا أرباب الوحشة ولا تصاحبوا أصحاب الغفلة
 فإن ظلمات أنفسهم تتعدى إلى قلوبكم عند استنشاقكم ما يردونها من
 أنفاسكم ومن كان بوصف ما متحققاً شاركة حاضروه فيه حقاً فجليس من هو
 194/ أ في أنس مستأنس وجليس من/ هو في ظلمة متوحش ويقال هجران أعداء الحق
 فرض محتّم ومخالفة الأضداد ومفارقتهم دين لازم والركون إلى أصحاب
 الغفلة قرع باب الفرقة ﴿إِنكُمُ إِذَا﴾ [الآية: 140] إذا قعدتم ﴿مَعَهُمْ﴾ [الآية: 140]
 أي: في الإثم شريكاً لهم إذا قدرتم عن الإعراض عنهم والإنكار عليهم وقد ورد
 «المرء على دين خليله فلينظر من يخالله»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: إن أوضح برهان على سريرة الرجل صحبة من يقارنه
 وعشرة من يخادنه فالشكل مقيد بشكله والفرع منتشر عن أصله ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 140] أي: كما اجتمعوا على الاستهزاء
 بالآيات جمعاً.

﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ﴾ [الآية: 141] أي: ينتظرون وقوع المكروه لكم ﴿فَإِنْ
 كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 141] أي: نصرة وغنيمة ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 141] أي:
 للمؤمنين منكم ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ [الآية: 141] في الدين والنصرة فاشركونا في
 سهام الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ [الآية: 141] أي: حظ من الغلبة والقوة
 ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 141] أي: للكفرة ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 141] ألم نغلبكم
 ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم وأوفينا الأمر إليكم ﴿وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 188) رقم (7319)، والترمذي في الجامع الصحيح
 (4/ 589) رقم (2378)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 55) رقم (9436)، وأحمد في
 المسند (2/ 303) رقم (8015).

[الآية: 141] أي يتشبّطهم عنكم وتخويفهم منكم بالهزيمة فشاركونا فيما أصبتم من نعمة الغنيمة ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 141] بما يعلم منكم من السريرة ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 141] أي: حجة في العقبي أو استيلاء كلياً في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن المنافقين لما عدموا الإخلاص في الحقيقة وما ذاقوا فيما استشعروا من العقيدة امتازوا عن المسلمين في الحكم وباينوا الكافرين في الاسم وأوجب على أهل الحق التحرز عنهم والتحفظ منهم ثم ضمن لهم سبحانه جميل الكفاية وجزيل الحماية بقوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [الآية: 141] وعداً على العموم فإن وبال كيدهم إليهم مصروف وجزاء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل الحق سبحانه منصور أهله والباطل بنصر الحق مجتث أصله.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [الآية: 142] أي: بزعمهم أو يخادعون أولياءه ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [الآية: 142] أي: مجازيهم على خداعهم أو معاملهم على وفق أعمالهم في تزين أحوالهم إساءة آمالهم.

وأفاد الأستاذ: إن خداع المنافقين إظهار الوفاق في الطريقة واستشعار الخلاف في العقيدة وخداع الحق إياهم ما توهموه من الإخلاص وحكموا به لأنفسهم من استحقاق الاختصاص فإذا كشف الغطاء أيقنوا أن الذين ظنوه شراً كان سراًباً ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا﴾ [الآية: 142] أي: كالمكره 194/ب على الفعل ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [الآية: 142] أي: يبالغون في رياء الناس من غير حقيقة الاستئناس ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 142] إلا ذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً وفيه إيماء إلى أن أهل الدنيا لا يوفقههم الله أن يذكروا الله كثيراً وأن ذكرهم ولو كثير في العد لا يكون إلا قليلاً غير معتد وأن ذكر أهل الإخلاص وإن كان قليلاً في المبنى فهو كثير في المعنى.

وأفاد الأستاذ: أن علامة النفاق وجود النشاط عند شهود الخلق وفنور العزم عن فوات رؤية الحق بخلاف أهل الإخلاص حيث لا نظر لهم إلا إلى

الحق ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 143] أي: مترددين في أمر الدين ومتحيزين بين أصحاب الكفر وأرباب اليقين.

﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 143] منسوبين ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 143] منصوبين فليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرين ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 143] أي: طريق رضا.

وأفاد الأستاذ أن أحسن الخلق من نزع صدار العبودية ولم يجد له سبيلاً إلى حقيقة الحرية فلا له من العز شظية ولا في الغفلة هنية.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْجِئُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 144] فإنه صنيع المنافقين ودأب المرائين ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [الآية: 144] حجة بينة في عقابكم بموالاةكم لأعداء دينكم.

وأفاد الأستاذ: إن من بقي من الحق بقي مع الخلق فيتضاعف عليه البلاء.

﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ الثَّارِ﴾ [الآية: 145] حيث خادعوا المسلمين وباطنوا الكفار وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة بمعنى الطبقة ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [الآية: 145] يدفع العذاب عنهم زمناً سيراً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [الآية: 146] عن النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ [الآية: 146] العمل على وجه الوفاق ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية: 146] وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [الآية: 146] لا يريدون بطاعته غير رضاه ولا يلتفتون في أمورهم إلى ما سواه ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 146] في زميرتهم ومعدودين في جملتهم.

قال ابن عطاء: ولم يقل من المؤمنين في القسم الأول ليعلم أن الاجتهاد لا يؤثر في سبق الأزل.

وأفاد الأستاذ: إن هذا إشارة إلى نقصان رتبهم وإن تداركوا بإخلاصهم ما سبق من آفاتهم.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَا يُدْرِكُكُمْ﴾ [الآية: 147] استفهام وقع إنكار أي: يتشفى به غيظاً أو يدفع به ضرراً ويستجلب/ به نفعاً وهو الغني المتعالي ذاتاً ووصفاً ﴿إِنْ 195/أُشْكِرْتُمْ﴾ [الآية: 147] أي: المنعم الحقيقي على نعمه ﴿وَأَمْسَتْ﴾ [الآية: 147] به وفيه إيماء إلى أن شكر المنعم واجب على العبد ولعل تقديمه على الإيمان لأنه وسيلة إليه وبمنزلة حجة عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ [الآية: 147] مجازياً بالعتاء الجزيل على العمل القليل ﴿عَلِيمًا﴾ [الآية: 147] بظاهرهم وباطنكم وشكرهم وإيمانكم.

وقال الحسن: ما يفعل الله بتعذيبكم أنفسكم في المجاهدات إن شكرتم أي: طالعتهم إحساني إليكم وقطعتهم الهمم عن مراقبة غيري عليكم.

وأفاد الأستاذ: إن معنى الآية لا يعذبكم الله عذاب التخليد إن شكرتم في الحال وآمنتم في المال ويقال إن شكرتم وآمنتم صدقتم بأن نجاتكم بالله وإحسانه بكم ولا بشكركم وإيمانكم ويقال الشكر شهود النعمة من الله والإيمان رؤية الله في النعمة فكأنه قال إن شاهدتم النعمة من الله ثم لا يقطعكم شهود النعمة عن شهود المنعم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [الآية: 147] أي: مادحاً للعبد ومثنياً عليه مع ما يعلم من أعماله الصاعدة إليه فإن الله يثني على العبد بما يفعله من الطاعة مع عمله بما تصدر عنه من المعصية ويقال يشكره لأنه يعلم أنه لا يعصي في أمره وقصده مخالفة ربه ولكنه يذنب لاستيلاء أحوال البشرية من غلبة الشهوات النفسية ويقال يشكره لأنه يعلم أن العبد يعلم في حال عيوبه أن له رباً غافراً لذنوبه.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الآية: 148] أي: من الكلم الصادرة عن كل أحد ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [الآية: 148] أو إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه عند الحاكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ مَعِيماً﴾ [الآية: 148] بأقوالكم ﴿عَلِيمًا﴾ [الآية: 148] بأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: إن قول المظلوم في ظالمه على وجه الإذن ليس بسوء في الحقيقة لكنه يصح وقوع لفظة السوء عليه بالمشاكلة كقوله ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئًا سَيِّئًا

مَثَلُهَا» [الشورى: 40] والجزاء ليس بسيئة ويقال إن من علم أن مولاه يسمع ويعلم ما يجري عليه استحي من النطق بكثير مما تدعوه نفسه إليه ويقال من لم يؤثر مدح الحق على قدح الخلق لمغبون في الحال عن درجة أهل الكمال ويقال من طالع الخلق بعين الإضافة إلى الحق بأنهم عبيد لله لم يبسط فيهم لسان اللوم فإن ب/195 الرجل من القوم يقول لصاحبه أنا أحتمل من أدون خدمك حرمة/ لك ما لا أحتمله من ولدي فإذا كان مثل هذا معهوداً بين الخلق فالعبد بمراعاة هذا الأدب بينه وبين مولاه أولى ويقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا يحب ذلك بخطوره ببال خواصه الكرام.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ [الآية: 149] أي: تظهروا طاعة وبراً ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ [الآية: 149] تفعلوه سرّاً فإن الله كان به عليماً خبيراً ﴿أَوْ تَقْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ [الآية: 149] يقتضي لكم خيراً ويوجب لأمركم شراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيراً﴾ [الآية: 149] يكثر العفو عن عصاة الأنام مع كمال قدرته على الانتقام فتخلقوا بأخلاق الملك العلام ومعنى الآية بطريق الإشارة أن تبدوا خيراً تخلقاً بأداب الشريعة أو تخفوه تحقّقاً بأحكام الطريقة أو تعفوا عن سوء تعلقاً بأبواب الحقيقة فإن الله كان عفواً بعبوبكم وذنوبكم قديراً على تحصيل محبوبكم وتحقيق مطلوبكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 150] كاليهود والنصارى في فعلهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 150] بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضِ﴾ [الآية: 150] أي: من الرسل والأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضِ﴾ أي: من أهل الاصطفاء ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُشْجِدُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 150] بين ما ذكر من الأمر ﴿سَبِيلاً﴾ [الآية: 150] طريقاً زائفاً عن حق المرء متوسطاً بين الإيمان والكفر.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية: 151] أي: الكاملون في كفرهم حيث لا ينفعهم بعض إيمانهم وشكرهم حقاً أي: يقيناً محققاً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ [الآية: 151] لإهانتهم بعض أهل الحق ﴿جَزَاءً وَفَاقاً﴾ [النبأ: 26].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 152] أي: بجميعهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ

وَمِنْهُمْ ﴿الآية: 152﴾ في الإيمان بهم لا في تفضيلهم لقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ [الآية: 152] أي: بعظمتنا ﴿أَجُورُهُمْ﴾ [الآية: 152] الموعودة من رحمتنا وقرأ حفص بالغيبة على تلوين المخاطبة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا﴾ [الآية: 152] لهم فيما فرط من سيئاتهم ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية: 152] عليهم بتضعيف حسناتهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية من الإشارة أن من لم يخرج عن عهدة الإلزام بالكلية فليس له من حقيقة الوصل شظية قال ﷺ: «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»⁽¹⁾ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 153] أي: ممن أخطأ في مسلك الخطاب ﴿أَنْ تُزِيلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية: 153] أي: جملة كما أتى به موسى على ما أخبر به سبحانه عنهم بقوله: فلما جاءهم بالحق من عندنا/ 196 أ قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ [الآية: 153] فيه تقييد لأقوالهم وتنقيص لمرتبهم وأحوالهم والسؤال الثاني وإن كان من آبائهم لكن أسند إلى أبنائهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لمبشرهم والمعنى إن عرفهم راسخ في ذلك وإنما اقترحوا هنالك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم في تلك المسالك والتقدير إن استعظمت ما سألوهم منك فقد سألوا موسى أعظم من ذلك ﴿فَقَالُوا إِنَّا نَأْتِيكَ بِجَهَنَّمَ﴾ [الآية: 153] أي: معاينة ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْقَةَ﴾ [الآية: 153] أي: نار نازلة من السماء مهلكة ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ [الآية: 153] أي: بسببه وهي تعنتهم وعنادهم أو سؤالهم بما يستحيل شرعاً بالنسبة إلى حالهم ﴿ثُمَّ أَخَذُوا الْوَجَلَ﴾ [الآية: 153] أي: إلهاً لميلهم إلى المحسوس دون المعنى المأنوس ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الآية: 153] أي: المعجزات الواضحات ﴿فَعَقَوْا عَنْ ذَلِكَ﴾ [الآية: 153] حيث قبلنا توبتهم ولم نستأصلهم هنالك ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [الآية: 153] تسلطاً ظاهراً ونصراً باهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم العجل وكفرهم قيل أعطي سلطاناً على نفسه في مخالفتها حالة أنسه وقيل: قوة عظيمة في استماع المخاطبة من كلام الحضرة.

وأفاد الأستاذ: إن الإشارة في الآية أن من يكتفي بأن يكون العجل معبوده متى يسلم له أن يكون الحق مشهوده.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ [الآية: 154] بسبب أخذ ميثاقهم ليقبلوه عند امتناعهم قبول شريعة التوراة فيما كلفوه من الأمور الشاقة ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: على لسان موسى عليه السلام عند دخول القرية المعروفة ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ﴾ [الآية: 154] أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾ [الآية: 154] أي: ساجدين أو متواضعين أو منحنين ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: على لسان داوود عليه السلام ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [الآية: 154] أي: لا تظلموا في تعظيمه بترك اصطياد السمك فيه وقرأ نافع بتشديد الدال على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال بعد نقل حركة التاء إلى العين فروي قالوا: بإخفاء الحركة وورث بإتمامها ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الآية: 154] أي: عهداً مؤكداً على جميع ذلك وهو قولهم: سمعنا وأطعنا أولاً ثم نقضهم بقولهم سمعنا وعصينا آخرًا.

196/ ب ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ﴾ [الآية: 155] ما مزية للتأكيد/ في القضية والباء للسببية متعلق بفعل محذوف والفاء عاطفة على مقدر أي: فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا ببعضهم والأولى أن يقدر لعناهم كما جاء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: 13] فالمراد بالميثاق المنقوض وهو كتمانهم بعث محمد ﷺ في كتابهم أو تركهم العمل بما في خطابهم.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى لارتكابهم هذه المناهي واتصافهم بهذه المخازي أحللناهم منازل الهوان وأنزلنا بهم من العقوبة والخذلان فنون الألوان ﴿وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 155] أي المتلوة أو المعجزة أو الآفاقية والأنفسية ﴿وَقُلُوبُهُمُ الْأَنْبَاءُ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الآية: 155] أي: بغير جناية شرعية بل لمجرد عناد وشهود نفسية ﴿وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [الآية: 155] أوعية للعلوم لا تحتاج إلى شيء آخر من المرقوم أو ﴿فِي أَصْكَنتِ وَمَا نَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: 5] أي: في غطاء لا نسمع ما تقول وتدل عليه ﴿بَلْ طَلَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [الآية: 155] فجعلها محجوبة عن العلم بالذات والصفات أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في

الآيات والتذكر بالموعظات ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: 155] كعبد الله بن سلام وأصحابه أو إيماناً قليلاً لا عبرة به لنقصانه.

﴿وَيَكْفُرْهُمْ﴾ [الآية: 156] بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 156] يعني بنسبتها إلى الزنى بعد ثبوت براءتها على خلاف جماعة آخرين من أهل الضلالة حيث عظموها فوق رتبته.

قال الأستاذ: وكانت مريم ولية الله فشقي بها فرقان أهل الإفراط وأهل التفريط وكذلك كان أولياء الله سبحانه فمنكرهم شقي بترك احترامهم والذين يعتقدون فيهم ما لا يستوجبون يشقون بالزيادة في إعظامهم.

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ [الآية: 157] أي: افتخاراً ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الآية: 157] أي: بزعمه أو سموه رسولاً استهزاءً أو استثناءً من الله له ثناء ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [الآية: 157] أي: حقيقة فهم في مقولهم كذبة ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾ [الآية: 157] أي: وقع التشبه بين عيسى ومقتولهم حيث ألقى الله شبهه على رجل منهم من أراد قتله فيهم فقتلوه وصلبوه من غير علمهم وقد قيل من حفر لأخيه وقع فيه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [الآية: 157] في شأن عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ [الآية: 157] أي: تردد من قتله ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ﴾ [الآية: 157] أي: لكنهم يتبعون الظن في أمره ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [الآية: 158].

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 158] / أي: إلى محل ظهور سلطانه والمراد به 197/أ ردوا إنكاراً لقتله وإثباتاً لرفعه ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَظِيْبًا﴾ [الآية: 158] أي: غالباً على أمره ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 158] في قضائه وقدره.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ [الآية: 159] أي: بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [الآية: 159] أي: الكتابي وهو وقت البأس وزمان اليأس حيث لا ينفع إيمان الناس وقيل: الضميران لعيسى والمعنى أنه إذا أنزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً بلا مرأ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [الآية: 159] بأنه قد بلغ الرسالة وأقر على نفسه بالعبودية.

﴿فَيُظْلَمُ مِنْ أَلَدَيْنِ هَادُوا﴾ [الآية: 160] أي: بسبب ظلم عظيم صدر منهم

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [الآية: 160] أي: المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ﴾ [الأنعام: 146] الآية ﴿وَيَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الآية: 160] أي: وبمنعهم عن طريق الحق ناساً كثيراً ومنعاً كثيراً.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ [الآية: 161] أي: في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمُ أَقْوَالِ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ [الآية: 161] بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 161] دون التائبين من المؤمنين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 161] وحجاباً مستديماً.

وأفاد الأستاذ: إن ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات فمن ركب محظوراً بظاهره حرم ما كان يجده من الأحوال المباحة له والألطف الحاصلة له في سرائره.

﴿لَنْ كُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 162] أي: الثابتون في علم اليقين كابن سلام وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 162] أي سائر المؤمنين منهم لأن الكلام معهم أو من غيرهم بعمومهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية: 162] الجملة خبر المبتدأ ﴿وَالْمُقْسِمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 162] نصب على المدح ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 162] بتقديرهم على سبيل القطع مفيد للمدح أيضاً لهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 162] أي: إجمالاً وتخصيصاً كما آمنوا بما سبق تفصيلاً أو تعميماً ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ [الآية: 162] أي: بعظمتنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: 162] حيث جمعوا بين الإيمان الصحيح والعمل النقيح وقرأ حمزة بالغيبة على تلوين العبارة قيل الراسخون في العلم هم العلماء بالله ذاتاً ووصفاً والعلماء بأمر الله وجوباً ونهياً والمتبعون سنة رسول الله ثبوتاً ونهياً.

وأفاد الأستاذ: إن الراسخ في العلم هو أن يكون في الدليل مجتهداً وأن لا يكون في الحكم مقلداً بل يضع النظر في موضعه إلى أن ينتهي إلى حد لا 197/ ب يكون مساغ للشك في عقله ويقال الراسخ في العلم من يرتقي عن حد تأمل/ البرهان ويصل إلى حقائق البيان ويقال الراسخ في العلم أن يكون بعلمه عاملاً حتى يفيد عمله علم ما خفي على غيره ففي الخبر «من عمل بما علم ورثه

الله علم ما لم يعلم».

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية: 163] أي: عموماً ولعل الابتداء بنوح لأنه أول من كفر به أمته بخلاف آدم وشيث وإدريس عليهم السلام ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [الآية: 163] ابني إبراهيم ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية: 163] ابن إسحاق ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾ [الآية: 163] أولاد يعقوب أو أحفاد إبراهيم ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الآية: 163] خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقيين مشاهيرهم ﴿وَعَائِشَةَ دَاوُدَ زُورًا﴾ [الآية: 163] وقرأ حمزة بالضم أي: كتاباً مزبوراً فيه أنواع الوعظ مسطوراً ﴿وَرُسُلًا﴾ [الآية: 164] أي: وأرسلنا رسلاً ﴿فَدَقَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 164] أي: من قبل هذه السورة أو هذه المدة ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [الآية: 164] أي: قبل ذلك أو مطلقاً لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78] .

وأفاد الأستاذ: إن سنة الله في أوليائه ستر قوم وشهر قوم وبذلك جرت سنته أيضاً في أنبيائه أظهر أسماء قوم وأجمل تفصيل ذكر آخرين والإيمان واجب لجميع الأنبياء عليهم السلام جملةً وتفصيلاً كما أن الاحترام واجب لجميع الأولياء تعميماً وتخصيصاً وكذلك أحوال العباد ستر عليهم بعضها وأظهر لهم بعضها ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الآية: 164] وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم كما أن الخليل خص بالخلعة من جملتهم وقد أعطى نبينا ﷺ مثل ما أعطى كل واحد منهم.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 165] بالثواب على الطاعة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ [الآية: 165] بالعقاب على المعصية ﴿لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ [الآية: 165] أي: معذرة ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [الآية: 165] فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وقف الخلق عند مقاديرهم وبين أنه أرسل

إليهم الرسل لتوفر دواعيهم إلى اجتناب ثوابهم واجتناب ما فيه استحقاق عذابهم وأنه ليس للخلق سبيل لا إلى راحة يطلبونها ولا إلى آفة يجتنبونها إما في الحال وإما/ في المآل ومن له إلى الله حاجة فأنى يكون له على الله حجة 198/أ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية: 165] غالباً على أمره ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية: 165] في قضائه وقدره ونزل في جماعة من اليهود قال لهم رسول الله ﷺ: إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله فقالوا: ما نعلم ذلك. ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [الآية: 166] أي: متلبساً بعلمه الخاص بدأ الذي أراد به أن يطلع عليه بعض عباده من صفاته ومغيباته أو أوامره ونواهيه أو أنزله إليك عالماً بأنك أهل لإنزاله عليك ﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [الآية: 166] أيضاً بنبوتك ﴿وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية: 166] قيل: هو الشاهد عليك وعلى خواطرك وأنفاسك فاتقه فيها. وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه سلاه عند تكذيب الخلق إياه بما ذكره من علم الله بصدقه فيما ادعاه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 167] أي: بأنفسهم ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 167] أي: منعوا غيرهم عن سلوك دينهم ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآية: 167] أي: عن الحق في الحال والمآل لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ [الآية: 168] أي: استمروا على كفرهم وأصروا على ظلمهم ﴿لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 168] أي: بعدما ماتوا على قبح حالهم وسوء مآلهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [الآية: 168] إلى الحق في الدنيا.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 169] أي: العقبى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية: 169] لجري حكمه السابق على وفق علمه اللاحق ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 169] أي: ما ذكر من عدم الغفران ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية: 169] سهلاً لا يصعب عليه ولا يستعظم لديه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 170] بالأمر الثابت والقول الصدق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 170] ﴿فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [الآية: 170] أي: إيماناً خيراً لكم أو يكن الإيمان خيراً لكم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه أخبر أنه غني عنهم فإن آمنوا فحفظوا أنفسهم اكتسبوها وإن كفروا فلأباهم لأنفسهم اجتلبوها والحق تعالى منزله الوصف عن التجمل بالوفاق والتنقص بالخلاف والشقاق ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ [الآية: 170] فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بشكركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 170] ملكاً وملكاً كرهاً وطوعاً ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ [الآية: 170] بأحوالكم ﴿حَكِيماً﴾ [الآية: 170] فيما دبر لكم.

وأفاد الأستاذ أن المراد به أنهم إن خرجوا عن استعمال العبودية فعلاً لم يخرجوا عن حقيقة كونهم عبيده خلقاً كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] انتهى ولعل اختيار ما في آية تغليباً لأفراد الأكثر من غير ذوي العقول واعتبار/ من في أخرى تغليباً لأشرف 198/ ب الخلق من ذوي الفحول.

﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبَ لَا تَسْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [الآية: 171] أي: لا تجاوزوا عن صوب الصواب ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 171] أي: ولا تنقلوا عنه ﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الآية: 171] أي: نقل الحق وقول الصدق المنزه عن الصاحبة والولد حيث أنه صمد لم يكن له كفواً أحد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 171] أي: لا أنه ولد الزنى كما بهت اليهود ولا ابن الله كما تفوهت النصارى ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ [الآية: 171] أي: أوجده بكلمة كن على ما قيل وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿أَلْقَنَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [الآية: 171] أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل في جيب درعها ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [الآية: 171] أي: وذو روح شريف صدر عنه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له وقيل: سمي روحاً مبالغة لأنه كان يحيي الأموات الحسية أو القلوب القسية ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 171] جميعاً من غير تفرقة ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ [الآية: 171] أي: آلهتنا ثلاثة الله والمسيح ومريم ﴿أَنَّهُنَّ﴾ [الآية: 171] أي: عن التثليث ﴿خَبَرًا لَكُمْ﴾ [الآية: 171] نصبه كما سبق ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الآية: 171] الذات لا تعدد فيه بوجه ما في جميع الكائنات ﴿سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الآية: 171] أي: أصبح نسيحه وأنزه تنزيهه من أن يكون له ولد فإنه إنما يكون لمن له مثل وكفو وينتظر إليه فناء ﴿لَهُ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿الآية: 171﴾ والملائكة تنافي الولدية ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية: 171] أي: موكولاً إليه أمر من يخالفه ويوافقه في القضية.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ [الآية: 172] أي: لن يأنف ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [الآية: 172] فإن عبوديته شرف يتباهى به من سواه ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الآية: 172] بأجمعهم مع كمال قربهم ووقوفهم في مرتبة جمعهم وكونهم أقوى من غيرهم في نحو قلع الجبال والتصرف في سائر الأحوال وما أحسن من قال: لا تدعني إلا بيا عبداً فإنه أشرف أسمائي⁽¹⁾

﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [الآية: 172] أي: ولو على توهم استحقاق كرامته ﴿وَسَتَكْفُرُ﴾ [الآية: 172] أي: يتكبر عنها مع أنفة من غير توهم فضيلة ﴿فَسَيَحْشُرُهُمُ﴾ [الآية: 172] أي: مع غيرهم ﴿إِلَٰهًا جَمِيعًا﴾ [الآية: 172] فيجازيهم جزاءً بديعاً منيعاً.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [الآية: 173] أي: يعطيهم ثوابهم كاملاً ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 173] أي: زيادة على ما يقتضيه عدلاً ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 173] أي: على وفق ما كان سبحانه بهم/عليماً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 173] أي: مما سواه ﴿وَلِيًّا﴾ [الآية: 173] ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية: 173] يدفع العذاب عنهم.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ﴾ [الآية: 174] أي: دليل عقلي وتبيان جلي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [الآية: 174] فالمعجزات هو البرهان والنور هو القرآن أي: جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة ولا وجه من وجوه الحجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾ [الأنعام: 149].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ [الآية: 175] أي: لم يعتمدوا على ما سواه فصاروا ممن قام في مقام العبادة لله والتوكل على مولاه ﴿فَسُبِّحْتَ لَهُمْ فِي

(1) نسب إلى الأعشى انظر: زهر الأكم (64/1).

رَحْمَةً مِنَّهٖ ﴿[الآية: 175] أي: ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه وعدلاً
 ﴿وَفَضْلٍ﴾ [الآية: 175] أي: إحسان زائد على قدر استحسانه كرمافاً وفضلاً
 ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ﴾ [الآية: 175] أي: إلى قربه أو مكان وعده ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾
 [الآية: 175] بالجمع بين العلم النافع والعمل الرافع وقيل: هو الإسلام والطاعة
 في الدنيا وطريق الجنة في العقبى.

وأفاد: الأستاذ أنه يحفظ عليهم إيمانهم عند التوفي في المال كما ألزمهم
 بالإيمان والعرفان في الحال وهدايتهم هي إكرامهم بأن عرفوا أن هذه الهداية
 من الله تفضلاً لهم لا أنهم استوجبوها بطلبهم وجهدهم ولا بتعبهم وكدهم.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [الآية: 176] أي: في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه على
 وجه الجلالة فقد روي في الصحيحين وغيرها أن جابر بن عبد الله كان مريضاً
 فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما
 نزل من الأحكام ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [الآية: 176] سبق أن الكلالة من
 لا والد له ولا ولد وهو أعم من أن يكون رجلاً أو امرأة فالأخت لا بد أن تكون
 كلالة لأنها مذكورة في جواب فتوى الكلالة ﴿إِنْ أُمْرَأًا هَلَكَ﴾ [الآية: 176] أي:
 مات ﴿لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ﴾ [الآية: 176] أي: لا ذكر ولا أنثى ولا والد أيضاً فإن الأخت
 لا ترث مع الأب ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ [الآية: 176] أي: من الأبوين أو الأب فإن ولد
 الأم مضى حكمه في أول السورة ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ [الآية: 176]
 أي: والمرء يرث جميع مال أخته إن كان الأمر بالعكس ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾
 [الآية: 176] أي: ذكر وأنثى ولا والد أيضاً ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ [الآية: 176] أي:
 فصاعداً على ما في «المدارك» وغيره ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [الآية: 176] أي:
 الأخ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ [الآية: 176] أي: من يرث بالأخوة ﴿إِخْوَةً﴾ [الآية: 176] أي:
 وأخوات فغلب المذكر أو اكتفى به ﴿رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ 199/ ب
 اللَّهُ لَكُمْ ﴿[الآية: 176] يبين الله لكم طرق هدايتكم في أمر دينكم ومعيشتكم
 ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ [الآية: 176] كراهة أن تقعوا في الضلالة وتميلوا عن الهداية ﴿وَاللَّهُ
 يَكُلِّ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 176] فهو عالم بمصالح العباد في المعاش والمعاد.



سورة المائدة

[مدنية]

وهي مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ إن سماع اسم الله يوجب الهيبة والهيبة تتضمن الغناء والغيبة وسماع الرحمن الرحيم يوجب الحضور والأوبة والحضور يتضمن البقاء والقربة فمن أسمعته بسم الله أدهشه في كشف جلاله ومن أسمعته الرحمن الرحيم عيشه بلطف أفضاله.

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة، الآية: 1] الإيفاء الوفاء وهو القيام بمقتضى العهود وهي تعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من التكليف على وفق مراده وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات وعهود المعاملات مما يجب الوفاء به في جميع الحالات قيل أول عقد عقد عليك عقد إجابتك له بالربوبية فلا تخالفه بالرجوع إلى سواه في العبودية والعقد الثاني تحمل الأمانة لله فلا تخفر بها في مبتدأه ومنتهاه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ناداهم قبل أن بدأهم وسماهم قبل أن رآهم وأقلمهم في آزاله لما أوصلهم إليه في آباده وشرفهم بقوله: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 1] كلفهم بقوله: ﴿أَوْفُوا﴾ [الآية: 1] ولما علم أن التكليف يوجب المشقة والبلاء قدم التشريف بالثناء على التكليف الموجب للعناء ويقال يا من فتحت بصيرتهم لشهود حتى لا تكونوا كمن أعرضت عنهم من خلقي ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [الآية: 1] كل حي لا يميز في القضية والإضافة بيانية أي: البهيمة التي هي الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الطباء وبقر الوحش لتصحيح الحال الآية: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَطَّى عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 1] أي: تحريمه وإلا محرم ما يتلى عليكم

من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] الآية ﴿غَيْرِ مُحِلِّ الصَّيْدِ﴾ [الآية: 1] حال من الضمير في لكم والصيد تحتمل المصدر والمنقول ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [الآية: 1] حال مما استكن في (محلي) والحرم جمع حرام وهو المحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 1] أي: من تحريم وتحليل للمريد.

ومن «نفائس العرائس» أن المحرم الذي ذكر الله من اكتسى إحرام أنوار غيرته في حرم مشاهدة قربه وحضرته قد منعه أن يصيد في بيدااء العبودية صيود الحظوظ النفسية لأن صيده هو بنفسه تعالى لا غير الله ومن/ كان هو 200/أ صيده حرم عليه سواه.

وأفاد الأستاذ: إن تحليل بعض الحيوانات وإباحتها من غير جرم سبق منها والمنع من ذبحها من غير طاعة حصلت لها دليل على أن لا علة لصنعه وحرم الصيد على المحرم بخصوصه لديه لأن المحرم متجرد عن نصيب نفسه لقصده الله فالأليق بصفاته كف الأذى عن كل حيوان واجتنابه عن شهواته وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية: 1] معناه لا حجر عليه في أفعاله فيخص من يشاء بالنعمى ويفرد من يشاء بالبلوى فهو يمضي الأمور في آباده على حسب ما أراد وأخبر وقضى وعلم في آزاله.

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْجَأُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [الآية: 2] جمع شعيره وهي اسم ما أشعر أي: جعل شعاراً ويعني بها مناسك الحج من أعماله ومواقفه لأنها علاماته وأعمال نسكه وقيل: المراد معالم دينه وقيل: فرائضه التي حدها لعباده وقيل: جميع محارمه.

وأفاد الأستاذ: إن إجلال الشعائر هو الإخلال بالأوامر ﴿وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 2] أي: ولا تحلوه بعدم تعظيمه أو بالنسيء فيه أو القتال به والجمهور على أنه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك في أشهر الحرام ولو في الحرم المحترم ﴿وَلَا الْهَدْيِ﴾ [الآية: 2] أي: وبعدم التعرض لما أهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا الْفَلَاحِ﴾ [الآية: 2] أي: ذوات القلائد من الهدى تخصيص بعد تعميم لشرفها وهي جمع قلادة وهي ما قلد بها الهدى من نحو فعل أو لحاء

شجر ليعلم به أنه هدي.

وأفاد الأستاذ: أن تعظيم المكان الذي عظمه الله وإكرام الزمان الذي أكرمه الله وتشريف الإعلام على ما أمر به الله هو المطلوب من العبد أمراً والمحبوب فيه حالاً ﴿وَلَا ءَآمِينَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [الآية: 2] أي: لا تستحلوا قتال قوم قاصدين إلى بيت الله وزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾ [الآية: 2] أي: يطلبون أن يشبههم ويرضى عنهم بزعمهم وهذا الحكم منسوخ الآن أيضاً فيهم وقد حكى ابن جرير الإجماع على أن المشرك يجوز قتله وإن أم البيت الحرام إذا لم يكن له أمان من أهل الإسلام⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: وبالحري لمن يقصد البيت أن لا يخالف رب البيت وابتغاء الفضل والرضوان بتوقي موجبات السخط ومجانبة العصيان ﴿وَإِذَا بَلَغْتُمُ الْحُلُمَ﴾ [الآية: 2] أي: أحللتكم كما قرئ به والمعنى/ صرتم حلالاً وخرجتم من الإحرام ﴿فَأَصْطَادُوا﴾ [الآية: 2] أمر بإباحة من غير إلزام.

وقال الأستاذ: وإذا خرجتم عن أسر حقوقنا فارجعوا إلى استجلاب حظوظكم فأما ما دتم تحت قهر بطشنا فلا نصيب لكم منكم لأنكم لنا قلت وفي الآية إشارة إلى ما روي عنه عليه السلام روحوا قلوبكم ساعة فساعة⁽²⁾ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ [الآية: 2] بسكون النون ابن عامر وأبو بكر أي: لا يحملنكم شدة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُم مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 2] أي: لأن منعوكم عنه عام الحديبية ﴿أَن تَقْتَدُوا﴾ [الآية: 2] أي: على الاعتداء والتجاوز عن الحد بالانتقام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض بين العامل ومعموله أغنى عن جوابه بلا يجرمنكم والآية نزلت حين أراد الصحابة منع بعض المشركين عن العمرة انتقاماً من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية على ما رواه ابن حاتم عن زيد بن أسلم⁽³⁾.

(1) تفسير ابن كثير (11/2).

(2) تفسير ابن كثير (11/2).

(3) كنز العمال (37/3) رقم (5354).

وقال الأستاذ: أي كونوا قائمين بنا متجردين عن كل نصيب وحظ مما سوانا ﴿وَتَصَوُّوْا عَلَى الْإِثْرِ﴾ [الآية: 2] أي: المأمورات ﴿وَالْتَقَوْا﴾ [الآية: 2] أي: عن المنهيات وحاصلهما العفو والإغضاء أو متابعة الهدى ومخالفة الهوى.

وأفاد الأستاذ: أن البر فعل ما أمرت به والتقوى ترك ما زجرت عنه ومن المعاونة على البر والتقوى الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذي يقتدي به أهل الكمال وكذا قوله ﴿وَلَا تَصَوُّوْا عَلَى الْإِثْرِ﴾ [الآية: 2] أي: المعصية القاصرة ﴿وَالْمُدَّوِّنَ﴾ [الآية: 2] أي: المعصية المتعدية وقيل: البر ما اطمأن إليه القلب⁽¹⁾ من غير أن ينكر بسبب ولا جهة من الريب والإثم بخلافه.

ومن «نفائس العرائس» معنى البر المحبة والتقوى المعرفة والإثم طلب حظ المشاهدة من المشاهدة والعدوان دعوى الأنانية في الاتحاد لأنه احتجب بحظ الربوبية عن الربوبية في العبودية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 2] احذروا عقابه واحترسوا عتابه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 2] وانتقامه أشد في كل باب.

وأفاد الأستاذ: أن العقوبة ما يتعقب الجرم مما يسوء صاحبه وشدة العقوبة حجاب المعاقب عن شهود المّعاقب فإن تجرع كاسات البلاء عن شهود المبلي أحلى من العسل والشهد.

﴿حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ [الآية: 3] أي: ما فارقه الروح من غير التذكية ﴿وَالْدَّمُ﴾ [الآية: 3] أي: المسفوح لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: 145] ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ [الآية: 3].

وأفاد الأستاذ: أن من الميتة المحرم تناولها أن تناول من عرض أخيك 201/أ على وجه الغيبة ويقال كما أن في الحيوان ما يكون المذكي منه مباحاً والميتة منه حراماً فكذا من أذبح نفسه بسكاكين المجاهدات فظاهر نفسه مباح قربه حلال صحبته ومن ماتت نفسه في ظلمة غفلته حتى لا إحساس له بالأمور الدينية فخبثته نفسه محظور قربه حرام معاشرته غير مبارك صحبته فإن السلف

(1) أخرجه أحمد في المسند (4/ 228) رقم (18030)، وانظر: جامع الأحاديث (23/ 440) رقم (26378).

سموا الدنيا خنزيرة ورأوا وأن ما يلهي قربه وينسى المعبود كونه ويحمل على العصيان حصوله فهو محرم على القلوب ففي طريق القوم حب الدنيا حرام على القلوب وإن كان إمساك بعضها حلالاً على الأبدان والنفوس قلت: ومن كلام القوم الدنيا حرام على أهل العقبى والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل المولى وفي الحديث اتقوا مجالسة الموتى قيل: من الموتى قال الأغنياء⁽¹⁾: ﴿وَمَا أَهْلٌ﴾ [الآية: 3] أي: ذبح ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الآية: 3] أي: من صنم ونحوه ﴿وَالْمُنْخِفَةُ﴾ [الآية: 3] التي ماتت بالخنق ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [الآية: 3] المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت ﴿وَالْمَمَرَّةُ﴾ [الآية: 3] التي ترددت وطاحت من علو أو في بثر فماتت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ [الآية: 3] التي نطحتها أخرى فماتت ﴿وَمَا أَكَلَ السَّعُعُ﴾ [الآية: 3] أي: منه فماتت ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [الآية: 3] أي: أدركتم ذبحه من هذه الأشياء وفيه حياة مستقرة فإنه حلال والزكاة في الشرع قطع الحلقوم والمريء بمحدد ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [الآية: 3] واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قرية فحرم الله أكل هذا اللحم وإن ذكر عليها اسم الله لما فيه من الشرك ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ [الآية: 3] أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأفداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً كسفر ونكاح مثلاً ضربوا ثلاثة أفداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وقيل: افعل وعلى الآخر نهاني ربي وقيل: لا تفعل والثالث غفل لا شيء عليه فإن خرج الأمر فعلوه وإن خرج النهي تركوه وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام وقيل: هو استقسام الجزور بالأفداح على الأنصباء المعلومة فالمراد به جنس القمار ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ [الآية: 3] إشارة إلى الاستقسام ووجه كونه فسقاً أنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وفي معناه الرمل والفأل من القرآن فإن الحروف الهجائية لا 201/ ب دلالة لها على/ شيء من الأمور المستحسنة أو المستقبحة نعم إن كان الفأل

(1) لم يخرج له أحد وإنما ذكر في تفسير البحر المديد (2/ 394)، وتفسير حقي (2/ 372)،

(5/ 330)، (6/ 210) القول منسوب إلى عيسى عليه السلام، وفي تفسير حقي (7/

351) نسه إلى النبي ﷺ.

بالمعنى القرآني المشير إلى المعنى المراد في الجملة فلا بأس إلا أنه ﷺ كان يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة⁽¹⁾ والله سبحانه أعلم أو إشارة إلى تناول ما حرم وتعاطيه فإنه فسق وضلال وجهالة.

وأفاد الأستاذ: أن المذبوح على غير اسمه فإنه ليس بطيب فمن بذل روحه فيه وجد روحه منه ومن تهارشته كلاب الدنيا وقتلته مخالب الأطماع وأسرته مطالب الأعراض والأعواض فحرام ماله على أهل الحقائق وأما المنخقة فالإشارة منه إلى الذي ارتبك في حال المني والرغائب وأخذه خناق الطمع وخنفته سلاسل الحرص فحرام على السالكين سلوك سنتهم ومحظور على المريدين متابعة طريقتهم وأما الموقوذة فالإشارة فيها إلى نفوس حبست على طلب الخسائس حتى استكملت أكلها فهي التي ذهبت بلا عوض حصل منها والإشارة من المتردية إلى من هلك في أودية التفرقة وعمي عن استبصار رشد الحقيقة فهو يهيم في مفاوز الظنون وينهمك في متاهات المني والإشارة من النطيحة إلى من صارع الأمثال ونازع الأشكال وناطح طلاب الدنيا فخصموه بطلب حرصهم وهزمهم بزيادة تكليمهم وأكيلة السبع ما ولغ فيه طلاب الدنيا فإن الدنيا جيفة وأكلة الجيف الكلاب واستثنى منه المذكي وهو ما تفرد من متاع الدنيا لله لأن زاد المؤمن من الدنيا وما كان لله فهو محمود وما كان للنفس فهو مذموم والإشارة من قوله ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [الآية: 3] فهو ما أرصد لغير الله ومقصود كل حريص بموجب شرهه معبوده من حيث هويه قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: 23] يعني: اتخذ هواه إلهه ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ [الآية: 3] إشارة إلى كل معاملة ومصاحبة بنيت على استجلاب الحظوظ الدنيوية لا على وجه الإذن إذ القمار ذلك معناه. وقلت المعاملات المجردة عن هذه الصفة فيما نحن فيه من الوقت ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ [الآية: 3] أي: إيثار هذه الأشياء انسلاخ من الدين وخروج عن مرتبة اليقين ﴿أَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [الآية: 3] أي: من إبطاله ورجوعكم عنه ومن أن يغلبوكم

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/ 332) رقم (8374)، وابن أبي شيبة في المصنف (5/ 310) رقم (26396).

202/ أ فيه نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة عام حجة الوداع ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [الآية: 3] أي: بعدما أظهرت دينكم أن يظهرُوا عليكم ﴿وَآخَشَوْهُمْ﴾ [الآية: 3] أي: أخلصوا الخشية لي في أمري ونهيي واتباع ديني.

قال: سهل أعجز الناس من خشي ما لا ينفعه ولا يضره والذي بيده النفع والضرر كله يخاطبه بقوله فلا تخشَوْهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَآخَشَوْهُمْ﴾ [الآية: 3].

وقال الأستاذ: أي بعدما انتهكت عن قلوبكم آثار الحسابان وتحققتم بأن المتفرد بالإبداع أنا فلا تلاحظوا سواي ولا يظن قلوبكم إشفاق من غيري ويقال إذا كانت البصائر متحققة بأن النفع والضرر والخير والشر لا يحصل شظية منه إلا بقدرة الحق سبحانه فمن المحال أن ينطوي من مخلوق على رغب ﴿أَلْيَوْمَ﴾ [الآية: 3] حرف التعريف للمعهود والحاضر وما يتصل به من الوقت الحاضر ﴿أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [الآية: 3] أي: فلا زيادة بعده ولذا لم ينزل حرام ولا حلال بعدها أو بالنصر والإظهار على الأديان كلها.

وأفاد الأستاذ: أن إكمال الدين تحقيق القبول في المال كما أن ابتداء الدين توفيق الحصول في الحال فلولا توفيقه لم يكن للدين حصول ولولا تحقيقه لم يكن في الدين قبول وإنما أراد بذكر اليوم وقت نزول هذه الآية وتقييد الوقت في الخطاب بقوله اليوم لا يعود إلى عين إكمال الدين ولكن إلى تعريفنا ذلك في ذلك الوقت فالدين موهوب ومطلوب فالمطلوب ما أمكن تحصيله والموهوب ما سبق منه حصوله ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [الآية: 3] أي: بتوفيقِي وهدايتي.

وأفاد الأستاذ: أن النعمة ما لا يقطعك عن المنعم على الحقيقة بل يوصلك إليه في الطريقة والنعمة المذكورة هنا الدين وإتمامها وفاء المال واقتران الغفران وحصوله فإكمال الدين تحقيق المعرفة وإتمام النعمة تحصيل المغفرة وهذا خطاب لجماعة المسلمين ولا شك في مغفرة جميع المؤمنين وإنما الشك يعتري في الآحاد والأفراد بل يبقى على الإيمان في الآباد ﴿وَرَزَيْتُ﴾ [الآية: 3] اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [الآية: 3] من بين الأديان فلا أسخطه أبداً في سالف الأزمان.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك لما قسم للخلق أديانهم فخص قوماً باليهودية وقوماً بالنصرانية إلى غير ذلك من النحل والملل وأفرد المسلمين بالتوحيد والعرفان ومزيد اليقين/فقدم قوم الكمال على التمام فقالوا التمام يقبل الزيادة 202/ب ولذلك وصف به النعمة لقبول النعم الزيادة ولا رتبة بعد الكمال ولذلك وصف به الدين ويقال لا فرق بين الدين والنعمة المذكورة هنا وإنما ذكر باللفظين على جهة التأكيد ثم أضافه إلى نفسه وإلى العبد أيضاً حيث قال: دينكم ونعمتي فوجه إضافته إلى العبد من حيث الاكتساب ووجه إضافته إلى نفسه من جهة الخلق فالدين من الله عطاء ومن العبد عناء وحقيقة الإسلام الإخلاص والانقياد والخضوع لجريان الحكم بلا نزاع في السر فمن اضطر متفرع على ذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى ﴿فَمِنْ أَضْطَرَّ﴾ [الآية: 3] إلى تناول شيء من هذه المحرمات ﴿فِي مَخْصَصَةٍ﴾ [الآية: 3] أي: في حال قحط وزمان مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [الآية: 3] أي: غير مائل لمعصية بأن يأكلها للذة أو مجاوزاً حد الرخصة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ [الآية: 3] لا يؤاخذ به بأكمله ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 3] حيث رخص له بنفعه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أنه لو وقع لسالك فترة أو لمريد في السلوك وقفة ثم تنبه لعظيم الوقعة فبادر إلى جميل الرجعى باستشعار التحسر على ما جرى تداركته الرحمة ونظر الله سبحانه إليه بقبول الرجعة.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [الآية: 4] أي: من المطاعم المستحسنة ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ كُلُّ آلَاطَيْتٍ﴾ [الآية: 4] أي: الحلالات والمستلذات بما لم تستخبه الطباع المستقيمات.

وأفاد الأستاذ: أنها الحلال الذي يحصل من تناوله طيبة القلوب فإن أكل الحرام⁽¹⁾ يوجب قسوة القلب والوحشة مقرونة بقسوة القلب وضيء القلوب

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (3/ 146) رقم (4783)، وأحمد في المسند (4/ 379) رقم (19407).

وطيبة الأوقات متصل بصون الخلق عن تناول الحرام والشبهات.

وفي «نفائس العرائس» قال يوسف بن الحسين الطيب من الرزق ما يبدو لك من غير تكلف ولا إشراف نفس وسأل أبو الحسن النوري عن القوت قال: القوت هو الله أقول القوت ذكر الحي الذي لا يموت ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ [الآية: 4] أي: وأحل لكم صيد ما علمتم من كواسب الصيد على أهلها من السباع من ذوات الأربع والطيور ﴿مُكَلِّينَ﴾ [الآية: 4] حال/ كونكم معلمين إياه الصيد وهو للمبالغة والتأكيد لما علم من قوله ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ [الآية: 4] والمكلب مؤدب الجوارح ومدربها بالصيد مشتق من الكلب وإن كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب لأنه غالباً يوجب التأديب ﴿تَعَلَّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 4] من الحيل في الترتيب وطرق التأديب فإن العلم بها الإلهام من الله المجيب أو مما علمكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وينزجر بزجره يتصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 4] وهو مما يأكل منه الأسباع الطير لأن تأديبها إلى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقاً لكن كثير من السلف على أن الجوارح إذا أخذت الصيد وأكلت شيئاً منه ولم يدركه صاحبه فيذبحه فهو حرام وبعض آخر منهم علي وابن عباس على حلته وإن أكل منه ثلثه على ما رواه ابن جرير ويؤيد الأول قوله عليه السلام لعلي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك وكذا مذهبنا على ما ذكره صاحب «المدارك» ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 4] أي: على ما علمتم والمعنى سموا عليه عند إرساله وهذا الأمر للندب عند الجهود خلافاً للإمام أحمد فإن ذكره عنده شرط للحلية وقيل: اذكروا اسم الله على أكله ولا تكونوا من الغافلين في فعله ﴿وَأَنفَعُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 4] أي: مخالفتة الموجبة للعقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الآية: 4] .

وأفاد الأستاذ: فيما أجاد بقوله لما كان الكلب المعلم ترك حظه وأمسك ما اصطاده على صاحبه حلت فريسته وجاز اقتناؤه واستغرق في ذلك حكم نجاسته وخساسته كذلك من كانت أعماله وأحواله لله سبحانه مختصة تجل رتبته وتعلو حالته ويقال حسن الأدب يلحق الأخسة برتبة الأكابر وسوء الأدب

يزيد الأعزة إلى حالة الأصاغر وهو تعالى سريع الحساب في القيامة بحيث لا يشغله شأن عن شأن ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41] اليوم مع الأحاب والأولياء فهم لا يسامحون في خطره ولا في لحظه معجل حسابهم مضاعف في الوقت ثوابهم وعقابهم.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [الآية: 5] ذكر ما هو معلوم ليعطف عليه ما هو مجهول بقوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [الآية: 5] وهو يتناول/ الذبائح 203/ ب وغيرها ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ هُمْ﴾ [الآية: 5] أي: فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوهم منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك فيهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: 5] أي: الحرائر العفاف وتخصيصهن بعث ما هو الأولى منهن ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 5] وإن كن حريات خلافاً لابن عباس فيهن وأكثر السلف على أنه لا يجوز تزوج الذمية الزانية ﴿إِذَا تَبَتَّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الآية: 5] مهورهن وتقييد الحل بإتيانها لتأكيد وجوبها والحث على المبادرة في أدائها ﴿مُحْصَنِينَ﴾ [الآية: 5] أعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسْكِنِينَ﴾ [الآية: 5] مجاهرين بالسفاح ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [الآية: 5] مسرين في الجناح فعن بعض السلف لا يصح نكاح البغية من عفيف وعقد الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وهو مذهب الإمام أحمد ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: 3] الآية ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ [الآية: 5] أي: بشرائع الإسلام بأن ينكره ويمتنع منه ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [الآية: 5] أي: في الدنيا ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [الآية: 5] أي: إن من مات على طريق الكافرين.

وفي «دقائق الحقائق» من لم يشكر الله على ما وهب له من المعرفة واليقين فقد كفر بمعالي درجات الإيمان والدين فيه أحبط مأموله من الاجتهادات والرياضات في الشهور والسنين وسائر الأوقات.

وأفاد الأستاذ: في قوله ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: 5] أن الطيب ليس ما تستطيعه النفوس لكن الطيب ما يوجد فيه رضا الحق سبحانه فيوجد عند ذلك راحة القلوب وفي قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: 5]

القدر الذي بيننا وبينهم من الوفاق في إثبات الربوبية لم يَغَرَّ من أثر في القربة فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ [المائدة: 82] وكذلك الأمر في المحصنات من نسائهم وحل الطعام لهم والذبيحة بيننا وبينهم فيحل لنا أكل ذبائحهم ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحنا ولكن التزوج بنسائهم يجوز لنا ولا يجوز منا تزويجهم بنسائنا لأن الإسلام يعلو ولا يعلى قلت: ولأن النساء غالباً يتبعن الرجال في حسن الحال وقبح الحال ويتقلدن لهم في المآل.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [الآية: 6] أي: أردتم القيام إليها وأنتم محدثون ممتنعون عنها.

204/ أ وفي «التوضيح» أن في الآية/ من الإشارة إلى أن الوضوء عند عدم الحدث سُنَّة لكونه إشاراً لظاهر الأمر وعند الحدث واجب بخلاف الغسل فإنه ليس سُنَّة لكل صلاة يعني وإن كانت مستحبة فإنه الطهارة الكاملة وإنما لم يجب ولم يسن سُنَّة مؤكدة لدفع الحرج عن الأمة ورحمة على العامة ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الآية: 6] أمروا الماء عليها وزاد الإمام مالك الدلك على ذلك ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [الآية: 6] أي: معها أو مضافة إليها وهذا عند الجمهور خلافاً لزفر ومن معه ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [الآية: 6] الباء مزيدة أو للإصاق أو تبعية فأبو حنيفة أوجب ربع الرأس لأنه ﷺ مسح على ناصيته ومالك مسح كله أخذاً بالاحتياط في الدين والشافعي أقل ما يقع عليه الاسم أخذاً باليقين والتحقيق أن مطلق مسح الرأس فرض والربع واجب عندنا للدليل الظني والاستيعاب سُنَّة لتركه حال مسحه على ناصيته فالاختياط في الفعل لا في الحكم ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [الآية: 6] نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي عطفاً على وجوهكم ويؤيده السُّنَّة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأمة وجره الباقيون على الجواز كقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 10] وقولهم: جحر ضب خرب.

والتحقيق أن ظاهر قراءة النصب يفيد وجوب الغسل كما أن ظاهر قراءة الجر يوجب المسح فغايتة أن الآية تصير بمنزلة المجمعل أو تدل على جواز الأمرين والأحاديث الصحاح بنية الغسل حال عدم لبس الخف والمسح حال لبس الخف فالقراءتان محمولتان على الحالتين وأما جواز المسح بدون الخف

فيرده الحديث الصحيح في الآثار «ويل للأعقاب من النار»⁽¹⁾ ثم في الفصل بينه وبين أخواته تنبيه نبيه على أن استحباب الترتيب أو إيجابه والله أعلم بمراده.

وفي «نفائس العرائس» بدأ بغسل الوجه لأنه منبت أنوار تجلي الحق التي برزت من الوجدانية للأرواح فعكست لطائفها على الوجوه من جملة الأشباح وأيضاً خص الوجه بالغسل ابتداءً لأنه تعالى خلقه بنفسه ونقشه بنقش خاتم تلك الصفات والإشارة في الآية إلى تطهير الأسرار من الالتفات إلى الأغيار لاقتباس الأنوار بمياه الحزن التي تجري من عيون قلب المجروح بالمحبة على سواد في العين فإذا كان مطهراً من غير الحق فصلاته مواصلة وحركاته قرينة وقربه زلفة/ وقيامه محبة وركوعه خشية وسجوده شهود وتحياته انبساط ودعواته 204/ ب مستجابة أي إذا قمتم عنكم إلى وصلتي ومشاهدي طهروا أنفسكم من الحدوثية في بحار الربوبية حتى تصلوا إلي بي لأن الحدث كالعدم لا يقوم بإزاء القدم.

وقال أبو عثمان: شرائط الطهارة معروفة وحقيقتها لا ينالها إلا الموفقون من طهارة السر وأكل الحلال وإسقاط الوسواس عن القلب وترك الظنون والإقبال على الأمر والطاعة بحسب الطاقة.

وقال سهل: أفضل الطهارات أن يظهر العبد من رؤية طهارته.

وقال الأستاذ: كما أن في الشريعة لا يصح الصلاة بغير الطهور لا يصح في الحقيقة الصلاة بغير الطهور وكما أن للظاهر طهارة فللسرائر أيضاً طهارة وطهارة البدن بماء السماء وطهارة القلب بماء الندم والخجل ثم بماء الحياء والوجل وكما يجب غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة وجب في بيان الإشارة صيانة الوجه عن التبذيل للإشكال عند طلب خسائس الأغراض وكما يجب غسل اليدين في الطهارة يجب قصرهما عن الحرام والشبهة وكما يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والخفض لكل أحد وكما يجب غسل الرجل في الطهارة يجب صونها في الطهارة الباطنة عن النقل فيما لا يجوز ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [الآية: 6] أي بالغوا في غسل جميع الأعضاء ولذا أوجب أبو حنيفة غسل الفم والأنف في الحدث الأكبر وسنهما في الحدث الأصغر ﴿وَإِنْ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (60)، ومسلم في الصحيح (27/241).

كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴿الآية: 6﴾ أي: مسافرين أو على جناح سفر ﴿أَوْ جَاءَ﴾ [الآية: 6] أو بمعنى الواو كما قال الرازي أي وقد جاء ﴿أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ﴾ [الآية: 6] كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الآية: 6] إشارة إلى الحدث الأكبر ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ [الآية: 6] أي حقيقة أو حكماً ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 6] أي: فاقصدوا التراب وما في معناه من هذا الباب ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ﴾ [الآية: 6] على وجه الاستيعاب ولعل التكرير لاستقصاء التطهير دليلاً يتوهم فسخ التيمم في التأخير ولفظ منه دال على المسح ببعضه وهو لا ينافي جواز التيمم على الصخر الذي لا تراب عليه وقال بعض العارفين: إذا خطر لي خاطر الدنيا أتوضأ وإذا حدث لي خاطر العقبى أتغسل.

وأفاد الأستاذ: أنه كما يجب الطهارة [الأعلى] / فيقتضي غسل جميع البدن فقد يقع للمريد فترة توجب عليه الاستقصاء في الطهارة الباطنة وذلك بتحديد عقد وتأكيد عهد والتزام غرامة واستدامة ندامة كما أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذا ذلك إذا لم يجد المريد من يفيض عليه صوب همته ويغسله ببركة إشارته ويعينه بما يؤوب عنه من زيادة حالته اشتغل بما تيسر له من اقتفاء آثارهم والاسترواح إلى ما يجده من سالف سيرهم ومأثور حكاياتهم ثم كما أن فرض التيمم على الشطر والنقصان فكذا ذلك المطالبات على صفاء صاحب هذه الحالة يكون أخف لأنه وقت الفترة وزمان الضعف والملالة ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ [الآية: 6] بالأمر بأنواع الطهارة للصلاة ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الآية: 6] أي: تضيق لكم ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الآية: 6] أي: من الأحداث أو من الذنوب فإن الطهارة تكفير للعيوب وتنظيف للقلوب.

وأفاد الأستاذ: أنه يطهر ظواهركم عن الذلة بعصمته ويطهر قلوبكم عن الغفلة برحمته ويطهر سرائركم عن ملاحظة الأشكال ويفرغ ظهوركم عن الوقوع في شباك الأشغال أو يطهر عقائدكم عن أن يتوهم تدنس المقادير بالألعال ويلوح من جملة ما يريد الله الآية إشارة إلى أنه إذا بقي المريد عن أحكام الإرادة فليحط رحله بساحة العبادة وإذا عدم اللطائف في سرائره فليستدم الوظائف على ظواهره وإذا لم يتحقق بأحكام الحقيقة فليخلق بأداب الشريعة وليتعلق بأصحاب الطريقة وإن لم يتخرج عن ترك الفضيلة فلا يدنس تصرفه

بالحرام والشبهة ﴿وَلَيْتُمْ﴾ [الآية: 6] أي: بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم عن الأحداث ولقلوبكم عن الآثام ومكفرة لذنوبكم فيما بين الأنام ﴿يَسْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 6] أي: في الدين لتبلغوا إلى أعلى مراتب اليقين ﴿لَمَلَكُم تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 6] نعمته فيزيدها عليكم فيما تستقبلون.

وأفاد الأستاذ: أن إتمام النعمة لقوم بنجاة نفوسهم وعلى آخرين بنجاتهم عن نفوسهم فستان بين قوم وبين قوم ويقال إتمام النعمة وفاء العاقبة فإذا خرج من الدنيا على وصف العرفان والإيمان فقد تمت سعادته وصفت نعمته ويقال إتمام النعمة في شهود المنعم فإن وجود النعمة يكون لكل أحد ولكن إتمامها في شهود المنعم الأحد الصمد.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 7] أي: بالإسلام لتذكركم المنعم بكل الإنعام أو ترغبكم في شكره على الدوام/ ﴿وَمِيثَقُهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ [الآية: 7] 205/ ب أي: خصوصاً من بين الأنام كليلة العقبة وبيعة الرضوان أو الميثاق العام الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 7] قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 7] أمرك فأنبئوا عليه بمتابعة أمره ونهيه ﴿وَأَنفِقُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 7] في نسيان نعمه ونقض عهده ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية: 7] بخفيات أحوالكم فضلاً عن جليات أعمالكم.

قال أبو عثمان: النعم كثيرة وأجل النعم المعرفة والمواثيق كثيرة وأجل المواثيق الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى التعريف السابق الذي لولاه لما علمت أنه من هو ويقال أمرهم بتذكر ما سبق لهم من القسم وهم في كتم العدم فلا للأغيار عنهم خبر ولا لهم عين ولا أثر ولا وقع لأحد عليهم بصر وقد سماهم بالإيمان وحكم لهم بالغفران قبل حصول العصيان ثم لما أظهرهم وأحياهم عرفهم التوحيد قبل أن كلفهم الحدود وعرض عليهم بعد ذلك الأمانة وحذرهم الخيانة فقابلوا قوله بالتصديق ووعدوا من أنفسهم الوفاء بشرط التحقيق فأمدهم بحسن التوفيق وثبتهم على سواء الطريق ثم شكرهم حيث أخبر عنهم بقوله ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [الآية: 7] ثم قال ﴿وَأَنفِقُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 7] يعني في نقض ما أبرمتم من العقود والرجوع عما قدمتم من العهود ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

[الآية: 7] لا يخفى عليه من خطرات قلوبكم ونيات صدوركم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 8] أي: قائمين بالحق لله لا للرياء والسمعة بما سواه ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 8] أي بالعدل والحق لا بالجور والميل عن الصدق قيل كونوا أعاوناً لأوليائه على أعدائه.

وقال الأستاذ: يعني لا يعوقنكم حصول نصيب لكم في شيء من الوفاء لنا والقيام بما يتوجه عليكم من حقنا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قُوِّ عَلَآ تَعْدِلُوا﴾ [الآية: 8] أي: لا يحملنكم شدة بعضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثله وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم ﴿أَعْدِلُوا هُوَ﴾ [الآية: 8] أي: العدل الذي هو موافقة الهدى ومخالفة الهوى ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [الآية: 8] أي: في الدنيا والعقبى وإذا كان هذا مع الكفار فما ظنك به مع الأبرار ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 8] أي: في جميع الأطوار ﴿إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ يَّمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 8] أي: في الليل والنهار.

وقال الأستاذ: أي لا يحملنكم ضغائن صدوركم على الحلول بحنيات الحيف/ فإن مرتع الظلم وبيء وموضع الزيف مهلك دنيء ثم صرح الأمر بالعدل فقال ﴿أَعْدِلُوا﴾ [الآية: 8] ولا يكون حقيقة العدل إلا بالعدل على كل حظ ونصيب والعدل أقرب إلى التقوى والجور أقرب من الردى ويوقع عن قريب في عظيم البلوى قلت وما أحسن قول العارف ابن الفارض:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم⁽¹⁾

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 9]

الجملة في موضع المفعول الثاني على طريق الحكاية.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه وصفهم بالأعمال الصالحة ووعدهم بالمغفرة ليعلم أن العبد يكون له أعمال صالحة وإن كانت له ذنوب يحتاج إلى غفرانها بخلاف ما توهمه من قال أن المعاصي تحبط الطاعات ويقال: بين أن العبد وإن كانت أعماله صالحة فإنه يحتاج إلى عفوه وغفرانه ولولا ذلك لهلك خلافاً لمن قال أنه لا يجوز أن يعذب البريء ويجب أن يشيب المحسن ويقال لو كان ثواب

(1) انظر: داوود الشعر (11/134).

المحسن واجباً وعقوبة البريء غير حسن لكان التجاوز عنه واجباً ويكون حينئذ فضلاً يمن به عليهم قلت وفي هذا رد بليغ على المعتزلة وسائر المبتدعة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 10] أي: بكتبنا أو بمعجزاتنا أو بدلالات مصنوعاتنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الآية: 10] ملازموا عقوباتنا.

قال الأستاذ: لهم عقوبتان معجلة وهي الفراق ومؤجلة وهي الاحتراق.

﴿يَأْتِيَنَّكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نَسِيتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُورَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 11] ياهلاككم وإتلافكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [الآية: 11]

[11] بمنعها أن تمتد عليكم ورد مضررتها عنكم ﴿وَأَنقَضُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 11] فيما يأمركم وينهاكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 11] فإن من توكل على الله

كفاه في إيصال الخير ودفع الشر عن ما سواه وقد روي عن ابن عباس وكثير من السلف أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر جميعاً

فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يواقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر فرد الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف⁽¹⁾ والآية إشارة إلى ذلك وقيل:

إشارة إلى ما روي أنه ﷺ أتى بني قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم/ يا أبا

206/ ب

القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو ابن جحاش إلى رضى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يديه فنزل جبريل عليه

السلام فأخبره فخرج أو في قوم أرسلوا أعرابياً لقصده فجاء وهو ﷺ راقد تحت شجرة فسل سيف رسول الله ﷺ وقال من يمنعك مني فقال: الله فأسقطه

جبريل من يده وأخذه ﷺ ذكره محمد بن إسحاق وعكرمة وغير واحد⁽²⁾ وفي رواية فلما أخذه ﷺ قال: من يمنعك مني فقال: لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمداً رسول الله فنزلت⁽³⁾.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (32/3) رقم (4323)، والطبراني في المعجم الكبير (5/215) رقم (5135)، والنسائي في السنن الكبرى (1/597) رقم (1938)، وابن أبي شيبه في المصنف (2/214) رقم (8277).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4136)، ومسلم في الصحيح (311/843)، وانظر: تخريج الحديث اللاحق.

(3) تفسير أبي السعود (3/13)، وتفسير البيضاوي (1/304).

وأفاد الأستاذ: أن الآية تذكرهم ما سلف لهم من نعمة دفع البلاء وهو ما قصر عنهم أيدي الأعداء وذلك من أمارات العناية بالأولياء ولقد بالغ في الإحسان إليك من كان لك بظهر الغيب من غير التماس منك أو سبق شفاعة فيك أو رجاء نفع في المستأنف منك أو حصول ربح في الحال عليك أو وجوب حق في السالف لك ثم قال ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 11] يعني كما أحسنت إليكم في السابق من غير سابقة استحقاق ثواب فانتظروا جميل إحساني في اللاحق من غير رابطة استيجاب ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [الآية: 12] شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها أو كفيلاً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالأحكام التي أمروا بها روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال إني كتبتهما لكم داراً وجعلت لكم بها قراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا فيها فإني ناصركم بها وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه للوفاء بما أمروا به فأخذ عليهم الميثاق بالوفاء واختار منهم النقباء وسار بهم إلى أريحاء فلما دنا من أرض كنعان ومكان أهل العدوان بعث النقباء يتجسسون أخبار الأعداء ونهاهم أن يحدثوا قومهم بالأنباء فرأوا أجراماً عظيمة وأحوالاً شديدة فهابوا فرجعوا فحدثوا قومهم بما طالعوا فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهود أو يوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف/ عليه السلام وستأتي تمة القصة في بقية السورة.

207/ أ

وقال أبو بكر الوراق: لم يزل في الأمم الأخيار والأبرار والأبدال والأوتاد من الزهاد والعباد على مراتب العباد كما قال سبحانه وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وهم الذين كانوا مرجوعين إليهم عند الضرورات في المصائب والعاهات والبلات كما ذكر عن النبي ﷺ قال في هذه الأمة أربعون على خلق إبراهيم وسبعة على خلق موسى وثلاثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد عليهم الصلاة والسلام فهم على مراتبهم سادات الخلق وهداة الحق الذين ذكره ﷺ أن بهم يمحطون ويرزقون وبهم يدفع البلاء ويحصل النصر على الأعداء كذا في «حقائق السلمي».

وفي «نفائس العرائس» أن الله سبحانه لما أراد أمراً عظيماً من الربوبية بين عباده وبلاده وضعه على أوليائه ليقوموا به على وفق مراده معذرة لضعف الخلق

ونياية عن تقصيرهم في الحق فإذا خرجوا من ذلك بنعت الرضا في العبودية سهل الله ذلك بعده على العامة لأن العامة خلقوا بنعت الضعف وأولياءه بوصف القوة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ أن الله تعالى في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يحيي ويميت قال لأنهم يسألون إكثار الأمة فيكثرون ويدعون على الحابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون فتنب لهم الأرض ويدفع عنهم أنواع البلاء⁽¹⁾.

والمناسبة بين الآية وما قبلها من الدلالة أنه لما أمر الله المؤمنين بالوفاء بعهدهم وأمرهم بالعدل والحق في حكمه وذكرهم بأنواع نعمه شرع يبين لهم كيفية أخذ العهود في القيام بالحدود على من كان قبلهم ولما انقضوا طردهم ولعنهم ليتعظ المؤمنون ويتنبه الغافلون.

وأفاد الأستاذ: أنه ذكرهم حسن فضله معهم وقبح فعلهم في مقابلة إحسانه لهم بنقضهم في عهدهم وعرف المؤمنين بحالهم تحذيراً عن أن يتنزلوا في منزلتهم فيستوجبوا مثل ما استوجبوه من عقوبتهم ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: بالنصرة والمعونة لكم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ [الآية: 12] أي: صدقتموه بما جاؤوا به من حكمي قيل اليهود مقرون بأن الصلاة والزكاة لا تنفعان إلا مع إيمان لكنهم مكذبون ببعض الرسل فذكر بعدهما الإيمان بجميع الرسل لأنه لا يحصل النجاة إلا بالإيمان بجميعهم ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ﴾ [الآية: 12] أي: نصرتموهم وعظمتوهم وقويتوهم وأصله الذب ومنه التعزيز.

وقال الأستاذ: أي لئن أقمتم بحقي وتركتم حقوقكم لأوصلن إليكم حظوظكم ولئن أجللتكم أمري في العاجل لأجللت قدركم في الآجل وإقامة

(1) جامع الأحاديث (9/ 222) رقم (8289).

الصلاة أن يشهد من تعبده بها كما قال ﷺ أعبد الله كأنك تراه⁽¹⁾ ويقال شرطها أن تقبل على من تناجيه كما تستقبل القطر الذي هو قبلة الكعبة فيه وأما إتيان الزكاة فحقه أن يكتسب المال من وجهه وتصريفه في حقه ولا تمنع الحق الواجب فيه عن أهله ولا تؤخر الإيتاء عن وقته ولا تحوج الفقير إلى طلبه فإن الواجب عليك أن توصل ذلك إلى مستحقه وتعزير الرسل الإيمان بهم على وجه الإجلال واعتناق أمرهم بتمام الجد والاستقلال وإيثارهم عليك في جميع الأحوال قلت وفيه إيماء إلى أن ذكر الإيمان بالرسول وتقديرهم للتعميم بعد التخصيص ببعض أمورهم من العبادة البدنية والمالية أو المركبة منهما في بعض القضية الفرضية ثم خص النفقة النقلية بقوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ﴾ [الآية: 12] بالإنفاق في السبل المرضية والطرق الإلهية ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية: 12] يحتمل المصدرية والمفعولية.

وأفاد الأستاذ: أن الأغنياء ينفقون أموالهم في سبيل الله والفقراء يبذلون مهجهم وأرواحهم في طلب الله فهؤلاء من مائتي درهم يخرجون خمسة وهؤلاء لا يدخرون عن أمره نفساً ولا ذرة ﴿لَا كُفْرَنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: ببركة وجود حسناتكم فإن الحسنات يذهبن السيئات لا أن المعاصي تحبط/ 208 أ الطاعات ﴿وَلَا دُلُّنَاكُمْ جَنَّتْ﴾ [الآية: 12] أي: بساتين مشتملة على الأشجار والأثمار والأزهار ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 12] على وفق أعمال الأبرار. وأفاد الأستاذ: أن التكفير هو الستر والتغطية فهو سبحانه يستر ذنوب العبد فيمحوها من ديوانه وينسي الحفظه سوائف عصيانه وينفي تذكر ما أسلفه من قبله ولا يوقفه في العرصة على ما قدمه من ذنبه ثم بعد ذلك يدخله الجنة بفضلله ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم لكم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 12] أي جادة الطريق لأجل عدم التوفيق الموصول إلى مقام التحقيق فإن الضلال بعد العهد أظهر في استحقاق العقوبة كالذنب بعد التوبة.

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ﴾ [الآية: 13] ما زائدة مؤكدة فيسبب نقضهم ﴿مَيِّتْنَهُمْ﴾

[الآية: 13] أي نوع من أنواعه.

(1) سبق تخريجه.

قال أبو عثمان: نقض الميثاق الرجوع إلى الخلق بعد الإقرار الأول بالحق ﴿لَعَنَهُمْ﴾ [الآية: 13] طردناهم من رحمتنا وأبعدناهم من قربتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [الآية: 13] أي: غليظة يابسة لا تتأثر فيها الموعظة وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي مبالغة قاسية أو بمعنى ردية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل جزاء العصيان الخذلان بالزيادة في العصيان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [الآية: 13] أي: كلام الله ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [الآية: 13] أي: يبدلونه ويغيرونه عن أماكنه أو يؤولونه بغير وجهه.

وأفاد الأستاذ: أن قسوة القلب أولها فقد الصفوة ثم استيلاء الشهوة ثم جريان الهفوة ثم استحكام القسوة فإن لم يتفق إقلاع من هذه الجملة فهو تمام الشقوة ويقال قسوة القلب عدم التوجع بما يمتحن به من الصد محنة الرد وذلك غاية الفراق ونهاية البعد ﴿وَسُوءَ حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾ [الآية: 13] تركوا نصيباً وافرأ مما وعظوا به من التوراة ونحوها حيث لم يعملوا بها وقيل معناه أنهم حرفوها فنزلت بشؤمه عن حفظهم أشياء كما روى ابن مسعود قال: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية.

وأفاد الأستاذ: إن أول آفاتهم نسيانهم إذا ما عصوا إلا بعد ما نسوا فالنسيان أول العصيان والنسيان حاصل من الخذلان قلت وأول الناس أولى الناس ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: 115] فالنسيان والغفلة يوجب البعد/ عن الحضرة كما أن الذكر والفكر يقتضيان السعد بالقربة 208/ب ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: خيانة فهي فاعلة بمعنى المصدر كالعاقبة أو فرقة خائنة أو فعلة ذات خيانة والمعنى أن الخيانة عادتهم ودأب سالفهم لا تزال ترى ذلك منهم وتشاهده فيهم لا تنفك عنهم ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: لم يخونوا فهم الذين آمنوا منهم فلا استثناء من ضمير منهم ﴿فَأَعَفُّ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [الآية: 13] أي: إن أظهروا إيمانهم أو دخلوا في أمانهم إلا قليلاً منهم لم يخونوا فهم الذين آمنوا منهم فلا استثناء من ضمير منهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 13] .

وأفاد الأستاذ: أن للصفح على العفو مزية وهو أن في العفو رفع الجناح

وفي الصفح إخراج ذكر الإساءة من القلب فمن تجاوز عن الجاني ولم يلاحظه بعد التجاوز بعين الاستحغار والإزراء فهو صاحب الصفح والإحسان تعميم الجود بإسداء الفضل.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾ [الآية: 14] أي: وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم من اليهود وغيرهم وفيه إيماء إلى أنهم سموا أنفسهم نصارى لادعاء النصره لله تعالى بزعمهم ﴿فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾ [الآية: 14] كأمثالهم ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ [الآية: 14] أي: ألزمتنا وألصقنا وأوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية: 14] أي: بين فرق النصارى من النسطورية واليعقوبية والملكانية أو بينهم بين الطوائف اليهودية ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية: 14] أي: يخبرهم بشنيع صنيعهم وجزاء مطيعهم.

وأفاد الأستاذ: أن من الإشارة في هذه الآية أن النصارى أثبت لهم الاسم بدعواهم ﴿قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ﴾ [المائدة: 14] لتناصرهم وأما المسلمون فقال: ﴿هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: 78] فلا جرم لما اتسموا بالتناصر بدعواهم حرفوا وبدلوا فلما سمهم الحق بالإسلام صانهم من التبديل فعصموا ولما استمكن منهم النسيان أبدلوا بالعداوة فيما بينهم وأرباب الغفلة لا إلفة بينهم وأهل الوفاق لا مباينة لبعضهم من بعض قال ﷺ المؤمنون كنفس واحدة⁽¹⁾ وقال تعالى في صفة أهل الجنة ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47].

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 15] يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب للجنس ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 15] كنعت محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الآية: 15] أي: مما كنتم تخفونه وتحرفونه حيث لا يخبر به إذا لم يتعلق به أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذ به جرمه الديني.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وصف الرسول عليه السلام بإظهار بعض ما

(1) تفسير الرازي (5/ 143).

أخفوه وذلك علامة صدقه إذ لولا صدقه لما عرف ذلك ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم وذلك من أمارات خلقه إذ لولا خلقه لما غفر ذلك فيظهار ما أبداه دليل علمه والعفو عن ما أخفى برهان حلمه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [الآية: 15] يعني بهما القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز في غاية من الإجلال وقيل: يريد بالنور محمد ﷺ لأنه نور العالم وقيل: بعناية الأزل وصلتم إلى نور الكتاب المبين ونور التوحيد وأنواره الظاهرة والباطنة.

وقال ابن عطاء: العبد ينال بهذا النور ما هو أجل من النور كمن أخذ سراجاً في بيت مظلم يدور به في البيت فيجد به أجل من السراج.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ [الآية: 16] وحد الضمير لأن المراد بهما واحد ولأنهما في الحكم متحد ﴿مَنْ أَتَمَعَ رِضْوَانَكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [الآية: 16] طرق السلامة والنجاة من العقوبة والملامة أو سبل الله المنزه عن كل منقصة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الآية: 16] أي: من أنواع الكفر إلى الإسلام والتوحيد ﴿يَاذِينِهِ﴾ [الآية: 16] أي: بإرادته أو بتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 16] هو أقرب الطرق إلى الله الكريم الموصل إلى النعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تغني عن فقد البصيرة فمن استخلصه بقديم العناية أخرجه من ظلمات التفرقة إلى ساحة الجمعية فامتحن عن سره شهود الأغيار وذلك نعت عن كل وقف على المحجة المثلى من الأبرار.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 17] هم اليعقوبية من النصارى الذين قالوا المسيح هو الله وقالوا باتحاد اللاهوت والناسوت ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية: 17] أي فمن يمنع من قدرته وإرادته ﴿شَيْئًا﴾ [الآية: 17] أي: من المنع أو من الدفع ﴿إِنِّي أَرَادْتُ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: 17] عطف على المسيح عطف العام على الخاص فكل من المسيح وأمه مذكور مرتين مرة بالتصريح ومرة بالتلويح وقيل: فائدة عطف من في الأرض عليه لدلالة على أنهما من جنس ما في الأرض من الرتبة/ السلفية لا تفاوت بينها وبينهم في العوارض 209/ ب

البشرية والحاصل أنه سبحانه احتج بذلك على فساد مقولهم وضعف تصور عقولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات في قبضة الربوبية ومن كان كذلك فهو بمعزل عن رتبة الألوهية.

وأفاد الأستاذ: من اشتمل عليه أرحام الطوامث متى يفارقه نقص الخلقة ومن لاحت عليه شواهد التغيير أتى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد فأى نقص يعود إلى الصمدية ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: 17] أي: فيهما أو في غيرها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 17] ومنه المسيح وأمه ونحوهما.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ﴾ [الآية: 18] أشياع ابنه عزيز والمسيح كما قيل: لأتباع ابن الزبير الخبيبيون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقيل: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ [الآية: 18] أنبياء الله وعن ابن عباس أن النبي ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن أبناءه وأحبائه ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية: 18] أي: فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات ومن المعلوم أن الحبيب لا يعذب حبيبه أقبح تعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه بنوع تهذيب والمسخ والخسف وأمثالهما من قبيل تعذيب لا طريق تأديب ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [الآية: 18] أي: ممن خلقه الله كسائر المخلوقات ﴿يَفْقَرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 18] أي: فضلاً وهم من آمن بالله ورسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 18] أي: عدلاً وهم من كفر بما يجب الإيمان به ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية: 18] أي: كلها سواء في كونه خلقاً لم وملكاً وملِكاً ﴿وَالَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 18] أي: المرجع والمسير فيجازي المحسن بحسناته والمسيء بسيئاته.

وأفاد الأستاذ: أن البنوة تقتضي المجانسة والحق سبحانه منزّه عن المناسبة والمحبة التي بين المتجانسين توجب الاحتفاظ والمؤانسة وذات الحق سبحانه عن ذلك مقدسة فقال ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [الآية: 18] / والمخلوق

متى يصح أن يكون بعضاً للقديم والقديم لا بعض له لأن الأحدية حقه فإن لم يكن له عدد لم يجز أن يكون له ولد ويقال في الآية إشارة لأهل المحبة بالأمان من العذاب والعقوبة لأنه قال فلم يعذبكم بذنوبكم ويقال بين في هذه الآية أن قصارى الخلق إما عذاب وإما غفران ولا سبيل إلى شيء وراء ذلك في العيان والبيان.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ [الآية: 19] أي: الدين وحذف لظهوره أو ما كنتم وحذف لتقديم ذكره ﴿عَلَىٰ فَرْقٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الآية: 19] أي: جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي وبيان الأحوال أن تقولوا أي: كراهة ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ [الآية: 19] أو لئلا تعتذروا وتقولوا ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾ [الآية: 19] يرغبنا ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ [الآية: 19] يرهبنا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ [الآية: 19] أي: لا تعتذروا فقد جاءكم ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [الآية: 19] أي: الجامع بين البشارة والنذارة الحاوي بوصف الكتاب ونعت الرسالة ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 19] فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة على ما ذكره ابن سعد⁽¹⁾ في «الطبقات» عن ابن عباس والزمخشري عن الكلبي وألف نبي عليهم السلام وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة سنة وعشرون على ما ذكره وهب وقيل: سبع مائة وقال مقاتل وقاتدة والضحاك: ستمائة ونقل عن ابن عباس أن بين ميلاديهما خمسمائة سنة وتسع وستون وأربعة أنبياء لأنه من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي على ما ذكره⁽²⁾ البيضاوي.

وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه.

وأفاد الأستاذ: أن في كل زمان يقع فترة في سبيل الله ثم يجدد الحال ويعم الطريق بإبداء السالكين من كتم العدم ولقد كان زمان رسول الله ﷺ أكثر الأزمنة بركة فأحيى بظهوره ما اندرس من السبيل وأضاء بنوره ما انطمس من

(2) تفسير البيضاوي (1/309).

(1) الدر المنثور (2/749).

الدليل وبذلك من عليهم وذكره عظيم نعمته فيهم .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية : 20] .

أفاد الأستاذ: أنه كان الأمر لبني إسرائيل على لسان نبيهم بأن يذكروا نعمة
210/ ب الله عليهم وكان الأمر لهذه الأمة بخطاب الله لا على لسان/ مخلوق ثم أمر بأن
يذكروه فقال: ﴿فَأَذْكُرُوا أَذْكُرْتُمْ﴾ [البقرة: 152] فشتان بين أمره بذكره سبحانه وبين
من أمر بذكر نعمته ثم جعل جزاءهم ثوابه الذي هو فضله وجعل جزاء هذه الأمة
خطابه الذي هو قوله ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ [الآية : 20]
فأرشدكم وشرفكم بهم وأيدكم كلما هلك نبي قام نبي فيكم من لدن إبراهيم حتى
ختم بعيسى عليهم السلام ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء
الكرام ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [الآية : 19] أي: وجعل منكم أو فيكم السلاطين العظام
امتناناً بأن منهم سادة الدنيا وقادة العقبي وقيل: لما كانوا مملوكين في أيدي القبط
وأنقذهم الله تعالى وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سماهم ملوكاً وقيل:
المعنى جعلكم أصحاب الخدم والحشم وهم أول من ملك الخدم أو كان الرجل
من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخدام سمي ملكاً رواه ابن أبي حاتم عن
رسول الله ﷺ وهو المنقول عن ابن عباس⁽¹⁾ وغيره .

وقال أبو سعيد القرشي: ملككم سياسة أنفسكم وحراسة أنفسكم وقيل:
أي قانعين وقيل: وزراء أنبيائكم .

وقال الحسين: أحراراً من رق الكون وما فيه .

وأفاد الأستاذ: أن الملك من المخلوقين من عبد الملك الحقيقي ويقال:
الملك من ملك هواه والعبد من هو في رق شهواته تاه أو جعلكم ملوكاً لم
يحوجكم إلى أمثالكم ولم يحجبكم عن نفسه بأشغالكم وسهل سبيلكم إليه في
عموم أحوالكم ﴿وَأَتَيْنَكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَشَدَّ مِنْ أَلَمِّكُمْ﴾ [الآية : 20] أي: من فلق
البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ونحوها من سائر الأنعام أو من
الفضل والشرف في الدين أيام أوانهم والمراد بالعالمين عالمي زمانهم .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لئن أتى بني إسرائيل بمقتضى جوده فقد أغنى
عن الإيتاء هذه الأمة فاستقلوا بوجوده والاستقلال بوجوده أتم من الاستغناء

(1) تفسير ابن كثير (3/ 73) .

بمقتضى جوده.

﴿يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [الآية: 21] أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت دار الأنبياء وقرار الأصفياء ومطهرة من أهل الشرك والأعداء ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية: 21] قسمها وقدرها لكم أو كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون سكناكم إن آمنتم/ وأطعتم مولاكم فاثبتوا على آثاركم 211/أ لتدخلوا في داركم ﴿وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ﴾ [الآية: 21] أي: ولا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبارين وجاهدوهم فتكونوا غالبين وقيل لا تردوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله المستعان ﴿فَنَقْلِبُلْهُمَا خَسِرِينَ﴾ [الآية: 21] ثواب الدارين وجزم تنقلبوا على العطف أو نصب على الجواب وقيل معجبين بأنفسهم غير راجعين إلى ربهم في أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الارتداد على قسمين عن الشريعة وإقامة العبودية فذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل وعن الإرادة وذلك يوجب العقوبة التي هي الفراق على القلب.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾ [الآية: 22] أقوياء متغلبين ﴿وإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [الآية: 22] إذ لا طاقة لنا بهم ولا مقاربة لنا معهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لاحظوا الأغيار بعين الحساب فتوهموا منهم الحدثان فداخلهم هواجم الرعب فأصروا على ترك أمر الرب ومن طالع الأغيار بأنوار البصائر شاهدتهم في أسر التقدير قوالب متعرية عن إمكان الإيجاد فلم يقع على قلبه ظل التوهم من العباد.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [الآية: 23] هما كالب ختن موسى على أخته مريم بنت عمران ويوشع ابن أخت موسى على ما قاله ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الآية: 23] أي: الله ويتقونه أو يخافون أمر الله وعقابه ﴿أَنَّمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [الآية: 23] أي: بالإيمان والثبات على الإيقان ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ [الآية: 23] أي: باب قريتهم والمعنى باغتهم في المضيق وآمنوهم من قضاء الطريق ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ [الآية: 23] أي: وأنتم متوكلون ﴿فَأَنكُمْ غُلَبُونَ﴾

[الآية: 23] لتعسر الكثر عليهم في مضائق بلادهم من عظم أجسادهم أو لأنهم أجسام لا قلوب فيها أو لتيقن إنجاز وعده في نصرته نبيه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 23] أي: موقنين به ومصدين لوعده إذ من شأن المؤمن أن يتوكل على ربه قيل لذي النون ما التوكل في هذا الباب قال خلع الأرباب وقطع الأسباب.

وقال الأستاذ: ويحتمل أن يقال التوكل من شرط الإيمان وظاهر التوكل الذي لعوام المؤمنين العلم بأن ما قضاه فلا مرد له وحقائق التوكل ولطائفه التي 211/ ب لخواص المؤمنين شهود الحادثات/ بالله ومن الله والله فإن فقد ذلك انتفى عنه اسم الإيمان.

﴿قَالُوا يَمْسَحُ إِنَّكَ لَن تَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ [الآية: 24] بيان للإبداء الواقع بها ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ [الآية: 24] أي: يعينك أو وأخوك الأكبر ﴿فَقَتِلَ﴾ [الآية: 24] أي: الجبارين من أعدائك ﴿إِنَّا هُنَا فَعُودُونَ﴾ [الآية: 24] ننتظر نصرك وما أحسن ما قال بعض الصحابة يوم بدر حين المشورة إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل بل نقول اذهب أنت وربك إنا معكم مقاتلون رواه البخاري في المغازي والإمام أحمد والنسائي وابن أبي حاتم⁽¹⁾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي﴾ [الآية: 25] أي: في بذلها لله واستعمالها في رضاه ﴿وَأَخِي﴾ [الآية: 25] قاله شكوى بثه وحزنه إلى الله لما خالفه قومهم وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام ﴿فَأَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 25] أي: الخارجين عن دائرة اليقين بأن يحكم لنا بما نستحقه ويحكم عليهم بما يستحقون في أمر الدين.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ [الآية: 26] أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 26] لا يدخلونها بسبب المعصية ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَكُونُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 26] روي أن موسى عليه السلام سار بعد الأربعين بما بقي من بني إسرائيل ففتح بيت المقدس وأقام فيه ما شاء الله ثم قبض قال البغوي وهو الأصح وقد نقل عن كثير من

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (109/10) رقم (20089)، والنسائي في السنن الكبرى (333/6) رقم (11140)، وأحمد في المسند (389/1) رقم (3698).

السلف أن موسى وهارون ماتا في التيه ولم يبق أحد من التيه سوى يوشع وكالب إلا مات فيه ويوشع سار بأولادهم وفتح الشام كما رواه ابن حاتم عن ابن عباس وهو منقول عن مجاهد وغيره ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 26] أي: لا تحزن عليهم فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في سته فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء فإذا هم حيث ارتحلوا عنه والأكثر على أن موسى وهارون عليهما السلام كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وزيادة في درجتها وعقوبة لهم.

وأفاد: الأستاذ أنه سبحانه حيرهم في مفاوزهم حتى عموا عن مقاصدهم فصاروا يبيتون حين يصبحون وكذلك من حيره الحق في مفاوز التفرقة بالقلب يتقلب ليلاً ونهاراً في مطارح الظنون ثم لا يحصل إلا على مناهل الحيرة فيحطون حيث يرحلون فلا وجه للرأي الصائب يلوح لهم ولا خلاص من قفص التجويز يساعدهم والذي التجأ إلى شهود الصمدية استراح عن النقلة فكره ووقع في روح الاستبصار روحه.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ﴾ [الآية: 27] أي: خبرهما وهما قابيل القاتل 212/أ وهابيل المقتول ﴿يَالْحَقُّ﴾ [الآية: 27] أي: بالنبا الصدق وكان من شأنهما على ما ذكره ابن جرير عن ابن عباس أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه فقلاً نقرب قرباناً فقرب هابيل خير غنمه وقرب الآخر بعض زرعه فجاءت نار من السماء وأكلت الشاة وتركت الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذي فدي به إسماعيل عليه السلام أتى به من الجنة فحسد قابيل أخاه وذكر أكثر المفسرين أن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن ذكر البطن الآخر فكانت أخت هابيل ذميمة وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك وأمرهما أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل فحسده وهذا معنى قوله ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [الآية: 27] أي: ما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة أو غيرها ولم يشن لأنه في الأصل مصدر ﴿فَنُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ [الآية: 27] وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ [الآية: 27] لأنه سخط حكم ربه ولم يخلص في تقربه وقصد إلى أخس ما عنده ﴿قَالَ لَا قُلْبَ لَكَ﴾ [الآية: 27]

توعده بقتله لفرط حسده على تقبل قربانه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 27] أي: المعاصي والمعنى أنك أتيت من قبل نفسك بترك التقوى وعدم الرضا بحكم المولى لا من قبلي فلم تقتلني ولا ذنب لي.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ [الآية: 28] أي: مخالفة لأمر ربي ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ [الآية: 28] خوفاً من الله في فعلي وتحريماً لما هو الأفضل عندي ولذا قال ﷺ كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل كما أخرجه ابن سعد في الطبقات⁽¹⁾ وفي رواية كن خير ابني آدم⁽²⁾ وفي أخرى كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم⁽³⁾.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِيمِي﴾ [الآية: 29] أي: بإثم قتلي ﴿وَإِنَّكَ﴾ [الآية: 29] أي: الذي عليه قبل ذلك حتى لم يتقبل من أجله قربانك وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي على ما رواه ابن جرير عنهم ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الآية: 29] أي: لاستحلال دمي أو لعدم الرضا بقضاء ربي ﴿وَذَلِكَ ب/212 جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 29] وقال ابن عباس خوفاً بالنار فلم ينته/ بالانزجار.

وأفاد الأستاذ: أنه تحقق بأن العقوبة لاحقة به على ما يسلفه من ذنبه فرضي بانتقام الله دون انتصافه لنفسه فإنه إذا رأى المظلوم ما يحل بالظالم من أليم بلائه هان عليه ما يقاسيه من عنائه ويطيب قلبه برضائه.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ [الآية: 30] أي: سهلته وزينته وهونته للقتل ﴿قَتَلَ أَخِيهِ﴾ [الآية: 30] أي: قتله إياه مع كونه أخاه ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ [الآية: 30] أي: صار ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية: 30] ديناً ودنيا إذ بقي بقية عمره مطروداً حزيناً.

قال ممشاد الدينوري: كان معصية آدم من الحرص ومعصية إبليس من الكبر ومعصية ابن آدم من الحسد فالحرص يوجب الحرمان والكبر يوجب الخذلان والحسد يوجب الخسران.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ [الآية: 31] أي: إلى غراب ميت وخص لأنه يتشام به ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 31] أي: التراب حتى واره ﴿لِيرِيَهُ﴾ [الآية: 31] أي:

(1). كشف الخفا (134/2) رقم (2022)، والمقاصد الحسنة (524/1).

(2). كشف الخفا (134/2)، والتلخيص الحبير (225/5) رقم (2146).

(3). المقاصد الحسنة (523/1) رقم (846)، وكشف الخفا (134/2) رقم (2022).

الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُؤَرِّى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [الآية: 31] أي: جيفته لما روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به بل قيل أنه حملة على عنقه ﴿قَالَ يَتَوَلَّى﴾ [الآية: 31] كلمة هلكة وجزع وحسرة والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك وظهور شأنك ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ [الآية: 31] لأهتدي إلى ما اهتدى إليه من بحث التراب ﴿فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِي﴾ [الآية: 31] عطف على أكون ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْنَادِينَ﴾ [الآية: 31] على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحملة سنة على رقبته وتبرئ أبويه منه لفعله واسوداد لونه وعدم الظفر بما فعله من أجله.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 32] أي: بسبب قتله أخاه ظلماً ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 32] أي: حكمنا عليهم وقضينا على من بعدهم ﴿أَنْتُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِضَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الآية: 32] أي بغير قتل نفس يوجب القصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 32] أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق ونحوهما ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 32] أي: لأن من استحل دم مسلم كأنما استحل دماء الناس إذ لا فرق عنده بين نفس ونفس كما قاله ابن عباس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [الآية: 32] أي: حرم قتلها وكف عنها أو أنجأها من مهلكة وقعت فيها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية: 32] والمقصود من الجملتين تعظيم النفس من جهة إفنائها وإبقائها ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها وإنما خص بني إسرائيل/ بالذكر من بين الأمم وإن كان القتل محرماً من لدن آدم على 213/أ طريق الأعم لأنهم على ما روي أول آية نزلت عليهم الوعيد من الإنباء وغلظ عليهم الأمر بحسب طغيانهم على الأنبياء ويسبب سفكهم الدماء والحاصل أنه كما ورد عنه ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقد جاء في الحديث ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها وذلك لأنه سن القتل ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ [الآية: 32] أي: بني إسرائيل خصوصاً ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 32] بالمعجزات الظاهرات على صدق ما ذكروا من الأخبار والواقعات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 32] أي: بعدما كتبنا عليهم

هذا التشديد وبيّنا لهم هذا الوعيد الأكيد ﴿فِي الْأَرْضِ لُتْرُونَ﴾ [الآية: 32] بالقتل ولا ينالون وفيه إيماء إلى أن الصلحاء في كل زمان قليلون.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 33] أي: يحاربون أولياءهما أو يخالفون أمرهما ونهيهما من قاتل النفس وقاطع الطريق ونحوها ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [الآية: 33] بالشرك والمعاصي والفتنة والإغراء بين أهلها بالعداوة ﴿أَن يُقْتَلُوا﴾ [الآية: 33] أي: يبالغ في قتلهم حتماً من غير صلب أن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ [الآية: 33] أي: مع القتل أن قتلوا وأخذوا المال فقال أبو حنيفة ومالك يصلب حياً ويطعن حتى يموت وقال الشافعي يقتل ثم يصلب نكالاً لغيره من نحو فعله ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ [الآية: 33] بقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى أن أخذوا المال ولم يقتلوا وحصل لكل نصاب القطع فيما أخذوا ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية: 33] أي: يحبسوا إن اقتصرنا على الإخافة كما قاله أبو حنيفة أو ينفوا من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ﴿ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية: 33] أي: ذل وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 33] .

أفاد الأستاذ: أن السعي بالفساد على ضربين بالظاهر وعقوبته معلومة في مسائل الفقه بلسان العلم وفي الباطن وعقوبته واردة على الأسرار وذلك بقطع ما كان متصلاً بمن ورادات الحق وكسوف شمس العرفان والستر بعد الكشف والحجاب بعد البسط واستشعار الوحشة بعد الأنس وتبديل توالي التوفيق بتتابع ب/213 صنوف الخذلان والنفي عن بساط العبادة والإخراج إلى متابعة النفوس وذلك/ والله خزي عظيم وعذاب أليم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 34] استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى كما يدل عليه قوله ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 34] وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على أنه بعد القدرة لا يسقط الحد وإن أسقطت العقوبة وأن الآية في قطاع المسلمين لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها، هذا وعمل كثير من السلف كعلي وأبي موسى وغيرهما يدل على أنه يسقط أيضاً حقوق الإنسان إلا إذا أخذ مالاً معيناً فيجب الضمان.

وأفاد الأستاذ: أن من أقلع عن معاصيه وارتدع عن ارتكاب مساوئه قبل أن ينتهك عند ستر السداد لا تقام عليه في الظاهر حدود الشريعة لاستبهاها على الإمام ولا يؤاخذ الحق سبحانه بقضايا إجرامه أخذاً بظاهر ما يثبت من حاله في استصحاب السداد فإذا بدا للإمام صفحة جرمه أقيم عليه الحد وأن تقنع بنقاب التقوى وكذلك إذا سقط العبد عن عين الله لم يصل بعده إلى ما كان عليه من معاودة تقرب الحق سبحانه.

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [الآية: 35] أي: القربة بطاعته كذا فسرهم جميع من تكلم في التفسير من السلف والمعنى اطلبوا ما تتوسلون به إلى ثوابه وقرب جنبه من فعل الطاعة وترك المعصية وفي الحديث الوسيلة منزله في الجنة.

وقال جعفر: اطلبوا منه القربة إليه.

وأفاد الأستاذ: أن ابتغاء الوسيلة هو التبري عن الحول والقوة والتحقيق بشهود الطول والمنة ويقال الوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة ويقال ابتغاء الوسيلة تجريد الأعمال عن الرياء وتجريد الأحوال عن الإعجاب وتخليص الأنفاس عن الحظوظ.

وفي «نفائس الحرائس» اتقوا الله في النظر إلى السوى وابتغوا إليه الوسيلة بنعت التقوى ولا يكون عندكم الوسيلة إليه شيئاً دونه لأنه هو الوسيلة إليه ألا ترى إلى قول الشاعر:

أيا جود معن ناجٍ معناً بحاجتي فما لي إلى معن سواك شفيع⁽¹⁾

وسيلته محبته ومعرفته والاستعانة بطاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ [الآية: 35]

بمحاربة/ الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة عن وصوله ﴿لَمَلَكْكُمْ فُتُوحَاتٌ﴾ 214/أ [الآية: 35] بالقرب إليه والمكانة لديه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 36] من صنوف

الأموال ﴿جَمِيعاً﴾ [الآية: 36] من أنواع المنال ﴿وَمِثْلَهُ مَكْرُ﴾ [الآية: 36] على

المنوال ﴿لِيَقْتَدُوا بِهِ﴾ [الآية: 36] ليجعلوه فدية لأنفسهم في الرمال ﴿مِنْ عَذَابٍ

(1) لم يسم الشاعر وإنما قاله في مدح معن بن زائدة وله فيها قصة. انظر: المستطرف (1/35)، وغرر الخصائص (1/145).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الآية: 36] في المال ﴿مَا تُقِيلُ وَتُهَيِّئُ﴾ [الآية: 36] في حال من الأحوال ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 36] مؤلم بكمال النكال وأنواع الإنكال.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم يتقبل من الأحباء مثقال ذرة وغداً لا يقبل من الأعداء مثل الأرض ذهباً وفضة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوكَ مِنَ الْبَارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [الآية: 37] بالاضطرار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌّ﴾ [الآية: 37] في دار البوار.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [الآية: 38] أي: أيماهما ما قرىء بها وتفضيل المسألة في الكتب الفقهية ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا﴾ أي من أخذ مال الغير بغير أمر المولى ﴿نَكْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أي عقوبة في الدنيا ﴿وَاللَّهُ غَزِيرٌ﴾ [الآية: 38] أي: في الانتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 38] فيما شرع من الأحكام.

﴿فَن تَابَ﴾ [الآية: 39] من السارق وغيره ﴿مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ [الآية: 39] على نفسه وتعديه على مثله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 39] في أمره بالتخليص عن عهدة التبعة في حكمه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 39] أي: يرجع بالرحمة إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 39] يغفر ذنبه ويرحم بالعصمة بعده.

وأفاد الأستاذ: أن من أستوى في أحكام التوبة فتدارك ما ضيعه وندم على ما صنعه وأصلح من أمره ما أفسده أقبل الله عليه بفضلته فغفره وعاد إليه باللطف فجبهره. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَكُمْ مُّكَلِّفُ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 40] خلقاً وملكاً ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 40] ولو مطيعاً ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 40] ولو عاصياً ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 40] أي: ناصر القدرة بما تعلقت به المشيئة والمعنى ألم تعلم أنك عاجز عن الخروج من ملكي ولم تقدر من الهرب مني ومن عذابي وإنني أعذب من أشاؤهم المخالفون لأمري وأغفر لمن أشاؤهم المراجعون لحكمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أنه لا يعذب من يعذب بعله ولا يرحم من يرحم بعله وأنه إنما يتصرف في عبيده بحق ملكه وأن الحكم حكمه والأمر أمره.

﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 41] أي: لا يوقعك في الهم والحزن ﴿الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [الآية: 41] أي: صنع الذين يقعون في إظهار

الكفر سريعاً إذا وجدوا فيه فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 41] أي: من المنافقين ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الآية: 41] أي: ومن اليهود ونحوهم من الكافرين ﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [الآية: 41] أي: هم سماعون/ 214 ب والضمير للفريقين أو من اليهود قوم سماعون واللام للعلة والمفعول محذوف أي سماعون كلامك ليكذبوا عليك ﴿سَمْعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [الآية: 41] لم يحضروا مجلسك تكبراً من الأغنياء أو إفراطاً في البغضاء ولو كانوا من الفقراء ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [الآية: 41] أي: بعد أن وضعه الله مواضعه إما لفظاً بإهماله أو تغيير بنائه وإما معنى بحمله على غير مراده وإجرائه في غير موردته ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ [الآية: 41] المحرف ﴿فَحَذُّوهُ﴾ [الآية: 41] فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ [الآية: 41] بأن أفتيتم بخلافه ﴿فَأَحْذَرُوا﴾ [الآية: 41] قبول ما أفتيتم به نزلت على ما في الصحيحين وغيرهما في رجل وامرأة محصنين من اليهود زنيا وقد بدلوا الرجم في التوراة بمائة جلدة والتحميم والإركاب على حمار مقلوباً فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ واستفتوا وقالوا إن حكم بمثل ما قلنا اعملوا ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه فأمر ﷺ بالرجم وألزمهم أنه حكم التوراة فرجما وعلم من ذلك للعباد أن كفرهم للعناد ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ [الآية: 41] ضلالته أو فضيحته ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ﴾ [الآية: 41] فلن تستطيع ﴿لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 41] في دفع فتنته.

قال الخواص: من يرد افتراق أوقاته لن تملك جمع حالاته ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية: 41] من خبائث الشرك والمعصية والآية حجة على المعتزلة وقال أبو عثمان يطهر قلوبهم بالمراعاة والمراقبة بالحياء من ربهم في المخالعة ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [الآية: 41] فضيحة وخذلان للمنافقين وجزية وهوان لليهود ومن نحا نحوهم من الكافرين ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 41] وهو الخلود في النار أبد الأبد.

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن من أقصاه الحق عن محل التقريب وأرخص له عنان الإمهال وكله ومكره ولبس عليه حاله وسره فهو ينهمك في

أودية حسبانه وإنما يسعى في أمر نفسه ويعمل بما يعود إليه وباله فأمر نبيه ﷺ بترك المبالاة بأمثالهم وقلة الاهتمام بأحوالهم وعرفه أنهم بمعزل عن رحمته وأن من رده القسمة الأزلية لا ينفعه الإعلال في الاستقبال/ فقال ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً يعني أن من أهله الله للحرمان وقيدته بشكال الخذلان فشفاعة الأغيار فيه غير مقبولة ولطائف القبول إليه غير موصولة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية: 41] أولئك الذين لم يعجن طينتهم بماء السعادة فجبّلوا على نجاسة الشرك والمعصية فإن عدم الطهارة الأصلية لا ينتفي بفنون العالالات العارضية ويقال من أرسل عليه غاغة الهوى وسلط عليه نوازع المني وأذله بسوء القضاء فليس يلقي عليه غير الشقاء ﴿كُفُّوا أَلْتِيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 41] ردوا من الهوان إلى الهوان وغصوا بالفراق وعذبوا بالاحتراق فلا يدري أي حالتهم أقرب من استيجاب الذل بدايتهم في الرد أم نهايتهم في الشرك والجحد قلت الأول أقرب والثاني:

﴿سَمِعُوا لِكُذِّبٍ﴾ [الآية: 42] كرره للتأكيد أو اللام مزيدة للتأييد ﴿أَكَلُوا لِلْسُّحْتِ﴾ [الآية: 42] أي: الحرام كالرشى من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بضميتين وهما لغتان قيل: سماعون للدعاوى الباطلة ﴿أَكَلُوا لِلْسُّحْتِ﴾ [الآية: 42] أي: بدينهم وعبادتهم العاطلة.

وفي «نفائس العرائس» وصف الله سبحانه أهل السالوس الذين في هذا الزمان يجلسون في الزوايا ويظهرون التزهّد والتقشف في الخبايا ويطرحون على أعناقهم الطيالة يسمعون مدائح أهل الدنيا بالمخيلة لهم مثل قولهم ليس في الدنيا مثلك يا شيخ وأنت كذا وكذا وهو يشتري غرورهم وأقاويلهم الباطلة وهم يمدحونه لأجل الشفاعة عند الأتراك والظلمة ويجعلونه وسيلة إلى السلطان ويعطونه رشوة لاستجلاب مرادهم بحكم الشيطان فهو يسمع الكذب ويأكل السحت طهر الله وجه الأرض منهم ووقانا من صحبتهم وسوء أفعالهم فإنهم قوام الدين وأكلوا الدنيا بالدين ﴿إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 42] تخيير لرسول الله ﷺ إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض وهو قول للشافعي والأصح وجوبه إذا كان المترافعان ذميين لأننا التزمنا بالذب عنهم ودفع

الظلم منهم لأن الآية ليست في أهل الذمة بل في أهل العهد كما صرح به الرازي وعند أبي حنيفة يجب مطلقاً أما لو ترفعوا إلينا مع مسلم فوجب إجماعاً وقال كثير من السلف كابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم أن الآية منسوخة بقوله 215/ب ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَّا أَتَى اللَّهَ﴾ [المائدة: 49] لأن الجزم بالحكم للتخيير بينه وبين الأعراض عنه ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَصُرُّوكَ شَيْعًا﴾ [الآية: 42] بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك منهم ومن غيرهم ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 42] بالعدل الذي أمر الله تعالى به للتأديب وإن كانوا ظلمة مستحقين للتعذيب ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الآية: 42] أي: يرضى عنهم ويثيبهم ويحفظهم عما شانهم ويعظم شأنهم.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ﴾ [الآية: 43] أي: يجعلونك حكماً بينهم ﴿وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ﴾ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ [الآية: 43] منصوص في قضيتهم فيه تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في زعمهم ﴿كَمْ يَتَوَلَّوْنَ﴾ [الآية: 43] أي: يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [الآية: 43] أي: بعد التحكيم فيما بينهم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 43] لا بك ولا بكتابهم فيستحقون ما قدر الله من عذابهم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ [الآية: 44] يهدي إلى الحق على طريق الصدق ﴿وَنُورٌ﴾ [الآية: 44] يبين ما استبهم من الحكم فيما بين الخلق على وجه العدل ﴿يُحْكَمْ بِهَا﴾ [الآية: 44] أي: أنبياء بني إسرائيل أو موسى ومن بعده إن قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسكاً القائل به ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [الآية: 44] أي: انقادوا بحكم الله وانقطعوا عما سواه ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَنِيِّينَ وَالْأَحْبَارِ﴾ [الآية: 44] عطف على ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ [الآية: 44] أي: وكذا حكم لهم زهادهم وعلمائهم السالكون طريقة أنبيائهم في أحكامهم وأنبيائهم ﴿يَمَّا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية: 44] لسبب أمر الله إياهم بأن يحفظوا كتابه عن التضييع والتحريف وأن يظهروا ما فيه من الأحكام على وجه الترصيف ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [الآية: 44] أي: رقباء لا يتركون أن يغيروا شيئاً منه يبينون ما يخفى منه أو

شهداء بأنه من عند الله لا من عند غيره ﴿فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْشَوْا﴾ [الآية: 44] خطاب لعلماء اليهود على وجه يتناول علماء هذه الأمة أيضاً بأن لا يخافوا غير الله في حكوماتهم ولا يداهنوا في حكم الله مراعاة لظالم أو مداراة لحاكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِكُمْ﴾ [الآية: 44] لا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها في كتابي ﴿بِإِيمَانِكُمْ﴾ [الآية: 44] وهو الرشوة والجاه المانع من جنابي.

أ/216 قال محمد بن الفضل: لا تطلبوا الدنيا بعمل العقبى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 44] أي: مستهيناً به منكراً له ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية: 44] ففي مسلم عن البراء أن الآيات الثلاث نزلت في الكفار⁽¹⁾ فكفرهم لأنكارهم به وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه.

وفي «حقائق السلمي» قبل من لم يحكم للناس كحكمه لنفسه فقد كفر نعم الله عنده وظلم نفسه بذلك وخرج عن طاعة ربه. وقال جماهير السلف: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب دون من أساء من هذه الأمة.

وقال الحسن البصري: من لم يحكم به فهو فاسق ومن لم يحكم به من أهل الكتاب فهو كافر وقيل أن هذه الآية في هذه الأمة أو طلاق الكفر للتغليظ والشدة أو المراد به كفر النعمة فيكون كفراً دون كفر كما روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ورواه الحاكم في «مستدركه» وقال صحيح على شرط الشيخين⁽²⁾ وهو قول عطاء وطاووس وغيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن من الإشارة في الآية على وجه البشارة أنه سبحانه يخبر أنه استحفظ بني إسرائيل التوراة فحرفوها فلما وكل حفظ التوراة إليهم ضيعوها بالتغيير والتحريف بخلاف هذه الأمة فإنه سبحانه تولى حفظه عليهم كما قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَافِتُونَ﴾ [الحجر: 9] فلا جرم لو غير واحد من القرآن حركة أو سكوناً نادى عليه الصبيان بتخطيئه فمن اتخذ غيره حكماً ولم يخمد تحت جريان حكمه رضى واستسلاماً فعن شرك خامر قلبه وكفر قارن سره وهيهات أن يكون مع الله سواء.

(1) تفسير الطبري (10/346) رقم (12022)، وتفسير ابن كثير (3/115).

(2) تفسير الطبري (10/356) رقم (12053)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/485) رقم (6468).

﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ﴾ فرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾ [الآية: 45] أي: في التوراة ﴿أَنَّ
النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [الآية: 45] أي: يقتل بها ﴿وَالْمَرْءَ بِالْمَرْءِ﴾ [الآية: 45] أي:
تُفْقَأُ ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ [الآية: 45] تجدع ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ [الآية: 45] أي:
تقطع وقرأ نافع بالإسكان حيث يقع ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ [الآية: 45] أي: يقلع وقد
رفع الكسائي العين وما عطف عليه على أنها جملة مستأنفة ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾
[الآية: 45] أي: ذات قصاص أو فيها قصاص أو مقتصة بها فيما يمكن الاقتصاص
منها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي برفعهما على أنها إجمال
للحكم بعد التفصيل ﴿فَمَنْ تَصَدَّقْ﴾ [الآية: 45] من المستحقين ﴿بِهِ﴾ [الآية:
45] بالقصاص بمعنى فمن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 45] أي: التصدق والعفو
﴿كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [الآية: 45] للمتصدق والعافي يكفر الله به ذنوبه لما روى
ابن مردويه عن رسول الله ﷺ وفيه فإن كان ربع الدية فربع خطاياهم وإن كان
الثلث فثلث خطاياهم وإن كان الدية حطت⁽¹⁾ عنه/ خطاياهم وكذلك روى ابن أبي 216/ ب
حاتم عن جابر بن عبد الله وهو قول الحسن البصري وقتادة والنخعي وقيل
للجاني أي: لا يؤاخذ الله به كما أن القصاص كفارة لذنبه فهذا قول ابن عباس
ومجاهد والشعبي ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 45] من القصاص
وغيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 45] حيث لم ينصفوا المظلوم من الظالم
بالعدل الواجب على الحاكم قيل نزلت لما اصطلحوا أن لا يقتل شريف بوضع
ضعيف ورجل بامرأة ونحو ذلك.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ [الآية: 46] أي: أتبعنا النبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [الآية: 46] حاكماً بما فيها ﴿وَعَائِشَةَ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾
[الآية: 46] أي: بيان وبرهان والجملة في موضع النصب بالحال ولذا قال
﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [الآية: 46] أي: موافقاً لما سبقه في أصول الدين
وأكثر أحكامه ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 46] خصوا لكونهم المتتبعين.
﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ [الآية: 47] أي: وآتيناه الإنجيل وقلنا لهم ليحكم وقرأ حمزة
بكسر اللام وفتح الميم أي: وآتيناه ليحكم ﴿أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ

(1) تفسير ابن كثير (3/ 124)، والدر المنثور (3/ 92).

يَعْمَلُكُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاتُوبُوا لَهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿[الآية: 47] أي: الخارجون عن طاعة ربهم.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 48] أي: القرآن متلبساً بالصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 48] من جنس الكتب المنزلة أي: مطابقاً لما فيها من القواعد المقررة والأصول الممهدة ﴿وَمَهِّمِينَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 48] أي: رقيباً على سائر الكتب بحفظه من التغيير ويشهد له بصحة الثبات والتقرير ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم﴾ [الآية: 48] أي: بين أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 48] أي: عليك وكذا بما أوحى إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية: 48] أي: مقاصدهم التي يحرفونها ويذكرونها بين يديك ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية: 48] وظهر أمره لديك ﴿لِكُلِّ﴾ [الآية: 48] أي: لكل أمة ﴿جَمَلْنَا مِنْكُمْ﴾ [الآية: 48] أيها الناس ﴿شُرْعَةً﴾ [الآية: 48] شريعة ظاهرة لائحة ﴿وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [الآية: 48] طريقة واضحة واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة.

قال بعض الصوفية: الطرق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق وقيل: كل قد فتح له طريق إلى الله فمن استقام على الطريق وصل إلى الله سبحانه ومن زاغ وقع في سبيل الشيطان وأتباعه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْنَاكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية: 48] جماعة متفقة على ملة واحدة وطريقة متحدة في جميع الأزمنة من غير نسخ وتحويل في بعض الأقضية ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْتَلِيَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: 48] لكن أراد ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن/ من الأزمنة هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها مقتضى الحكمة الإلهية أم تزيغون عن الحق وتفترطون في العمل بالأحكام الدينية ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [الآية: 48] أي: فابتدروا إلى الطاعات وسارعوا إلى العبادات انتهاز الفرصة والأوقات.

وأفاد الأستاذ: أن استباق الزاهدين برفض الدنيا واستباق العابدين بقطع الهوى واستباق العارفين بنفي المني واستباق الموحدين بترك الوري ونسيان الدنيا والعقبى في محبة المولى ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 48] وعد للمبادرين ووعد للمقصرين ﴿فِيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾ [الآية: 48] بالجزاء الفاصل بين المقصر والعامل.

وفي «نفائس المرائس» أن الله جعل في بحار القدم والبقاء شرائع لورود الأرواح القدسية ومشارب لقلوب العارفة وسواقي لعقول الصادرة من أنواره الواردة ولكل واحد منها شرعة من تلك البحار فلبعض شرعة العلم ولبعض شرعة القدرة والقوة ولبعض شرعة الصمدية ولبعض شرعة الحكمية ولبعض شرعة المحبة ولبعض شرعة العظمة ثم جعل لها منهاجاً من الصفات إلى الذات ومن الذات إلى الصفات ومن الصفات إلى الأسماء ومن الأسماء إلى الأفعال ليعرفه كل واحد بقدر ذوقه وشربه وجعل بينهم تباعداً وتقارباً في مراتب قربه وقد قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُ﴾ [البقرة: 60] فمن وافق شربه شرب صاحبه لم يقع بينهم الخلاف في الشرعة والمنهاج ومن لم يكن شربه موافقاً لشرب صاحبه لم يعرف أحدهما مكان الآخر ويكون بينهما نزاع وذلك من غيرة الله عليهم وعلى نفسه لئلا يركن بعضهم إلى بعض ولا يطلع عليه أحد سواه وذلك رحمة الله على الجمهور قال عليه السلام اختلاف العلماء رحمة لا اختيارهم في طريقهم بحقائق العبودية وعرقان الربوبية وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية: 48] يعني: شيوخاً وأكابر بغير المريدين والسالكين ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَيْتُكُمْ﴾ [الآية: 48] من المقامات البهية والحالات السنية كيف تخرجون من دعواكم بحقيقة عبوديتي وتخرجون جواهر العلم من كتابي وحكمتي ثم خاطبهم جميعاً بقوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَى الْخَيْرَاتِ﴾ [الآية: 48] عرفهم مكان تقصيرهم/ أي: ما ب/ أدركتم مني في جنب ما عندي لكم كقطرة في بحار فسارعوا إلى خيرات مشاهدتي وجميل عطياتي ثم أفردهم مما وجدوا إلى عين جلاله لقوله ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 48] إليه مرجع افتقاركم من مقاماتكم لزيادة القربة والمعرفة في حالاتكم وهناك يظهر تفاصيل درجاتكم وما غاب عنكم من حقائق أنواري ودقائق أسراري وهذا معنى قوله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلَّلُونَ﴾ [الآية: 48] .

﴿وَإِنْ أَحْكَمَ﴾ [الآية: 49] أي: وأمرنا بأن أحكم ﴿بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 49] فيهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية: 49] أي: مشتهياتهم على خلاف هديهم في حكوماتهم ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُواكَ عَنْ يَدِّهِمْ﴾ [الآية: 49] أي: يضلوك ويصرفوك عنه فيما يخيّلون عليك.

وقال الأستاذ: قم بالله فيما تحكم وأقم حقوقه فيما يؤخر ويقدم ولا تلاحظ الأغيار فيما تؤثر وتذر فإن الكل محو في التحقيق عند نظر أهل التوفيق ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 49] الحكم المنزل بهم ﴿فَاعَلَمْنَا أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 49] وهو ذنب التولي عن حكم ربهم وفيه إشارة إلى أن ذنوبهم كثيرة وأن هذا بجنبها يسيرة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [الآية: 49] أي: وأن قليلاً منهم لصالحون.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الآية: 50] أي: الملة الجاهلية من الميل والمداهنة بمقتضى المشتبهات النفسانية ﴿يَبْغُونَ﴾ [الآية: 50] يريدون وعن حكم الله يعدلون وقرأ ابن عامر بالخطاب في تبغون أي: أتعبدون في ظلمة الحجاب بعدما انكشف لكم النقاب ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ﴾ [الآية: 50] أي: بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية: 51] أي: لا تعاشرهم معاشرة الأحياء فإنهم لكم أعدى الأعداء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 51] على مخالفتكم ومعاداتكم لإجماعهم على مضادتكم ومناواتكم.

وقال الأستاذ: لا تجنحوا إلى الملاينة مع أعداء الله سبحانه إثارة لسكون إلى حظّ واحتشاماً من قيام بحق أو ركوناً إلى قرابة نسيب أو استحقاق المودة حميم أو تهيباً من استيحاش صديق بل صمموا عقودكم على التبري منهم بكل وجه فهم بعضهم أولياء بعض والصدية بينكم وبينهم قائمة إلى الأبد ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ [الآية: 51] أي: من والاهم منكم فإنه من جملتهم ويحشر في 218/ أ زمرتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 51] أي: الذين يوالون الكفار من المنافقين أو الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي من الفاسقين وقيل: الظالم من أبى أن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل: الظالم من وضع في قلبه غير ذكر الله وسوى محبة مولاه.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [الآية: 52] أي: شك ونفاق وغرض في معاملتهم ﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 52] أي: في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَحْنُ أَن نُصِيبَكَ دَآئِرَةً﴾ [الآية: 52] بأن ينقلب أمر الدولة للكفرة ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ

﴿بِالْفَتْحِ﴾ [الآية: 52] أي: أن يظهر للمؤمنين النصر الظاهرة ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [الآية: 52] كضرب الجزية وإجلاء بعض أرباب العداوة ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ [الآية: 52] يعني هؤلاء المنافقين ﴿عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [الآية: 52] أي: على ما حدثت بهم أنفسهم من أنه لا يتم أمر المؤمنين وقال الأستاذ يعني أن الذين سقمت ضمائرهم وضعفت في التحقيق بصائرهم سبق إلى قلوبهم هودة الأعداء خوفاً من معرفتهم وطمعاً في المأمول من صحبتهم ولو استيقنوا أنهم في أسر العجز وذل الإعراض عنه سبحانه لأملوا الموعود من كفايته والمعهود من جميل رعايته ولكنهم حبجوا عن محل التوحيد ومقام الإحسان فترفقوا في أودية الظنون والحسبان وعن قريب يأتيكم الفرج أيها المؤمنون وترزقون الفتح بحسن الإقبال والظفر بالسؤال بسابق الاختيار فيستشعرون الندم ويقاسون الألم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 53] بالرفع قراءة الكوفيين على أنه كلام مستأنف ويؤيده قراءة نافع وابن كثير وابن عامر مرفوعاً بغير واو وقرأ أبو عمرو بالنصب مع الواو عطفاً على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [الآية: 52] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 53] أي: بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين وتبجحاً بما من الله عليهم حيث جعلهم من المخلصين ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الآية: 53] أي: حلفوا أغلظها في أزمانهم ﴿لِيَأْتِيَهُمْ لَمَعَةٌ﴾ [الآية: 53] في باطنهم كظاھرهم وأنهم أحباؤكم ﴿حَاطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الآية: 53] فإنهم أعداؤكم ﴿فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ [الآية: 53] في أمر الدنيا والدين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [الآية: 54] قرأ نافع من يرتد أي: من يرجع إلى عقبه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: بدلاً عنهم ﴿يَقُومُ﴾ [الآية: 54] ﴿يُجِئُهُمْ﴾ [الآية: 54] أي: يهديهم إلى سبيل محبته ويثيبهم في طريق طاعته ﴿وَيُجِئُونَهُمْ﴾ [الآية: 54] حيث يعظمونه ويطيعونه ويذكرونه ولا ينسونه ولا يشكرونه ولا يكفرونه فقل: /هم أهل اليمن كما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقيل: 218/ ب الأشعريون لما روى ابن جرير أنه ﷺ قال: قوم هذا مشيراً إلى الأشعري وقيل: الفرس لأنه ﷺ سئل عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه⁽¹⁾ قيل

(1) تخریج الأحادیث والآثار (1/ 411) رقم (423).

هم أبو بكر وأصحابه كما روى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري وهو قول علي وقتادة.

وقال الواسطي: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات وقال بعضهم بفضل حبه لهم أحبه وكذلك بفضل ذكره لهم ذكروه ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 54] متذللين لهم عاطفين عليهم متواضعين إليهم مع علو شأنهم لديهم ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 54] متعالين ﴿أَشَدَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29] والمنافقين متكبرين على الظالمين ﴿يَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 54] أي: بأموالهم وأنفسهم وألستهم وقلوبهم باختلاف أحوال اجتهداهم في أفعال إجهادهم فقليل: الجهاد ثلاثة مع نفسك وعدوك وقلبك والجهاد في سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا يتمكن فيه غفلة الرب ومجاهدة النفس أن لا يرتكب المعصية ومجاهدة الشيطان أن لا يغتر في حاله عن الطاعة ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [الآية: 54] أي: لتصلبهم في دينهم وقطع الرجاء والخوف من غير ربهم ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 54] أي: ما سبق من أحوال الأولياء ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: 54] فيوفقه طريق الأحياء ويرزقه متابعة الأنبياء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 54] كثير الفضل والعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 54] بمن هو أهله من أرباب الشكر والثناء وأصحاب الصبر في حال الابتلاء.

وفي «نفائس العرائس» أن الآية فيها ذكر شرف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المؤمنين وبين تعالى أن المحبة من خواص صفته الأزلية لأنه كان بذاته يحب أحباءه وكان ذاته موصوفاً بالمحبة الأزلية وكما أنه تعالى يحب الأولياء بذاته وصفته فهم يحبونه بذواتهم وصفاتهم من جميع حالاتهم لأن مصدر المحبة القدم وليس هناك فعل ومحبة العباد مصدرها قلوبهم وليس هناك فعل وأصل المحبة وقع بغير العلة من الآلاء والنعماء والأفعال والحركات في البناء كان سبحانه أحبه بعلمه في الأزل قبل إيجادهم اصطفاية فكأنه قد أحب نفسه لأن كونهم لم يكن إلا بكون وجوده وجوده سبب وجودهم/ وهو تعالى أحب فعله ومرجع الفعل صفته ومرجع الصفة ذاته فكأنه أحب ذاته ولم يكن الغير في البين فكان هو المحب وهو المحبوب وصفته المحبة وهم يحبونه بتجلي الصفة في قلوبهم وهو مباشرة نور محبته في فؤادهم فلما تجلت عيون

أرواحهم بنور محبته وطلبت مصدر أصل الصفة فوجدت مشاهدة الأزل عياناً بلا حجاب فأحببتها بالمحبة الأصلية التي لا تتحول من مصرف الأزل أبداً فإذا كان كذلك فالمحب والمحبوب والمحبة في عين الجمع واحد وهذا إشارة إلى قوله بلسان نبيه ﷺ حيث أخبر عن المحب المتحد المتصف بصفاته حيث قال في أثناء الحديث فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً⁽¹⁾.

وفي هذا المعنى أنشد المجنون:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنا أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا⁽²⁾

وأفاد الأستاذ: فيما أجاد أنه سبحانه جعل صفته من لا يرتد عن الدين أن يحب الله ويحبه الله ففيه بشارة عظيمة للمؤمنين لأنه يحب أن يعلم أن من كان غير مرتد فإن الله يحبه وفيه إشارة دقيقة فإن من كان مؤمناً يحب أن يكون لله محباً فأما إذا لم يكن له محبة فبالخطر صحة إيمانه وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد فمحبة الحق للعبد لا تخرج من وجوه إمّا أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه أو المدح له والثناء عليه أو يقال إنه بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله فكما أن رحمته إرادته لإنعامه فمحبته إرادته لإكرامه والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة إنعام مخصوص والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة واللفظتان تعودان إلى معنى واحد فإن إرادة الله سبحانه واحدة وبها يريد سائر مراداته ويختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلق لله وأما محبة العبد لله سبحانه فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه وتحمله تلك الحالة على إيثار موافقته أمره وترك حظوظه فيه وإيثار حقوقه سبحانه بكل وجه وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما يكون صفة العبد في الوقت الذي يعبر عنه/ 219/ ب

فيقال: المحبة ارتياح القلوب بوجود المحبوب ويقال: المحبة ذهاب المحب بالكلية في ذكر المحبوب ويقال المحبة خلوص المحب لمحبيه بكل وجه من وجوه المحبة تنتجها الهمة فمن كانت همته أعلى كانت محبته أصفى بل أوفى بل

(1) سبق تخريجه.

(2) نسب إلى الحلاج، انظر غرر الخصائص الواضحة (1/ 251).

أعلى ويقال: المحبة سكر لا صحو فيه ويقال: المحبة بلاء لا يرجى شفاؤه وسقم لا يعرف دواؤه ويقال: المحبة غريم يلازمك لا يبرح ورفيق من المحبوب يستوفي له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال ويقال: المحبة [قضية] توجب المحبة فمحبة الحق أوجبت محبة العبد لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [الآية: 54] ولولا أنه يحبهم وإلا لما أحبوه ويقال: لولا أنه أخبر عن المحبة وإلا أتى يكون للطينة جسارة ذكر المحبة، ثم بين الله سبحانه صفة المحبين فقال: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 54] يبذلون المهج في المحبوب من غير كراهة ويبذلون الأرواح في الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من الميسور ثم قال في صفتهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 54] بنفوسهم من حيث استدامة الطاعات ويجاهدون بقلوبهم بقطع المنى والمطالبات ويجاهدون بأرواحهم بحذف العلاقات ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات ثم قال: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [الآية: 54] أي: ولا يلاحظون نصح حميم ولا يركنون إلى استقلال حكم ولا يجنحون إلى استجلاب حظ ونصيب ولا يزيغون عن سنن الوفاء بحال ثم بين سبحانه أن جميع ذلك إليهم لأنهم فقال ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ [الآية: 54] متفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 54] بمن يخص بذلك من عباده.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 55] أي: إيماناً كاملاً كما بينه بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 55] أي: يقومون بأمهات العبادات البدنية والمالية المستلزمة أن يقوموا بالبقية ﴿وَهُمْ رَكُوعُونَ﴾ [الآية: 55] أي: خاشعون للحق متواضعون مع الحق.

وأفاد الأستاذ: أن الولي الناصر ولا موالاة بين المؤمنين وبين أعداء الحق سبحانه فأعداء الحق هم أعداء الدين وإنما حرف التحقيق يقتضي أن معنى ما عداه بخلافه وأعدى عدوك نفسك كما⁽¹⁾ في الخبر ومن عادى نفسه لم يخرج بالمخاصمة عنها مع الخلق وبالمعارضة فيها مع الحق.

﴿وَمَنْ يَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 56] أي: من يتخذهم/ أولياء

ويجعل من عداهم أعداء. ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الآية: 56] كما أن حزب

(1) سبق تخريجه.

الشیطان هم الخاسرون والغلبة بالبرهان والحجة وباعتبار العاقبة.

وقال سهل: الغالبون لأهوائهم.

وأفاد الأستاذ: أن حزب الله هم الغالبون عن حظوظهم الذين هم خصم الحق على أنفسهم لا خصم أنفسهم على مولاهم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَهْيًا﴾ [الآية: 57] أي: مهزوءاً به وتلعباً في أمره ﴿مِنَ الَّذِينَ أَتَوْا آلَكَتَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكَفَّارَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 57] بالنصب عطف على الموصول الأول أي؛ ولا تتخذوا سائر الكفار أيضاً أولياء لأن جميعهم لكم أعداء وقرأ أبو عمرو والكسائي بالجر عطفاً على الموصول الثاني ثم الكفار وإن عم أهل الكتاب لكن يطلق على المشركين لتضاعف كفرهم وتزايد عداوتهم لأهل الدين وفي الآية إشارة إلى المحب في الله والبغض في الله كما ورد في الحديث من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل إيمانه⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نبههم عن موجب التحيز عنهم والتميز منهم وأن المخالف في العقيدة لا يكون موافقاً في الحقيقة ويقال: أمرهم أن يلاحظوهم بعين الاستصغار كما لاحظوا دين المسلمين بعين الاحتقار ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 57] في مراعاة أمره ونهيه ﴿إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 57] بوعد ووعيده.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ [الآية: 58] أي: الناس ﴿إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا﴾ [الآية: 58] أي: الصلاة أو المنادة ﴿هُزُوءًا وَلَهْيًا﴾ [الآية: 58] فإن اليهود كانوا حينئذ يستهزئون ويضحكون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 58].

أفاد الأستاذ: أن الأذان دعاء إلى محل النجوى فمن تحقق بعلو المحل فسمع الأذان يوجب له روح القلب واسترواح الروح ومن كان محجوباً عن حقيقة الحال لاحظ ذلك بعين اللعب وأدركه بسمع الاستهزاء وذلك حكم الله غاير بين عباده على ما يشاء.

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَقِيْمُونَ مِثَآءَ﴾ [الآية: 59] هل تعيبون منا وتنكرون علينا ﴿ٱلَّذِى ءَآمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 59] أي: من الكتب على من قبلنا وهذا عين المدح والمعروف إجماعاً بيننا ﴿وَٱنَّ أَكْثَرَكُمْ فٰسِقُونَ﴾ [الآية: 59]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 178) رقم (2694)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 47).

أي: خارجون عن ديننا وهذا هو الحق أيضاً لو أنصفتهم من قبلنا فالاستثناء من قبيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب⁽¹⁾
وكما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْغَرِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [الزمر: 17] أَلَّذِي لَهُ
220 ب/ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [البروج: 8 - 9] إِيذَاناً بِأَنْ الْإِيمَانَ
لأهل الكتاب لأنهم من أهل الحجاب.

وقال الأستاذ: يعني ما لنا عندكم عيب إلا أنا تحققنا أننا محو في الله وأن الكائنات حاصلة بالله ولا نفتفي أثراً لما سوى الله في الله وهذا والله عيب زائل ونقص ليس له في التحقيق حاصل أقول بل هذا نقص في التحقيق كمال وعيب في نظر أرباب الكمال جمال.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ [الآية: 60] أي: من منعتكم ﴿مُتُوبَةً﴾ [الآية: 60] أي: جزاءً ثابتاً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 60] والمثوبة في أصلها مختصة بالخير كالعقوبة بالشر ونصبها على التمييز عن بشر بدفع توهم الخير ﴿مَنْ لَمْ يَلْمِ اللَّهَ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 60] أي: هو من أبعدهم الله عن رحمته وسخط عليهم بارتكاب معصيته ﴿وَجَمَلٍ مِنْهُمْ الْقُرْدَةُ﴾ [الآية: 60] وهم أصحاب السبت من اليهود ﴿وَالْخَنَازِيرُ﴾ [الآية: 60] وهم كفار أهل مائدة عيسى من النصارى ﴿وَعَبْدُ الْأَفْغُونِ﴾ [الآية: 60] أي: ومن عبد ما سوى الله من المشركين وقرأ حمزة بضم الباء وجر الطاعون عطفاً على القردة للإشعار بالمسخ في المسيرة ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 60] الملعونون ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ [الآية: 60] لأنهم في مقام التذليل ﴿وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 60] أي: قصد الطريق الموصل إلى الرب الجليل والمراد الزيادة مطلقاً من صفتي التفضيل. وقال الأستاذ: يعني أخس من المذكورين متناً قدرأ وأقلهم خطراً من سقط عن عين الله فأذله وأبعده عن نعت التخصيص فأضله ومنعه عن وصف التقريب فأبعده وحجبه عن شهود الحقيقة فطرده.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ [الآية: 61] أي: منافقوكم ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية: 61] بما أنزل إليكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 14] ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾

(1) نسب إلى النابغة. انظر: الحيوان (360/1)، ونهاية الأرب (303/2).

[الآية: 61] أي: في باطنهم وخیالهم ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [الآية: 61] على حالهم جملة حالية والمعنى دخلوا وخرجوا كافرين ما أثر فيهم من صحبة المؤمنين ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 61] أي: من الكفر والكيد بالمسلمين بدخولهم عليهم حيناً بعين الحين.

وأفاد الأستاذ: أنهم أظهروا الصدق وفي التحقيق نافقوا فافتضحوا من حيث أوهموا ولبسوا فلا حالهم بقيت مستورة ولا أسرارهم كانت عند الحق مكتومة وهذا نعت كل مبطل عند أرباب الحقائق أحوالهم ظاهرة في أنوار فراستهم.

﴿وَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 62] أي: من المنافقين وغيرهم ﴿يُسْرِعُونَ فِي آلَائِهِ﴾ [الآية: 62] أي: الحرام وقيل: الكذب لقوله تعالى عن قولهم الإثم ﴿وَالْعُدُونَ﴾ [الآية: 62] / الظلم أو مجاوزة الحد عن المعاصي أو الإثم ما يختص بهم 221 أ والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم ﴿وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ﴾ [الآية: 62] أي: الرشوة وخص بالذكر للمبالغة ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 62] لبس شيئاً ما عملوه وإلى آخرتهم قدموه.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ﴾ [الآية: 63] زهادهم وعبادهم ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ [الآية: 63] علماءهم ورؤساؤهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمْ آلَائُكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: عن كذبهم وافتراءهم ﴿وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ﴾ [الآية: 63] أي: الحرام في بيعهم وشرائهم ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية: 63] من عدم النكر والتنكير عليهم ووجود الميل إليهم وخص الصنع بخواصهم والعمل بعوامهم لأن الصنع عمل بعد تدرب فيه وتردد إجادة تحر ولأن ترك الحسنة أقبح من موافقة المعصية من حيث أن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ الذم فيها قال ابن عباس وغيره ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء⁽¹⁾ منها.

وأفاد الأستاذ: أن الرباني من كان لله وبالله ولم يبق منه بقية لغير الله ويقال الرباني من توقي عن الآفات ثم ترقى إلى أعلى الساحات ثم تلقى ما كوشف به من زوائد القربات فخلا عن نفسه وصفا عن وصفه وقام لربه بربه وقد جعل الله الربانيين تائبين عن الأنبياء والمرسلين الذين هم أولوا الدين فهم خلفاء ينهون

(1) تفسير الطبري (10/ 449) رقم (12239)، وتفسير ابن كثير (3/ 144).

الخلق بهمهمهم وأحوالهم أكثر مما ينهون بأقوالهم فإنهم إذا أشاروا إلى الله حقق الله ما يرومون إليه ويحقق ما يعلقون همهمهم عليه .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَفْلُوءَةٌ﴾ [الآية: 64] وذلك حين كف الله عنهم نعمة الدنيا بعدما جحدوا القرآن وأنكروا الدين وكانوا قبل ذلك في خصب ورخاء فقالوا هو ممسك يقتر الرزق، وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد إثبات يد وغل وبسط في عالم الوجود وقيل معناه أنه فقير كقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181] ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [الآية: 64] دعا عليهم بالبخل والنكد وبالفقر والمسكنة والكبد أو المراد بغل الأيدي حقيقة (يغلون) أسارى في الدنيا ومسحبين إلى الحميم في العقبي فتكون المطابقة من حيث اللفظ دون المعنى وملاحظة الأصل في المبنى ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ [الآية: 64] أي: نعمته أي: الدنيوية والأخروية والظاهرية والباطنية ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية: 64] أي: لأهلها مبدولتان فاليد ب بمعنى النعمة وقيل ثني اليد مبالغة في الرد/ ونفي البخل عنه وإثباتاً لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيده ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الآية: 64] أي: هو مختار في إنفاقه فيوسع تارة ويضيق تارة أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته .

وقال الأستاذ: أي بل قدرته بالغة ومشيئته نافذة ونعمته سابعة وإرادته ماضية ويقال ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية: 64] يرفع ويضع ويدفع ولا يمنع ولا يخلو أحد عن نعم الدفع وإن خلا نعم النفع قلت وكذا لا يخلو أحد عن نعم النفع لما سبق في قوله من عدم المنع ولقوله سبحانه ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20] أي: ممنوعاً .

ولعل الأستاذ أراد بالنفع المنفعة الأخروية والدنيوية النافعة للأمر الدينية .

ولذا قال ابن عطاء: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك وأعطاك فالحق تارة يعطي للإكرام وأخرى للاستدراج منزلة الأقدام ﴿وَلَنَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 64] أي: من اليهود ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية: 64] أي: من الأحكام والحدود ﴿طُفَيْنَا وَكُفِّرْنَا﴾ [الآية: 64] في الوجود والمعنى كلما نزلت آية كفروا وازدادوا طغياناً وكفراً بخلاف المؤمنين فإنهم يزيدون بنزول كل آية إيقاناً وشكراً قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: 26] ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا

هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» [الإسراء: 82] ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] كما يزداد المريض داء من الأدوية من تناول الغذاء الصالح للأصحاء فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما قال ﷺ: القرآن حجة لك أو عليك⁽¹⁾ وفي رواية القرآن شافع ومشفع أو ماحل مصدق⁽²⁾ ﴿وَالْفَيْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 64] أي: أوقعنا بين طوائف اليهود أو بينهم وبين النصارى على ما قاله الحسن ومجاهد ﴿أَلْعَدُوَّةُ﴾ [الآية: 64] أي: الظاهرة ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾ [الآية: 64] الكامنة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 64] فلا تتوافق قلوبهم وأحوالهم ولا يتطابق آراؤهم وأقوالهم ﴿كَلِمًا أَوْ قَدُونًا﴾ [الآية: 64] أي: اليهود ﴿نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ [الآية: 64] أي: مع المسلمين أو مع أحد ولو من المشركين ﴿أَطْفَاهاَ اللَّهُ﴾ [الآية: 64] بأن أوقع بينهم منازعة مانعة لهم من الغلبة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [الآية: 64] أي: للفساد وهو اجتهداهم في كيد العباد وهتك المحارم وإثارة الفتن في البلاد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 64] أي: لا يعزهم ولا يرضى عنهم ويجازيهم على فسادهم يوم الدين ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مع جرائمهم العظام ﴿ءَامَنُوا﴾ [الآية: 65] 222/أ بمحمد عليه السلام ودخلوا في دين الإسلام ﴿وَأَتَّقُوا﴾ [الآية: 65] المعاصي والآثام والظلم للأنام ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية: 65] التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ﴿وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ الْغَيْرِ﴾ [الآية: 65] فيه تنبيه عن عظمة عيوبهم وكثرة ذنوبهم وأن الإسلام يجب ما قبله من كفرهم وعصيانهم وبعض العلماء على أن من آمن ولم يراع التقوى لم تكفر سيئاته التي عمل بها في الكفر وفي الآية نوع إشعار إليه وكذا في حديث الصحيحين دلالة عليه فعن ابن مسعود قلنا أنؤاخذ بأعمالنا في الجاهلية والإسلام فقال عليه السلام: أما من أحسن منكم إسلامه فلا يؤاخذ بها ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية⁽³⁾.

لكن قال النووي: المراد بحسن الإسلام إيمان صحيح لا نفاق فيه والمراد من الإساءة النفاق انتهى.

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (189/120)، وأبو يعلى في المسند (65/9) رقم (5131).

وهذا تأويل حسن وإن قيل هو خلاف المتبادر وفيه أن التأويل لا يكون إلا كذلك وأن إبقاؤه على ظاهره مخالف لقواعد أهل السُّنة ومقوٍ لمذهب المعتزلة .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وتعالى إنما وعدهم الغفران بشرط التقوى ودليل الخطاب أن لا يغفر لمن لم يتق منهم في العقبي وقال لظالمي هذه الأمة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: 32] ثم قال في آخر الآية بعد ذكر الأقسام ﴿حَتَّىٰ عَذِبِ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: 23] وقال: ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَىٰ وَأَهْلُ الْخَفِرَةِ﴾ [المدثر: 56] أي: أهل أن يتقى فإن تركتم التقوى فهو أهل أن لا يغفر انتهى .

وهذا يشير إلى الفرق بين مسلمة أهل الكتاب وبين مؤمني هذه الأمة في الخطاب .

ثم قال الأستاذ: ويقال لو أنهم راعوا أمرنا أصلحنا لهم أمرهم ولكنهم وقفوا فوقفوا .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [الآية: 66] بإذاعة ما فيها ولطاعة أحكامهما ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 66] أي: القرآن أو سائر الكتب المنزلة فإنها من حيث أنهم مكلفون بها كالمنزل إليهم ﴿لَا كُفُّوا مِنْ قُرْآنِهِمْ وَمِنْ حَتَّىٰ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 66] أي: لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض بأن نزل عليهم المطر وأخرج لهم نبات الأرض قيل أراد به التوسعة كما يقال فلان في الخير من فرقه إلى قدمه وعبر عن الأخذ والانتفاع بالأكل لأنه أجل

ب/222 منافعهم وإيماء إلى محط نظرهم إنما هو في شيع/ بطنهم لحرصهم وشرهم وفي الآية إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2 - 3] وفي الحديث إلى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب .

وقال الأستاذ: أي لو سلكوا سبيل الطاعة لوسعنا لهم أسباب المعيشة وسهلنا لهم الحال الطيبة حتى إن ضربوا يمناً ما لقوا غير اليمن وإن ذهبوا يسرة ما وجدوا إلا اليسر ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [الآية: 66] جماعة عادلة متوسطة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين صاروا في هذه الأمة وساروا في هذه الملة .

وأفاد الأستاذ: أن المقتصد هو الواقف على حد الأمر لا يقصر فيه فينقص

ولا يجاوز فيزيد ويقال المقتصد الذي تساوى في همته الفقد والوجود في الحادثات ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 66] وهم كفارهم يقال في حقهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية: 66] أي: بشئ ما يعملونه.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية: 67] أي: أخبر جميع ما أوحى إليك غير مراقب من أحد نفعاً وضراً ولا خائفاً مكروهاً وشرراً.

وفي «حقائق السلمي» قيل: ﴿يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 67] من الرسالة ولا تبلغ ما خصصناك به من محل الكشف والمشاهدة فإنهم لا يطبقون سماع ما أطقته حملة من مشاهدة الذات والتجلي في الصفات.

وقال الأستاذ: أي لا تكتم شيئاً مما أوحينا إليك ملاحظة لغير إذ لا غير في التحقيق إلا رسوم موضوعة وأحكام القدرة عليها جارية ﴿وَأِنْ لَّمْ تَفْعَلْ﴾ [الآية: 67] أي: لم تبلغ جميعه كما أمرتك به ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [الآية: 67] وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالته أي: فما أدت شيئاً منها لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن حكمة الدعوة ينتقض به ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 67] أي: أنا ناصرك وحافظك فلا تخف أحداً غيري في تبليغك أو عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض أعدائه اطمئناناً لقلبه وسره فروى الترمذي وقال الحاكم صحيح الإسناد أنه كان رسول الله ﷺ يحرس من قبل ذلك فلما نزلت هذه الآية تركت الحراسة⁽¹⁾ وقيل: المائدة آخر ما نزل من القرآن فلا يشكل ثبج رأسه الأشرف أو المراد حفظه روحه ﷺ.

وفي «الحقائق» قيل: لصون شرك عن الاشتغال بهم والنظر إليهم.

وقال/الأستاذ: جمعاً بين المعنيين بحفظ ظاهره من أن يمسك أذاهم فلم 223/أ يسלט بعد هذا عدو عليه ويصون شرك عنهم حتى لا يقع فيه احتشام منهم ويقال ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 67] حتى لا تغرق في بحر التوهم بل تشاهدهم كما هم وجوداً بين طرفي العدم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 67] أي: لا يمكنهم مما يريدون من الهلاك بك وبالمسلمين أو المعنى بلغ أنت رسالتك

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/342) رقم (3221)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/251) رقم (3046)، والطبراني في المعجم الكبير (11/256) رقم (11663).

والله الهادي وليس عليك هداهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الآية: 68] متعدي به من الدين ﴿حَتَّىٰ تَقِيْمُوا التَّوْرَتَ ۚ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [الآية: 68] المراد إقامة أصولهما وما لم ينسخ من فروعهما ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 68] من سائر الكتب المنزلة ومن جملة إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لحكمه.

وقال الأستاذ: أي ليس انتعاشكم ولا نظام معاشكم ولا قدركم في الدنيا والعقبى ولا مقداركم ومنزلتكم في حال من حالاتكم إلا بمراعاة الأمر والنهي والمحافظة على أحكام الشرع ﴿وَلَزِيْدَتْ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُعَيْنَا وَكُفِّرْنَا﴾ [الآية: 68] كرره ليتعقب عليه قوله ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوِيْمِ ٱلْكَافِرِيْنَ﴾ [الآية: 68] أي: فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾ [الآية: 69] أي: باللسان كالمنافقين أو المراد بهم الكاملون من المؤمنين ﴿وَالَّذِيْنَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِغُونَ وَٱلنَّصَارَىٰ﴾ [الآية: 69] سبق تفسير في سورة البقرة ورفع الصائبون هنا على الابتداء والخبر محذوف أي: كذلك والجملة معترضة بين أصحابي الكتابيين والنكتة أنهم طائفة مائلة إلى كل من الملتين وقيل: إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل: الصائبون منصوب بالفتح فإنه كما جوز بالياء جوز بالواو ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 69] أي: بجنانه أو ثبت على إيمانه ومات على إيقانه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية: 69] أي: قام بأحكام الإسلام وأركانه ومن في محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 69] في العقبى ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾ [الآية: 69] على ما فاتهم من الدنيا والجملة خبر إن.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيْلَ﴾ [الآية: 70] ليقوموا بوعدهم وليوفوا بعهدهم ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِم رُّسُلًا﴾ [الآية: 70] ليبينوا لهم أمر دينهم وليذكروا لهم 223/ ب طريق يقينهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ مِّمَّا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: بما لا تشتهي نفوسهم ومُخَالَفَ أَهْوَاءِهِمْ من الشرائع وميثاق التكاليف التي يكون دواءهم. وقال الأستاذ: وداروا مع الهوى فوقعوا في البلاء ومن أمارات الشقاء

الإصرار على متابعة الهوى ﴿فَرِيئًا﴾ [الآية: 70] أي: من الأنبياء ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيئًا يَقْتُلُونَ﴾ [الآية: 70] عدل عن قتلوا مراعاة للفاصلة وبناءً على حكاية الحال الماية استحضاراً لتلك الحال الشنيعة وتنبههاً على أن ذلك دأبهم وحالهم في الأوقات الماضية وقصدهم في الأزمنة الآتية.

﴿وَحَسِبُوا﴾ [الآية: 71] أي: ظنوا أنهم مع هذه الأفعال القبيحة ﴿أَلَّا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ [الآية: 71] أي: لا يصيبهم عقوبة وبلية وقرأ أبو عمر وحمزة والكسائي برفع تكون على أن أن هي المخففة عن المثقلة وأصله أنه لا تكون فتنة.

وقال الأستاذ: اغتروا بطول الإمهال فأصروا على قبيح الأعمال فلما أخذتهم فجأة النقم لم ينفعهم الندم واشتد بهم الألم ﴿فَعَمُوا﴾ [الآية: 71] عن الدين ودلائل اليقين ﴿وَصَمُّوا﴾ [الآية: 71] عن استماع الحق من النبيين كعبدة العجل وغيرهم من المذنبين ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 71] أي: ثم تابوا فقبل الله توبتهم أو وفقهم بالتوبة فتابوا عن معصيتهم والمعنى بثم أنهم تبادوا في الضلالة إلى أن حصل لهم الهداية بالتوبة ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ [الآية: 71] أي: كرة بعد أخرى ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 71] بدل من ضمير الجمع أو من قبيل لغة أكلوني البراغيث ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ يَمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 71] فيجازيهم على وفق أعمالهم وطبق أحوالهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 72] وهم طائفة من أهل الحلول والاتحاد المسمون باليعقوبية.

وأفاد الأستاذ: أنهم سقمت بصائرهم والتبس أمارات الحدوث عليهم فخلطوا في عقائدهم استحقاق أوصاف القدم بنعوت الحدوث وصفات العدم ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 72] إني عبد الله ورسوله إليكم ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 72] أي: أنا عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 72] أي: في عبادته أو ما يخص به من أفعاله وصفاته ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [الآية: 72] أي: منعه من اللذات الأبدية والمراتب السرمدية ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [الآية: 72] أي: منزلة نار الفرقة ودار الحرقة ومسكنه مقام الحجاب ومحل العقاب ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [الآية: 72] / أي 224/أ

وليس للكفار أنصار من الأغيار في دار البوار.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [الآية: 73] أي: أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه فلا ينافي قوله سبحانه ما يكون من نجوى ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية القائلون بالأقانيم الثلاثة.

وقال الأستاذ: بلغ الخذلان بهم حداً كابروا الضرورة فحكموا للواحد بأنه ثلاثة ولا يخفى فساد هذا على مجنون في القضية فضلاً على عاقل له أدنى مزية ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [الآية: 73] من مزيدة للاستغراق والمعنى ما في الموجودات ذات واجب مستحق العبادات من حيث أنه مبدأ جميع الكائنات إلا إله موصوف بالوحدانية متعالٍ عن قبول الشركة في المراتب الربانية من الصفات الصمدانية ﴿وَأَن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الآية: 73] أي: بالتوبة عن مقولهم ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 73] أي: ممن بقي على كفرهم أو مات على شركهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 73] مؤلم في جميع أحوالهم.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: بجنانهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الآية: 74] بلسانهم عن عقائدهم الفاسدة وأقوالهم الكاسدة ويرجعون بالتنزيه والتوحيد بعد هذا التقرير والتهديد ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 74] مع هذا الذنب الجسيم والمعنى يغفر لهم إن تابوا ويمنحهم من فضله إن أنابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم بعدم توبتهم واستغفارهم.

وقال الأستاذ: لم يغلق باب التوبة عليهم مع قبيح أقوالهم وفساد عقائدهم وأحوالهم تضعيفاً لرجاء المؤمنين بخصائص رحمته وآمالهم.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [الآية: 75] والجملة وصف لرسول أو استئناف بيان لأحوال كل رسول أي: ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا ومضوا من قبله فإنه خصهم الله تعالى بآيات كما خصه بها فإنه سبحانه إن خلق عيسى من غير أب فخلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب وإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [الآية: 75] صدقت بكلمات ربها وكتبه كسائر النساء اللاتي يلازمن التصديق والصدق بالتوفيق ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّلَاقَ﴾

[الآية: 75] ويفتقران إليه كسائر الأنعام وقيل: هو كناية عن يغوطان وبيولان ﴿أَنْظُرْ﴾ [الآية: 75] نظر تعجيب في عالم البيان ﴿كَفَيْتُ لَهُمْ أَلَايَتِي﴾ [الآية: 75] أي: العلامات الفارقة بين ذات القدم/ والحدثان ﴿ثُمَّ أَنْظُرْ أَفْ ب/224 يُوَفِّكُونُ﴾ [الآية: 75] كيف يصرفون عن استماع الحق فلا يتأملون ولا يؤمنون.

وأفاد الأستاذ: أن من اشتملت عليه الأرحام المنتنة وتناوبته الآثار المتعاقبة أتى يليق بوصف الألوهية ثم مسته الحاجة حتى اتصف بالأكل وأصابته الضرورة إلى أن يخلص من قضايا الطعام فأتى يليق به استيجاب بالعبادة واستحقاق التسمية بالإلهية انظر يا محمد [كيف] نزيد في إيضاح الحجة وكيف تلبس عليهم سلوك المحجة.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية: 76] يعني عيسى عليه السلام وأن ملك بعض ذلك إنما هو تملك الله له هنالك فهو لا يملك من ذاته ولا في جميع حالاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلاء والمصيبة وما ينفع به من الصحة والسعة واختير ما في العبادة نظراً إلى ما هو عليه في ذاته من النسبة الجمادية توطئة لنفي القدرة عنه بالكلية وإيماءً إلى أنه بمعزل عن الإلهية وقدم المضرة لأن التحرز عنها أهم من تحري المنفعة ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية: 76] بالأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 76] بالأحوال والأعمال الصحيحة والعقائد الفاسدة والنيات الخالصة والكاسدة.

وأفاد الأستاذ: أن تعليق القلب بدون الرب في استدفاع الشر واستجلاب الخير تمحيق الوقت بما لا يجدي وإذهاب العمر فيما [لا] يغنى إذ المتفرد بالإيجاد بريء عن الأنداد.

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [الآية: 77] أي: غلوا باطلاً في جميع الأبواب ولا تتجاوزوا عن صوب السداد والصواب فترفعوا عيسى عليه السلام إلى أن تدعو له الإلهية أو تضعوا فتزعموا أنه لغير رشده ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 77] يعني أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد ﷺ في شريعتهم ﴿وَأَصْلُوا كَثِيرًا﴾ [الآية: 77] أي: خلقاً كثيراً ممن شايعهم على ضلالتهم ﴿وَضَلُّوا﴾ [الآية: 77] أي: واستمروا كلهم ﴿عَنْ سَوَاءٍ

السَّكِيلِ﴾ [الآية: 77] أي: الموصل إلى رضاء الجليل ولقاء الخليل.

وأفاد الأستاذ: أن التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع الآيل وكلما كان بعد المسافة من الحق أتم وأشد كان اليأس من الرجعة أوجب وأسد ومتبع الضلال شر من مبتدعه في المآل لأن المبتدع يبني في الحال والمتبع يتم البناء به في الاستقبال ومن به كمال الشر شر ممن فيه ابتداء الشر قلت ولعله من هذه الحيثية وإلا فيناقضه من سنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةٍ.

أ/225 ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 78] أي/ لعنهم الله أو أوقع لعنهم ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ [الآية: 78] في الزبور ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 78] في الإنجيل ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 78] أي: اللعن الشنيع المقتضي الحال الفظيع ﴿يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: 78] أي: بسبب عصيانهم واعتدائهم في طغيانهم. وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر الأنبياء عليهم السلام حتى ذكروا الكفار بالسوء وأما الأولياء فاستخصهم بذكر نفسه فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: 43] فلعنة الكفار بلسان الأنبياء وذكر المؤمنين ببيان الحق على أحسن الإنباء فإنه لو كان ذلك ذكراً لكان فيه استحقاق فضيلة فكيف وهو ذكر بالجميل والمدحة ولقد قال قائلهم:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة قد سرنني أني خطرت ببالك⁽¹⁾

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [الآية: 79] أي: لا ينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه أو عن ارتكاب منكر أرادوا فعله وتهيئوا له ولا ينتهون عنه ولا يمتنعون منه بل يصرون عليه ﴿لَيْتَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 79].

وأفاد الأستاذ: أن الرضا بمخالفة أمر الحبيب موافقة للمخالف ولا إلفة بعد تميز الخلاف والسكوت عن جفاء يعامل به كرم ومروءة والإغضاء على ما يقال في محبوبك دناءة.

﴿تَكْرِيكَ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 80] يعني المنافقين ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 80] أي: يوالون المشركين بغضاً للمؤمنين ﴿لَيْتَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الآية: 80] أي: ليس شيئاً قدموه ليردوا عليه يوم القيامة مما هيئوه ﴿أَنْ

(1) نسب إلى ابن الدمينية. انظر: الحماسة المغربية (1/ 97)، والتذكرة السعدية (1/ 45).

سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿[الآية: 80] أي: وهم جاحدون ﴿وَفِي الْمَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [الآية: 80] فما بعد أن هو المخصوص بالذم والمعنى بئس موجب سخط الله وهو الحجاب وسبب الخلود في العذاب.

قال الواسطي: ما أظهر من الوسم المكروه على خلقه جعل ذلك مضافاً إلى غضبه وسخطه من غير أن يشوش عليه شيء في عقبه ألا ترى إلى قول الحكيم كيف يؤثر عليه ما هو أجراه أم كيف يغضبه ما هو أبداه وكيف يجري عليه الغضب على نحو ما يعرف من الآدميين ولا يكره شيئاً خلقه وتولى إظهاره وإن كان نفس ما أظهره مكروهاً في ذاته إذ لا ضرر عليه في شيء من خلقه كما لا رتبة له في شيء من خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن شر خصال اللثام مطابقة من يضاد/ الأصدقاء الكرام فإذا 225/ ب كان سخط الله في موالاة أعدائه فرحمته ورضوانه في معاداة أعدائه وموالاة أحبائه.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾ [الآية: 81] أي: نبينا أو نبينهم ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 81] من القرآن والتوراة ﴿مَا أَخَذُوا مِنْهُمُ آلِيَائَهُ﴾ [الآية: 81] لأن الإيمان الكامل يمنع عن محبة الأعداء ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الآية: 81] خارجون عن الدين بالاعتداء داخلون في مقام الأعداء.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الآية: 82] فإنهم متفقون على الانهماك في حسدهم والتمادي في عنادهم والقساوة في قلوبهم وحرصهم على طول عمرهم وقلة رجوعهم إلى الحق وعدم رحمهم على الخلق ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُوكَ﴾ [الآية: 82] للين جانبهم وحسن تواضعهم وقوة كرمهم وإحسانهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل للعقبى كما أشار إليه بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ﴾ [الآية: 82] أي: علماء ﴿وَرَهْبَانًا﴾ [الآية: 82] أي: زهاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 82] عن قبول الحق حتى يفهموا أو يتوضعوا خلاف اليهود فإنهم مستكبرون وفيه دليل على أن الأوصاف الجميلة محمودة وإن كانت في كفرة مبعودة.

وقد قال الإمام الحجة: إن الكافر الفقير أحق عذاباً في النار من الكافر

الغني ولو اشتركا في دار البوار وقال بعضهم أثنيت عليهم حرمان الخدمة وإن كانوا على طريق المخالفة لأنهم لما أظهروا لزوم الباب صح لهم التزهّد والرهبانية بنوع من الانتساب وإن قصدوا في تحقيق مقام الاكتساب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن صفة العداوة وإن كان يجمعهم في المخالفة فمعرفة بعضهم تزيد على بغض في بغض المقابلة وبقدر ما للنصارى من الترهّب أثر فيهم بالمقاربة من أهل القرب وأنهم وإن لم ينتفعوا به من حيث الخلاص لفقد الإخلاص فقد ذكرهم الله سبحانه بمقاربة أهل الاختصاص.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ [الآية: 83] أي: سماع القبول باعتبار بعضهم من أهل الوصول ﴿زَيَّيْ أَعْيَنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [الآية: 83] كالسيول ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية: 83] أي: النازل على الرسول وهو بيان لركة قلوبهم وشدة خشيتهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ [الآية: 83] بمحمد عليه السلام ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية: 83] أي: من أمته فإنهم شهداء على / الأمم يوم القيامة قيل نزلت في سبعين رجلاً من قوم النجاشي وفدوا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا⁽¹⁾ فقال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم فقالوا:

﴿وَمَا لَنَا﴾ [الآية: 84] أي: مانع حاصل لنا ﴿لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 84] أي: في الجنة.

﴿فَأَتَيْنَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ [الآية: 85] أي: فجازاهم وأعطاهم بسبب قولهم عن صميم قلوبهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ [الآية: 85] أي: بساتين مشتملة على الأشجار ذوات الأثمار والأزهار ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 85] أي: مقدرين الخلود في دار القرار ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الأبرار في هذه الدار.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 86] عموماً ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 86] خصوصاً ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ﴾ [الآية: 86] أي: ملازمون في العذاب الأليم والحجاب المقيم.

(1) تفسير القرطبي (6/ 256)، وتفسير البغوي (3/ 87)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 56) رقم (6716)، والدر المنثور (3/ 130).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية: 87] أي: من المشتبهات والمستلذات المباحات ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [الآية: 87] أي: لا تتجاوزوا عن الحد بالتضييق على أنفسكم في تحريم الحلال كما فعل بعض المترهين من النصارى كسراً للنفس ورفضاً للشهوات ومبالغة في تحصيل الرضعات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية: 87] بل يحب المقتصدين أو معناه لا تعتدوا حدود ما أحل لكم إلى تعاطي ما حرم عليكم ولا تعتدوا في تناول الحلال وخذوا منه بقدر الكفاية المعينة على عبادة ذي الجلال فإن الزيادة على هذا الحال وبال في المآل.

وقال أبو عثمان: لا تحرموا على أنفسكم المكاسب وطلب قوة الحلال من تلك المراتب ولا تعتدوا أي: لا رازقاً سوى ذي الجلال فإنه الرازق لكنه ربما أوصل إليك رزقك بمكتسب وربما حصل لك الرزق بلا سبب.

وأفاد الأستاذ: أن من أمارات السعادة الوقوف على حد العبادة إن أباح الحق شيئاً قبله وقابله بالخشوع وإن حظر وقف ولم يتعرض للحفظ ومما أباحه من الطيبات الاسترواح إلى نسيم القرب في أوطان الخلوة وتحريم ذلك أن يستبدل تلك الحالة بالخلطة دون العزلة والعشرة دون الخلوة وذلك هو العدوان العظيم والخسران الجسيم هذا والآية نزلت في جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات/ الطعام 226/ ب واللباس وهموا بالاختصاص ولذلك قيل: الاعتداء هو الاختصاص وروي أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً وبالغ في إنذارهم فترقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا الطعام والدسم ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسبحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: إني لم أؤمر بذلك إن لأنفسكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سُتِّي فليس مني⁽¹⁾ فنزلت.

(1) تفسير الطبري (519/10)، وتفسير ابن كثير (171/3).

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ [الآية: 88] أي: كلوا ما أحل لكم وطاب مما رزقكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 88] في مخالفة ما أمركم به ونهاكم عنه فيما تفعلون وفيما تأكلون وتشربون وتلبسون قال بعضهم رزقه الذي رزقك ما هو من غير حركة منك ولا استشراف فيك وهو الطيب الحلال يحل محل الدعوة ويطيب قلبك بتناول تلك اللقمة.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال الصافي بأن يأكل على شهوده فإن نزلت الحالة عن هذا فعلى ذكره فإن الأكل على الغفلة حرام في شريعة الإرادة هذا وقيل: لما نزلت الآية السابقة في منعهم على ما اتفقوا عليه من أنواع الرياضة والمجازاة عن مراعاة طريق السنة قالوا: يا رسول الله إنا قد حلفنا على تلك الحالة⁽¹⁾ فنزل قوله تعالى:

﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِالْعَمَلِ فِي إِيْمَانِكُمْ﴾ [الآية: 89] هو الحلف على ما يظن أنه كذلك وإن لم يكن وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمد وقيل: هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله وإليه ذهب الشافعي ﴿وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمُ﴾ [الآية: 89] أي: إذا حنثتم ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [الآية: 89] أي: بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتخفيف وابن ذكوان عاقدتم ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ﴾ [الآية: 89] أي: فكفارة حنثه وجزاء حنثه ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [الآية: 89] أي: من أعدل أو أمثله أو من أقصده في النوع أو القدرة وهو نصف صاع من بر أو صاع من شعير وتمر ونحوهما وهو قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف واختار أبو حنيفة أو مد/ لكل مسكين كما هو مذهب الشافعي ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [الآية: 89] وهي ثوب جامع يستر عامة البدن كقميص أو إزار ورداء عندنا وقيل: ما يستر به العورة وبه قال مالك والشافعي وأحمد وهو قول محمد من أصحابنا ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبٍ﴾ [الآية: 89] أي: إعتاق إنسان مسلماً كان أو كافراً صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى وشرط الشافعي فيه الإيمان قياساً على كفارة القتل ومعنى أو في الآية إيجاب إحدى الخصال الثلاث مطلقاً وتخيير المكلف في

التعيين والعنق أفضل ثم الكسوة ثم الإطعام فبديء بالأيسر والأيسر على الأنام ﴿فَمَنْ لَّمْ يَحِدْ﴾ [الآية: 89] أي: واحداً منها بأن لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله في يومه وليلته ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 89] أي: فعليه صوم ثلاثة أيام أو فكفارته صيام ثلاثة أيام متتابعات كما قرئ بها وبه قال أبو حنيفة لأن قراءة الشاذة بمنزلة السُّنة في الرواية خلافاً للشافعية حيث قالوا: لم يثبت كتاباً ولم ترو سنة وفي «تفسير المصمين» للصفوي الشافعي أنها قراءة أبي وابن مسعود والشواذ وإن كانت ليست بحجة فلا أقل أن يكون خبر واحد وتفسير من الصحابة وهو في حكم المرفوع وعليه أبو حنيفة وأحمد ونص الشافعي في موضع من الأم على وجوب التتابع ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: المذكورة ﴿كَثْرَةُ أَيَّامِنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [الآية: 89] أي: وحنثتم وترك ذكر الحنث للعلم بأن الكفارة تجب بالحنث لا بنفس الحلف ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [الآية: 89] أي: بأن لا تبدلوا لكل أمر أو بأن تبرأ فيها ما استطعتم ولم يفت خير بها ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 89] أي: مثل ذلك البيان ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ [الآية: 89] إعلام شرائعه من مأموراته ومنهياته ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 89] أي: نعمة التعليم وسائر تفضلاته.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية إلى وقت يغلب على قلبك التعطش إلى شيء من إقباله أو وصاله فتقسم عليه بجماله أو جلاله أن يرزقك شظية من أفضاله فذلك في شريعة الرضا لغو من اليمن فيعفو عنك رحمة عليك لضعف حالك والأولى هو الذوبان والخمود بحسن الرضا تحت ما يجري عليك من أحكامه في الرد والصد وأن تؤثر استقامتك في أداء حقوقه على كرامتك بحسن تقريبه/ وإقباله كما قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد⁽¹⁾

ومن اللغو في اليمن عندهم ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد في تجديد العهد وتأکید العقد فيقول وحقك لا نظرت إلى غيرك ولا قلت لغيرك ولا حلت عن عهدك وامتنال هذا وهذا كله في حكم التوحيد محو في مقام التفريد سهو ومن أنت في الرفعة حتى تعد من نفسك وأين في الدار غيره ديار

حتى تقول بتركه أو تتحقق بوصله أو هجره كلا بل هو الله الواحد القهار وكما أن الكفارة الشرعية إمّا عتق وإما كسوة أو إطعام فإن لم تستطع فصيام ثلاثة أيام فكفارتهم على موجب الإشارة إمّا بذل الروح بحكم الوجد أو بذل القلب بصحة القصد أو بذل النفس بدوام الجهد فإن عجزت فإمساك وصيام عن المناهي والزواج والملاهي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ [الآية: 90] أنواع المسكر ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ [الآية: 90] أصناف القمار ﴿وَالْأَصْنَابُ﴾ [الآية: 90] أي: الأصنام نصبت للعبادة أو حجارة كانوا يذبحون قرايبنهم لآلهتهم عندها طلباً للقربة ﴿وَالْأَزْكَمُ﴾ [الآية: 90] سبق تفسيرها في أول السورة ﴿رِجْسٌ﴾ [الآية: 90] أي: ذوات قدر يعاف عنه العقول أو موحيات سخط أو أسباب إثم في المعقول والمنقول ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية: 90] لأنه مسبب في تسويله وتزيينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [الآية: 90] أي: الرجس أو ما ذكر ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ [الآية: 90] أي: تفوزون بالمقاصد الدينية والمراتب الأخروية.

وأفاد الأستاذ: أن الخمر ما خامر العقول والخمر حرام بإجماع أرباب النقول والإشارة فيه أنه يزيل نفاذ العقل بما يوجب عليه من الالتباس ومن شرب من خمر الغفلة فسكركه أصعب من سكر من سكر من شرب الخمر فشرب الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة فمن سكر من خمر الدنيا فهو ممنوع عن الصلاة ومن سكر من شراب الغفلة فهو محجوب عن المواصلات وكما أن من شرب الخمر وجب عليه الحد فكذلك من شرب شراب الغفلة فعليه الحد بضرب سياط الخوف وكما أن السكران لا يقام الحد ما لم يفق فالغافل لا ينجح فيه الوعظ ما لم ينته وكما أن مفتاح الكبائر شرب الخمر فأصل كل زلة وسبب كل بعد وحجبة الغفلة عن/الحضرة، وحرّم الميسر في الشرع وفي شريعة الحب القوم مقهورون ومن حيث الإشارة فأبدانهم مطروحة في شوارع التقدير يطؤها كل عابر سبيل ومن الصادرين من غير القادرين وأرواحهم مستباحة بحكم القهر عليها خرجت القرعة من غلبات الحكم لديها قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصفات: 141].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 91] يتوقع هذه الأشياء ﴿أَن يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [الآية: 91] في ظاهركم وباطنكم خصوصاً ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [الآية: 91]

[91] ﴿وَيَصَّدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الآية: 91] أي: يشغلكم بالخلطة والجلوة عن العزلة والخلوة ويمنعكم عن الحضرة ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [الآية: 91] أي: وعن صلاة المواصله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [الآية: 91] منها أم أنتم مصرون عليها وبهذا التقدير في المبنى قيل المعنى فانتهاوا كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلْتُمْ﴾ [آل عمران: 20] أي: أسلموا.

وأفاد الأستاذ: أنه طال عهدهم بالحقيقة فقاوسوا الهوان في مطارح القربة فصاروا سخرة الشياطين والفجرة فبقوا عن الصلاة التي هي محل النجوى وكمال الراحة وفسدت ذات بينهم بما تولد بينهم من الشحناء والبغضاء والعداوة.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [الآية: 92] فيما أمرا به ﴿وَأَحْذَرُوا﴾ [الآية: 92] ما نهيا عنه ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية: 92] أي: أعرضتم عن الطاعة وترك المراقبة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [الآية: 92] وقد أدى الرسالة وأثبت الحجة وأوقع النصيحة فيرجع إليكم مضرمة المعصية والمخالفة.

قال الواسطي: الحذر لا يزول عن العبد وإن كان مدرجاً تحت الصفات ولولا ذلك لبسطه العلم إلى قلة المبالاة بالأفعال والمقالات ولكن الأدب في إقامة المقامات هو المراعاة والموافقات كما ازدادت السرائر لعلماء الآخرة ازدادت لهم الخشية وقال أيضاً احذروا لا تلاحظوا طاعاتكم فتسقطوا عن درجة كما لا تكم.

وقال الأستاذ: كلما كان العبد أعرف بربه كان أخوف بقلبه من جهة حجه وإنما ينتفي الحذر عن العبد عند تحقق الوعد بقوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [الأنعام: 82] وذلك عند دخول الجنة وحقيقة الحذر نهوض القلب بدوام الاستغاثة مع مجاري الأنفاس في كل ساعة هذا وروى أحمد عن ابن عباس لما نزل/ تحريم 228/ب الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم أحد شهداء والخمر في بطونهم فأنزل الله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ [الآية: 93] أي: إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ [الآية: 93] أي: مما لم يحرم عليهم بعد لقوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿الآية: 93﴾ أي: اتقوا المحرم من الشرك وسائر المعصية وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة ﴿ثُمَّ اتَّقُوا﴾ [الآية: 93] أي: ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ﴿وَأَمِنُوا ثُمَّ اتَّقُوا﴾ [الآية: 93] أي: استمروا على اتقاء المعاصي ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ [الآية: 93] أي: وتحروا للأعمال الجميلة وبها اشتغلوا ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة أو باختلاف الحالات الثلاث من استعمال العبد التقوى بينه وبين نفسه أولاً وبينه وبين الناس ثانياً وبينه وبين الله ثالثاً وكذلك بدل الإيمان في الكرة الثالثة بالإحسان إشارة إلى قوله ﷺ وفي تفسيره الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه⁽¹⁾ أو باعتبار المراتب الثلاث من المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار أنواع ما يتقى فإنه يتنهي أن يترك المحرمات توقياً من أصناف العقوبات والشبهات تحرزاً للنفس عن الوقوع في المحرمات وبعض المباحات الشاغلة عن الطاعات والعبادات المانعة عن الوصول إلى مقامات أرباب الإرادات وأصحاب القربات في علوا الحالات ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 93] فلا يؤاخذهم بما يؤاخذ المستئين وفيه أن من فعل ما ذكر صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً ومن خالف شيئاً من ذلك كان لله مغضوباً.

وقال سهل: في قوله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾ [الآية: 93] أي: إذا طلبوا الحلال ولم يؤاخذوا فوت الكفاية من المال تحسناً للحال وتحصيئاً للمال.

وأفاد الأستاذ: أن من حافظ على الأمر والنهي فليس للقمة يتناولها من الخطر ما يضايق فيها وإنما المقصود من العبد التأدب لصحبة طريقه سبحانه فإذا اتقى الشرك تعرف ثم أتقى الحرام فيما تصرف ثم اتقى الشح فأثر وما أسرف أو يقال ﴿ثُمَّ اتَّقُوا﴾ [الآية: 93] المنع ﴿وَأَمِنُوا﴾ [الآية: 93] بالخلف وهذا للعوام ﴿ثُمَّ اتَّقُوا﴾ [الآية: 93] شهود الخلق وأحسنوا شهود الحق/ وهذا للخواص ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 93] أعمالاً والمحسنين آمالاً والمحسنين أحوالاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ اللَّهُ﴾ [الآية: 94] أي: ليعاملنكم معاملة المختبر

وأنتم محرمون ﴿بَشَقَّيْ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: بتناول بعض منه بالأيدي لقربه وأنسه وبعض منه بالرماح لنفرته وبعده فإن الآية كما قال مقاتل ابن حبان نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش والطيور تغشاهم في رحالهم لم يروا مثلها قط بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم لأن فيها صغاراً وفراخاً على ما نص عليه مجاهد وطعنأ برماحهم لأن فيها كباراً⁽¹⁾ ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ [الآية: 94] أي: يرى ويميز ﴿مَنْ يَخَافُهُ الْغَيْبُ﴾ [الآية: 94] أي: من يخاف الله ولم يره أو من يخاف عقاب الله وهو غائب غير مشاهد فيميز ممن لا يخاف لضعف إيمانه وقلة إيقانه والتقليل والتحقير في شيء إما للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال وارتكاب الأمور العظام فمن لم يثبت عنه فكيف يثبت عندما هو أعظم منه أو للإشارة إلى أنما يقع به الابتلاء بعض من كل بالإضافة إلى مقدوره سبحانه فإنه قادر على أن يتلى بأعظم من ذلك ليعتثهم على الصبر ويهون عليهم الأمر ويؤيده أنه سبق الإعلام به قبل حلوله ليوطن النفس عليه بعد نزوله ﴿فَمِنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [الآية: 94] أي: الابتلاء بالصيد أو الإنذار والإعلام ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 94] أي: فالوعيد لاحق به وهو ملام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أباح الصيد لمن كان حلالاً وحرم الصيد على المحرم الذي قصد زيارة البيت مآلاً والإشارة فيه أن من قصد بيتنا ينبغي أن يكون الصيد منه في أمان لا يتأذى منه بحال من الأحوال حيوان ولذا قالوا البر من لا يؤذي الذر ولا يضر الشر.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [الآية: 95] أي: محرمون جمع محرم والمراد بالصيد هنا المصيد وهو عام لكل حيوان متوحش في أصل الخلقة كما عليه الجمهور ومنهم أبو حنيفة واستثنى الشارع كما ورد خمس يقتلن/ في 229/ ب الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفأرة والكلب⁽²⁾ العقور وفي رواية

(1) تفسير النيسابوري (208/3).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (387/2) رقم (3870)، وأبو يعلى في المسند (7/478) رقم (4503).

أخرى الحية بدل العقرب⁽¹⁾ والمراد بالغراب الذي يأكل الجيف دون الذي يأكل الزرع وعند الشافعي يجوز للمحرم قتل ما يؤكل لحمه من الصيد ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ [الآية: 95] ذاكراً لإحرامه غير مكروه على فعله عالماً فإنه حرام عليه قتل ما يقتله والأصح عند السلف والخلف وعليه أبو حنيفة إن العمد والخطأ والنسيان سيان في لزوم الكفارة دون الإثم والعصيان فليس قوله متعمد التقيد وجوب الجزاء بل لقوله ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: 95] ولأن الآية نزلت فيمن تعمد إذ روي أنه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت⁽²⁾ ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [الآية: 95] برفع جزء منوناً ورفع مثل مضافاً قراءة الكوفيين بمعنى فعلية أو فواجبه جزاء يماثل ما قتله من النعم ومن بيان للجزاء أو للمثل وقرأ الباقر على إضافة المصدر إلى المفعول والمعنى فعلية أن يجزى مثل ما قتله وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي وأحمد ومحمد من أصحابنا وبحسب القيمة عند أبي حنيفة وأبي يوسف وهو المروي عن ابن عباس وقول إبراهيم وعطاء ومجاهد والقاسم فيقوم الصيد حيث صيد أصيد أو بقره فإن بلغت ثمن هدي تحير بين أن يهدي من الغنم ما قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً وإن لم تبلغ يخير بين الإطعام والصيام واللفظ للقول الأول أوفق وللثاني أتم وأعم والله أعلم ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ [الآية: 95] أي: بالجزاء ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ [الآية: 95] أي: رجلاً صالحاً ﴿مِنْكُمْ﴾ [الآية: 95] أي: من المسلمين والجملة صفة جزاء واستئناف بيان وهو يؤيد قول ابن حنيفة لأن التقويم أمس بالاجتهاد والنظر من المماثلة في الخلقة والهيئة إليهما وقرأ ذوا عدل على إرادة الجنس والإمام كما هو مذهب الشافعي ﴿هَدْيًا﴾ [الآية: 95] حال منتظرة من الضمير في به ﴿بَلِغْ أَلْكُمُةَ﴾ [الآية: 95] أي: واصلاً إلى حرما بأن يذبح فيه ويتصدق به ثم وهو الأفضل أو يتصدق به حيث

(1) أخرجه أبو عوانة في المستخرج (4/ 367) رقم (2944)، وابن خزيمة في الصحيح (4/

191) رقم (2669).

(2) تفسير النيسابوري (3/ 210)، والكشف والبيان للثعلبي (5/ 160).

يشاء كما هو مذهبنا ﴿أَوْ كَفَّرًا﴾ [الآية: 95] عطف على جزاء ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [الآية: 95] عطف بيان وقرأ نافع/ وابن عامر كفارة طعام بالإضافة البيانية كقولهم: 230/أ خاتم فضة ﴿أَوْ عَدَلْ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [الآية: 95] أي: أو ما ساواه من الصيد فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً والعدل في الأصل مصدر أطلق للمفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تميز للعدل وأو للتخيير في الآية عند الأكثر ومنهم أبو حنيفة وهو الأصح من قولي الشافعي ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ [الآية: 95] أمره متعلق بمحذوف أي: أوجبنا عليه ذلك ليدوق ثقل فعله وجزاء هتكه لحزمة إحرامه ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ﴾ [الآية: 95] أي: من قتل الصيد محرماً في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ [الآية: 95] أي: مثل هذا الفعل ﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [الآية: 95] أي: فهو ينتقم الله منه ومع ذلك عليه الكفارة فيه وعن ابن عباس لا كفارة عليه فإن الأمر أشد بالنسبة إليه ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 95] أي: قوي قادر غالب على أمره ﴿ذُو أَنْفَامٍ﴾ [الآية: 95] ممن أصر على مخالفة حكمه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية أن من قصدنا فعله بحسم الأطماع جملة ولا ينبغي أن يكون له بحال من الأحوال نوع مطالبة وكما أن الصيد حرام على المحرم إلا أن يتحلل بقلبه فكذلك الطمع والطلب والاختيار على الواحد حرام ما دام محرماً بقلبه ويقال العارف صيد الحق ولا يكون للصيد صيد فإذا قتل المحرم الصيد فعليه الكفارة وإذا لاحظ العارف الأغيار أو طمع في شيء أو اختار لزمته الكفارة ولكن لا يكتفي منه بجزاء المثل ولا أضعاف أمثال ما تصرف فيه أو طمع أو رغب بل كفارته تجرده على الحقيقة عن كل غير قليل وكثير وصغير وكبير.

﴿أَجَلْ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ [الآية: 96] أي: مصيده وقيل اصطيداه في حال الإحرام وعدم الجرم وهو الأصح المنقول عن أكثر السلف والمراد به ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء وهو حلال أكله لقوله ﷺ في البحر هو الطهور مأواه والحل ميتته⁽¹⁾ وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل: يحل السمك وما

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 237) رقم (491)، وابن ماجه في السنن (1/ 136) رقم (386)، والترمذي في الجامع الصحيح (1/ 100) رقم (69)، والدارمي في السنن (1/ 201) رقم (729).

يؤكل نظيره في البر ﴿وَطَعَامُهُمْ﴾ [الآية: 96] أي: أكل ما قدمه البحر أو نصب عنه بخلاف ما طغا فإنه لا يحل عندنا ﴿مَتَلَعًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 96] تمتعاً لكم نصب على المفعول له والمعنى منفعة لكم أيها المقيمون من المؤمنين ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [الآية: 96] أي: ولسياريكم من المسافرين حيث يتزودونه قديداً ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ 230/ب [الآية: 96] أي: ما صيد فيه أو الاصطياد فيه فعلى/الأول يحرم على المحرم ما صاده الحلال وإن لم يكن له مدخل بالدلالة والإشارة ونوع من السببية والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو صيد لكم ما ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [الآية: 96] أي: محرمين ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 96] أي: إلى موضع حكمه تجمعون.

وأفاد الأستاذ: إن حكم البحر بخلاف حكم البر فإذا غرق العبد في بحر الحقائق سقط حكمه من بين الخلائق فصيد البحر مباح له لأنه إذا غرق صار محوياً فما إليه ليس به ولا منه إذ هو محو فيه ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: 21]. ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَبْكَبَ﴾ [الآية: 97] أي: صيرها وسميت كعبة لتكعبها وارتفاعها ﴿أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [الآية: 97] أي: المحترم في كل مقام وهو عطف بيان للكعبة على جهة المدح والمفعول الثاني ﴿فَيْنَمَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] أي: قواماً لدينهم وديانهم وسبب انتعاشهم في أمر معادهم ومعاشهم يلوذ به الخائف الضرير ويأمن فيه الضعيف والكسير ويربح فيه الفقير وقرأ ابن عامر قيماً بالقصر على أنه مصدر أعل عينه كما أعل فعله.

قال الشبلي: الكعبة أمام أعين الناس والحق أمام قلوب الأولياء من أهل الاستئناس ﴿أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [الآية: 97] قيل: أي حرام في مجاورته ارتكاب المخالفة أزيد من سائر المقام وقيل: حرام على من يراه أن يرى وضعه دون واضعه وهو الله.

وفي «حقائق السلمي» قوله ﴿فَيْنَمَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية: 97] أي: من زل عن قيامه وأخرج بالتدنس بمعصيته وآثامه فتعلق به أقامه ببركاته وآثار الأنبياء فيه إلى حال

استقامته.

ومن «نفائس العرائس» أنه سبحانه ألبس الكعبة سناء قدس آياته ونورها

بصفح مشارق صفاته من مطالع ذاته وصبرها مرآة حسنة وجماله لينظر أنظار
نظار معارفه وأبصار عُشاق كواشفه داء عظمتهم وكبريائهم لقيامهم على مشاهد قربه
ومواقف قدسه ليطلبوا منها رؤية براهين كمال صفته ومشارق صنيع جلال قدمه
وحرَم تلك المنازل على الأغيار دون الأخيار ومنع الأخيار عن الدخول فيها
مع بقاء نفوسهم ليعلموا أنها ممنوعة من تناول الكل لهم ليعرفوا عين القدم أنه
منزه عن خطوة كل حادث جعل الكعبة بيته وجعل بيته قلب العالم وظهر بجلاله
منه لعيون العارفين كما ظهر لموسى من طور سيناء هكذا جعل قلب العارف
كعبة مشاهدته في حرم صورته وسد بابه عن كل طائف غير نظره فيظهر/ آثار 231/ أ
جلاله من صورهم ﴿وَالشَّهَرُ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَ﴾ [الآية: 97] معطوفات على
الكعبة والمراد بالشهر الحرام ما يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لأنه المناسب
لقرنائه فالألف واللام للعهد وقيل للجنس وينصرف إلى الكل لانتفاء قرينة البعض
فالمعنى جعل الله الأشهر الحرم قياماً للناس فيه الحج والأمن من القتال والمراد
بالحدي ما أهدي إلى الكعبة ومن القلائد ذوات القلائد ومن الهدي وهي ما قلده
من نعل أو لحاء شجرة ليعلم أنها هدي وكانوا يأمنون بتقليد الهدي ويحصل به
القيام في أمرهم على وجه النظام ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 97] أي: الجعل المذكور أو ما
ذكر في السورة من الأمور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
[الآية: 97] فإنه شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة
على وجودها دليل كمال حكمة الشارع في حكمه وبيان إحاطة علمه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ
يَكُلُّ شَيْءًا﴾ [الآية: 97] أي جزئي وكلّي ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 97] ختم للتخصيص
بالتعميم لإفادة التكميل والتتميم.

وأفاد الأستاذ: أن حكم الله سبحانه بأن يكون بيته اليوم ملجأ يلوذ به كل
مؤمل ويستقيم ببركة زيارته كل جائز وحائد عن نهج الاستقامة يستنجد
بالابتهاال هناك كل ذي إرب من صاحب أدب والبيت حجر والعبد مدر والحق
سبحانه ربط المدر بالحجر ليعلم أنه الذي لم يزل لا سبيل إليه للحدثان والغير
فسبحان من يغير ولا يتغير.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 98] لأرباب الحجاب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [الآية: 98] بمن هداه إلى الصواب وأعطاه الثواب.

وأفاد الأستاذ: أنه شديد العقاب للأعداء غفور رحيم للأولياء ويقال شديد العقاب للخواص بتعجيل الحجاب إن زاغوا عن الشهود لحظة غفور رحيم للعوام إن رجعوا إليه توبة وحسرة.

﴿مَا عَلَى رَسُولٍ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الآية: 99] أي: التبليغ وقد بلغ وعلى الله هداية من وصل إليه وبلغ.

وقال الأستاذ: أي المنفرد بالإلهية الله، والرسول وإن جل قدره فليس عليه إلا البلاغ وهو أيضاً بتسييره سبحانه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [الآية: 99] أي: تظهرون وتسرون.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [الآية: 100] أي: الحرام والحلال والمؤمن 231/ ب والكافر والعاصي والمطيع والجاهل/ والعالم والغافل والذاكر.

وأفاد الأستاذ: أن الخبيث ما اكتسبه الغافل عن الله في حال اكتسابه والطيب ما اكتسبه عن شهود الحق وقت انتسابه ويقال الخبيث ما لم يخرج منه حق الله تعالى والطيب ما أخرج منه حقه سبحانه ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك والطيب ما قدمته لأمره من عملك أو مالك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [الآية: 100] أي: وأحزنك قلة الطيب فإن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة ولأن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى على ما ورد عن النبي المصطفى والخطاب في أعجبك لكل معتبر من أرباب العقول السليمة بدليل قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: 100] أي: فاحذروا العقاب وما يترتب عليه من الحجاب في تحري الخبيث وإن كثر وإثارة الطيب وإن قل ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [الآية: 100] أي: راجين أن تبلغوا مقام الفلاح بالملازمة على حال الصلاح والإصلاح.

﴿يَتَأُولُوا الْأَلْبَابَ ءَامِنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [الآية: 101] أي: إن تظهر تحزنكم وتضرركم ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ﴾ [الآية: 101] أي: على لسان رسولكم ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [الآية: 101] أي: عن أشياء لم يكلف بها كما في حديث أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا

تبحثوا عنها على ما رواه الدارقطني وغيره عن ابن ثعلبة الخشني مرفوعاً⁽¹⁾ وروى الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد وابن جرير أنه لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97] قال سراقبة بن مالك أكل عام فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى أعاد ثلاثاً فقال: لا ولو قلت نعم لوجب ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم⁽²⁾ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [الآية: 101] لا يعاجلكم بالعقوبة ويعفو عن كثير من المخالفة وعن عباس أنه ﷺ كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيههم فقال: لا أسأل عن شيء إلا أجبت فقال رجل أين أبي؟ فقال: في النار فقال: آخر من أبي؟ فقال: حذافة وكان يدعي لغيره فنزلت رواه ابن جرير وغيره⁽³⁾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ [الآية: 102] أي: المسألة المغممة دون المسائل المهمة أو سأل عن الأشياء الملممة ﴿قَوْمٌ/ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 102] متعلق بيسألها ﴿ثُمَّ أَصْحَوْا بِهَا كُفْرِيكَ﴾ [الآية: 102] أي: بسببها حيث تركوها وهجروها ولم يعملوا بها أو أنكروها وفي الحديث الصحيح ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم⁽⁴⁾ قال بعضهم لا تسألوا عن مقامات الصديقين ودرجات الأولياء العارفين المحققين فإنه إن بدا لكم منهم شيئاً فأنكرتم ذلك هلكتم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أسبل عليكم ستر العطف فلا تتعرضوا لعلم ما أخفي عنكم بالعطف فينتقص بالتجسس عليكم عيشكم ويقال لا تتعرضوا للوقوف على محل الأكابر فلا تستوجبون ذلك فيسوءكم تقاصر ربتكم ويقال إذا بدا من الإعراض علم فاطلبوا له عندكم وجهاً من التفاؤل ولا تطلبوا أسرار الباري

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (249/2) رقم (1111)، والبيهقي في السنن الكبرى (12/10) رقم (19509)، والدارقطني في السنن (183/4) رقم (42).

(2) تفسير الطبري (110/11)، وتفسير ابن كثير (207/3).

(3) تفسير البضاوي (371/1).

(4) أخرجه مسلم في الصحيح (412/1337)، وابن حبان في الصحيح (198/1) رقم (18)، والنسائي في السنن الكبرى (319/2) رقم (3598)، وأحمد في المسند (2/247) رقم (7361).

واركنوا إلى روح المني في استدفاع ما أظلكم ولا تبحثوا عن سر ذلك ودعوا الأمر مجملًا وقوله ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ [الآية: 102] يعني توهم قوم أنهم محررون عن التأثير بما يصادفهم من فجأة التقادير وذلك منهم ظن كما قال بعضهم:

تبين يوم البين أن اعتزامه

على الصبر من إحدى الظنون الكواذب⁽¹⁾

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحْرٍ وَلَا سَائِبٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [الآية: 103] ولما كان عليه أهل الجاهلية من أنهم إذا ولدت الناقة خمس أبطن آخرها ذكر بحروا أذنبا أي: شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب إلا لخدم الأصنام ومن أنهم يقول الرجل منهم إن شفيت ونحوه فناقتي سائبة ويجعلها بالبحيرة في تحريم الانتفاع وعدم احتباسها عن كلاً وماء حيث وجدتا ومن أنهم إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لألهتهم وإن ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح الذكر لأجلها ومن أنهم إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا كلاً قصد شربه أو رعيه والمعنى ما صير الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامياً مشروعة لديه ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية: 103] أي: بتحريم ذلك ونسبته إليهم افتراء عليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 103] أي: قوم جهلة كالأنعام لا يفرقون بين الحلال والحرام وبعضهم عقلاء في الجملة ولكن يمنعهم تقليد آبائهم مع حب الرياسة والعناد عن الاعتراف بالقضية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أحكام ابتدعوها فردهم الحق سبحانه عن 232/ ب الابتداء/ وأمرهم وأمرهم بحسن الاتباع وأخبر أن ما صدر من عاداتهم لا يعد من جملة عباداتهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ [الآية: 104] أي: إلى متابعة حكمهما وموافقة أمرهما ونهيهما ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾ [الآية: 104] أي: يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [الآية: 104] أي: أمر ديننا ودنيانا بناءً على قلة علمهم وكثرة

(1) نسب إلى أبي غانم. انظر: أمالي الزجاجي (5/1)، وأخبار أبي القاسم الزجاجي (1/16)، وانظر: الأغاني (5/427).

جهلهم واختبار تقليد من قبلهم ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 104] الهمزة للإنكار من تقليد غير العلماء الأبرار والمعنى أيققدون بآبائهم الجاهلين ولو كانوا لا يغفلون شيئاً من أمر الدين ولا يهتدون إلى طريق اليقين ويتركون متابعة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من العلماء العاملين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 105] أي: احفظوها والزموا إصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [الآية: 105] بالقيام بما وجب عليها من فعلها وتركها فلا ينافي قوله ﷺ من رأى منكم منكراً واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلمه فمعنى اهتديتم إذا اتتمتم بالمعروف وانتهيتم عن المنكر ونهيتم عنه حسب طاقتكم فيه كما رواه ابن جرير عن سعد بن المسيب وروي عن غيره واحد من السلف والخلف⁽¹⁾.

وذهب كثيرون من السلف وتبعهم بعض الخلف على أن فيه رخصة لترك الحسبة إذا علم عدم قبولها أو يكون فيها مفسدة أو أضرار له منها ويدل عليه حديث إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك أمر العام فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم⁽²⁾.

ولذا قال بعض العارفين: هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت إلى أن تموت ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 105] وعد للمهتدين ووعد للمتمردين وتنبيه على أن أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره في أمر الدين فالأولى هو الاشتغال بالله عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الفقير يكفيه أن يمشي وقد جبر بعض كسره فأما إذا

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1330) رقم (4013)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 94) رقم (11293)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 85) رقم (7559)، وابن حبان في الصحيح (1/ 541) رقم (307).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 91) رقم (19980)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 257) رقم (3058)، وأبو داود في السنن (4/ 215) رقم (4343)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 127) رقم (9731).

233/أ ادعى التقدم على غيره والطمع في إنجاد من سواه من أمره فمحال من/ الحدس والظن في تخليه ويقال من تفرغ إلى غيره تشاغل عن نفسه ومن اشتغل بنفسه لم يتفرغ إلى غيره.

ومن «نفائس العرائس» أنه سئل أبو عثمان عن هذه الآية فقال عليك نفسك إن اشتغلت بإصلاح فسادها وستر عوراتها وترويح كسادها شغلك ذلك عن النظر إلى الخلق والاشتغال بهم عن الحق.

وقال محمد بن علي: عليك نفسك إن كفيت الناس شرها فقد أدبت حقها ودخل خادم الحسين بن منصور عليه في ليلة توعد من العدو لقتله فقال له: أوصني فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك أي: إن لم تشغلها بعبادة مولاه شغلتك في مشتاتها وهواها.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 106] أي: فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد في الوصية وإضافتها إلى الظرف على التوسعة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ [الآية: 106] أي: شارف حالته وظهرت أمارته وهو ظرف للشهادة ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ [الآية: 106] بدل منه أو ظرف، حضر ﴿اِثْنَانِ﴾ [الآية: 106] فاعل شهادة أي: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف أي: شهادة بينكم شهادة اثنين من نعتهما أنهما ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 106] من أقاربكم كما نقل عن عكرمة وروى ابن جرير عن الحسن البصري والزهري واختاره صاحب «المدارك» أو من المسلمين ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ [الآية: 106] أي من غير أقاربكم أو من غير المسلمين فيكون منسوحاً لأن شهادة الذمي على المسلم لا تسمع إجماعاً على ما ذكر البيضاوي⁽¹⁾ ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 106] أي: سافرتم فيها ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [الآية: 106] أي: قاربتم الأجل عطف على ضربتم وجواب الشرط محذوف أي: إن كنتم مسافرين ولم تجدوا مسلمين فيجوز شهادة غيرهم من الذميين ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ [الآية: 106] أي: تقفونهما وتصبرونهما صفة للآخران ﴿مِّنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ [الآية: 106] أي: صلاة العصر⁽²⁾

(1) تفسير البيضاوي (374/1).

(2) تفسير الطبري (176/11)، وتفسير ابن كثير (217/3).

كما روى ابن عباس في رواية العوفي وهو قول أكثر السلف أو بعد أي صلاة كانت وهو قول الزهري ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 106] أي: فيحلفان به ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ [الآية: 106] إن شك أحد الوارثين فيهما وأراد حبسهما لأيمانهما والجملة معترضة بين المقسم به وبين المقسم عليه وهو قوله: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ [الآية: 106] أي: لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضاً من الدنيا والمعنى لا تحلف كاذباً بالطمع لنا ﴿وَلَوْ كَانَتْ﴾ [الآية: 106] أي: المقسم له ﴿ذَا قُرْبَى﴾ [الآية: 106] / قريباً منا دفعاً لما يتوهم من أنه قد يسامح في حقه ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً﴾ 233/ ب ﴿اللَّهِ﴾ [الآية: 106] أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها ﴿إِنَّا إِذَا﴾ [الآية: 106] أي: إن كتماناً ﴿لَيْنِ الْأَرْثِيِّينَ﴾ [الآية: 106] .

﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾ [الآية: 107] أي اطلع ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾ [الآية: 107] أي: الآخرين ﴿أَسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ [الآية: 107] أي: فعلاً ما أوجبا إثمهما بينهما ﴿فَفَاحِرَانِ﴾ [الآية: 107] أي: فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [الآية: 107] خبر لقوله فأخران ثم بينهما لأنهما بقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ [الآية: 107] بصيغة المجهول أي: جني عليهم وهم الورثة فضمير استحق للإثم والمعنى ارتكب الذنب بالقياس إليهم وقرأ حفص مبنياً للفاعل وهو ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾ [الآية: 107] أي: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، ويظهروا بها كذب الكاذبين والأوليان يراد به الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وقرأ حمزة وأبو بكر الأولين بصيغة الجمع على أنه صفة للذين أو بدل منه وسموا الأولين لأنهم كانوا أولين في الذكر في قوله شهادة بينكم ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ [الآية: 107] عطف على أن يقومان أي فيحلفان ﴿بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا﴾ [الآية: 107] أي: أصدق وأولى بالاعتبار والقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ [الآية: 107] أي: ما تجاوزنا الحق فيها ﴿إِنَّا إِذَا﴾ [الآية: 107] أي: إن اعتدينا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 107] أنفسهم أو الواضعين الباطل موضع الحق ومحصل الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطاً فإن الوصي الواحد يكفي اتفاقاً فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فأخران من غير المسلمين أو من

غير قربانهم ثم وقع نزاع وارتباب فيهما أقسماً على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت أو على رؤوس الأشهاد فإن اطلع على أنهما كذبا بأمرة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي لأمانته أو لتغيير الدعوى فإن سبب نزول الآية على ما رواه الترمذي وأبو داود أن رجلاً من المسلمين خرج مسافراً و معه رجلان/ من أهل الكتاب ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جام فضة مخصوصاً بالذهب فرفعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت فحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء ثم وجد الإناء عند من اشترى منهما فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذوا بالظاهر من هذا الحديث أنهما كانا وصيين لا شاهدين ويؤيده ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود من أن المراد بالشهادة الوصاية فلا يكون نسخاً في الآية وعليه غير واحد من الصحابة والتابعين⁽¹⁾ وأما الإمام أحمد والقاضي شريح قالوا في خاصة مثل هذه الواقعة شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين أن يكون في سفر وأن يكون في وصية لكن قال الزهري وابن زيد أن حكم الآية منسوخ إن أريد من الغير الكافرين فإن شهادة الكافر كانت في بدء الإسلام ثم نسخت.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 108] أي: الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد ﴿أَدَقُّ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَى وَجْهٍ﴾ [الآية: 108] أي: أقرب إلى أن يأتي الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة ووفق ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ [الآية: 108] أي: ترد اليمين على المدعين وهم أولياء الميت بعد إيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وجمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود كلهم والمعنى أنه أقرب إلى أحد الأمرين أداء الشهادة على الصدق أو الامتناع عن أدائها بالكذب أو أيهما وقع كان فيه الصلاح ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 108] أي: فيما نهيناكم عنه بالمخالفة ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ [الآية: 108] أي: ما أمرناكم

(1) أخرجه البيهقي في السنن والآثار (435/15) رقم (6078)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (398/15) رقم (4928).

سمع الإجابة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 108] الخارجين عن الطاعة إلى الحجة أو المحجة أو طريق الجنة أو سبيل المحبة.

وأفاد الأستاذ: أن حكم هذه الآية كان ثابتاً في الشرع فنسخ وبيان التفسير يخبر عن تفصيله والنسخ هو الإزالة وذلك في العبادات جائز ومعنى النسخ يوجد في سلوك المريدين لأن في الابتداء فرضهم القيام بالظواهر من حيث المجاهدات فإذا لهم من أحوال القلوب شيء آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب فيسقط عنهم أو رد الظاهر وتجنيس القرب فهو كالنسخ من حيث الصورة إذ اتصافهم بمراعاة القلوب والحالات أنهم من تأديبهم بأحكام المعاملات.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [الآية: 109] منصوب بإضمار اذكر أي: اذكر/ يوم 234/ ب يجمعهم ﴿فَيَقُولُ﴾ [الآية: 109] أي: لهم ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [الآية: 109] أي: أي إجابة من إقرار أو إنكار أجبتهم وهذا السؤال لتوبيخ قومهم أو لتعظيم يومهم ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [الآية: 109] أي: بما أنت تعلمه منا ومن غيرنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [الآية: 109] فتعلم ما أجابونا وأظهروا لنا وأضمرنا الخلاف عنا وقيل: المعنى لا علم لنا إلى جنب علمك فأقروا بالجهل واعترفوا بالعجز وقيل: ذلك من إقامة الأدب لا جهل لما أجابوا.

وقال سهل: لا علم لنا بمرادك في سؤالنا وقيل: لا علم لنا إلا ما علمتنا فإنك أنت أعلم بهم منا وليس علمنا كعلمك بنا.

وقال الأستاذ: به يكشفهم بنعت الجلال فتنخس فهمهم وعلومهم حتى ينطقوا بالبراءة عن التحقيق ويقولوا ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [الآية: 109] وهكذا يكون الحالة غداً من قال بشيء أو مال إلى شيء مما يكون نعتاً لمخلوق فعند ظهور أوائل التعزز تتلاشى الجملة فالملائكة يقولون ما عبدناك حق عبادتك والأنبياء يقولون ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [الآية: 109].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 110].

أفاد شيخنا عطية رحمه الله: أن عيسى إما منصوب تبعاً لما بعده وهي اللغة الشائعة وإما مرفوع محلاً أي: وما بعده صفة له وهي تكون منصوبة إذا كانت مضافة ﴿أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [الآية: 110] أي بالنبوة والرسالة ﴿وَعَلَى

وَالَّذِينَ ﴿الآية: 110﴾ أي: بالصدقية والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن الإجابة وتعدد ما أظهر عليهم من الآيات المتعددة فكذبهم طائفة وسموهم سحرة وعلا آخرون واتخذوهم آلهة ﴿إِذْ أَيْدُتُك﴾ [الآية: 110] قوبتك وأعنتك ﴿سُرُوجُ الْقُدُسِ﴾ [الآية: 110] أي: بجبريل يسير معك حيث تسير أو بالنفس التي تحيي به النفس حيوة أبدية ويؤيده قوله ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ [الآية: 110] أي: تدعوهم إلى الله تعالى ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ [الآية: 110] كائنًا فيه ﴿وَكَهْلًا﴾ [الآية: 110] والمعنى تكلمهم في حالة الطفولية والكهولية بالتسوية والمراد إلحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على أنه سينزل فإنه رفع قبل أن يكتهل ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 110] أي: الحفظ والكتابة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الآية: 110] أي: الفهم والحداقة ﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [الآية: 110] أي: هيئة مثل هيئة الطير ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: لك في ذلك ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ [الآية: 110] أي: في تلك الهيئة ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ [الآية: 110] وقرأ نافع طائراً ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: يطير بأمرى أو إرادتي ﴿وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ [الآية: 110] الذي ولد/ أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ [الآية: 110] الذي عجز عنه الأطباء ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: بتيسيري ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ [الآية: 110] أي: بأن تدعوهم فيقومون من قبورهم ﴿بِإِذْنِي﴾ [الآية: 110] أي: بقدرتي وحكمي.

قال أبو علي الروذبادي: غاية الربوبية في غاية العبودية فمن استقام على بساط العبودية أظهر الله عليه من أوصاف الربوبية بقضائه وقدره قلت: وفي هذا المعنى ورد من كان لله كان الله له ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ [الآية: 110] أي: منعتهم عن قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 110] حين إتيانك لهم بالمعجزات الواضحات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتٍ﴾ [الآية: 110] واضح وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه السلام.

قال الأستاذ: تذكير وجوه النعم يستخرج خلاصة المحب المستور والهيمنان في حديث المذكور وكل وقت للأحباب يمضي صار لهم حديث يتلى

من بعدهم أما عليهم وإما عنهم .

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [الآية: 111] أي: ألهمت إلى علماء الدين وأرباب الزهد واليقين الواصلين في مقام المخلصين فالوحي بمعنى الإلهام كما قاله الحسن البصري والسدي وغيرهما من العلماء الأعلام ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ وَرِسُولِي﴾ [الآية: 111] يجوز كون أن مصدرية ومفسرة ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ [الآية: 111] أي: بك وبرسلك ﴿وَأَشْهَدُ﴾ [الآية: 111] أي: أنت وكفى بك شهيداً ﴿يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ﴾ [الآية: 111] أي: متقادون مطيعون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما خصهم بالوحي إليهم إلهاماً لانبساط ضياء عيسى عليه السلام إكراماً وفي الأثر «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»⁽¹⁾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية: 112] قيل: هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكم والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بإجابة سؤالك أي: هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي بتاء الخطاب ونصب ربك أي: هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارفٍ لك ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 112] في سؤال المائدة واقتراح المعجزة فإنها سبب للمهلكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] بكمال القدرة وصحة النبوة.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ [الآية: 113] أي: نشارك بالأكل منها والانتفاع للتقوى على الطاعة بها ﴿وَنُطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [الآية: 113] بانضمام علم الاستدلال على كمال القدرة بعلم المشاهدة فإنه ليس الخبر/ كالمعاينة ﴿وَنَعْلَمَ﴾ [الآية: 113] ب/235 أي: علم عيان وإيقان بعدما علمنا علم إيمان وبرهان ﴿أَن قَدْ صَدَّقَتْنَا﴾ [الآية: 113] أي: فيما وعدتنا من ادعاء النبوة وإجابة الدعوة ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية: 113] أي عند من لم يحضرها من السالكين.

وأفاد الأستاذ: أنهم طلبوا المائدة ليسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآلة وعجيب المعجزة فغدروا وأجيبوا إليه إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة ويقال كل يطلب سؤله على حسب ضرورته وحالته فمنهم من كان

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (25/2689).

سكونه في مائدة من الطعام يجدها ومنهم من كان سكونه في فائدة من الكلام يردها ومنهم عزيز من يجد الغناء عن برهان يتأمله أو بيان يطلبه .

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 114] أي: لما رأى أن لهم عرضاً صحيحاً في هذا المبنى وأنهم لا يقلعون عن هذا المعنى ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾ [الآية: 114] أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه فضمير يكون للمائدة على حذف مضافين والعيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص وقيل العيد السرور الذي يعود فلا حذف لكن في الإسناد مجاز لأنها سبب للسرور ﴿لَاؤَلَيْنَا وَآخِرُنَا﴾ [الآية: 114] بدل من لنا بإعادة العامل أي: عيداً لسابقينا ولاحقينا روي أنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذها النصارى عيداً ﴿وَعَايَةَ مِنْكَ﴾ [الآية: 114] أي: آية كائنة منك دالاً على كمال قدرتك وصحة نبوة عبدك وهي معطوفة على ﴿عِيداً﴾ [الآية: 114] ﴿وَعَايَةَ مِنْكَ﴾ ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ [الآية: 114] المائدة والشكر عليها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الآية: 114] أي: خير المطيعين لأنه خالق الرزق بلا عوض ومعطيه بلا غرض .

وأفاد الأستاذ: أنه شتان بين أمة طلب لهم نبيهم سكوناً بإنزال المائدة عليهم وبين أمة بدأهم الله سبحانه بإنزال السكينة عليهم في قلوبهم ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4] وفرقاً بين من زيادة إيمانه بآياته التي تتلى عليهم وبين من سكونهم إلى كرامات وعطايا تباح لهم .

﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 115] أي: إجابة لسؤالكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزمة والكسائي بالتخفيف ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ﴾ [الآية: 115] أي: بي وبرسولي وبنعمتي ﴿بَعْدُ﴾ [الآية: 115] أي: بعد نزول المائدة ﴿مِنْكُمْ﴾ [الآية: 115] أي: من المقترحين ﴿فَإِنْ أَعَذَّبُكُمْ عَذَابًا﴾ [الآية: 115] أي: تعذيباً كائنت نباتاً على أن العذاب اسم للتعذيب كالسلام/ للتسليم والمتاع للتمتع إذ لو جعل اسماً لما يعذب به لقليل بعذاب لأن التعذيب لا يتعدى إلى مفعولين وجوز أن يكون مفعولاً به على السعة ﴿لَا أَعَذَّبُكُمْ﴾ [الآية: 115] الضمير للمصدر فيكون في موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد إلى الموصوف فإن لا أعذبه صفة ﴿أَمَدًا﴾ [الآية: 115] أو للعذاب إن أريد به ما يعذب به على الحذف والإيصال ﴿مِنْ

الْعَلَمَيْنِ﴾ [الآية: 115] أي: عالمي زمانهم روي أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتى وقعت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام خوفاً على المعترضين وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعله رحمة ونعمة ولا تجعلها نقمة ومحنة ثم قام فتوضأ وصلى ثم كشف المنديل عن وجه المائدة وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس⁽¹⁾ ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني غسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتهم واشكروا على نعمه يمددكم الله ويرزقكم من فضله⁽²⁾ وقيل لما وعد الله إنزالها بهذه الشرطية استعفوا عن طلب المائدة فلم تنزل على ما رواه ابن أبي حاتم وابن جرير بإسناد صحيح عن الحسن البصري ومجاهد والجمهور على أنها نزلت وأنهم كفروا بها وعصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير لأجلها⁽³⁾ وكيف لا وقد قال تعالى إني منزلها وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترح المعجزة وعن بعض الصوفية أن المائدة هنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء روح العارف كما أن الأطعمة غذاء البنية قيل: وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى بترك العصيان وثبات الإيقان حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها والوصول إليها فلم يقلعوا عن سوء الفعال وألحوا في السؤال فسأل عيسى ربه لأجل اقتراحهم بيان الحال فبين الله تعالى أن إنزاله سهل ولكن فيه خطر لهم 236/ب وخوف عاقبة أمرهم فإن السالك إذا انكشف لهم ما هو أعلى من مقامه لعله لا احتله ويزل فيه بعض قدمه فيضل ولا ينفعه إظهار ندمه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجابه إلى سؤاله لهم ولكن توعدهم بالآليم

(1) بلا قشر.

(2) تفسير ابن كثير (3/ 229)، وتفسير القرطبي (6/ 370)، وتفسير النيسابوري (3/ 232)،

وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 162).

(3) تفسير الطبري (11/ 229)، وتفسير ابن كثير (3/ 226).

العقاب لو خالفوا بعده ليعلم العالمون أن المراد إذا حصل والكرامة إذا تحققت فالخطر أشد والحال من الآفة أقرب ومهما كانت الرتبة أعلى كانت الآفة أخفى ومحن الأكابر إذا حلت جلّت.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ [الآية: 116] أي: يوم القيامة تقريباً وتوبيخاً للنصارى على رؤوس الأشهاد وحين رفع عيسى إلى السماء وقالت النصارى ما قالته على ما قاله السدي وغيره واختاره الطبري⁽¹⁾ ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 116] صفة إلهين أو متعلق باتخذوني أي: من غيره ففيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبداه قيل: لما سمع عليه السلام هذا الخطاب المتضمن للعتاب ارتعدت مفاصله وانفجرت عين من الدمع من أصل كل شعرة في بدنه ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ [الآية: 116] أي: أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك في ملكك ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [الآية: 116] أي: ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله ولا يجوز لي أن أقوله ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي﴾ [الآية: 116] إلا مما أخفيه كما تعلم ما أعلنه ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [الآية: 116] أي: ما تخفيه من معلوماتك في ذاتك فالمراد بالنفس الذات مأخوذاً من النفاسة لا من النفس بفتحيتين حتى يحتاج إلى القول بالمشاكلة فإنه جاء لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك من دون المزوجة والمقابلة.

قال جنيد: تعلم ما أنا عليه وما لك عندي ولا أعلم مالي عندك إلا ما أطلعني عليه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [الآية: 116] أي: المطلع على الذنوب والعيوب.

وأفاد الأستاذ: أن المراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث فليس هذا خطاب تعنيف بل خطاب تشويق ثم إن عيسى عليه السلام حفظ أدب الخطاب فلم يذك نفسه بل بدأ بالثناء على الحق سبحانه فقال سبحانهك تنزيهاً عما لا يليق بوصفك ثم قال ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [الآية: 116] أي: إني كنت مخصوصاً من قبلك بالرسالة ومن شرائط النبوة

(1) تفسير الطبري (2/ 539).

العصمة فكيف يجوز أن أقول ما لا يجوز لي ثم قال ﴿إِنْ كُنْتُمْ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ [الآية: 116] وكان واثقاً بأن الحق سبحانه علم منه نزاهته من تلك المقالة ﴿تَكَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ [الآية: 116] أن علمك محيط بكل معلوم ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [الآية: 116] أي: لا أطلع على غيبك إلا بقدر ما تعرفني بإعلامك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [الآية: 116] الذي لا يخرج معلوم عن علمك ولا مخلوق عن حكمك.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [الآية: 117] عطف بيان لضمير به أو خبر مضمرة أو مفعوله مثل هو أو أعني ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [الآية: 117] أي: رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهد لأحوالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [الآية: 117] بالرفع إلى السماء لقوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافُئُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: 55] والتوفي في الأصل أخذ الشيء وافيئاً والموت نوع منه قال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42] ﴿كُنْتُ أَنْتَ﴾ [الآية: 117] أي: وحدك ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 117] المراقب لأحوالهم والمطلع على أقوالهم وأفعالهم.

وفي «دقائق الحقائق» كنت مراقباً لهم بما أجريت عليهم من محتوم قضائك بهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية: 117] أي: مطلع عليه ومراقب إليه. وأفاد الأستاذ: في معنى الآية ما دعوتهم إلا إلى عبادتك ولا أمرتهم إلا بتوحيذك وتقديسك وطاعتك ﴿مَا دُمْتُ﴾ [الآية: 117] حياً ﴿فِيهِمْ﴾ [الآية: 117] كنت واجداً لهم على هذه الجملة فلما فارقتهم كان تصرفهم في قبضتك على مقتضى مشيئتك فأنت أعلم مني بما كانوا عليه من وصفي وفاقهم وخلافهم رفعتي اقتصادهم وإسرافهم.

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ﴾ [الآية: 118] ولا اعتراض على المالك المطلق أن يفعل في ملكه بملكه ما يشاء من أمره وفيه تنبيه نبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وعبدوا غيرك ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 118] أي: مع كفرهم فلا يمتنع جوازه غفلاً ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 118] في أحكامك على عبادك وقيل تقديره أن تعذبهم أي: من كفر منهم فإنهم عبادك ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 118]

237/ ب [118] أي: من أسلم منهم فإنك أنت العزيز الحكيم غالب على أمرك حكيم/ في حلمك لا يجب عليك شيء فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل.

وقال الوراق: أن تعذبهم بتقصيرهم في طاعتك فإنهم عبادك مقرين لك بالتقصير في عبادتك وإن تغفر لهم ذنوبهم فأنت أهل العز والكرم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن حكم المولى في عبيده نافذ بحكم إطلاق ملكه فقال: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ﴾ [الآية: 118] يحسن منك تعذيبهم وكان لك ذلك ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] أي: المعز لهم بمغفرتك لهم ويقال: أنت ﴿الْعَزِيزُ﴾ [الآية: 118] القادر على الانتقام منهم فالففو عن القدرة سمة الكرم وعن العجز أمانة الذل ويقال أن تغفر لهم فإنك أعز من أن تتجمل بطاعة مطيع أو تتنقص بذلة عاصٍ وقوله ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 118] رد على من قال غفران الشرك ليس بصحيح في الحكمة.

وذكر صاحب «العرائس» عن ابن مسعود أنه قال: لبأئين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس أحد فيها وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً⁽¹⁾ أقول إن صح عنه فيجب أن يحمل على أن مراده بجهنم طبقة من طبقات النار يعذب فيها عصاة المؤمنين دون الكفار للإجماع على أن الكفار مخلدون في النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [الآية: 119] وقرأ نافع بنصب يوم على أنه ظرف مستقر رفع خبر أو المعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن من يعجل ميراث صدقه في دنياه من قبول حصل له من الناس أو رئاسة عقدت له أو نفع وصل إليه من جاءه أو مال فلا شيء له في أجله من صواب صدقه لأن الحق سبحانه خص يوم القيامة بأن ينفع فيه للصادقين صدقهم ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 119] أي: من تحت الأشجار أو من تحت تصرف أهلها الأبرار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية: 119] مقدرين

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (247/8) رقم (7969)، وانظر: تفسير الطبري (484/15) رقم (18580).

الخلود في دار القرار ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الآية: 119] أي: مقام الرضا هو الظفر الجسيم والآية بيان النفع المقيم.

وأفاد الأستاذ: أن رضا الحق سبحانه إثبات محل لهم وثناءه عليهم ومدحه لهم وتخصيصهم بإفضاله وفنون نواله ورضاهم عن الحق سبحانه في آخرهم ووصولهم إلى منازلهم.

﴿لِلَّهِ / مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [الآية: 120] أي: من العلويات 238/أ والسفليات جميعهن وفيه تنبيه نبيه على كذب النصارى وغيرهم وفساد دعواهم في المسيح وأمه والأصنام وأمثالهن.

قال الأستاذ: تمدح الحق سبحانه بقدرته القديمة الشاملة لجميع المقدورات الصالحة لإيجاد المصنوعات ولم يتجمل بإضافة غير إلى نفسه من رسم وأثر وعين وطلل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 120] من الإبعاد والإسعاد والصد والرد والنفع والصنع، والقمع والمنع.

فهرس المحتويات

3 مقدمة المحقق
5 سيرة المؤلف
7 وصف المخطوط
9 نماذج من صور المخطوط
23 مقدمة المؤلف
25 سورة الفاتحة
32 سورة البقرة
255 سورة آل عمران
392 سورة النساء
490 سورة المائدة